مذكرات من التراث المغربي

مجموعة يشرف عليها **العربي الصقلي**

الجزء الخامس

1324 - 1352 هـ / 1906 - 1933 م

تجزئة ومقاومة

مذكرات من التراث المغربي

مدير المجموعة : العربي الصقلي
مدير النشر : هنري موران
الوثائق : سلين تيتشر والمؤلفين
مساعدة في التوثيق : لطيفة بنجلون – العروي
الاعمال التصويرية : أنبييس أدول
التـرجـمة : عبد الكريم حليم والمؤلفين
التصفيف الكهروني والتحرير : بشرى بنعزوز
التصميم : جوزي مورو و منيرة أسري



هذه المجموعة مكونة من ثمانية مجلدات

الجزء الأول : ... - 40 هـ موافق ... - 660م
ميلاد مركز حضاري

الجزء الثاني : 40هـ - 646 هـ موافق 660 م - 1248 م
الطابع الاسلامـــي

الجزء الثالث : 646 - 1076 هـ موافق 1248 - 1666 م
من تمتين الدولة الى المخاطـر

الجزء الرابع : 1076 - 1324 هـ موافق 1666 - 1906 م
من العظمة الى المؤامرات والدسائس

الجزء الخامس : 1324 - 1352 هـ موافق 1906 - 1933 م
تجزئة ومقاومـة

الجزء السادس : 1352 - 1374 هـ موافق 1933 - 1955 م
كفاح الملك والشعب

الجزء السابع : 1374 - 1404هـ موافق 1955 - 1983 م
في ركاب الامــم

الجزء الثامن : 1404 هـ - ... موافق 1983 م
المغرب الخالد : تراث فاخـر .

فهرست

الجزء الثالث



تحكي عن التاريخ المغربي ، وعن عصوره القديمة والحديثة والمعاصرة ، وعن ملامحه وأمجاده ، ووقائعه وأحداثه ، كتب ومؤلفات ومدونات كثيرة ومتنوعة ، يمكنها إذا جمعت في قالب واحد أن تشكل هيكلا متكاملا يحمل نظرة شاملة عن هذا التراث الأصيل ، ويكشف عن روح هذه الأمة ذات التاريخ الموغل في البعد والقدم ، والعائد إلى آلاف السنين .

انطلاقا منه ، نبعت فكرة إنجاز مجموعة «مذكرات من التراث المغربي» على غرار ما تم إصداره في العديد من الدول ، وعلى أساس أن تتضمن هذه المجموعة ، المكونة من ثمانية مجلدات ، كتابة حديثة للتاريخ المغربي ، بأسلوب عصري يعتمد البساطة والسلالة واليسر ، ويطرح الأحداث والأخبار التاريخية بلغة بعيدة عن الجمود ، قريبة مما تتداوله الأجهزة الاعلامية المرئية والمقروءة والمسموعة ، حتى تكون في متناول وطوع أمر مختلف الفئات والمستويات التربوية والتعليمية والثقافية .

ولأجل هذه الغاية ، وقع الاختيار على شخصية إعلامية مارست العمل الصحفي والاعلامي طوال حياتها متدرجة من قاعدته عبر مختلف مستوياته ، وتتمثل في الصحفي **العربي الصقلي** ، الذي أسندت إليه مهمة إدارة هذه المجموعة .

وقد تسنى لهذا الرجل بفضل تجربته وإلمامه بهذا المجال الخصب ، أن يستقرئ التاريخ المغربي عن طريق رجالات هذا البلد من المختصين في شؤون الجغرافيا والتاريخ والجيولوجيا والآثار والاناسة وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والديبلوماسية والكتابة ، ممن لبوا الدعوة بتلقائية ، فأسهموا بمعارفهم وعلومهم في إثراء هذه المجموعة من الوجهة الثقافية والاعلامية والتاريخية .

ويمكن للقارئ الكريم من خلال تصفحه لهذه المجموعة تسجيل الملاحظات التالية :

– إن الأصول والمصادر التي استقيت منها الوثائق والمعلومات قد تمت الاشارة اليها بإيجاز تجنبا للاطالة في التعاليق والمفاتيح .

– إن النصوص الأصلية التي وردت على سبيل الاستشهاد والاستئناس وقع اختصارها بدورها ، فجاءت مكملة للصورة الشاملة للنص حاملة اليه مراجع وجداول فهرسية .

– إن المصطلحات العلمية والأسماء المتصلة بالشخصيات والأقطار والمدن والأمصار والقبائل تم الرجوع في ترجمتها الى مؤلفي النصوص الأصلية ، أو إلى معاجم متخصصة صادرة عن هيئات ومكاتب ومؤسسات خاصة إقليمية ودولية .

وإننا لنود في الختام أن نتوجه بجزيل الشكر إلى كل الذين ساهموا في إصدار هذا المؤلف على مابذلوه من تضحيات وقاموا به من جهود ، متمنين أن يوفق هذا العمل الثقافي الاعلامي التاريخي في إعطاء جيد الصور وجليها عن شخصية وأصالة وحضارة الأمة المغربية .

مذكرات من التراث المغربي

مَدخل إلى المجَ

ها نحن أولاء ندخل معا القرن العشرين ، قرن استمرار تاريخ العالم ، وقد أصبح عصر السرعة والتيكنولوجيا ، يتميز بتسارع الزمن وتضايق المكان .

إنه عصر التقدم ، يباغتك كل يوم بشيء أكثر طرافة ويتحفك بما ينتجه تقدم العقل البشري . وقد امتاز هذا القرن كذلك بالاكتشافات العلمية في جميع الميادين و« **بالعقلانية** » والتنافس والقوة وتكاثر السكان في عالم يتسابق أهله إلى الاستهلاك المفرط ويصطدمون فيه اصطداما يشتد أحيانا ويفتر أحيانا أخرى . فكأنه قرن تتلخص فيه القرون السالفة .

لقد تكدست المعارف وصدمت المخيلات فعدّلتها تارة وشوّهتها تارة أخرى وبعثت حماسها ولوّثتها .

وازداد تواتر اتساع المعارف ... حتى لم يعد يُقْدَر على مجاراته . أنرى في ذلك علامة على بلوغ الانسان درجات الكمال أم علامة على انحطاطه ؟ لاندري . ذلك أن الانسان باق على وجه الدنيا ، كما تبقى معه طموحاته وآلامه النفسية وشكوكه وأنانيته وتناقضات مجتمعاته . وقد كان ذلك دأبه من ذي قبل ، وسيبقى كذلك على مر الزمان . وسيبقى الانسان ذلك المخلوق العاقل ، لكن تعدو عليه مخترعاته نفسها أكثر فأكثر . وستستعبده بيئته التي تتغير تغيرا مستمرا ، وقد أصبح مهدّدا بأن يدمر نفسه بنفسه بسبب إسرافه في التغيير .

لقد امتاز القرن الأخير والعقود التي سبقته بظهور الآلة وتطور الصناعة والبحث عن الأسواق وعن المواد الخام ، ومن ثَمّ بالحرص على التوسع والهيمنة والاستعمار .

ثم ظهرت قيم أخرى قيست بها العلاقات بين البشر وبين الدول . واختفت بعضها لفائدة نظريات أخرى في الحياة في بلاد رفضتها رفضا ، واختفت قيم على حساب نظريات جديدة في بلاد أخرى احتضنتها احتضانا .

وأوجد العالم لنفسه آفاقا أخرى ربما انعدمت فيها الأخلاق . فما أكثر الحروب التي اشتعلت نارها بين الأمم بدون فائدة ! وما أكثر النزاعات التي اضطرمت بين الأقوياء وغيرهم ! وكأنهم أرادوا أن يزيدوا الطين بلّة بإثارة نزاعين بين الأوربيين خاصة . لكن آثارهما امتدت إلى جميع بلاد العالم . ثم اشتعلت نيران الحروب بعد ذلك مرارا ... لتجربة آلات الدمار في أقطار أخرى .

ولم تُنس هذه الأحداث ، بل بقيت في ذاكرة الناس . لكنها لم تُتخذ عبرة من عبر التاريخ .

إنها أحداث معاصرة ، تكاد تكون بين الأحداث الجارية التي لم يمض عليها إلا قليل وبين الأحداث اليومية .

لقد ورد في هذا المجلد ذكر بعض الناس الذين شاركوا في الأحداث التي حدثت منذ ثمانين أو خمسين سنة وبعض الناس الذين شاهدوا هذه الأحداث وما زالوا أحياء . وقص علينا الأبناء ملاحم آبائهم وملاحم شخصيات فذة . واختلف القصص باختلاف « **الحساسية** » و « **الأهمية** » و « **تأثير** » الذاكرة أو العقل .

فلا يطلب القارئ في هذه الصفحات رواية لجميع أحداث تاريخ المغرب منذ بداية القرن إلى السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، رواية تشبه تسلسل روايات ألف ليلة وليلة . فقد نحتاج لذلك إلى العدد العديد من

لد الخامس

المجلدات لسرد العدد العديد من الروايات . فما أكثر ما قد نحتاج إليه من الكتب لذكر الأحداث الهامة المتواترة التي يزخر بها تاريخ المغرب ! على أن هذه السلسلة لاتستطيع – ويالأسف – إلا أن تحوم فوق الأحداث ، لاجميع الأحداث حتما ، ولا حتى أهم الأحداث ، حتى ولو فرضنا أننا استطعنا – في هذا العمل البسيط الذي نباشره – تحديد معنى العبارة « **أهم الأحداث** » .

لقد كنا نرمي ، في أول الأمر ، إلى أن نتحدث في هذا المجلد عن الحقبة 1906 – 1953 كلها . على أن ضغوط عوامل الزمن والنشر وسعة المواضيع حالت دون البلوغ إلى هدفنا . فاضطررنا إلى وقف الكتاب 19 سنة قبل نهاية هذه الحقبة . لكن ماذا يمثله عقدان اثنان من التاريخ إذا كانت هذه السلسلة لاترجع إلى الذاكرة ، وإذا لم تكن مجمل أعمال يومية يتمثل فيها مستقبل الأمة بواسطة السياسة والأحداث .

وهكذا أوجزنا تاريخ هذه الحقبة التي دامت أقل من ثلاثين سنة (1906 – 1934) في الفصول الآتية ، في نفس عدد الصفحات التي اشتمل عليها كل مجلد من المجلدات السالفة ، والتي تُحلّق فوق قرون طويلة من التاريخ .

وسيلاحظ أن من مؤلفي هذا المجلد الخامس بعض المؤرخين . وقد شارك في انجازه أيضا بعض الاختصاصيين الذين كتبوا عن « **الأحداث الحالية** » أي بعض الصحافيين الذين رجعوا إلى الوثائق واتصلوا بشهود مباشرين أو بمن أخذ عنهم مباشرة . وقد اشتمل المجلد على ثلاثة أجزاء بالعناوين التالية : « **قبيل الحماية** » و « **الحماية والكفاح المسلح** » و « **المغرب النافع والعمل السياسي** » .

وألقى المؤرخ **محمد المنوني** في الجزء الأول نظرة عجلى على « **الحضارة المغربية آخر القرن التاسع عشر إلى سنة 1912** » ، وهي نظرة خاصة بحضارة المدن . وقد أشار الكاتب إلى أن عرضه يهدف إلى « **التعريف بحضارة المغرب خلال الفترة الممتدة بين 1276 هـ – 1860 م و 1330 هـ /1912 م** ».

وقد اصطدمت هذه الحضارة بما لم تكن تتوقعه من أنماط جديدة في الحياة على مستوى أوروبا وأمريكا وبأطماع التوسع في المناطق الأقل غنى مثل افريقيا وآسيا . فاضطربت لها عقول المثقفين المغاربة ، فحاولوا انجاز بعض الاصلاحات للانسلاخ من العزلة وتجنب هيمنة الدول التي أصبحت تسعى إلى استعمار البلاد . وقد كتب في ذلك الصحافي وعالم الاجتماع **احمد الكوهن المغيلي** فصلين ، أحدهما بعنوان « **محاولات الاصلاح في بداية القرن العشرين** » وثانيهما بعنوان « **الحركات الدستورية** » . وقد أضيفت إلى هذين الفصلين بعض المقتطفات من مشروع الدستور المنشور سنة 1908 .

ثم أدرج في نفس الجزء الأول فصلان خصّص أولهما **لبوحمارة** وثانيهما **للشريف أمزيان** ، وهما شخصيتان على طرفي نقيض .

فقد عُرف الأول بالخُدع التي أصطنعها للوصول إلى الحكم باستغلال التنافس بين دولتين أوروبيتين ، وهما فرنسا واسبانيا وبث الفتنة بين السكان ، بينما اشتهر الثاني باستبساله في مقاومة محاولة الاحتلال الأجنبي في المناطق

الشمالية بالمغرب . وقد حرّر هذين الفصلين المؤرخ **محمد بن عزوز حكيم** ، إذ اعتمد على وثائق أجنبية سرية نادرة .

ثم أوردنا بعض الفصول من « **المعاهدات السرية الأوروبية** » التي كان الغرض منها تبرير الأوروبيين استيلاءهم المتوقع على المغرب بمبررات قانونية مدسوسة .

ولا يخفى أن مدينة وجدة قاومت الضغوط الفرنسية طوال القرن التاسع عشر ، إذ كانت ضعوطا مستمرة شديدة . وقد استعرض **علال الخديمي** ، الاستاذ بجامعة محمد الخامس العلاقات المغربية الفرنسية من سنة 1904 إلى سنة 1906 ووصف ضغوط الجيش الفرنسي وحلّل الحيل الشيطانية التي عمد إليها ذلك الجيش لاحتلال عاصمة المنطقة الشرقية . ورأى الكاتب في ذلك « **شعار مقاومة الدولة المغربية** » .

ثم وصف نفس الكاتب « **قنبلة مدينة الدار البيضاء** » إذ رأى فيها جريمة مدبّرة . فوصف الأحداث التي تعاقبت بدون انقطاع ذلك اليوم الرهيب ، يوم 5 غشت 1907 .

الحماية ! إن الرجل الذي طبعها بطابعه هو **الجنرال ليوطي** . فقد كتب الكثير عن ذلك الضابط الذي أصبح فيما بعد ماريشال فرنسا ، كتبه عنه في غالب الأحيان دعاة الاستعمار الذين عرف ليوطي كيف يؤثر على نفوسهم . وقد اهتم الصحافي **أحمد رشيد** بتلك الشخصية ، فاستقصى في دراستها وقومها بالقيمة التي كان معاصروه من المغاربة يرونها له ، ولو كانت جزئية ، وكما قومها فيما بعد مؤرخون فرنسيون معاصرون .

ثم قدّم إلينا **عبد الله العروي** ، المؤرخ وعالم الاجتماع شخصية **أحمد الهيبة** قائد الجهاد ، لابمظهر الرجل « **الذي يدعي الصلاح ويأتي بالخوارق ، والذي تزعم جموعا من الرجال الزرق الجياع للاستيلاء على ثروات مدن الشمال** » . وبذلك فحص شخصية الهيبة فحصا جديدا وبحث أسباب مقاومته .

وقد كان من شأن مقاومة المغاربة الاحتلال الفرنسي مقاومة مسلحة أن تزعزع أركان حكم المستعمرين وتعوق تقدمهم . لذلك عمد الجيش الفرنسي إلى حشد وسائل ضخمة للاستيلاء ، قطعة قطعة على بلاد كان يدافع عنها رجال ذوو عزم شديد ، لكن وسائلهم المادية كانت ضئيلة . وكان منهم **موحا أو حمو** في الأطلس المتوسط ، إذ استشهد في ساحة الوغى . وقد تخيل الصحافي **خالد الجامعي** مقاومة ذلك البطل وأفاض في تصويرها .

أما ناحية تازة ، فقد قاومت مدة أربعة عشر سنة . وكانت تلك المقاومة بمثابة عائق ذي بال في تنفيذ أغراض سلطات الحماية . وذلك ما تعرض له **توفيق أكومي** ، الأستاذ بجامعة محمد الخامس ، إذ وصف الوضعية بالدقة التي يتميز بها بصفته متخصّصا في الجغرافية .

إن « **التأمين** » عبارة تعد من ضرب الكلام الماكر ، يفترض أن تدل على ما يسمى « **مهمة تهذيبية تحضيرية** » بواسطة السلاح . لكن هذه العملية قوبلت في « **جبل صاغرو** » بحركة قامت للدفاع وحفظ الحرية . فكان عسو أوباسلام بطل هذه الحركة . وكذلك وصفه **أحمد رشيد** ، في حين كان خصومه يرون فيه صفات الفتان الثائر .

وقد سلك الكاتب **احمد الصفريوي** نفس المسلك في حديثه عن « **دخول الفرنسيين بلاد درعة وتافيلالت** » وعن ملاحم آيت عطا وآيت يافلمان وآيت شخمان وعن مقاومتهم بقيادة بلقاسم وغيره من كبار المقاتلين .

وليس من شك في أن كان لمناطق أخرى كبلاد سوس وتادلة وغيرها ما كان لها من أمجاد . وليس في وسعنا – كما أشرنا إليه في بداية هذه المقدمة –

أن نتحدث في هذه الصفحات القليلة العدد عن كل الجهود التي بذلها الرجال والنساء في كل من هذه النواحي للدفاع عن الكرامة والشهامة .

غير أنه لايجوز لنا ألا نخص بالذكر تلك المعارك الضارية التي عرفت في العالم بالاسم « **حرب الريف** » والتي قادها « **محمد بن عبد الكريم الخطابي** » ، إذ كان أول من فكر في استنباط طريقة حرب العصابات . فكانت طرقه في القتال نماذج اقتدي بها في كل حروب التحرير . وخص المؤرخ **محمد زنيبر** شخصية **ابن عبد الكريم** وكفاحه بكل ما أثاره في النفوس من العناية .

أما الفصل الثالث « **المغرب النافع والعمل السياسي** » ، فقد خصّص الجزء الأول منه « **للاستثمارات في عهد الحماية** » ولانشاء مؤسستين اقتصاديتين هما « **المكتب الشريف للفوسفاط** » و « **مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية** » . وقد توخى الأديب والاختصاصي في الاقتصاد ، **الحسن الصقلي** ، الدقة في تحليل مناهج أصحاب رؤوس الأموال الفرنسية وسلطات الحماية .

ولم يغتر الجيل الجديد بما بدا أنه نمو اقتصادي . فلم ينثن عن الكفاح السياسي المعبر عن المطالب الشعبية . ذلك أنه كان جيلا شديد العزم والوعي . فكان منظرو الاستعمار أنفسهم هم الذين فجروا الحركة الوطنية المغربية . وكانت مقاومة « **الظهير البربري** » بمثابة العنصر الذي رص صفوف المغاربة ، فنظّموا مظاهرات دوّى صداها في جميع أنحاء العالم . وذلك ما حدثنا عنه **احمد رشيد** ...

وقد مهدت **السلفية** وعواقب **حرب الريف** السبيل أمام **الحركة الوطنية** . وقد رأى **محمد زنيبر** أن الكلمة « **السلفية** » « **اكتست في المجتمع الاسلامي دلالة تقييمية لأنها لاتعني أجدادا عاديين ، بل أجدادا اختارتهم الأقدار ليعيشوا في عصر النبي** » .

وقد وجد « **انبعاث الوطنية** » الفرصة سانحة لاذكاء وعي الشعب بتعسفات سلطات الحماية والادارة المباشرة التي شجّعتها ، ولمقاومتها . ومن أجل ذلك ساق خالد الجامعي حديثا موجزا عن إنشاء « **لجنة العمل المغربي** ».

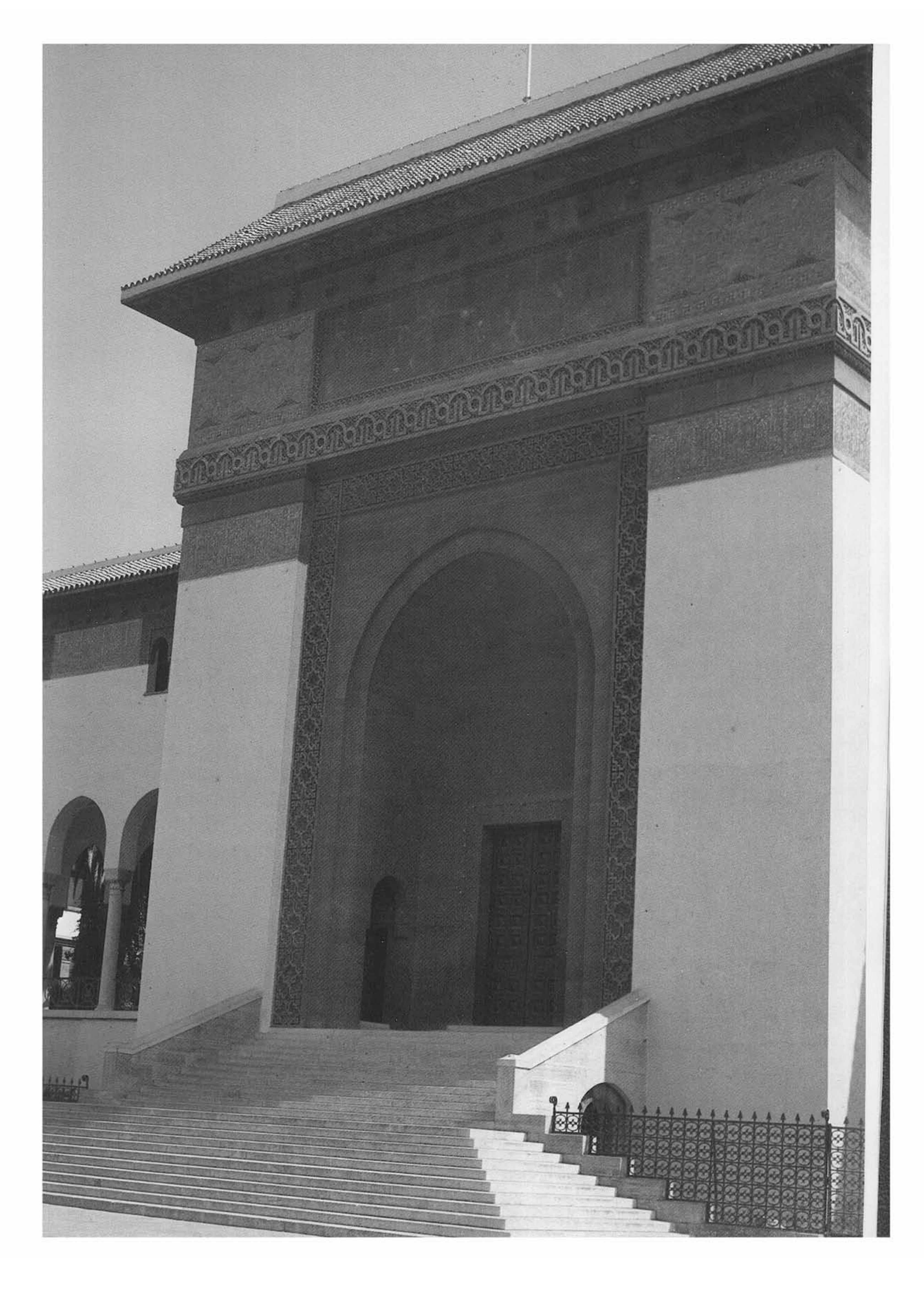
وكان « **برنامج الاصلاحات المغربية** » الذي أُعِد سنة **1934** من أول الأسباب التي قلبت الأوضاع السياسية قبيل الحرب العالمية الثانية ، إذ كان يشمل جميع القطاعات في البلاد ، الساسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وكان هذا البرنامج يشتمل على ما يقرب من مائة صفحة . وعنها حدثنا الصحافي **جمال الدين ناجي** .

أما الصور التي أدرجت في هذا المجلد ، فقد فرضت نفسها علينا ، وذلك نظرا لوجود وثائق مصورة ، إذ كان فن التصوير حديث العهد . ومع ذلك فقد أدرجنا بعض الصور بالألوان الطبيعية .

إن لكل شخص درجته في الاهتمام بموضوع ما وفي مشاركته أو إدراكه لحدث من الأحداث ،. ونأمل ، مع ذلك ، أن يجد القارئ جانبا إيجابيا في التذكير بالماضي وجملة من الأخبار تمكن من وضع معالم في مسار التاريخ ، من شأنها أن تحفز على الاستقصاء في البحوث الشخصية .

وسيبقى الجندي المجهول مع ذلك مجهولا . وسيستحق الاحترام لعلمنا باستشهاده أو لتصورنا أنه بطل من الأبطال . رحم الله الشهداء المجهولين !

العربي الصقلي



قبيل الحماية

تميزت الحقبة التي سبقت الحماية بنزاع ، لا تكافؤ فيه ، بين دول شديدة الحرص على التوسع ، وبين بلد يكابد عزلة اضطر اليها اضطرارا . ثم ظهرت ظروف جعلت من الرجل الأنوف ، في الارياف ، الرافه العيش في المدن – وهو في كلتا الحالتين رجل حريص على حضارته وتقاليده – شخصا رضخ ، في نهاية الامر ، إلى ما فرضته عليه حضارة أخرى .

وقد عمدت الدولة وعمد المثقفون إلى تغيير الاوضاع وحاولوا انجاز بعض الاصلاحات الدستورية ، وذلك لخلق ظروف جديدة ، لكن اعترضت لهم المناورات الخارجية والفتن التي أثارتها بعض الدول الاجنبية .

الحضارة المغربية آخر القرن 19 إلى سنة 1912

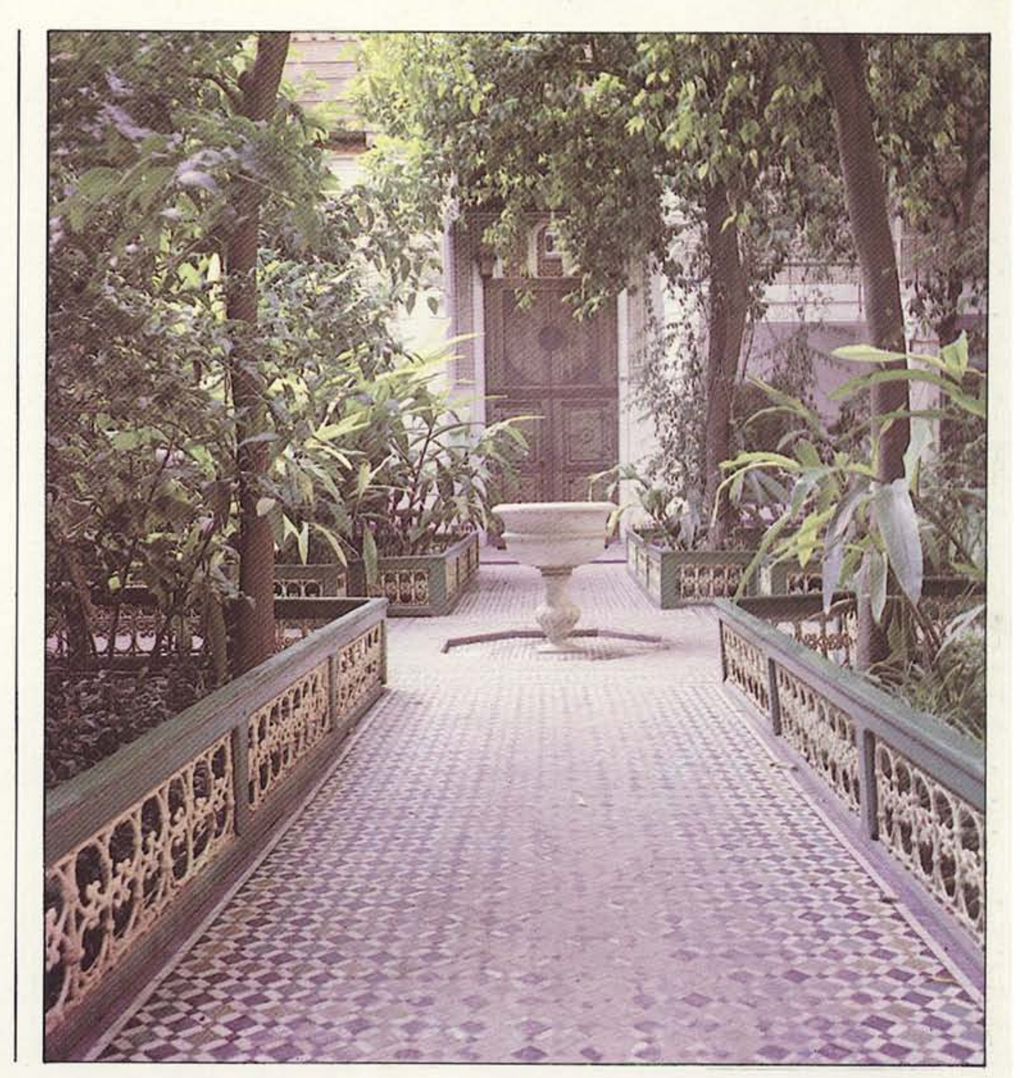
محمد المنوني

يهدف هذا العرض إلى التعريف بحضارة المغرب خلال الفترة الممتدة بين 1276 هـ / 1860 م و 1330 هـ / 1912 م. وعلى العموم استمرت حضارة هذه الحقبة في وضعها التقليدي ، سواء في ذلك المعمار والفنون الأخرى ، أو الاقتصاد والعادات ، فضلا عن التركيب الاداري ، وحركة العلوم الاسلامية والآداب العربية .

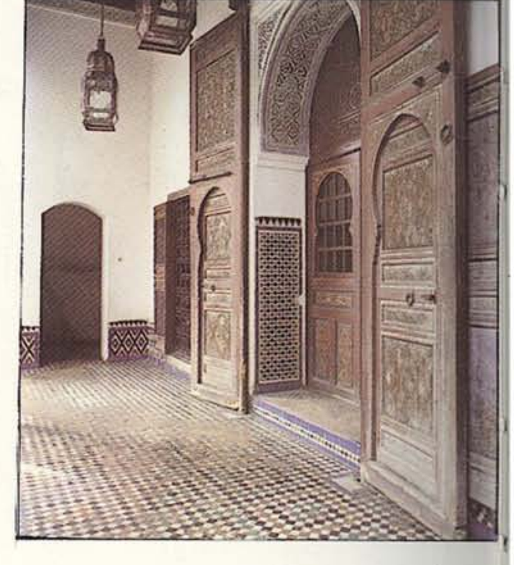
وبالنسبة إلى المعمار والتفنن فيه نشير إلى فقرة للناصري عن عصر السلطان محمد الرابع ، فيقول عن مشيدات النخبة :

« ... **وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع ، لاسيما بفاس ورباط الفتح** » .

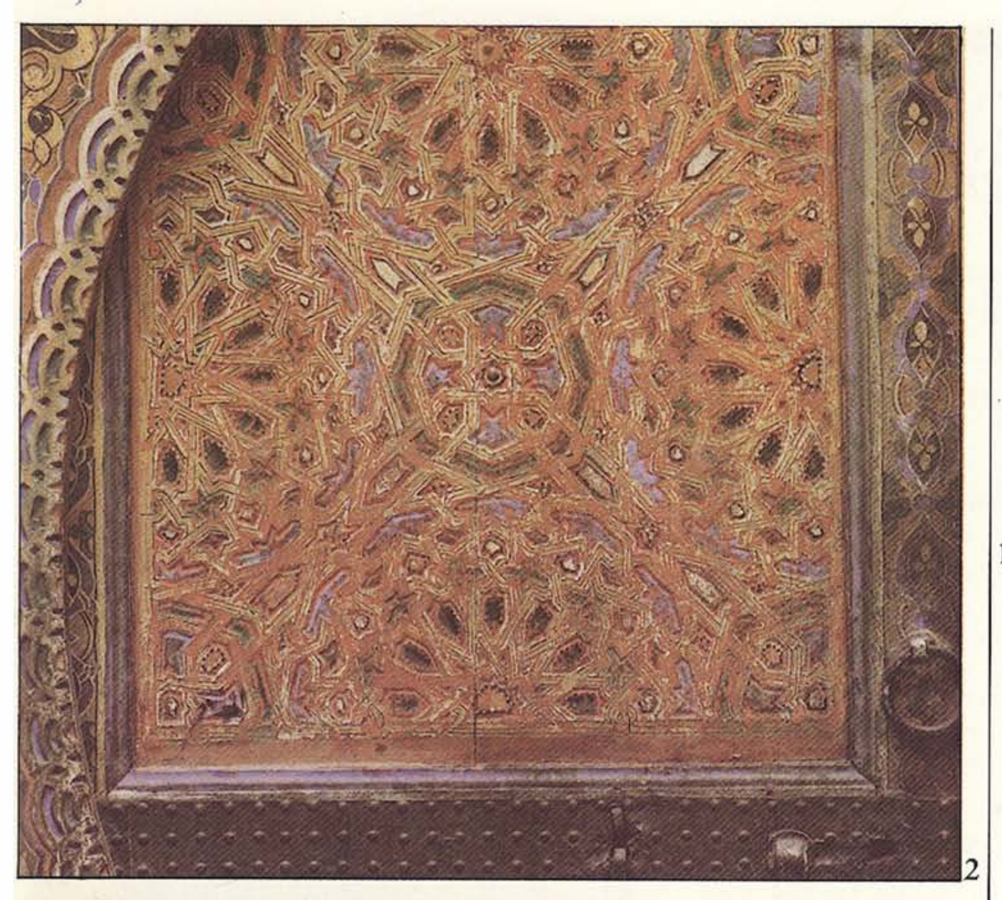
وقد ضرب السلطان الحسن الأول الرقم القياسي في بعث مفاتن العمارة الأندلسية . وجاءت المبادرة عند بنائه قبة فاخرة ضمن روائع القصر الملكي بفاس الجديد ، فيقال : إنه ضاهى بها بعض قباب المعتمد بن عباد في إشبيلية ، وفي تعبير السباعي وهو يتحدث عن نفس العاهل : « وشاع وذاع أنه أتى بهيئة قصر المعتمد بن عباد وغيره » .



حديقة قصر البهية بمراكش .
تصوير أدول .



1



2



3

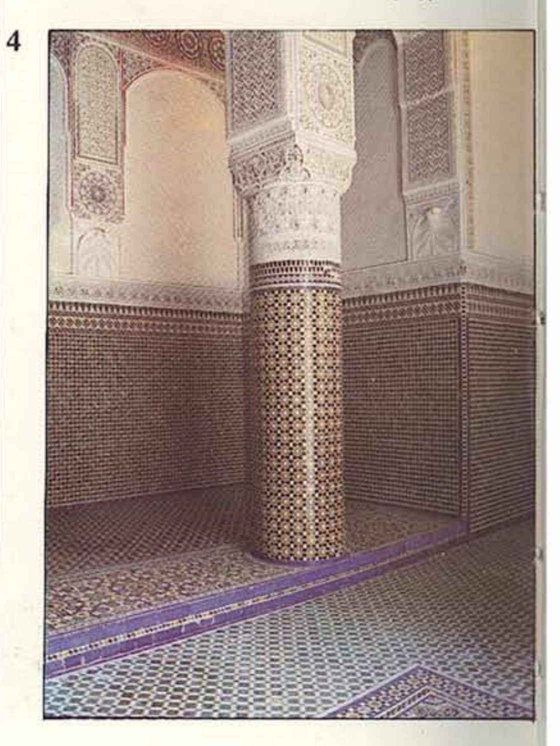
1 صحن قصر الجامعي بمكناس .
تصوير أدول .

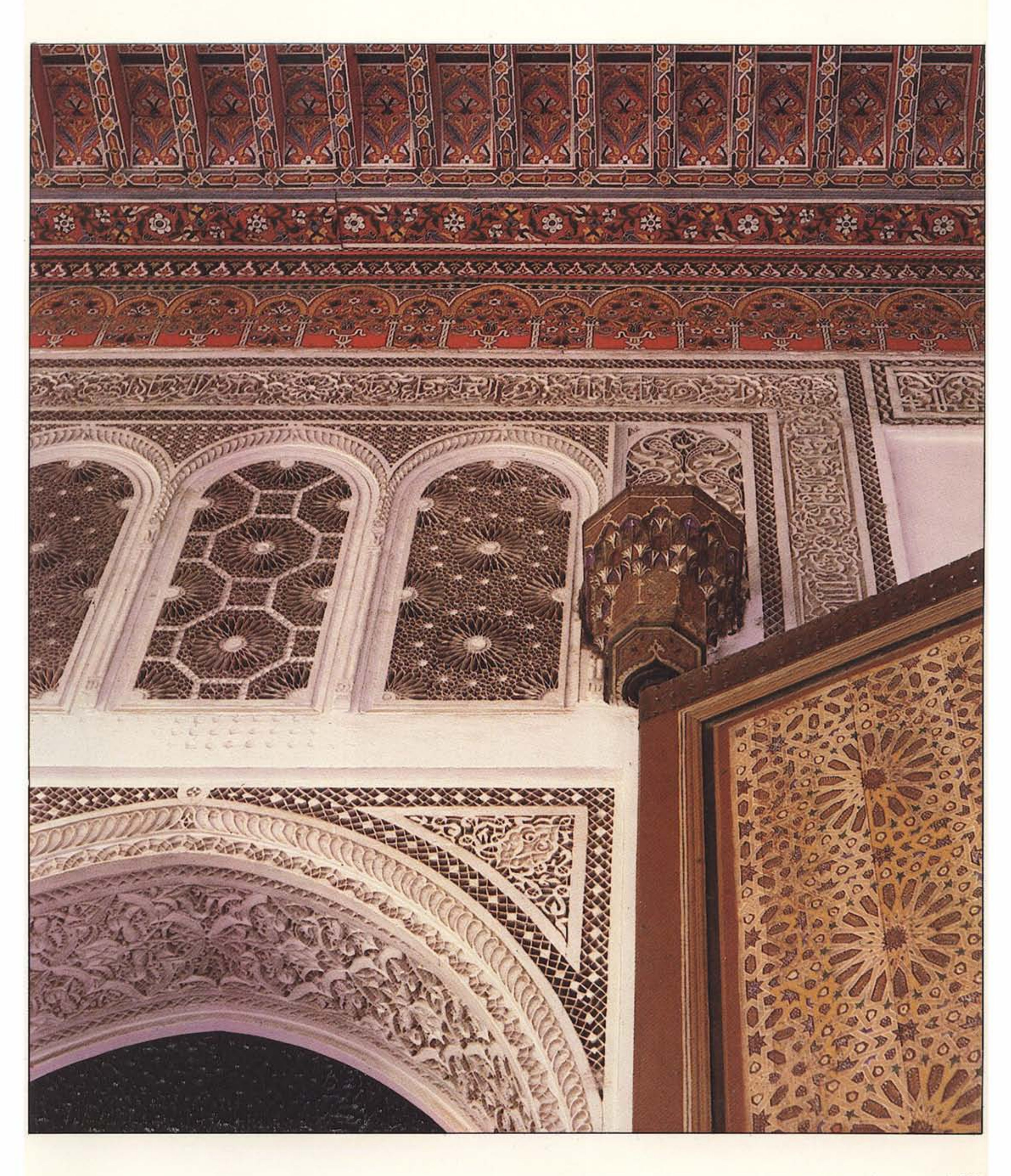
2 سقف مكسو بالخشب المزخرف بدار المقري بفاس .
تصوير أدول .

3 حديقة بقصر الجامعي بمكناس .
تصوير أدول .

4 زخرفة الزليج والجبس بصحن دار المقري بفاس .
تصوير أدول .

4





زخرفة الابواب ونقش الكتابة على الجبس بقصر البهية بمراكش .
تصوير أدول .

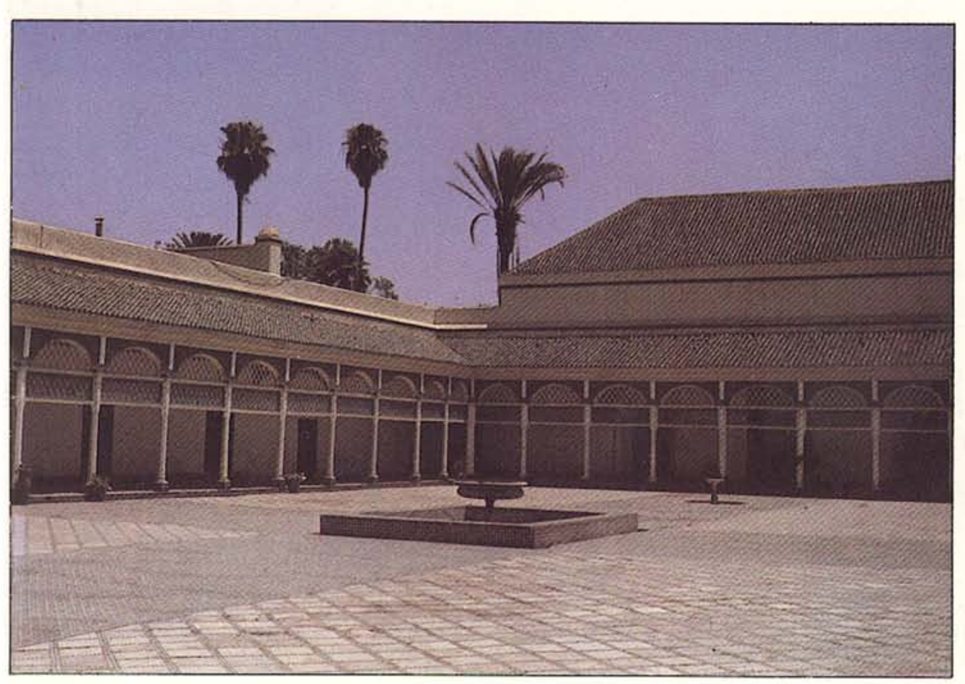
سقف مكسو بالخشب المزخرف بدار المقري بفاس .
تصوير أدول .

ولتبريز طرز العمارة المغربية مجتمعة متجاورة وقع الاختيار الحسني على الدار الكبرى داخل قصر « المحنشة » بمكناس ، فكانت إحدى قبابها الثلاث على شكل المعمار الوطني بفاس ، بينما جاءت القبة الثانية تترجم ذوق العمارة بمكناس ، والثالثة من طراز مراكش ، في منافسة فنية تبارى فيها عمال المدن الثلاث .

وعلى مستويات أخرى نشير إلى قصري الوزير الجامعي بفاس ومكناس ، وفي مرّاكش إلى قصر الباهية ودار سي سعيد ، وإلى قصور النخبة في كبريات المدن المغربية ، فضلا عن روائع المعمار بالمساجد والمشاهد خلال الفترة التي نعرضها .

ومن الواضح أن هذه المباني تتبارى فيها مواهب الزلاج والجباس والزواق : فتزين أرضها وأسافل جدرانها والأساطين ببدائع التزليج والترخيم الرفيع ، ليتصل بذلك النقوش الغائرة في الجبس ، متصاعدة مع الجدران حتى تقارب السقوف . وهذه – ومعها الأبواب – يكسوها رفيع الأرز المموه بمفاتن الزخرفة المغربية تسيطرا وتوريقا وتشجيرا ، في أوضاع يشترك فيها التذهيب مع مختلف الألوان الزاهية .

وهذه نماذج من فنون أخرى لها ميزات خاصة ، ومنها الزخرفة بالكتب حيث يعتبر عصر الحسن الأول ميدانا لازدهار هذه المهنة ، فتزين طوالع المخطوطات المنوعة وخواتمها بمنمنمات آيات في الجمال وحسن التنميق وتناسب التلوين والتذهيب . وفي هذا الاتجاه لمع اسم سليمان كنون أيام العاهل المنوه به ، ثم ابنه عبد الله كنون



صحن قصر البهية بمراكش .
تصوير أدول .

أهمية مهنة كنون

(رسالة قاضي فاس تعرف بفن الزخرفة والمخطوطات)

محبنا الاعز الامجد ، الفقيه النبيه الاوحد ، الوزير الارشد ، الحاجب الاسعد : السيد أحمد بن الفقيه الوزير الاعظم المنعم السيد موسى ، رعاك الله ، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله .

وبعد : فغير خاف عليكم أن السيد سليمان جنون المترجم قد حاز التبريز في صناعته ، وزاد على من تقدم ببراعته . وبسبب ذلك عيناه لخدمة الكتب المولوية . غير أنا كلما ألزمناه المواظبة على الخدمة بالمحل الذي به النساخ تعلل بعلل . وقد رأينا الاوفق هو انخراطه في سلك النساخ المذكورين يقبض الراتب معهم ، لتنقطع دعاويه ، ويقوم بما كلف به .

فنحبك أن تنهي هذا للعلم الشريف ، كما نحبك أن تنهي له – أسماه الله – أن هذه الصناعة كادت تنعدم ، لكونها مقصورة ، على من ذكر . ولابأس بتعيين نحو الاربعة من الطلبة لاخذها وتعلمها منه .

وأحببناك أن يكون هذا من جملة محاسن حسنات مولانا الامام ، التي ابتهجت بها الايام ...

من وثائق الخزانة الحسنية بالرباط في نسخة ضاع منها أواخرها

أيام العزيز ، ثم أبي بكر لحلو أول عهد الحفيظ ، وثلاثتهم بفاس .

على أن سليمان كنون يأتي على رأس القائمة . وكان يعمل في زخرفة المنتسخات الحسنية ، فيشتغل في « بنيقة » النساخين في القصر الملكي بفاس .

ولتفوقه في مهنته اقترح قاضي فاس عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني ترشيح نحو الأربعة من الطلبة ليتعلموا منه هذه الصناعة ، حيث جاء هذا الاقتراح ضمن رسالة من القاضي – المنوه به – إلى الحاجب أحمد بن موسى .

ومن روائع سليمان كنون مصحف شريف بخطه وزخرفته عام 1280 هـ / 1863 – 1864 م . فجاء تحفة فنية ، في خطه الجميل ، ونمنمته البديعة ، وحجمه اللطيف ، وتسفيره المذهب . وقد ذيله باسمه هكذا : « سليمان بن أبو بكر « كذا » بن محمد بن عبد الله جنون » .

ومن المزخرفين بالرباط : محمد بن عبد القادر التادلي ، والد الشيخ إبراهيم التادلي . فيذكر عنه ابنه انه يتقن تراجم منتسخاته من المصاحف الشريفة ودلائل الخيرات ، ويتفنن في تزويقها بالألوان والزخارف .

وفي ميدان الموسيقى نشير إلى فقرة وردت عند مدخل تأليف في المادة ذاتها ، فيتحدث مؤلفه المجهول عن شبه مؤتمر عقده ، أيام محمد

ظهير السلطان مولاي عبد العزيز بتوقير عبد الله كنون

الحمد لله وحده
وصلى الله على مولانا محمد وآله .
طابع صغير بداخله
عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه .

يعلم من كتابنا أعز الله أمره : أننا جددنا – بحول الله وقوته – لماسكه المترجم الطالب عبد الله بن سليمان كنون ما بيده من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله ، المتضمن توقيرهم واحترامهم ، ودفع اليد العادية عنهم : تجديدا تاما . نامر الواقف عليه من عمالنا وخدامنا أن يعلمه ويعمل به .

والسلام ، في 16 من شعبان الابرك ، عام 1318 .

من وثائق جائزة الحسن الثاني عام 1971 : إقليم الدار البيضاء رقم 44

الرابع ، كبراء هذا الفن وحذاق المعلمين ، حيث اختاروا ترتيبا جديدا لصنائع كل ميزان من كل نوبة .

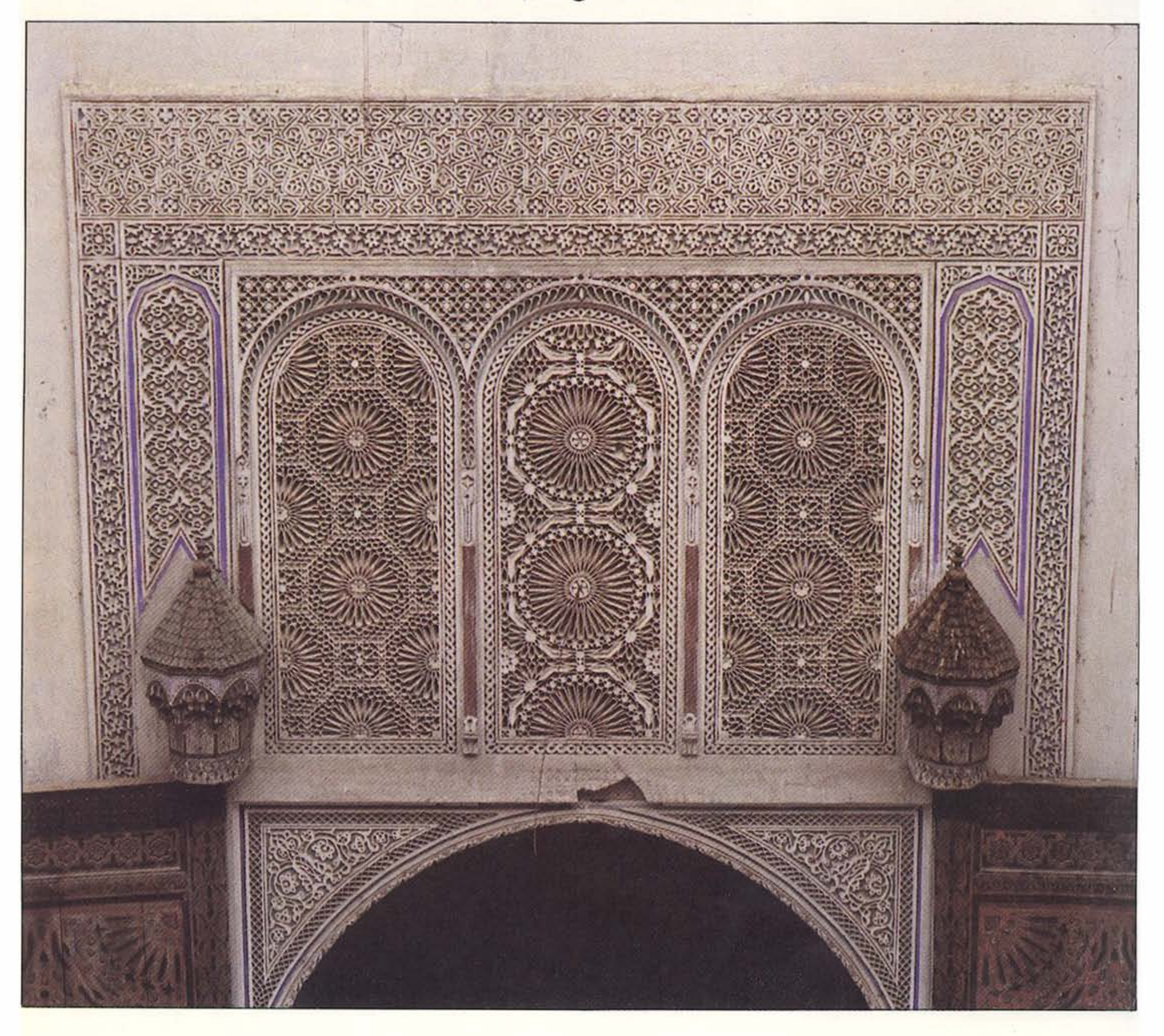
وهذا الترتيب هو الذي نقح وهذب أيام الحسن الأول باقتراح الوزير محمد بن العربي الجامعي عام 1303 هـ / 1885 م – 1886 م ، ثم وضع على أساسه مختصر مجموعة الحايك المتداول والمضاف لهذا الوزير .

ومن عادة الموسيقيين بفاس أن تزين حلقتهم بطبق من القصب ، مطرز فيه أنواع الأزهار والأنوار بأشكال معجبة .

ومن توابع مجالس الموسيقى ترتيبات أواني شرب الشاي ، فينوه الشيخ ابراهيم التادلي بهيئة ما يستعمله المغاربة في هذه المناسبة بفاس والرباط ، من الصينيات والبابورات العجيبة ، والجامات الغريبة . ويعقب قائلا :

« فإني لم أر من أهل البلاد المشهورة بالحضر وزينة الدنيا وتنميقها – كأهل اصطنبول ، ثم الشام ، ثم مصر ، ثم الحرمين الشريفين ، ثم تونس – من يحسن أواني أشربة الأتاي مثل المغاربة ، لأن أصل مادته من تزويق أهل الأندلس » .

النقش على الجبس بدار المقري بفاس .
تصوير أدول .



نقفي الآن على الموسيقى والنموذج قبلها بالاشارة إلى نماذج فنية تجاوزت شهرتها المغرب . ومن ذلك النقش المحفور في الجبس . فيقول محمد بيرم التونسي خلال حديثه عن المغرب :

« ثم إن صناعة النقش في الجص على ظواهر الحيطان – المسماة في العرف بـ « نقش حديدة » – لها إتقان عظيم بهاته المملكة » .

وقد اندثرت هذه الصناعة من تونس فأحياها الوزير خير الدين . وتم ذلك بتعليم عارف مغربي تلقاها عنه تونسيون حتى أجادوا عملها .

ثم كانت المصنوعات الوطنية أهم ما شارك به المغرب في عدة معارض دولية بفرنسا ، انطلاقا من معرض باريس الثاني سنة 1285 هـ / 1867 م ، فكان بالرواق المغربي كل غريب مما اختص به المغرب : سروج مذهبة ، ومناطق مزخرفة ، وقطائف منمقة ، وغير ذلك من الأعلى إلى الأدنى ، حتى الزليج الفاسي ، والمعلمين الذين يباشرون ترصيعه في محله .

ومن الجدير بالملاحظة أن المصنوعات المنوه بها في هذه العروض يزدوج فيها الفن مع الاقتصاد الصناعي . ونضيف لذلك إشارة عابرة عن الاقتصاد التجاري في الفترة ذاتها . فيقول محمد بيرم التونسي في هذا الاتجاه :

« ... وهم – المغاربة – اليد الطولى في التجارة ، بحيث إن تجارة داخل المملكة – أعني غير المراسي التي على البحر – هي بيد الأهالي ، ويرسلون منهم إلى أقاصي الممالك لمعاطاة الأشغال التجارية ووصلها بمملكتهم ، حتى لاتكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة – في إحدى قارات أوروبا وآسيا وافريقيا – إلا وفيها من تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ، ولهم براعة في إدارة التجارة يناكبون بها الأوروباويين » .

وإلى هنا يتبقى من فروع الحضارة التركيب الاداري ، ثم الحضارة التعليمية والأدبية ، وهي موضوعات درستها المصادر المختصة ، فنحتزي بالاحالة عليها . غير أننا نبرز ملاحظة لمحمد بيرم التونسي عن طابع الانشاء بالمغرب :

« ولعمري إن صناعة الانشاء في الدول باللغة العربية : كادت – الآن – أن تكون مقصورة على دولة مراكش . وأما غيرها من الدول العربية فقد تذبذبوا ، وكادت كتاباتهم أن تخرج عن الأسلوب العربي ، بل صاروا لايتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية ، بخلاف كتاب المغرب ، وهذا ديدنهم من قديم » .

نعقب ،الآن ، بالاشارة إلى أن الحضارة المغربية في هذه الفترة وقبلها من بدايات القرن 19 بدأت مدنية أوروبا الحديثة تفد عليها عن طريق منسوجاتها الآلية ، ومصنوعاتها المغرية . ومع مر الزمن تصاعد غزو البضائع الأجنبية للأسواق المغربية أواخر القرن 19 .

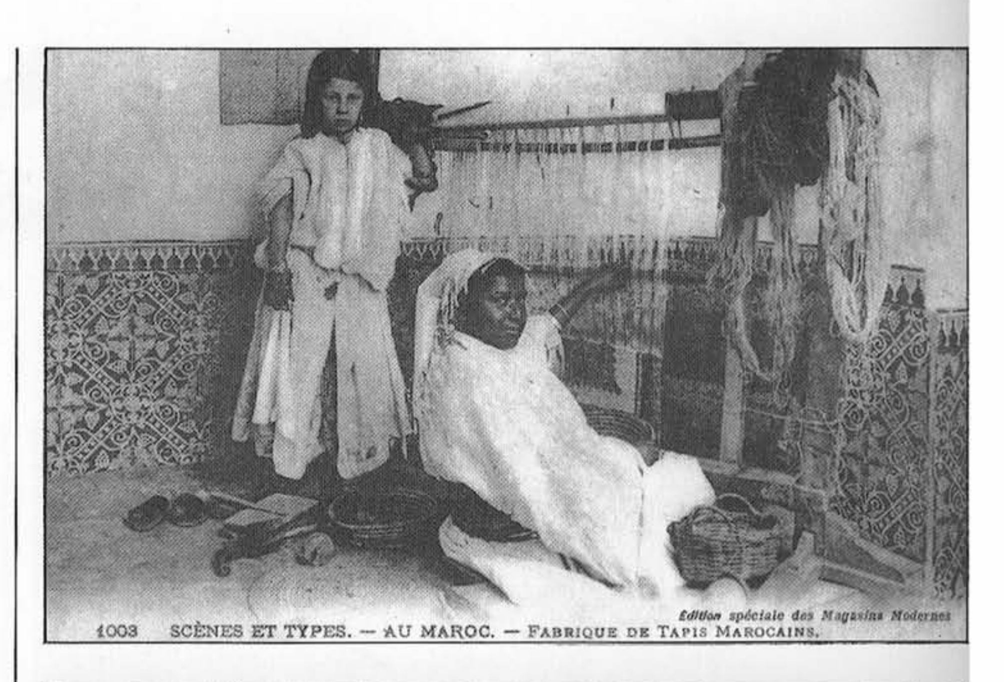
تغير الاحوال الاقتصادية والاجتماعية

(نهاية القرن التاسع عشر)

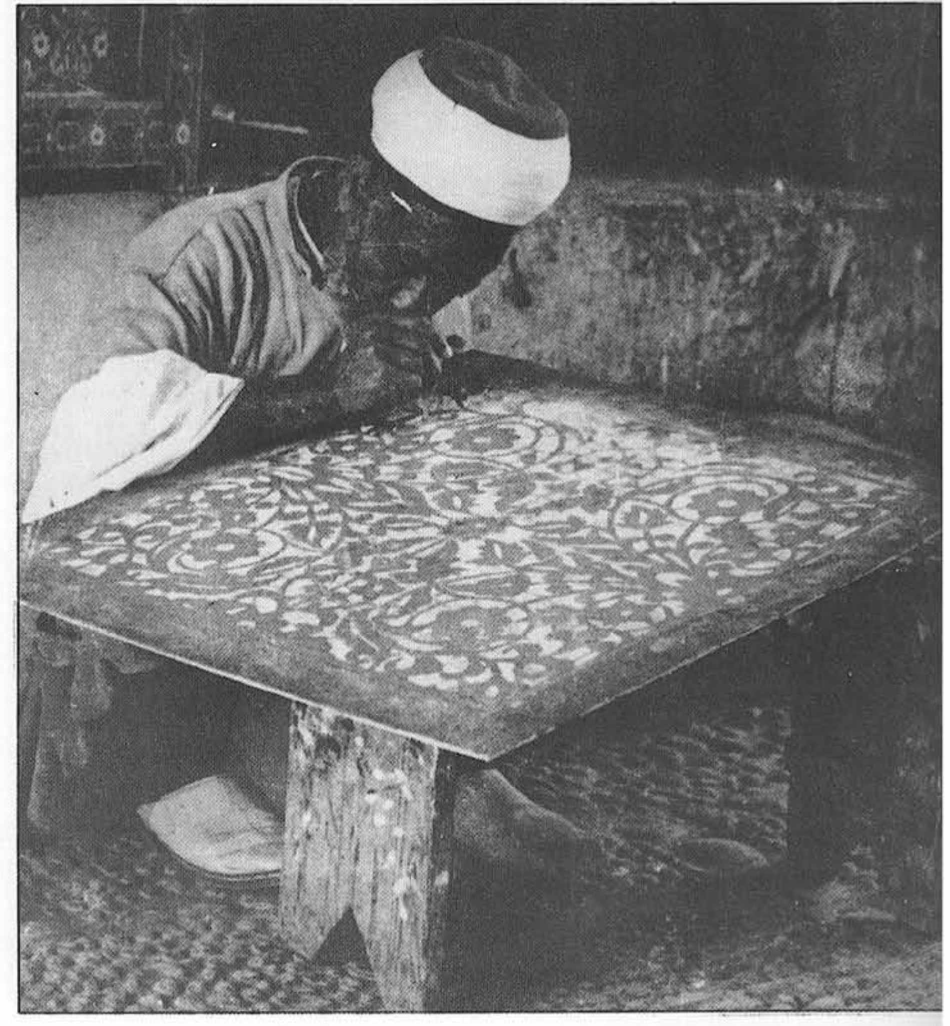
واعلم أن أحوال هذا الجيل الذي نحن فيه قد باينت أحوال الجيل الذي قبله غاية التباين ، وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس ، وانقلبت أطوار أهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم ، لافي سككهم ولا في أسعارهم ولا في سائر نفقاتهم ، بحيث ضاقت وجوه الاسباب على الناس وصعبت عليهم سبل جلب الرزق والمعاش ، حتى لو نظرنا في حال الجيل الذي قبلنا وحال جيلنا الذي نحن فيه وقايسنا بينهما لوجدناهما كالمتضادين . والسبب الاعظم في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من أهل أوروبا للناس ، وكثرة مخالطتهم لهم وانتشارهم في الافاق الاسلامية . فغلبت أحوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل وجذبته إليها جذبة قوية .

أحمد الناصري
« كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » – الجزء التاسع .

شارع الصباغين بالرباط .
مجموعة صور دلوز الخاصة .

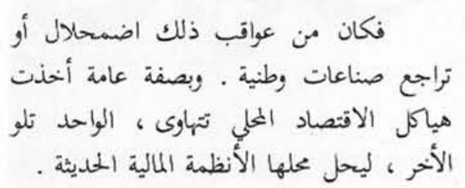


معمل الزرابي المغربية .
مجموعة صور دلوز الخاصة .



أحد الصناع التقليديين بمتحف الأوداية بالرباط (1930) .
وزارة الصناعة بالرباط .

فكان من عواقب ذلك اضمحلال أو تراجع صناعات وطنية . وبصفة عامة أخذت هياكل الاقتصاد المحلي تتهاوى ، الواحد تلو الأخر ، ليحل محلها الأنظمة المالية الحديثة .



هذا إلى أن مداخلة أوروبا تظهر تأثيرها في العادات والأخلاق الأصيلة ، وخصوصا على مستوى النخبة ، وهي ظاهرة يلاحظها الناصري منذ عصر محمد الرابع : « ولاحت على الناس سمة الحضارة الأعجمية » . وعن أبعاد التأثير الأجنبي في العادات والأخلاق وسواها يسجل أبو الفيض الكتاني : « فإنا لله على ضعف إيماننا حتى تركنا الشعائر الاسلامية ، وأقمنا الوظائف الرومية . فكيف لايغلبون علينا وقد هجرنا سنن نبينا ، وعمرنا أوقاتنا بسننهم وآلاتهم وبضائعهم وزخارفهم ومحدثاتهم التي تشغل القلوب والأبصار ... وتقشي قلوبنا ، وتزهدنا في الحرف الاسلامية التي يتمعش بها المساكين والدراويش الذين غلب عليهم طيب الأكلة ، فأظمأوا نهارهم ، وأسهروا ليلهم فيها ، ولما ينكب المسلمون على تلك الوساوس تضيع حرفة ذلك المسكين » .

ومن جهة أخرى فإن المغرب اقتبس – عن طواعية – من محاسن الحضارة الجديدة ، وبالخصوص في أنظمة الدفاع ، مع المبتكرات العلمية الحديثة في الفلك والرياضيات ، فضلا عن التعليم الحديث عن طريق البعثات إلى أوروبا .

وهكذا ما حلت سنة 1912 حتى كانت حضارة الفترة التي نعرضها تزاحمها حضارة جديدة . غير أن معظم التقاليد الوطنية كانت – إذ ذاك – لاتزال صامدة أمام التيارات الوافدة .

محاولات الإصلاح في

أحمد الكوهن المغيلي

لقد همّ المخزن في غضون القرن التاسع عشر بإصلاح أجهزة متنوعة وتنظيمها ، مثل الجيش والأسطول البحري والنظام الجبائي والجمركي والنقدي والبريدي والادارة والمؤسسات الثقافية والتعليم وبعض الصناعات ألخ ...

ولم يكن لهذه المحاولات إلا أثر محدود . غير أن ذلك دل على وعي المجتمع المغربي بالأزمة التي كان يقاسيها . وقد قوّت ذلك الوعي بعض الصدمات التي صدم بها الشعب ، وخاصة منها احتلال الجزائر وانهزام الجيش المغربي في معركة إيسلي ومعركة تطوان . وسنكتفي بالتذكير ببعض الميادين التي اهتم المخزن بإصلاحها .

وقد اعتمدنا على ثلاثة كتّاب ، فيما يتعلق بما كان يسمّى النظام ، أي بتكوين جيش نظامي قار . وهؤلاء الكتاب هم محمد **الكردودي** وأبو الحسن **التسولي** وأبو عيسى المهدي **بن سودة** .

وسنورد ، ميدان التعليم والتكوين المهني والتقني ، بعض التفاصيل حول بعثات الطلبة إلى الخارج وحول المدارس والمصانع . ثم نتعرض بعد ذلك إلى الطباعة والصحافة وإلى ظهور السلفية . ثم نتحدث عن **نصيحة** محمد بن جعفر الكتاني

تنظيم الجيش

- محمد الكردودي

لقد لاحظ العالم محمد بن عبد القادر الكلالي ، المتوفى سنة 1851 ، والمعروف بالاسم

القول في اتخاذ الجيش

(ترتيبه وبعض آدابه)

إعلم أنه واجب على الامام حماية بيضة الاسلام وحياطة الرعية وكف اليد العادية عنها والنصح لها والنظر فيما يصلحها ويعود عليها نفعه في الدين والدنيا. ولا يمكنه ذلك إلا بجند قوي وشوكة تامة بحيث تكون يده غالبة على الكافة وقاهرة لهم . فاتخاذ الجند ، إذن ، واجب عليه . فيندب له أن يتخذ لهم ديوانا يجمع اسماءهم ويحصي عددهم ليحصل الضبط وينتفي اللبس . وأول من اتخذ الديوان أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أمر عقيل بن أبي طالب ومخزمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا من كتاب قريش ، فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب ، مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعدها ، الاقرب فالاقرب فهكذا .

ينبغي للامام أن يرتب جنوده في ديوان يحفظها ودستور يجمعها ، ثم ينبغي أن يكون عنده أولا ديوان كبير هو الام ، يجمع أسماء العساكر كلها الحاضرة والغائبة والخاصة والعامة ، ثم يجعل دواوين صغارا يشتمل كل واحد منها على طائفة مخصوصة مثل عسكر الامام الذي يلازمه حضرا وسفرا ، وعساكر الثغور والقلاع ونحو ذلك . وتكون هذه الدواوين الصغار بمنزلة الفروع للكبير تجدد كلما تجددت الطوائف كما سيأتي . وكل ديوان منها يشتمل على أرحاء مثلا ، وكل رحى على مئين وكل مائة بضباطها وطبيبها وعالمها الذي يعلمها أمر دينها وغير ذلك ...

ثم إذا انتظم هذا الجمع العسكري فأول ما يعلمونهم أمر دينهم مما لابد منه على سبيل الاختصار بأن

بداية القرن العشرين

يلقنوا كيفية اللفظ بالشهادتين ويبين لهم معناها بوجه إجمالي ... ، ويعلمون كيفية الوضوء والصلاة ويلزمون بالمحافظة عليها ، حتى إن من لم يحضر منهم وقت النداء لها يعاقب عقابا شديدا ، وإلا فلم يحضر عند سماعه الطرنبيطة ولا يحضر إذا سمع داعي الله ...

وينبهون على التحافظ على ثيابهم وأطرافهم من الاوساخ والاوضار التي تدل على دناءة الهمة ونقصان الانسانية وعدم النخوة . ويلزمون بترك استعمال الدخان فإنه مناف لنظافة الدين ومذهب للمروءة والمال بلا فائدة . ثم إذا رسخت فيهم هذه الآداب في ستة أشهر أو عشرة أو أكثر أخذوا في تعلم الثقافة وأمور الحرب . وليختر لهم من الاغذية أطيبها وأنفعها للبدن ، وليجعل لهم كسوتان كسوة الشتاء وكسوة الصيف ، وليتخير لهم من المساكن والمنازل أطيبها وأصلحها هواء وأبعدها عن محل الوخم ، وليلزمهم بالاعتناء بتنظيف مساكنهم وتبريدها وتطييبها حتى لا ينشأ عنها داء ، وإذا تراخوا في مثل ذلك عوقبوا عليه لانه دال على دناءة الهمة ، ودنيء الهمة لا يأتي منه شيء ، وليرتب لهم الاطباء العارفون حتى إذا أصاب أحدا منهم مرض عالجه الطبيب في الحال ، فإن هذا الجند هو سور الاسلام وسياج الدين فبحفظه يحفظ الدين وبسلامته يسلم . فإذا اتخذ الجند على هذه الكيفية التي ذكرنا سهل على الناس الدخول في الجندية وتنافسوا فيها ، ومن كان عنده من الرعية درهم طابت نفسه بأن يقتسمه معهم ، ويكون الجند حينئذ في مرتبة هي أشرف من مرتبة الرعية بكثير ، لان الجند يحفظهم والرعية تكسب وتبذل لهم . ثم إذا ظهر من آحاد الجند نجابة أو شجاعة أو نصيحة في الخدمة السلطانية رفع قدره ونوه باسمه ليغتبط هو بمنزلته ويزداد في خدمته ويغبطه غيره وينافسه في خصاله التي أكسبته تلك المنزلة . وليقس ما لم يقل ، والله الهادي إلى التوفيق بمنه.

أحمد الناصري

« الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » – الجزء التاسع

« **الكردودي الفاسي** » ، في الكتاب « **كشف الغمة** » أن طريقة فرسان البدو في الحرب لا تجدي عند الهجوم ولا تمنع من الهزيمة ، رغم أنهم يعدون خطا للاستناد إليه عند الانسحاب ولصد العدو ، ثم حاول الكاتب أن يجد الأسباب الكفيلة برد الأمل إلى نفوس المغاربة بعد أن غشيهم ما غشيهم من الغم إثر وقعة إيسلي ، واقترح إعادة تنظيم الجيش . ولا شك أنه استوحى ذلك من تنظيم الجيش الفرنسي بالجزائر . فأفاض في وصف التنظيم التربيعي والقدرة على القتال والانضباط واستعمال الخيالة لمطاردة العدو والظهور عليه واستعمال العربات لنقل الموتى والجرحى ، ألخ ... وذلك ما سمي بالنظام .

– أبو الحسن التسولي

كان أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي ، المسمى مديدش قاضيا وأستاذا في القرويين سنة 1842 . واهتم هو أيضا بالجهاد وبتنظيم الجيش . ومن أهم ما جاء في كتابه « **البسيط** » ما يلي :

« يجب على الامام أن يهتم بأمور الجهاد . فيأمر كل قبيلة بتعلم الحروب والتدريب . وإن رأى أن يعيّن من كل قبيلة مائة أو أكثر تتعلم الحروب مهيئة نفسها لكلمة الأمير . وتكون تلك المائة من الوجوه الذين لا يولون بالادبار . . . ومن وجده من القبائل لم يعتن بما أمره به من تعلم الحروب أهانها وأهان قائدها ولأمهم على مخالفة أمره . . . فإذا احتاج الأمير إلى إقامة جيش

لِفَجء العدو ونحوه أقامه في ساعة واحدة من الابطال ، لأنهم مكتوبون عنده في الديوان من كل قبيلة . . . »

– أبو عيسى المهدي بن سودة

لقد استفتى محمد الرابع ، بعد الحرب ، عشرة علماء . وقد رأى ابن سودة في فتواه أن البارود لم يكن موجودا أيام النبي ، ومع ذلك ، فقد استعمله المسلمون بعد اختراعه، وأن ذلك بدعة ، لكنه بدعة محمودة ، إذ لا يمكن محاربة العدو إلا بمثل ما يحاربك به . ورأى كذلك أن الكفار قد أعدّوا منذ أربعين سنة جيشا نظاميا ، وبه غزوا بلاد الجزائر ، فحذا حذوهم سلاطين مصر والشام وتونس والقسطنطينية ، فأحسنوا ، إذ إن من واجب الامام الاستعداد لكل الطوارئ . أفليس النظام سوى تنظيم الجيش تنظيما تكون فيه قوته وصبره وانضباطه ومساعدته على صد العدو بما ينبغي صده به (العلوم الدقيقة) ؟ النظام شرط لازم ، إذ لا يمكن محاربة العدو بغير ذلك ... إن في النظام زيادة في القوة أمام النصارى ، وإن المسلمين قادرون عليه . وكل ما قُدر عليه واجب . ويرى ابن سودة أيضا أن النظام أصبح واجبا على كل مسلم ... ولا مفر منه بناء على القول المأثور : لاضرر ولا ضرار . ذلك أن الجيش نفسه أصبح ضررا يجب اتقاؤه ، وذلك بالاصلاح والتنظيم والضبط .

التعليم والتكوين المهني والتقني

– بعثات الطلبة إلى الخارج

لايعرف إلا القليل عن البعثات الست التي يظن أنها بعثت إلى مصر سنة 1861 ، اللهم إلا ما كان من ثلاثة أشخاص ، هم أحمد **شهبون** الذي تعلم فن رسم الخرائط ، ومحمد **بن كيران** الذي درس علمي الرياضيات والموسيقى ، والطبيب عبد السلام **العلمي** . وقد بلغنا أن العلمي الذي توفي سنة 1895 ألف كتبا منها ستة في علم الفلك وخمسة في الطب وكتاب واحد في الرياضيات . وقد بعثت البعثات الكثيرة إلى أوروبا في عهد محمد الرابع ، وخاصة في عهد الحسن الأول .

فقد بعث 350 رجلا ضمن ثماني بعثات بين سنة 1874 وسنة 1888 ، وذلك إلى أهم بلاد أوروبا ، وهي انجلترا واسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا . وكان عدد الطلبة الحقيقيين قليلا بالنسبة لضباط الصف الذين كانوا يتدربون على استعمال الأسلحة الأوروبية الجديدة ، وبالنسبة للصناع الذين كانوا يتعلمون مبادئ الصناعة .

ولم يعين كثير من هؤلاء إلا في وظائف ثانوية من مراتب المخزن ، وذلك لأسباب مختلفة . ومع ذلك ، فقد برز بعضهم في وظائف سامية ، مثل محمد الكباص الذي عاد من انجلترا سنة 1880 ، فعلا نجمه في المخزن ، وأصبح وزير الحرب في عهد السلطان مولاي عبد العزيز .

– المدارس والمصانع

لقد فتحت **مدرسة المهندسين بمدينة فاس** سنة 1844 في حي فاس الجديد ، قرب القصر الملكي . وربما تخرج منها أربعون طالبا في كل فوج بين سنة 1867 و 1870 . وقد وجهوا خاصة إلى الجيش . وبعث بعض هؤلاء المهندسين إلى أوروبا ضمن بعثات الطلبة ، وذلك لاستكمال تكوينهم . وقد عرفنا أسماء بعض أساتذة هذه المدرسة . منهم أبو العباس أحمد اليعقوبي الذي درس كتاب أقليدس (LE LIVRE D'EUCLIDE) وادريس العلوي البلغيثي الحسني الفاسي (المتوفى سنة 1904) الذي درس التقنيات العصرية (هندسة المسح في الجيش) . ولربما كان منهم أيضا عبد الرحمان العلج (الفرنسي الأصل والذي أسلم وتوفي بمراكش سنة 1879) الذي درس الرياضيات والتقنيات العسكرية ، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الادريسي (المتوفى سنة 1902) الذي درس التقنيات العصرية . وكان السلطان محمد الرابع ينوب بنفسه عن بعض الأساتذة .

المدرسة الحسنية بطنجة كانت تدرس بها علوم الرياضيات والتنجيم والجغرافية واللغة العربية ومبادئ الدين ولغة أجنبية . وكان ينظم بهذه المدرسة أيضا تكوين لمدة سنتين لاعداد بعثات الطلبة إلى أوروبا .

مصنع البارود ، بني هذا المصنع في ساحة جامع الفناء بمراكش في عهد محمد الرابع .

مصنع الخرطوش ، أقيم هذا المصنع في أكدال بمراكش على عهد الحسن الأول . وأغلق بعد وفاته . وعلمنا أن تجهيزات هذا المصنع جلبت من فرنسا بثمن 83.900 فرنك (من عملة ذلك الوقت)

دار السلاح بفاس ، أنشأ هذه الدار مهندس إيطالي بباب الساكمة في عهد الحسن الأول . وكانت آلاتها تحرك بالطاقة المائية . واشتملت على ثلاثة معامل متخصصة ، حسبما يبدو : أولها في صناعة البنادق ، والثاني في صناعة البارود ، والثالث في سك النقود . وكان المسؤول عن الدار كولونيلا إيطاليا ، يساعده بعض قدماء الطلبة الذين درسوا في فرنسا وبلجيكا . وربما استمر العمل بهذه الدار إلى أوائل عهد مولاي حفيظ .

مصنع السكر بمراكش ، بني هذا المصنع بمراكش بأكدال في عهد محمد الرابع . وأشرف عليه بعض الأوروبيين في أول الأمر ، ثم بعض المصريين . لكنه أغلق في أواخر عهد الحسن الأول . والغالب أن سبب ذلك انعدام المواد الخام .

مصنع القطن في مراكش ، وصل تجهيز هذا المصنع إلى المدينة في بداية عهد محمد الرابع . لكننا لانعلم كثيرا عن انتاجه ولا عن مدة عمله .

المطحنة البخارية ، أقيمت في طنجة سنة 1862 في عهد محمد الرابع . ولربما أقيمت أخرى في مراكش في عهد الحسن الأول .

الصحافة والطباعة

اخترعت الطباعة الحجرية في مدينة مونيخ في أواخر القرن الثامن عشر . واستعملت الحروف العربية في الطباعة الحجرية في الجزائر سنة 1845 ، وفي تونس سنة 1860 . ولم تدخل الطباعة الحجرية العربية المغرب إلا سنة 1865 . أما الحروف اللاتينية ، فيبدو أنها استعملت في الطباعة الحجرية لأول مرة في المغرب في مدينة تطوان سنة 1860 من لدن الاسبانيين . وكان لقاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التمالي الروداني فضل إدخال مطبعة حجرية اشتراها من مصر عند عودته من الحج . وقد استأجر في نفس الوقت طباعا مصريا لمدة سنة ، اسمه محمد القياني بن ابراهيم . وبمجرد ما وصل القاضي إلى المغرب أهدى المطبعة إلى السلطان محمد الرابع . وطبع بها أول كتاب في شهر مارس من سنة 1865 . وأقيمت هذه المطبعة أول الأمر بمكناس ، ثم نقلت إلى فاس ، وأقيمت بزنقة البرقوقة ، واستمر استعمالها إلى سنة 1871 .

وكان يعمل بها نساخ واحد ومصحح واحد وعشرون عاملا ، زيادة على الطباع المصري . وطبعت بها ستة كتب ، منها واحد في خمسة أجزاء لما كانت في حوزة السلطان . ثم انتقلت إلى حوزة الخواص منذ سنة 1872 ، وكان القيم عليها الحاج الطيب بن محمد الأزرق الفاسي . وفي نهاية القرن التاسع عشر كان بفاس أربعة معامل للطبع الحجري . وكان للاخوة الأزرق أوفر نصيب في هذه الصناعة ، إذ طبعوا وحدهم أربعين كتابا في هذه المدة .

وأدخلت الطباعة الحجرية في طنجة سنة 1880 لطبع بعض الصحف باللغات الأوروبية . أما الطباعة العربية ، فلم تستعمل لأول مرة إلا في سنة 1889 لطبع صحيفة عربية عنوانها « المغرب » .

وينبغي أن نشير ، في ميدان الصحافة ، إلى أن أول محاولة لنشر صحيفة مكتوبة بخط اليد ترجع إلى سنة 1448 . وقد قام بها محمد بن الغازي المكناسي . لكن الصحافة العربية لم تظهر إلا في ربيع سنة 1889 ، وذلك بطنجة حيث صدرت الجريدة « المغرب » بمبادرة من الانجليزي بادجت ميكين Budget Meakin محرر جريدة Times of Morocco . وكان يساعده لبنانيان في الجريدة « المغرب » . وصدرت هذه الجريدة مدة سنة ، وكفت عن الصدور في العدد الثلاثين .

أما الصحافة باللغات الأوروبية ، فقد ظهرت لأول مرة في فاتح ماي 1820 ، إذ صدرت الجريدة الأسبوعية الاسبانية « الليبيرالي الافريقي » El liberal Africano . وصدرت 16 نشرة تقريبا في هذه الحقبة من القرن التاسع عشر في شمالي المغرب .

ظهور السلفية

كانت الحركة السلفية حركة إصلاح تدعو إلى الرجوع إلى الأصول . وبرز فيها شخصيات مرموقة في الشرق الأوسط . أما في المغرب ، فلم يكن لها إلا ذكر خافت ، ولم يكتب في موضوع السلفية إلا كلام غير دقيق .

ومما كتب في هذا الباب « النصيحة » التي أنشأها العالم محمد بن جعفر الكتاني (المتوفى سنة 1905) . وهو الذي شارك محمد بن عبد الوهاب الكتاني في تأسيس الطريقة الكتانية . وقد نشر نصيحته في المدينة المنورة ، مهد الدولة الاسلامية . ولم يدار فيها العلماء ولا الامام ولا التجار ، ولا السكان عموما . وكفر العلماء الذين تجرؤوا على إهمال واجب الجهاد ، ثم ذكر العلماء بأن واجبهم الحرص على تطبيق السنة النبوية . ولم يراع الامام أيضا ، إذ نعى عليه تعيين أقاربه في الوظائف وتولية غير الأكفاء مراتب المسؤولية ، وحتى في القضاء . وذكره بوجوب تنفيذ شروط البيعة ، وذلك بألا يفرض على الرعية من الضرائب إلا ما يخصص لتنظيم الجهاد . ثم حث الأمة الاسلامية على ألا تمتنع عن الجهاد ، إذ فيه سلامها . ورأى أن الكفار لا يتركون فرصة لاضعاف المسلمين وأنهم يريدون اخضاع المغرب كغيره من البلاد – وقد كان من قبل دولة قوية – وأنهم يريدون كذلك محو معالم الشريعة الاسلامية به . وتساءل الكتاني هل يدركون غايتهم وسكانه كثيرون وشجعان ومسلحون بالسلاح الصالح . ثم اتهم الولاة والتجار الأغنياء والجماعات المشتركة مع الاوروبيين باللؤم والجشع والنفاق. رأى أيضا أنّ نبذ المسلمين للسنة هو الذي كان سببا في جميع المصائب التي أصابت الأمة الاسلامية كالغلاء والزلازل والجراد والمجاعة وتعطيل القضاء والفتن الداخلية وتدخل الأجانب ، وأن ذلك صحّ في مغربنا وأن التجربة أثبتت دائما أن الأوضاع الطبيعية تنقلب كلما حاد المغاربة عن السنة ، فلا تعود الأمور إلى حالها إلا إذا عادوا إلى الصراط المستقيم. ثم حث المسلمين على ألا يبتعدوا عن المثل العليا التي دعا إليها الاسلام ، ومنها الزهد في أمور الدنيا . وذكر بما أصاب الأندلس من الخراب بعد ما ركنت إلى ما ركنت إليه من الترف والملذات ، وبأنه لا يجوز لأحد أن يمتنع عن واجب الحسبة ، فان امتنع خان نفسه وخان الأمة الاسلامية . ثم ذكر الشرفاء بأن الشرف لا يكون إلّا بالقدوة الحسنة في التقوى والأمانة .

الحركات الدستورية

أحمد الكوهن المغيلي

إن النخبة المغربية ، كمثيلاتها في الشرق الأوسط ، لم تكن قليلة الاهتمام بكيفية تظيم الحكم في المغرب . لذلك اقترحت على المخزن عدة آراء في تنظيم السلطات ، استلهمتها من دساتير دول الشرق الأوسط .

مجلس الأعيان

لقد عمد مولاي عبد العزيز إلى مواجهة الضغوط الأجنبية ، وخاصة الضغوط التي كانت الحكومة الفرنسية تمارسها بواسطة بعثة سان روني طاياندي SAINT RENÉ TAILLANDIER. فكون جمعية من الأعيان لمناقشة القضايا الكبرى التي كانت البلاد تعانيها . وأولى السلطان هذا المجلس أهمية خاصة ، ظهرت من خلال البلاغ المؤرخ بـ 20 دسمبر 1904 ، إذ ورد فيه ما مؤداه :

« **إن من واجبنا أن نطلعكم على أحداث غير متوقعة ، متعلقة بمستقبل أمتنا . فعلى رعايانا أن ينتخبوا من بين أعيان القبيلة أكثرهم أمانة وحكمة ، وأهل الثقة الذين يوكلون إليهم مهمة الدفاع عن الاسلام وعن شرفهم وعن ممتلكاتهم . وعلى هؤلاء النواب أن يعينونا على حل المشاكل التي تعرض للأمة . وبذلك تكون الشورى عامة . ولن ينتج عن ذلك إلا صلاح المسلمين ، كما وعدنا الله بذلك . فاجتمعوا فيما بينكم ، وعينوا نوابكم بمجرد وصول أمرنا هذا إليكم** » . غير أن هذا المجلس لم يقم بعمل ذي بال ، وذلك لسببين : أولهما أن سان روني طاياندي رفض الاعتراف به سلطة مستقلة . وثانيهما أن بعض الأقاليم لم تستطع (أو لم ترد) تعيين نوابها .

مذكرة دستورية

اكتشف علال الفاسي مذكرة موجهة إلى السلطان مولاي عبد العزيز في موضوع الدستور ، فعلق عليها في محاضرة ألقاها يوم 15 نفمبر 1968 بعنوان « **حفريات عن الحركة الدستورية بالمغرب قبل الحماية** » . وقد نشر نص هذه المحاضرة فيما بعد بنفس العنوان .

وقد قسم صاحب المذكرة ، وهو مجهول الاسم ، عرضه إلى ثلاثة أقسام . أولها في موضوع تمثيل السكان على الصعيد الوطني ، وثانيها في موضوع إصلاح الجيش . أما الثالث ، ففي موضع الاصلاح المالي .

أما فيما يتعلق بتمثيل الأمة ، فقد اقترح صاحب المذكرة تأليف مجلس وطني (وتلك مؤسسة ذات حرمة عند الأوروبيين) وهو مجلس استشاري تعين فيه كل قبيلة نائبها لمدة خمس سنين . ويشترط في النائب أن تكون سنه بين 30 و 60 سنة ، وأن يعرف القراءة والكتابة والفقه ، وأن يكون له من الدخل المالي ما يكفي نفقاته لمدة سنة واحدة ، كما يشترط فيه أن يكون من الذين لم يسبق أن صدرت عليهم أحكام قضائية .

أما المجلس الثاني ، فيجتمع برئاسة السلطان ، ويتألف من خمسة أعضاء يعينهم السلطان من بين أفضل أقاربه ومن عشرة أعضاء ينتخبون من بين أعضاء المجلس الوطني .

إن المجلس الوطني يناقش جميع القضايا ، ويتخذ قراراته بأغلبية الأعضاء ، وترفع القرارات إلى المجلس الأعلى . ويقرها السلطان بعد موافقة المجلس الأعلى عليها . ومن بين اختصاصات المجلس الوطني احترام المعاهدات الدولية وتقدير عمل الوزراء والولاة وإعداد الميزانية وجباية الضرائب ومراقبة الأمناء والقضاة وأعوان السلطة . ويقترح صاحب المذكرة خضوع جميع السلطات إلى الشريعة واسقاط المكوس والهدايا والسخرة .

مذكرة الحاج علي زنيبر

إن مخطوطة هذه المذكرة محفوظة في خزانة الصبيحي بسلا . وقد عاش صاحبها مدة ثلاث وعشرين سنة في مصر ، ثم عاد إلى المغرب وتوفي بسلا في بداية عهد الحماية . والراجح أنه اطلع أثناء هذه المدة الطويلة على الآراء الرائجة ببلاد الشرق الأوسط في موضوع الدستور . ويمكن إيجاز أهم محتويات هذه المذكرة فيما يلي :

– انتخاب لجنة من الأعيان المثقفين لاعداد وسائل الاصلاح ولتعميم الاصلاح

– استعمال اللغة العربية في جميع الميادين وإدخال اللغة الأجنبية

صفحة من مذكرة الحاج علي زنيبر .

لسان المغرب ومشروع الدستور

إن مشروع الدستور الذي صدر بالجريدة « لسان المغرب » أشهر المشاريع المشار إليها سابقا ومعروف أكثر من غيره في أوساط الحركة الوطنية . كانت هذه الجريدة تصدر كل أسبوع بالعربية في مدينة طنجة . وقد ظهر العدد الأول منها في 28 فبراير 1907 . وكان آخر عدد هو العدد 84 . وقد اجتمع ضمن هيئة التحرير عدد من المثقفين المغاربة كانوا يهتمون بالغ الاهتمام بالاصلاح والتجديد .

وقد نشرت الجريدة مقالا بُعيد دخول مولاي حفيظ مدينة فاس ، نوجز بعضه فيما يلي

« لن يحرم صاحب الجلالة ، بعد ذلك ، شعبه من فوائد الدستور والبرلمان . ويجب أن يضمن له حرية الفكر وحرية العمل حتى يستطيع إصلاح وطنه مثلما فعلت جميع البلاد المتقدمة ، سواء منها الاسلامية أو النصرانية ... فقد لاحظنا ما نعم به الشعب في الدولة العثمانية من إصلاحات بعد ما منحه أمير المؤمنين دستورا ، وبعد ما قرر تكوين مجلس للنواب . فليتنا نحذو حذوهم بدون تأخير . »

وقد نشرت الجريدة في أربعة أعداد متوالية من 11 أكتوبر إلى فاتح نفمبر 1908 مشروع دستور نجمل فيما يلي أهم محتوياته :

ينص الفصل الأول على الدولة واستقلالها وعاصمتها ودينها الاسلامي وعلى حقوق السلطان .

ويشتمل الفصل الثاني على المواد المتعلقة بالمواطن وحقوقه وبالحريات العامة (حرية العمل والتعبير الشفوي والكتابي والنشر) وبإجبارية التعليم الابتدائي وبتساوي جميع المواطنين في الحقوق والواجبات وبحرية التنقل وبحرمة ممتلكات المواطن وبمنع السخرة ومنع العقاب بالسوط والتعذيب وجميع أنواع العقاب التي لا ينص عليها القانون . كما يمنع تعذيب السجناء ونهب متاع القبائل الثائرة على الدولة .

أما الفصل الثالث ، فينظم اختصاصات « **منتدى الشورى** » أي البرلمان وأعماله . يشتمل منتدى الشورى على مجلسين : مجلس الامة ومجلس الشرفاء . وينص هذا الفصل كذلك على اختصاصات كل من المجلسين وحقوق أعضائهما وحريتهم في التعبير وحصانتهم البرلمانية .

وقد تعرض هذا المشروع أيضا لتكوين الحكومة ومسؤولية أعضائها وميزانية الدولة ونظام حماية الأشخاص والتعليم ومراجعة الدستور إلخ ...

مقتطفات من مشروع الدستور المغربي
(11 أكتوبر 1908)

الدولة والدين والسلطان

المادة 1 – يطلق على جميع الاقطار المراكشية اسم الدولة المغربية الشريفة .

المادة 2 – الدولة الشريفة مستقلة استقلالا كليا .

المادة 3 – إن عاصمة الدولة الشريفة الرسمية هي مدينة فاس لا غير ، وليس لهذه العاصمة امتياز بشيء عن سائر مدن السلطنة .

المادة 4 – إن دين الدولة الشريفة هو الدين الاسلامي والمذهب الشرعي فيها هو المذهب المالكي .

المادة 5 – تحترم سائر الاديان المعروفة بلا فرق ، ويحق لاصحابها أن يقيموا شعائر ومعالم معتقداتهم حسب عوائدهم بكل حرية ، ضمن دائرة مراعاة الآداب العمومية .

المادة 6 – يلقب السلطان بإمام المسلمين وحامي حوزة الدين .

المادة 7 – يجب على كل فرد من أبناء السلطنة الطاعة للامام الشريف ، والاحترام لذاته ، لانه وارث البركة الكريمة .

المادة 8 – إن حضرة السلطان غير مسؤول بأمر من أمور الدولة ، لا داخليا ولا خارجيا .

المادة 9 – يجب الاحترام لكل واحد من احاد الاسرة السلطانية ، والمحافظة على أموالهم وأملاكهم الشخصية .

المادة 10 – إن وراثة الامامة عائدة بحسب العوائد القديمة للارشد من أقرب ذوي القربى .

المادة 11 – باسم السلطان تضرب النقود وتخطب الخطب ، وله قيادة الجيش الكبرى وإشهار الحرب وعقد الصلح ، وإبرام المعاهدات مع الدول ، وبمصادقته وإمضائه تعتبر تقارير مجلس الوزارة وتقارير منتدى الشورى وتنفذ أحكامها . وبمصادقته وإمضائه يعين موظفو الدولة كبارا وصغارا أو يعزلون ، وله المكافأة واعطاء النياشين والمجازاة ، وله العفو عن المحكوم عليهم بالموت أو تبديل الحكم وتخفيفه ، وهو الذي يمثل الامة والدولة معا أمام الدول الاجنبية .

أبناء الدولة الشريفة : حقوقهم وواجباتهم العامة

المادة 12 – يطلق لقب مغربي على كل واحد من أبناء الدولة الشريفة سواء كان مسلما أو غير مسلم .

المادة 13 – يحق لكل مغربي أن يتمتع بحريته الشخصية بشرط أن لايضر غيره ولا يمس حرية غيره .

المادة 14 – إن الحرية الشخصية تقوم بأن يعمل كل واحد ما يشاء ، ويتكلم بما يشاء ، ويكتب ما يشاء ، مع مراعاة الآداب العمومية .

المادة 15 – إن التعليم الابتدائي إلزامي على قدر مساعدة الاحوال .

المادة 16 – المطبوعات حرة مع مراعاة الاداب العمومية .

المادة 17 – إن جميع المسلمين متساوون في الحقوق أمام وظائف المخزن التي تعطى بحسب الكفاءة الشخصية ، وليس بواسطة الوسطاء والنافذي الكلمة ولا بالاموال .

المادة 18 – لايجوز أن يتولى أمي وظيفة من وظائف المخزن على الاطلاق . فعلى الموظف أن يكون عارفا اللغة العربية قراءة وكتابة حق المعرفة .

المادة 19 – إن تكاليف الدولة المالية توضع على كل فرد من أفراض الامة بحسب ماليته واقتداره .

المادة 20 – إن الفقراء والعواجز والعميان والذين لا عمل لهم يتعيشون منه يعفون من كل تكليف وضريبة على الاطلاق ، وكذلك خدام بيوت الله والمساجد والزوايا والذين يعيشون من الاوقاف .

المادة 21 – إن موظفي المخزن من كبيرهم إلى صغيرهم هم كسائر الناس تلزمهم الضرائب والتكاليف المالية .

المادة 22 - لايجوز أبدا طرح ضرائب وتكاليف مالية على جهة من السلطنة دون جهة ، ولا على مدينة دون مدينة ، ولا على قبيلة دون قبيلة ، وإنما يجب أن تكون التكاليف عامة على جميع الامة في كل نواحي السلطنة في وقت واحد .

المادة 23 - كل مغربي أمن على ماله وملكه ، فلا يسوغ لهيئة الحكومة أن تأخذ من أحد ملكه إلا إذا كان ضروريا للمنفعة العامة ، وذلك يكون بعد قرار منتدى الشورى ومصادقة السلطان كتابة ، ويدفع لصاحب الملك ثمنه الحقيقي سلفا .

المادة 24 - لايسوغ أن يحجز مال أحد أو ملكه أو شيء مما له لسبب من الاسباب إلا بعد قرار منتدى الشورى ومصادقة السلطان كتابة .

المادة 25 - لايسوغ لهيئة الحكومة أن تدخل جبرا مسكن أحد من الناس لسبب من الاسباب إلا بعد قرار منتدى الشورى وموافقة السلطان كتابة .

المادة 26 - لايسوغ أن يجبر أحد على الذهاب إلى فاس أو إلى غيرها من البلدان لسبب من الاسباب إلا بعد قرار منتدى الشورى ومصادقة السلطان كتابة .

المادة 27 - قد أبطل الضرب بالعصى والجلد بالسياط والتشهير والتعذيب بأي آلة من الات التعذيب وكل نوع من أنواع الاذى ، وكل صنع يستهجنه طبع المدنية ابطالا قطعيا من السلطنة جميعها .

المادة 28 - قد أبطل التسخير والتكاليف المالية وسواها غير المقررة من منتدى الشورى ابطالا كليا من السلطنة جميعها .

المادة 29 - لايسوغ أن يحكم على مجرم بالقتل أو بالسجن المؤبد بدون قرار منتدى الشورى ومصادقة السلطان كتابة .

المادة 30 - لا يجوز أبدا أن تقطع رؤوس العصاة الذين سقطوا في قتال مع عساكر المخزن وتحمل إلى فاس أو غيرها وتعلق على الاسوار كالعادة المعروفة ، فكل قائد فعل ذلك يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى والسلطان .

المادة 31 - لايسوغ لعساكر المخزن عند مقاتلة قبيلة من القبائل أن ينهبوا مواشي القبيلة ودوابها وأشياءها ويقتسموها بينهم حسب العادة المعروفة ، فكل قائد ياتي ذلك يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى والسلطان .

المادة 32 - لايسوغ أبدا قتل الاسرى والجرحى أو تجريدهم من ثيابهم وإرسالهم عراة كالعادة المعروفة ، فكل قائد فعل ذلك يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى والسلطان .

المادة 33 - كل واحد من موظفي المخزن كبارا وصغارا أو من غيرهم من أبناء السلطنة يأتي أمرا مما منعه في المواد المذكورة (المادة 23 و24 و25 و26 و27 و28 و29 و30 و31 و32) يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى والسلطان .

المادة 34 - يحق لكل فرد من أفراد التبعة المغربية على الاطلاق أن يقدم شكوى على أي موظف كان من موظفي المخزن أو غيرهم من أبناء البلاد إن ناله منه ظلم أو أذى أو رأى في أعماله أو تصرفه شيئا مما يخالف نصوص إحدى مواد الدستور إلى منتدى الشورى ، وعلى منتدى الشورى أن ينظر في شكوى الشاكي بلا امهال ولا إهمال وينتصر للحق والعدل على كل حال .

. . . .

في منتدى الشورى

المادة 35 - إن منتدى الشورى يؤلف من هيئتين تسمى الهيئة الاولى مجلس الامة والاخرى مجلس الشرفاء .

. . . .

المادة 39 - كل عضو من أعضاء منتدى الشورى حر في إظهار آرائه لا خوف عليه من المخزن ورجاله على الاطلاق . ولا يقيد بأمر من الامور . ولا يساء به الظن ولا يتهم بتهمة لكونه قال ما شاء أن يقول ، ولو أنه انتقد على الوزير الاكبر وكل الوزراء ، ولكن إن بدا منه أمر يخل بنظام المجلس أو يضر بالدولة تجري معاملته على موجب المادة الاتية :

. . . .

في مجلس الامة

المادة 44 - يجب على كل من ينتخب نائبا في مجلس الامة أن يكون مستوفيا الشروط الاتية :

1 - أن يكون عارفا اللغة العربية قراءة وكتابة حق المعرفة .

2 - أن يكون من تبعة الدولة المغربية .

3 - أن يكون غير مرتبط بخدمة دولة أجنبية بوجه من الوجوه .

4 - أن يكون فوق الثامنة والعشرين من العمر .

5 - أن يكون غير مستخدم عند رجل آخر براتب معاشي .

6 - أن يكون غير محكوم عليه بالافلاس أو بالسجن لسرقة أو قتل أو غير ذلك من الجنايات .

7 - أن يكون مشهودا له بين قومه بحسن السلوك والاستقامة والنزاهة ومحترما من كل عارفيه .

. . . .

في مجلس الشرفاء

المادة 51 – إن عدد أعضاء مجلس الشرفاء مع رئيسهم هو خمسة وعشرون عضوا لا غير ، ينتخب منهم السلطان الرئيس وستة أعضاء ، وينتخب مجلس الامة مع هيئة الوزراء وجماعة العلماء بقية الاعضاء أي ثمانية عشر عضوا .

المادة 52 – أعضاء مجلس الشرفاء من أكابر رجال الدولة الذين امتازوا بحسن صفاتهم وعلو هممهم وصدق خدمتهم للبلاد ، فاكتسبوا ثقة الامة واحترامها ، وينتخبون من أعضاء الاسرة السلطانية ومن رؤوس الشرفاء ورؤساء العلماء والفقهاء ومشاهير قواد العساكر وأعيان القبائل وزعمائها وأمثالهم ، بيد أنه يشترط على العضو في هذا المجلس أن يكون فوق الخامسة والاربعين من العمر .

. . . .

في الحمايات

المادة 75 – لايسوغ لاحد من أبناء الدولة المغربية أن يتخذ حماية دولة من الدول إلا في الحالات الاستثنائية المذكورة في المادة التاسعة والسبعين .

المادة 76 – كل شخص يتحامى بدولة من الدول سرا بدون أن يعلم المخزن ويأخذ رخصة في الحماية لا تعتبر حماية ، ويجري عليه الجزاء المرتب على ذلك في قانون الجزاء .

المادة 77 – لايجوز لاحد من أبناء السلطنة المغربية المتخذ حماية دولة من الدول أن يدخل في الوظائف المخزنية .

. . . .

في المدارس الوطنية

المادة 83 – على وزارة المعارف أن تنشىء مدارس في بلدان السلطنة جميعها وبين قبائلها ، وذلك بمساعدة الحكومة ومنتدى الشورى والامة نفسها ، وتكون هذه المدارس الوطنية تحت مراقبتها مباشرة .

المادة 84 – إن المدارس الوطنية ثلاث رتب :

1) – المدارس الابتدائية : وهي ضرورية في كل بلدة وقبيلة ، كبيرة وصغيرة ، للذكور والاناث ، وهذه المدارس تكون مقصورة على بث الاداب وتهذيب الاخلاق وتعليم القراءة والكتابة باللغة العربية وأصول الدين ومبادىء العلوم الاخرى الضرورية التي تفصل في قانون المدارس المغربي .

2) – المدارس الثانوية : وهذه لازمة للذكور فقط في البلدان الكبرى لا غير ، وتدريس العلوم فيها يكون بالطرق الحديثة والكتب العصرية بحسب قانون المدارس .

3) – المدارس العليا والكليات : لا يقتضي أن يكون في السلطنة في بدء الامر إلا كلية واحدة وهي جامع القرويين ، غير أنه من الواجب إجراء تحسين وإصلاح في كل شؤون هذه الجامعة المادية والمعنوية ، وإدخال تدريس العلوم اللازمة للعصر فيها ووضع قانون خاص تجري على موجبه .

. . . .

المادة 89 – يجب أن ينتخب المعلمون الاكفاء من أبناء العلم الوطنيين المتنورين ومن الغرباء الحائزين على شهادات المدارس المشهورة بقطع النظر عما هم عليه من الجنسيات والاديان .

. . . .

ملـــحق

المادة 91 – إن رأي منتدى الشورى هو فوق كل رأي ، ويقتضي العمل بحكمه في كل حال ، وله المراقبة على الادارات والدوائر المخزنية بلا استثناء .

المادة 92 – يهتم منتدى الشورى في سنته الاولى بسن وتنظيم قوانين لكل إدارة من الادارات الحكومية : للوزارات وللمحاكم في القصبات ، ولدار النيابة ، وللمحاكم القضائية والعدول ، ولامانة الاستفادة ، وللحسبة ولامانة الديوانات ، وللعسكرية ، وللمدارس ، وللضرائب والجبايات ، وغيرها ، فيكون لكل من هذه الادارات والامور المخزنية قانون خاص بها تسير بموجبه وتعمل بمقتضاه .

المادة 93 – لا يسوغ لاحد أن يبطل مادة من مواد هذا الدستور الاساسي ولا يوقف العمل بها لاي سبب كان على الاطلاق ولا أن يغير منه شيئا أو ينقحه ، أو يزيد عليه مادة أو ينقص مادة ، ما عدا منتدى الشورى الذي له وحده أن يفعل ذلك ، فإن رأى منتدى الشورى أن ياتي شيئا مما ذكر لمقتضيات الاحوال ولمصلحة الدولة والامة فيكون ذلك بقرار مجلس الامة ومجلس الشرفاء وبحكم الاكثرية ، ولا يعمل بذلك القرار إلا من تاريخ المصادقة السلطانية عليه .

صفحة من مذكرة الحاج علي زنيبر .

لسان المغرب ومشروع الدستور

إن مشروع الدستور الذي صدر بالجريدة « لسان المغرب » أشهر المشاريع المشار إليها سابقا ومعروف أكثر من غيره في أوساط الحركة الوطنية . كانت هذه الجريدة تصدر كل أسبوع بالعربية في مدينة طنجة . وقد ظهر العدد الأول منها في 28 فبراير 1907 . وكان آخر عدد هو العدد 84 . وقد اجتمع ضمن هيئة التحرير عدد من المثقفين المغاربة كانوا يهتمون بالغ الاهتمام بالاصلاح والتجديد .

وقد نشرت الجريدة مقالا بُعيد دخول مولاي حفيظ مدينة فاس ، نوجز بعضه فيما يلي

« لن يحرم صاحب الجلالة ، بعد ذلك ، شعبه من فوائد الدستور والبرلمان . ويجب أن يضمن له حرية الفكر وحرية العمل حتى يستطيع إصلاح وطنه مثلما فعلت جميع البلاد المتقدمة ، سواء منها الاسلامية أو النصرانية ... فقد لاحظنا ما نعم به الشعب في الدولة العثمانية من إصلاحات بعد ما منحه أمير المؤمنين دستورا ، وبعد ما قرر تكوين مجلس للنواب . فليتنا نحذو حذوهم بدون تأخير . »

وقد نشرت الجريدة في أربعة أعداد متوالية من 11 أكتوبر إلى فاتح نفمبر 1908 مشروع دستور نجمل فيما يلي أهم محتوياته :

ينص الفصل الأول على الدولة واستقلالها وعاصمتها ودينها الاسلامي وعلى حقوق السلطان .

ويشتمل الفصل الثاني على المواد المتعلقة بالمواطن وحقوقه وبالحريات العامة (حرية العمل والتعبير الشفوي والكتابي والنشر) وبإجبارية التعليم الابتدائي وبتساوي جميع المواطنين في الحقوق والواجبات وبحرية التنقل وبحرمة ممتلكات المواطن وبمنع السخرة ومنع العقاب بالسوط والتعذيب وجميع أنواع العقاب التي لا ينص عليها القانون . كما يمنع تعذيب السجناء ونهب متاع القبائل الثائرة على الدولة .

أما الفصل الثالث ، فينظم اختصاصات « **منتدى الشورى** » أي البرلمان وأعماله . يشتمل منتدى الشورى على مجلسين : مجلس الامة ومجلس الشرفاء . وينص هذا الفصل كذلك على اختصاصات كل من المجلسين وحقوق أعضائهما وحريتهم في التعبير وحصانتهم البرلمانية .

وقد تعرض هذا المشروع أيضا لتكوين الحكومة ومسؤولية أعضائها وميزانية الدولة ونظام حماية الأشخاص والتعليم ومراجعة الدستور إلخ ...

مغامرات بوحمارة

محمد ابن عزوز حكيم

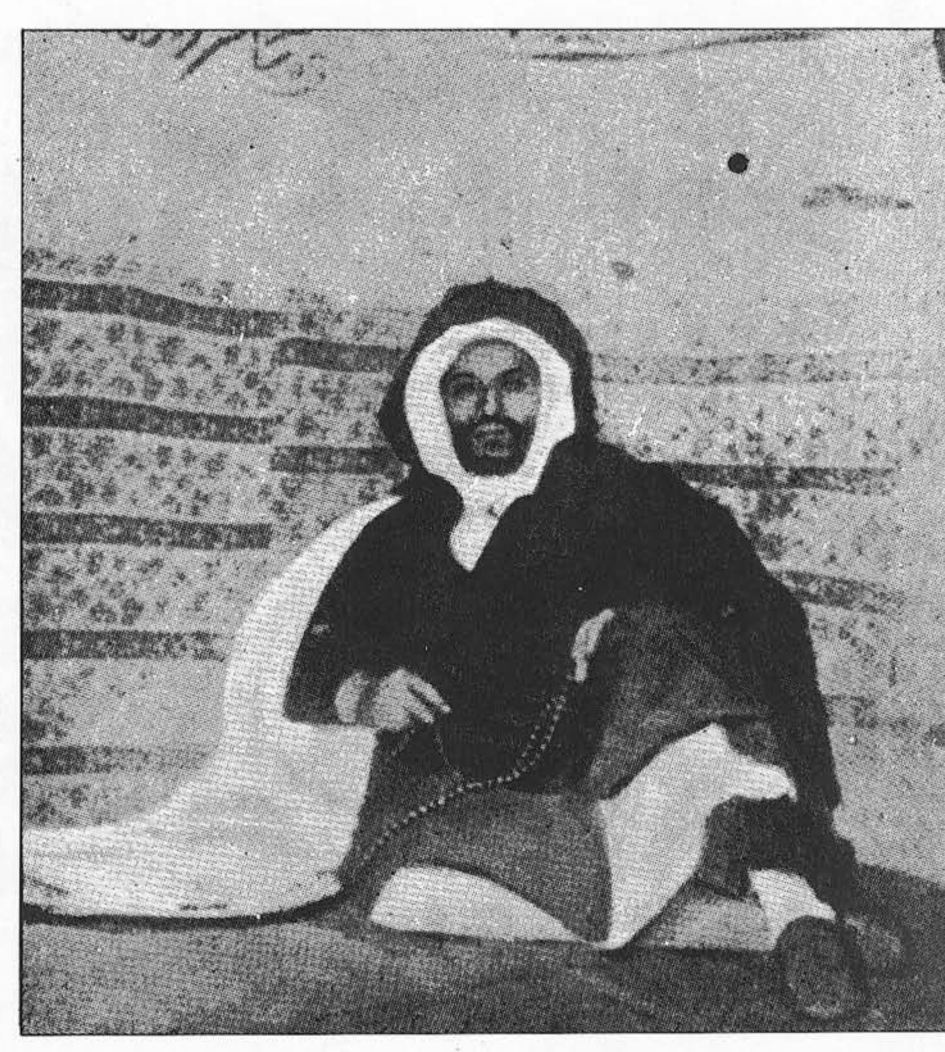
لقد سماه بعضهم « **الروكي** » أي الثائر . وسماه غيرهم بوحمارة . ولم يهتم أحد بهويته الحقيقية .

غير أن الآراء حول هذه الشخصية التاريخية كانت متضاربة . فقد حيكت حوله كثير من الروايات والأساطير ، كان الغرض منها إما إخفاء الأحداث الحقيقية ، وإما اجتذاب اهتمام الناس بقصته . ولما تعذر على الرواة كتابة تاريخ هذه الشخصية لانعدام الوثائق الأصلية ، تركوا العنان في غالب الأحيان ، لخيالهم .

وكثر الحديث عن بوحمارة لما ظهر للعموم في صيف 1902 في قبائل تسول وغياثة . وقد أهمل الناس اسمه الشخصي ، وهو الجيلالي ، وذلك لذيوع لقبه . ولا يعلم من مصدر صادق أكان اسم أبيه ادريس أو سالما أو محمدا. ولما كان الناس يجهلون اسمه العائلي أيضا سموه الزرهوني ، نسبة إلى زرهون ، وهو البلد الذي كان ينتسب إليه . ولم يهتم الناس بنسبه وأجداده لأنه ، عندما ثار على مولاي عبد العزيز ، انتحل شخصية الأمير مولاي محمد (فتحا) الملقب بالأعور ، وهو أخو السلطان وابن الحسن الأول . وقد أفلح الجيلالي الزرهوني في تضليل الناس لأنه عرف كيف يمكر ويستغل بعض الظروف السياسية المضطربة حينذاك استغلال الواثق بنفسه . ذلك أن الوزير المشهور « ابّا احمد » قد حبس الأمير الحقيقي مولاي محمد في مكناس في حبس سري حتى يمنعه من المطالبة بالعرش لكونه أكبر أبناء مولاي الحسن سنا . وقد عمد ابا أحمد إلى ذلك ليبايع العلماء مولاي عبد العزيز ، إذ كان حظيا عنده . فلم يكن الجيلالي الزرهوني ليجد خيرا من هذه الخدعة للاحتيال على العامة واغتصاب السلطة بانتحال شخصية الأمير مولاي محمد ، وهو يعلم علم اليقين أن سجانيه لايستطيعون تسريحه . وبذلك تيقن بوحمارة أن أمره لن

مولاي محمد (فتحا) أكبر أبناء مولاي الحسن وهو بأحد أسواق الدار البيضاء .





بوحمارة .
مجموعة صور ابن عزوز .

يفتضح . ولا ندري كيف استطاع الحصول على الطابع الذي كتب عليه « **محمد بن الحسن الله وليه** » واستعماله أثناء السنوات السبع التي بقي فيها ثائرا .

الدعاء له في المساجد

لم يكترث مولاي عبد العزيز ، في أول الأمر ، بأعمال بوحمارة . ولذلك اكتفى بأن يرسل مجرد قائد ومعه عشرون من الجنود للقبض عليه ونقله إلى العاصمة . ولم يفلح القائد في مهمته ، إذ آمن الناس أن ذلك الشخص هو مولاي محمد . وفي 21 نفمبر 1902 دعي له على منبر المسجد الأعظم بتازة في صلاة الجمعة . وكان الدعاء بمثابة المبايعة ، وشاع الخبر شيوعا عظيما في جميع أنحاء البلاد .

ولما عظم شأن بوحمارة أعد مولاي عبد العزيز حملة عظيمة بقيادة أخيه مولاي عبد الكبير . لكن الروكي هزم الجيش الذي أرسل عليه .

وفي الشهر التالي جهز السلطان جيشا من خمسة عشر ألف رجل ولى عليهم خاله الشريف مولاي عبد السلام الامراني وبعثه إلى تازة . لكن رجال بوحمارة هزموهم أيضا واستولوا على « محلتهم » . وقد أضعفت هذه الهزيمة نفوذ السلطان مولاي عبد العزيز ، لاسيما أن الشعب كان يومن أن الذي هزمه هو أخوه مولاي محمد .

بعدئذ أخذ مولاي عبد العزيز يجد في مقاومته والقبض عليه . وقد أسند الأمر إلى وزيره في الحرب المهدي المنبهي . فالتقى جنود السلطان وأصحاب بوحمارة يوم 29 يناير 1903 بين فاس ومكناس . ولم يظهر أحد من الفريقين على الآخر . لكن المخزن تظاهر بالانتصار ، وبذلك ألقى الشك في نفوس الناس .

وبعد شهرين جلا بوحمارة عن مدينة تازة ، وأقام بعين زهرة في قبيلة مطالسة بالريف ، وأخذ يدعو سكان الناحية إلى مؤازرته . فلم يترددوا في الاعتراف له بحقه في الملك بصفته أكبر أبناء الحسن الأول .

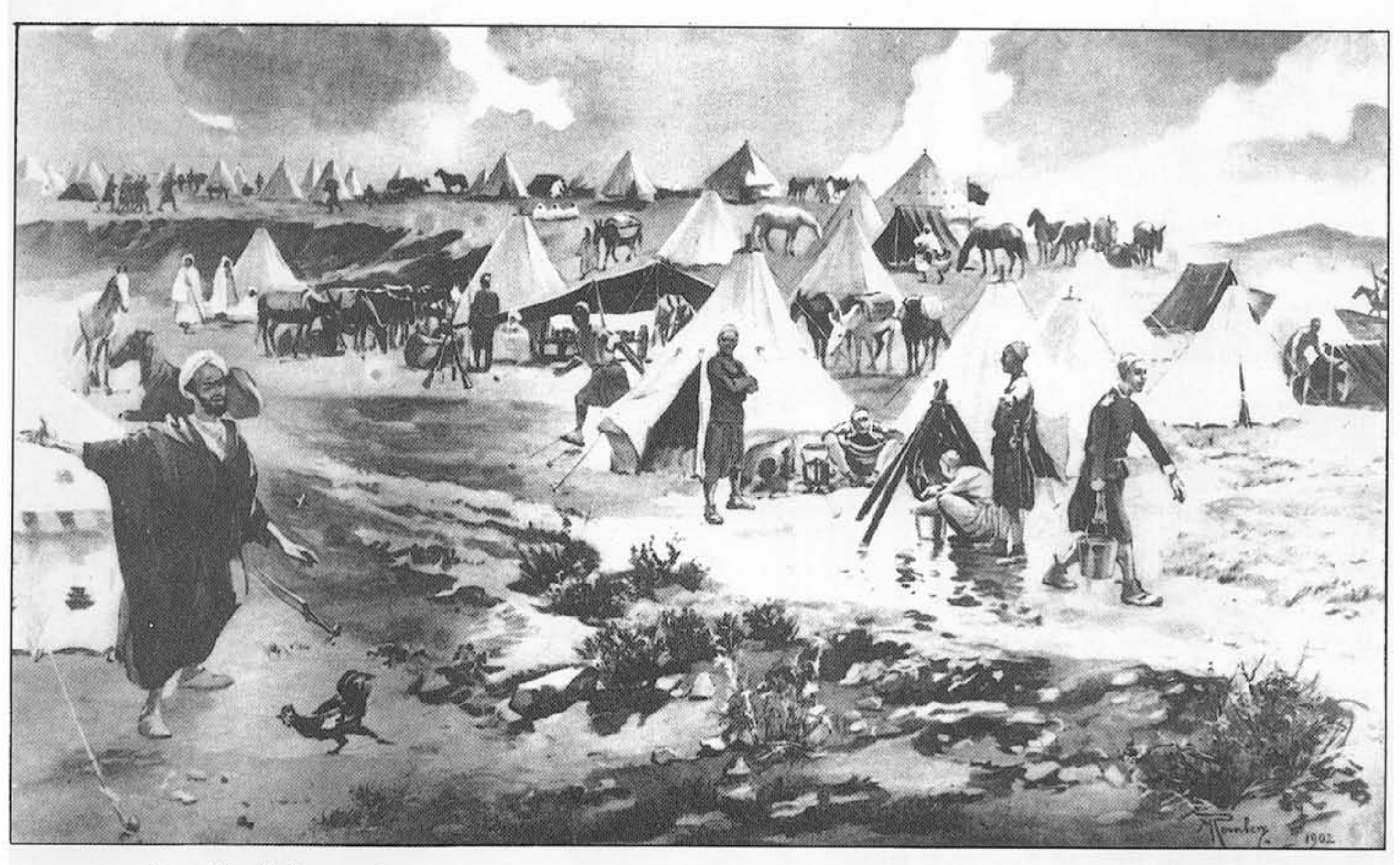
ويبدو أن بوحمارة كان قد قرر ، في هذه الحقبة ، الا يتعدى نفوذه شمال شرقي المغرب . فدخل مدينة وجدة واحتلها مدة بضعة أيام . لكن أجلي عليها في فاتح غشت بعد نزول قوات السلطان في شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

ثم قرر العودة إلى تازة ، وبقي بها يقاوم الحملات المتوالية التي كان مولاي عبد العزيز يرسلها عليه ، وذلك إلى سنة 1905 .

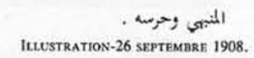
في خدمة الأجانب

قد يكون من الممل سرد المعارك الكثيرة التي دارت بين قوات السلطان وقوات بوحمارة فيما بين سنة 1903 وسنة 1905 . منذ هذه السنة تقوى نفوذ بوحمارة في شرقي الريف ، وذلك إلى سنة 1908. فاستقر منذ 25 أكتوبر 1905 بقلعة سلوان في قبيلة بني بويفرور (ناحية كرط بإقليم الناظور حاليا) ، إذ بايعته هذه القبيلة منذ سنة 1903 .

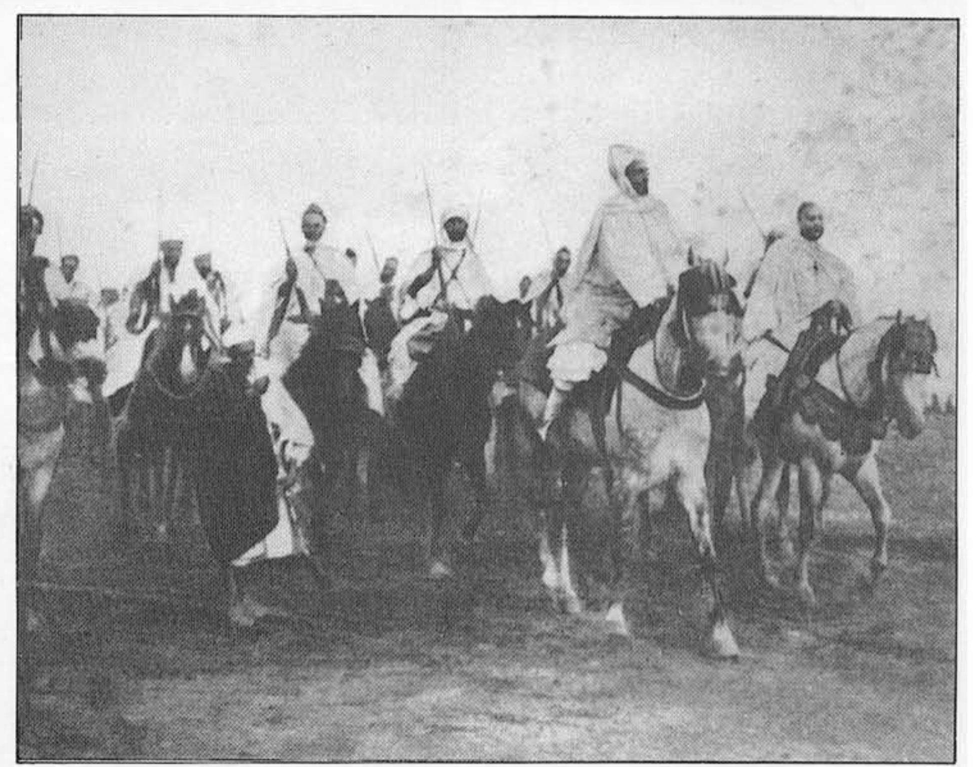
في هذه الحقبة راجت إشاعات حول المحرضين الحقيقيين الذين كانوا يشجعون بوحمارة



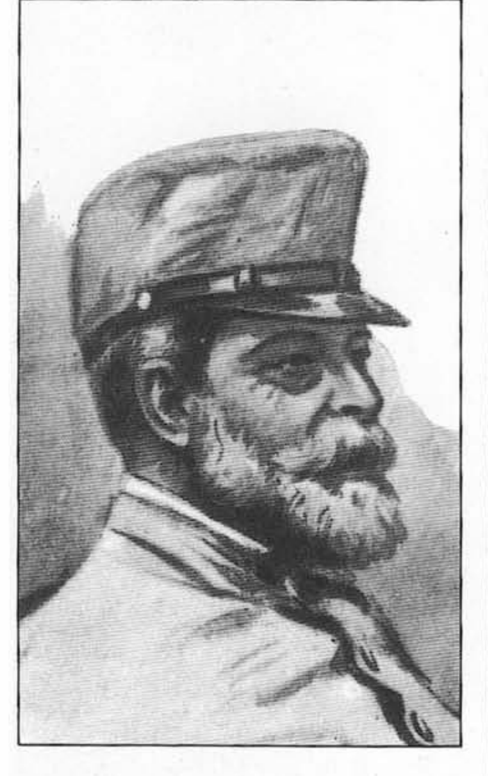
« محلة » جيش السلطان مولاي عبد العزيز .
MONDE ILLUSTRATION, 1903.



المنبهي وحرسه .
ILLUSTRATION-26 SEPTEMBRE 1908.



على الثورة لتقويض أركان الدولة واضعافها بتدخل الجيش الأجنبي . وقد دل على ذلك استعمال الروكي أسلحة فرنسية وتلقيه الأموال من الجزائر المستعمرة آنذاك . وكانت هناك أخبار أخرى عن محاولة إنشاء وكالات تجارية فرنسية في منطقة نفوذ بوحمارة ، وفي سبخة بوعارك بالذات ، قرب مليلية . وكان يعتقد كذلك أن الاسبانيين كانوا يعينونه . وكان حاكم مليلية ، الجنرال مارينا MARINA قد ساعد بعض أصحاب رؤوس الأموال في مدريد على إنشاء « **الشركة الاسبانية لمعادن الريف** » لاستغلال حديد جبل ويشن ورصاص جبل أفرا .



الجنرال مارينا .
مجموعة صور ابن عزوز .

مليلية ، في أواخر القرن التاسع عشر .

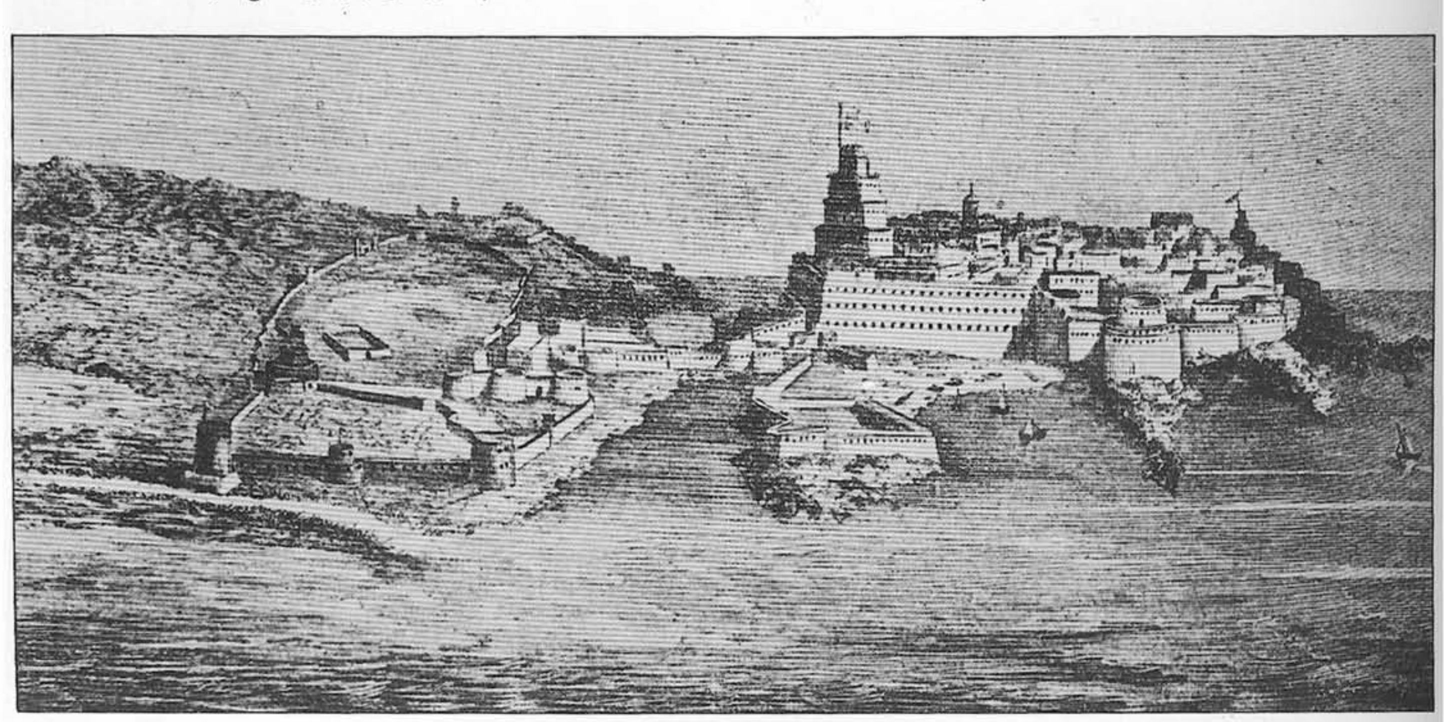
ولئن كان الرأسماليون الفرنسيون والاسبانيون لايشرفون مباشرة على ثورة بوحمارة ، فقد استغلهم الروكي جميعا وخدم مصالحهم وحرص كذلك على مصالحه الشخصية . وأعرض بوحمارة مدة من الزمن عن الفرنسيين ليلقي بنفسه في احضان الجنرال مارينا . ثم قررت الحكومة الاسبانية تأميم « **معادن الريف** » . فانتهز بوحمارة الفرصة لتحصين مؤخرته بمحالفة هذه الحكومة . واستطاعت الشركة الاسبانية إثر هذا التأميم الانفراد باستغلال المعادن وتصديرها من ميناء مليلية .

إنشاء الحكومة

لما استقر بوحمارة في سلوان في اكتوبر سنة 1905 ، رأى أن يؤلف حكومة على غرار المخزن . لكنه اقتصر على تعيين الوزير الأول



صورة المتنبي .
ILLUSTRATION, JANVIER 1903.



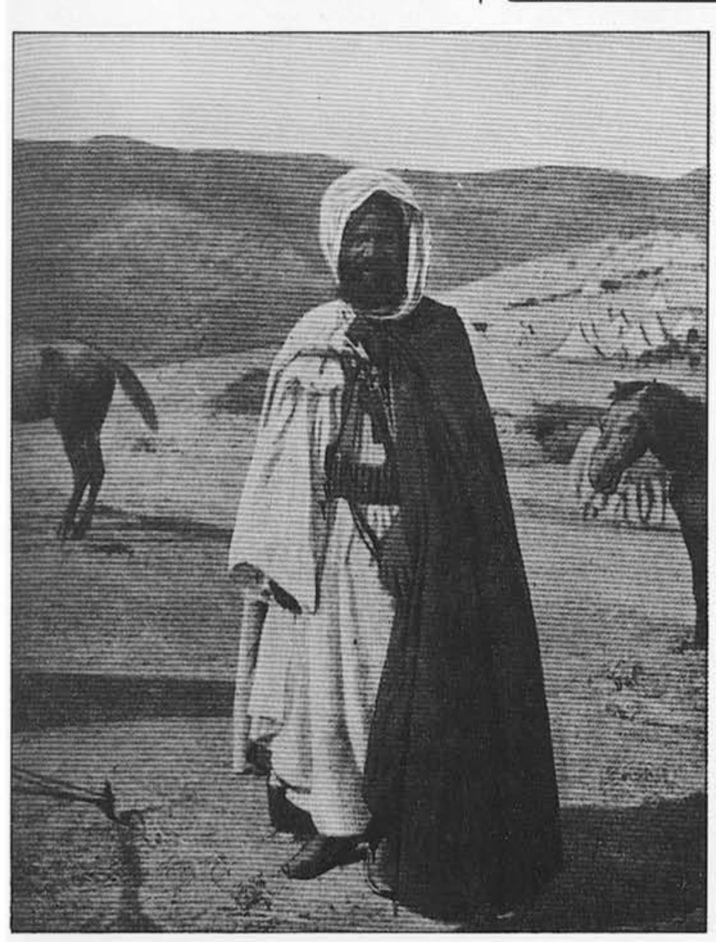
والحاجب وقائد المشور ورئيس الحرس ، بالاضافة إلى الموظفين الصغار المسؤولين عن المصالح الداخلية في « **القصر** » . وبعد تأسيس الحكومة عين لكل قبيلة قائدا من بين الأشخاص الذين كان أكثر ثقة بوفائهم له . وبذلك امتدت سلطته إلى جميع قبائل كرط ووسط سلسلة جبال الريف ، وأطاع الناس أوامره ، إذ كانوا يعدونه أكبر أبناء الحسن الأول ، أي السلطان الشرعي .

وكانت بعض الشخصيات في تلك الناحية تشك في نسب بوحمارة ولا تتعجل في مبايعته ،

موقع مليلية .

صالح ، حَمُّو بوحمارة و « وزيره الاول »
TOUR DU MONDE 1904.

بوعمامة أحد مساعدي « الروكي » .
TOUR DU MONDE 1904.





منها صاحب زاوية زغنغان الشريف مولاي محمد أمزيان ، وهو الذي قضى فيما بعد على سلطة بوحمارة في الريف .

يبدو أن بوحمارة ، عندما دخل سلوان ، لم يكن يعتمد على مساعدة الاسبانيين . والراجح أن الفرنسيين هم الذين كانوا يمدونه بالمال والسلاح . وكانت أول وكالة لتهريب السلاح وكالة فرنسية أقيمت بإذن الروكي بموقع بوعارك على ضفاف سبخة بوعارك . وقد سميت الوكالة « **المحمدية** » ودشنت يوم 25 نفمبر 1905

وكشفت بعض الوثائق السرية الاسبانية أن الجنرال مارينا ، حاكم مليلية ، لم يكن ينظر بعين الرضا إلى إنشاء هذه الوكالة قرب الأراضي التي يحتلها الاسبانيون . لذلك تقرب مارينا من بوحمارة وأطمعه في السيطرة - بمعونة الاسبانيين - على منطقة الجمارك عند حدود مليلية . وأقنعت الحكومة الاسبانية بوحمارة بأن من مصلحته موالاة الاسبانيين لا الفرنسيين .

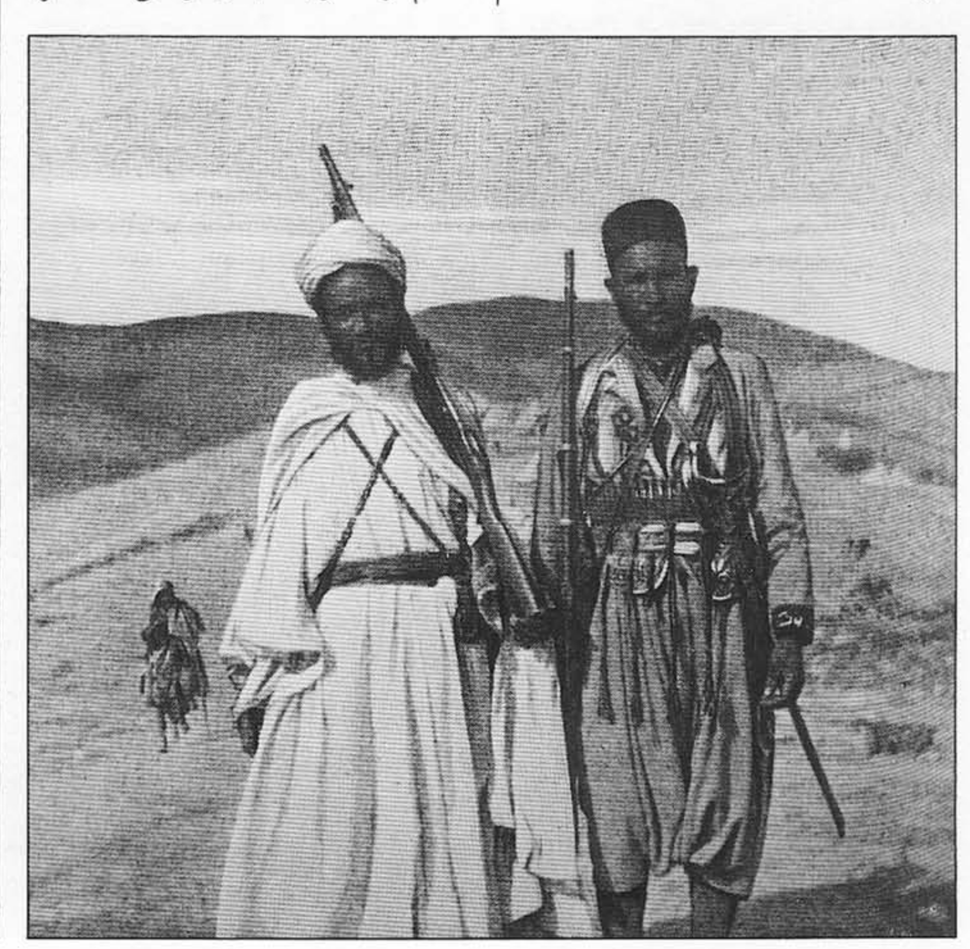
ومن جهة أخرى كانت الحكومة الاسبانية تحرص على أن تتبع ناحية كرط لرجل مثل بوحمارة ، لا للسلطة المخزنية المركزية . لذلك اتفق مارينا وبوحمارة يوم 19 يناير 1906 على حل يرضي الطرفين . لكن ذلك الاتفاق لم يعمر إلا أسبوعين ريثما تضمحل الوكالة الفرنسية ، إذ قنبلت البارجة المخزنية « **التريكي** » المنطقة يوم 4 فبراير وهدمت الوكالة . ويبدو - رغم المظاهر - أن مندوب اسبانيا في طنجة هو الذي أقنع نائب السلطان بإنهاء عملية تهريب السلاح .

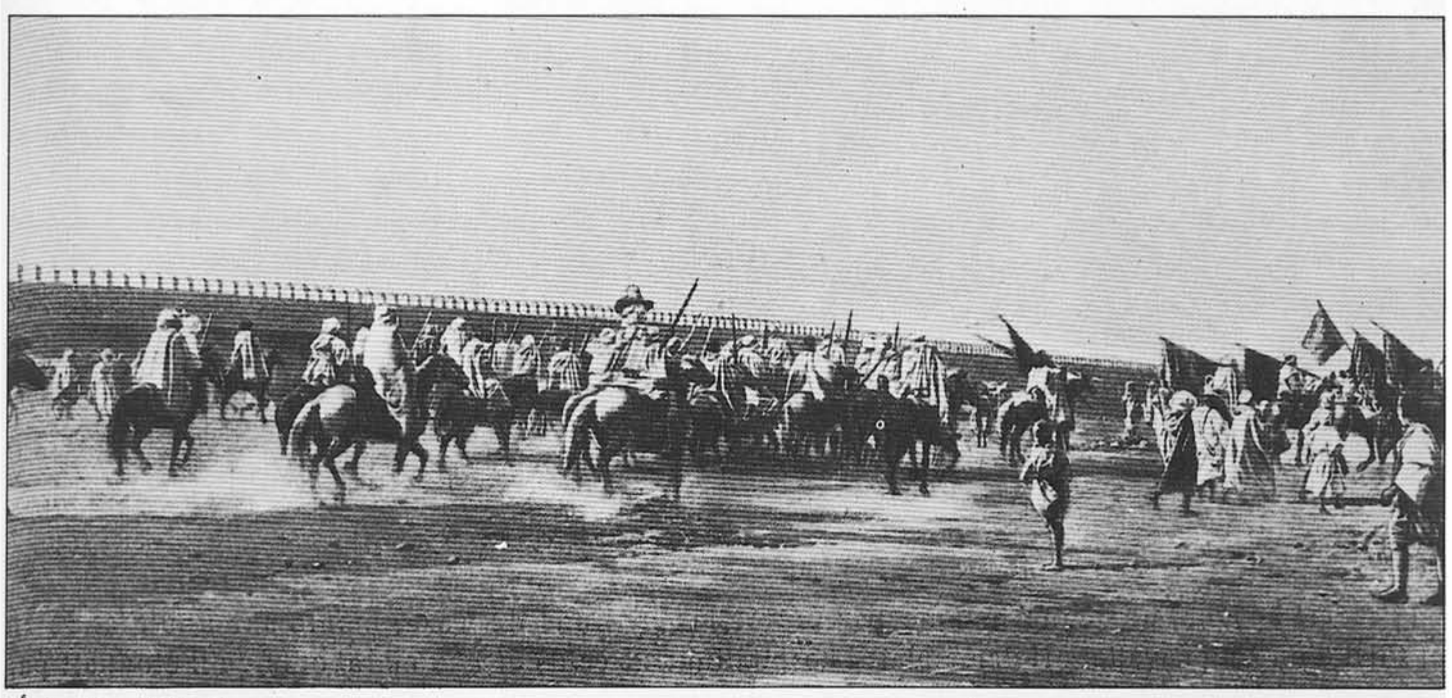
ووطد بوحمارة علاقته مع الجنرال مارينا ، فاغتنم فرصة مراقبته الجمارك وأمضى عقدا سريا آخر يوم 14 مارس لتنمية التبادل التجاري بين مليلية والريف . وبذلك مهد السبيل لاستغلال مناجم بني بويفرور واحتلال المنطقة احتلالا عسكريا . وحصل بوحمارة على مساعدة مالية هامة وعلى آلات حربية لتثبيت سلطته على جميع المنطقة الوسطى من جبال الريف .

ولم يكن المخزن لينظر إلى هذه الوضعية الجديدة في شمال شرقي البلاد دون أن يحرك ساكنا . لذلك قرر أن يظهر قوته ، ولو بأخرة ، في منطقة كرط . فبعث إلى وجدة جيشا وصل الضفة اليمنى من نهر ملوية يوم 14 نفمبر . وكان ظهور قوات المخزن في المنطقة - بعد غيابها أكثر من ثلاث سنوات - كافيا لجعل قبائل بني سيدال وبني سعيد وتمسمان تنقلب على بوحمارة وتوالي السلطان الشرعي . لكن ذلك لم يدم إلا أياما قليلة ، إذ هاجم رجال بوحمارة ، في 25 من نفس الشهر ، قبيلة بني سعيد ونهبوها نهبا .

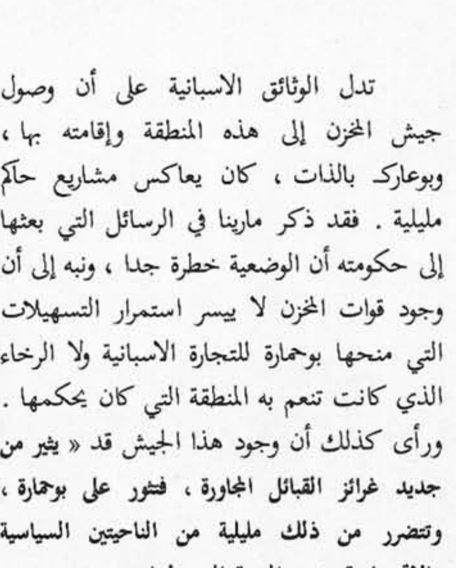
وفي اليوم التالي عبرت قوات المخزن نهر ملوية ، ونزلت في عقر قبيلة كبدانة . وحاول قائد « **المحلة** » عبد الرحمان بن عبد الصادق الاستعانة بحاكم مليلية الجنرال مارينا لاسترجاع قلعة فرخانة القريبة من مركز الجمارك . ولم يكن مارينا ليساعد على مشروع يعاكس مشاريعه هو . لذلك تذرع بأسباب ديبلوماسية ، وزعم أن حكومته قررت « **أن تبقى محايدة في هذه الحرب المدنية الجارية بين المغاربة** » . ورأى عامل الريف ، وهو الرجل المتكبر ، أنه لايستطيع العودة إلى رجاله بعد أن فشل في محاولته وأصابه الخزي ، فتغرب إلى مليلية . واغتنم بوحمارة الفرصة ، وهاجم القوات المخزنية ، وقد بقيت بدون قيادة ، وأرغمها على العودة إلى الضفة الأخرى من نهر ملوية . ولم يستطع جيش السلطان الرجوع إلى مواقعه في كبدانة إلا بعد ثلاثة أشهر ، أي يوم 17 مارس 1907 . ولم يتيسر له ذلك إلا بمساعدة رجال الشريف أمزيان . ثم توقف القتال مدة شهرين . واستأنفت قوات المخزن محاربتها لبوحمارة . وبعد أن اقتتل الفريقان في معركتين

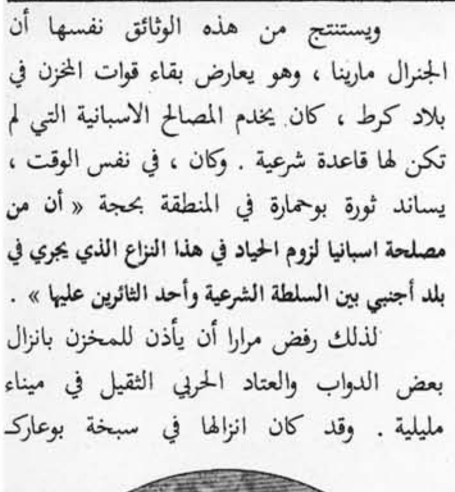
« قائد الرحى » عن اليمين في جيش المشاة عند بوحمارة و « قائد المشور » . Tour du Monde 1904.





دخول « محلة » السلطان مدينة وجدة .
Tour du Monde 1904.





البشير ، ممثل السلطان في مليلية .
مجموعة صور ابن عزوز .

ضاريتين دخل القائد البشير بن سنة سوق أربعاء أركان ، ثم حاصر بوعارك .

مناورات مارينا

تدل الوثائق الاسبانية على أن وصول جيش المخزن إلى هذه المنطقة وإقامته بها ، وبوعارك بالذات ، كان يعاكس مشاريع حاكم مليلية . فقد ذكر مارينا في الرسائل التي بعثها إلى حكومته أن الوضعية خطرة جدا ، ونبه إلى أن وجود قوات المخزن لا ييسر استمرار التسهيلات التي منحها بوحمارة للتجارة الاسبانية ولا الرخاء الذي كانت تنعم به المنطقة التي كان يحكمها . ورأى كذلك أن وجود هذا الجيش قد « **يثير من جديد غرائز القبائل المجاورة ، فتثور على بوحمارة ، وتتضرر من ذلك مليلية من الناحيتين السياسية والاقتصادية وتعود المدينة إلى عزلتها** » .

ويستنتج من هذه الوثائق نفسها أن الجنرال مارينا ، وهو يعارض بقاء قوات المخزن في بلاد كرط ، كان يخدم المصالح الاسبانية التي لم تكن لها قاعدة شرعية . وكان ، في نفس الوقت ، يساند ثورة بوحمارة في المنطقة بحجة « **أن من مصلحة اسبانيا لزوم الحياد في هذا النزاع الذي يجري في بلد أجنبي بين السلطة الشرعية وأحد الثائرين عليها** » .

لذلك رفض مرارا أن يأذن للمخزن بانزال بعض الدواب والعتاد الحربي الثقيل في ميناء مليلية . وقد كان انزالها في سبخة بوعارك



الشريف الناصري قائد « محلة » بوحمارة .



مولاي حفيظ في مراكش .
ILLUSTRATION. MARS 1912.



متعذرا . فكان جواب الحكومة الاسبانية على آخر طلب للمخزن يوم 26 يونيه 1907 . بما يلي : « **إن نلب طلب السلطان ، فقد يرى بوحمارة في ذلك قطيعة من جانبنا ونقضا لمبدإ الحياد الذي التزمنا به ووفينا** » .

وكان هذا الموقف الاسباني – بل هذا الاعتراض على بقاء جيش المخزن في الناحية – سببا من أسباب جلائه عن قرية بوعارك .

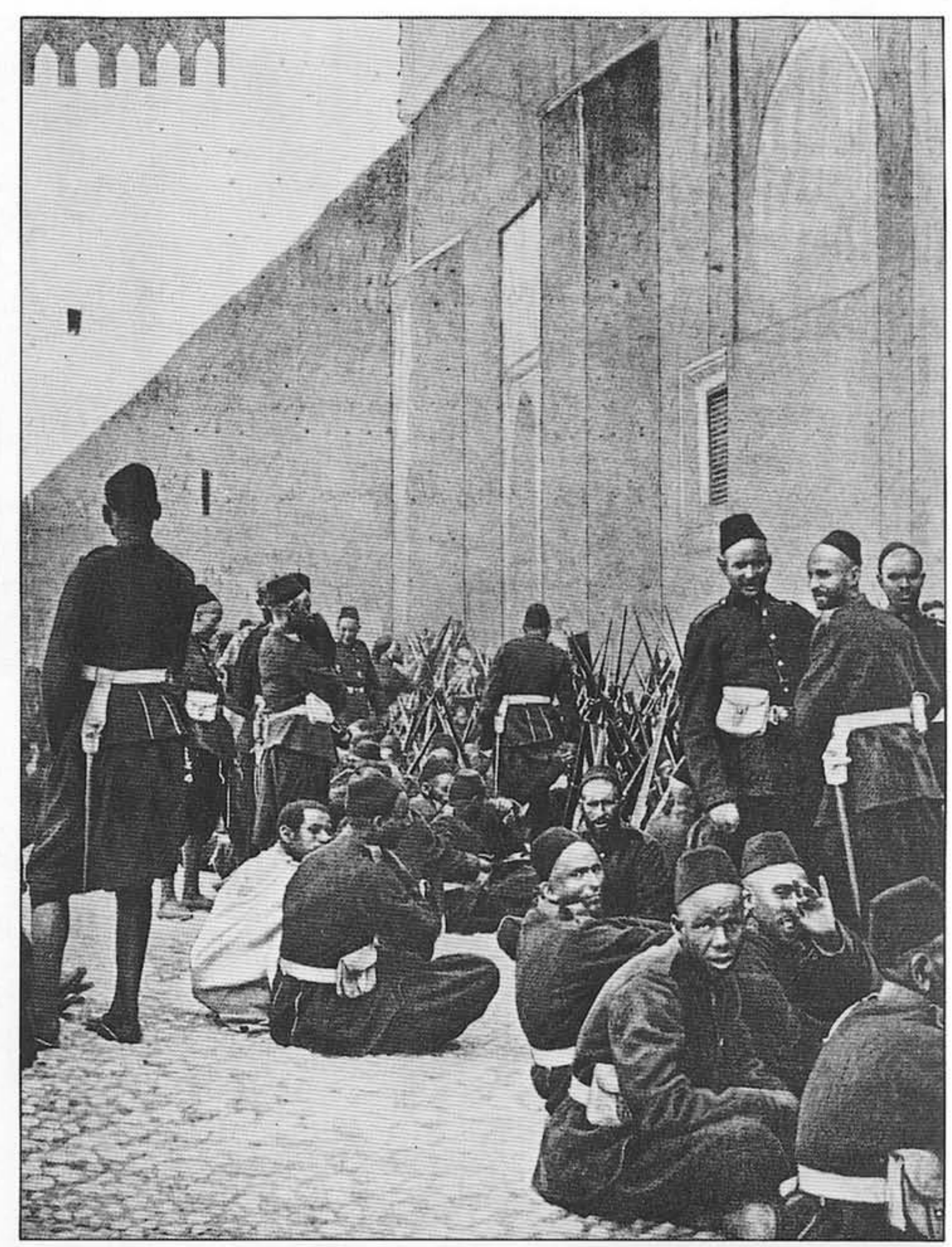
فقد كان على المخزن أن يواجه أوضاعا خطرة في نواح مختلفة من البلاد ، مثل الحوادث التي وقعت في مدينة الدار البيضاء يوم 30 يوليوز ، ونزول القوات الفرنسية بها يوم 5 غشت ، وثورة مولاي حفيظ على أخيه مولاي عبد العزيز بمراكش يوم 16 من نفس الشهر . ولا نذكر إلا هذه الأحداث التي كان لها صدى عظيم في الريف . فقد أخبر الجنرال مارينا حكومته يوم 10 شتمبر « **بأن الشريف أمزيان قد حصل من الجيش المرابط ببوعارك على رضاه بمبايعة مولاي حفيظ** » فغضب لذلك مولاي عبد العزيز وقرر وقف رواتب هؤلاء الجنود وتركهم وشأنهم في مكانهم . وبذلك ساعد مولاي عبد العزيز الجنرال مارينا ، من حيث لايدري ، على تحقيق خطته ، إذ كان يهدف إلى أن يُحل قواته محل قوات المخزن . فكتب إلى حكومته يوم 24 غشت يقول :

« **إن حالة الجيش ببوعارك تشتد يوما عن يوم** » . ولم يكن ، في الواقع ، يهتم بحالة الجيش ، بل كان همه نجاح خطته .

منذ ذلك اليوم أصبح مارينا لايفتر عن الاهتمام « **بحالة الجيش** » . وكان يلح على حكومته في التدخل لدى المخزن ليأذن لجنوده بترك بوعارك . وقال في بعض رسائله :

« **لايجوز أن نتركهم على الحالة التي هم عليها ، وذلك لأسباب إنسانية** »

ولما تبين للجنرال مارينا خيبة مساعيه قرر يوم 5 أكتوبر التوجه إلى طنجة للقاء نائب



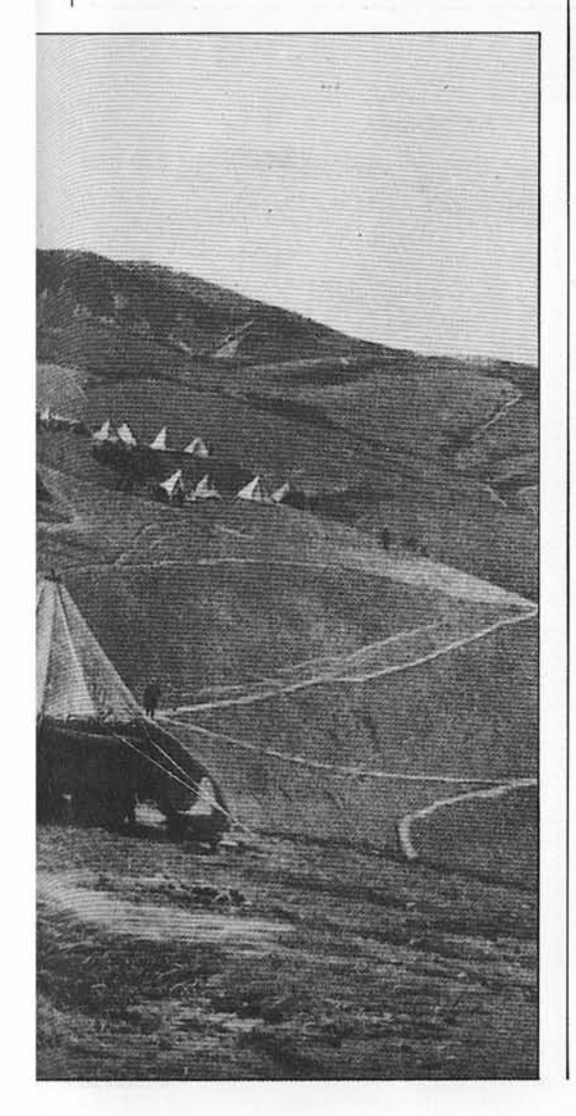
المعسكر المغربي الموجود قرب مدينة طنجة تابع لرئاسة الكباس .

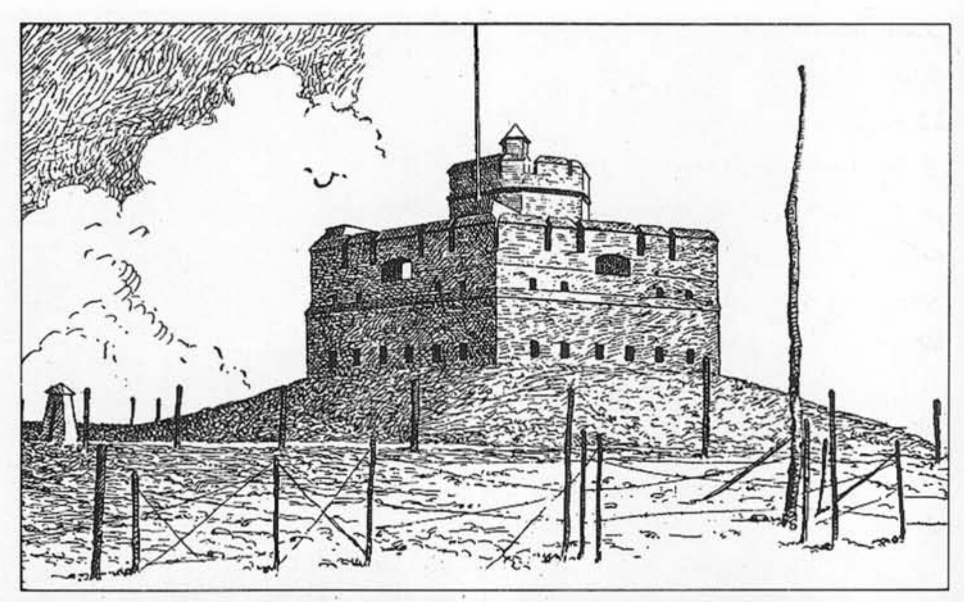
مندوب السلطان السيد الكباص بنفسه وليقترح عليه أن ينقل هؤلاء الجنود مجانا من بوعارك إلى الرباط ، وذلك « **لأسباب إنسانية** » . ولم يوفق مارينا لما جاء له . لذلك قام أصحاب رأس المال المساهمون في مناجم الحديد والرصاص بالريف بحملة صحافية . وكشفت هذه الحملة ، وكذلك بعض الوثائق السرية الاسبانية ، عن الأسباب التي جعلت حاكم مليلية يهتم بالتخلص من الجيش المخزني .

ورأى المخزن ألا يحرك ساكنا أمام هذا الجدال القائم بين الاسبانيين . فعمد الجنرال مارينا إلى حيلة أخرى ، إذ أوعز إلى بوحمارة بأن يشير إلى قواد المحلة بطلب مساعدة حاكم مليلية ، أو يرغمهم على ذلك .

ثم هاجمهم الروكي يوم 23 نفمبر . ثم كرّ عليهم أيام 3 و 4 و 8 دسمبر . فقتل العشرات وجرح المئات من كلا الفريقين . ونقل أصحاب بوحمارة فورا إلى المستشفيات الاسبانية . وساءت حال جنود المخزن يوما عن يوم . وفي يوم 22 دسمبر أخبر الجنرال مارينا حكومته بأن القائد ابن سنة يرغب في لجوء رجاله إلى مليلية . ثم استمر في مناوراته . وأخبر ، من جديد ، حكومته – دون انتظار جواب المخزن – أن بوحمارة « **يقبل مرور جنود المخزن عبر ترابه في اتجاه مليلية تحت حماية الجيش الاسباني** » .

ولما علم الطريس ، نائب السلطان بطنجة ، بهذه الأحداث أبرق يوم ثاني يناير 1908 إلى القائد ابن سنة يأمره بالبقاء في بوعارك . وفي الخامس من نفس الشهر عزل





حصن سبخة بوعارك .
مجموعة صور ابن عزوز .

علماء فاس مولاي عبد العزيز وبايعوا مولاي حفيظ .

احتلال بوعارك

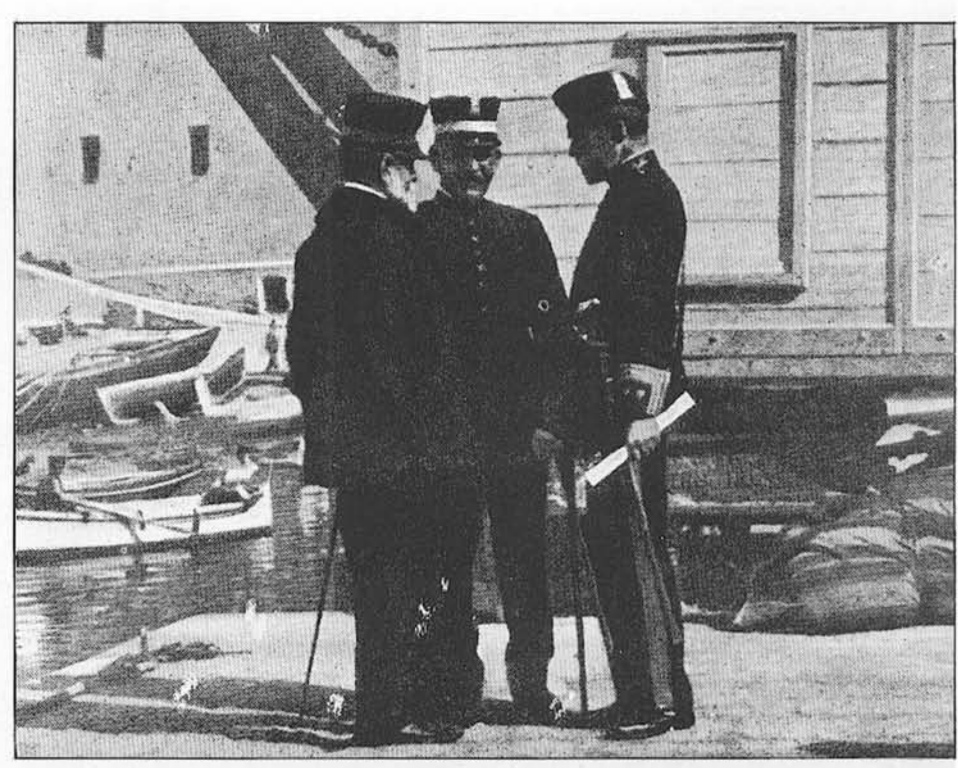
وخاف الجنرال مارينا أن يسعف السلطان الجديد المحلة ، فيفسد عليه خطته . فكتب إلى حكومته يخبرها بأن ابن سنة يلح عليه في اللجوء إلى مليلية رغم أوامر نائب السلطان . وفي اليوم السادس والعشرين من نفس الشهر أخبر مارينا مدريد « **بموافقة الروكي على عبور ترابه** » . وفي اليوم التاسع والعشرين دخلت المحلة مدينة مليلية ، تحت حماية الجيش الاسباني ، دخول الخزي والعار . وكان الشريف أمزيان هو الوحيد الذي لم يتبعها .

بعد ذلك تذرعت الحكومة الاسبانية بانعدام سلطة المخزن في تلك الناحية ، وقررت أن تمارس هي نفسها تلك السلطة ، بناء على التفويض الذي خولته اياها معاهدة الجزيرة الخضراء . لذلك بعثت مدريد مذكرة إلى الدول المعنية يوم 13 فبراير 1908 تخبرها بأنها قررت أن « **تحل محل السلطان في حفظ النظام في الريف ، وذلك باحتلال موقع بوعارك ، إذ لم تستطع المحلة المحافظة عليه** » . وفي اليوم التالي نزلت القوات البحرية الاسبانية بنفس الموقع .

وبعث نائب السلطان في طنجة يوم 19 يناير بمذكرة احتجاج إلى الحكومة الاسبانية ، لكن بدون جدوى ، إذ أجابت مدريد في نفس اليوم بأنها قررت « **أن تنوب عن المخزن في ممارسة السلطة إلى أن يصبح قادرا على ذلك** » . وبعد بضع ساعات صرح وزير العلاقات الخارجية الاسباني في البرلمان بأن حكومته قررت ذلك الاحتلال



محلة بوحمارة على وادي هدير .
Tour du Monde 1904.



الجنرال مارينا يعطي الكولونيل لارا تعليماته لانزال القوات في رأس سيدي البشير (رأس الماء) .
مجموعة صور ابن عزوز .

بطلب من السلطان وبموافقته . والواقع أنه كان تعديا على وحدة التراب . وفي اليوم التالي أدلى نائب السلطان بتصريح لصحافة طنجة يبطل فيها مزاعم الوزير الاسباني ويؤكد أن المخزن يطالب بجلاء الجيش الاسباني وبعودة المحلة إلى مواقعها .

ولم تلبث الحكومة الاسبانية أن ردت على ذلك باحتلال رأس سيدي البشير (رأس الماء) يوم 11 مارس . ثم عمدت إلى مناورة ثانية ، إذ أركبت جنود المخزن بواخر اسبانية وبعثتهم إلى الرباط ، وذلك حتى تمنع عودتهم إلى بوعارك . ولم يكن سفرهم مجانا ، إذ أضيفت أجرته إلى الفاتورة الواردة على المخزن والمتعلقة بنفقات مقام المحلة « في منفاها » بمليلية .

ولم يبق هناك ما يمنع من استغلال معادن جبل ويشن . وكان الجنرال مارينا الناطق باسم الرأسماليين . وكانت له أسهم في شركة الريف . فدشن أعمال استخراج المعادن يوم 2 ماي 1908 ، وبذلك وضع حكومته أمام الأمر الواقع . وزعم في مذكرة بعثها إلى مدريد أن ممثلي الشركة حصلوا على موافقة الروكي في سلوان . فقال في إحدى مراسلاته « لقد استبشرنا اليوم بالشروع في العمل » . لكن هذا الحماس لم يدم مدة طويلة .

انكشاف أمر الروكي

لاشك أن حاكم مليلية كان يجهل انتشار الأخبار التي أخذت تزعزع ثقة سكان القبائل بأمر بوحمارة . لذلك فوجئ عندما أعلن الشريف أمزيان مقاومته للروكي . فقد كان لمعركة يوم 3 يونيو بكبدانة صدى بعيد في القبائل الريفية ، لا سيما أن ذلك حدث أربعة أيام قبل دخول مولاي حفيظ عاصمته فاس دخول المنتصر . ورأى الشريف أمزيان الفرصة سانحة لتجنيد قبائل كرت ضد بوحمارة . وفي شهر غشت استطاع أن يقطع ما بين الروكي وبين قبائل تمسمان وتافريست ، فبايعت هذه القبائل السلطان الجديد .

فأرسل عليهم الروكي يوم 15 غشت قوات كثيرة ، فنهبتهم . وفرض عليهم اتاوة باهظة . ولا جرم أن يكون الجنرال مارينا أول من استحسن ابتزاز بوحمارة هذه القبائل . فقد بعث برقية إلى حكومته يوم 20 غشت يقول فيها « إن **الروكي عاقب قبائل تمسمان وتافريسيت عقابا يردع به غيرهم ، وبذلك استعاد سلطته** »

وكان مارينا يجهل أن القائد الجيلالي ، قائد قوات الروكي قد علم ، عند ما كان في تمسمان أن قبيلة بني ورياغل لم تكن أكثر وفاء لبوحمارة من قبائل تمسمان وتافرسيت . فأراد اختبارها ، ولذلك أوعز إلى زعمائها بالاعلان عن ولائهم للروكي . ولاشك أن حاكم مليلية كان يجهل أن هؤلاء الزعماء كانوا قد دعوا ممثلي سائر قبائل الريف الأوسط يوم 22 غشت ليبايعوا جميعا السلطان مولاي حفيظ . ثم كتبوا عقد البيعة وبعثوه إلى فاس مع سيدي محمد أخمليش . وحمّلوه كذلك رسالة يقترحون فيها على السلطان تعيين قواد جدد . وقرر القائد الجيلالي أن يهجم يوم فاتح شتمبر على قبيلة بني ورياغل ، ولم يحسب لعواقب هجومه حسابا . فالتقى الفريقان بعد أسبوع في بوسلامة على نهر نكور ، وانهزم أصحاب الروكي ، وانسحبوا إلى بلاد تمسمان . ولما علم بوحمارة بهزيمتهم بعث إلى قائده بالمدد . وعاد الجيلالي إلى مهاجمة بني ورياغل ، لكنه هزم مرة أخرى شر هزيمة . وانسحبت فلول جيشه إلى سلوان في ظروف شاقة نظرا لعداء القبائل التي كانوا يمرون بها . وكان سبب هذا العداء رسالة بعث بها مولاي حفيظ يوم 31 مارس ينبئ فيها بانتحال بوحمارة شخصية مولاي محمد .

ولم يصل القائد الجيلالي إلى سلوان إلا يوم 5 أكتوبر بعد أن خذلت الروكي كل القبائل . واعترف الجنرال مارينا بهذه الأحداث في برقية بعث بها إلى حكومته يوم 7 أكتوبر ، إذ قال :

راية « الروكي » .
تصوير كوطورب .GOTORBE
TOUR DU MONDE 1904.



دخول سلاح المدفعية الشريفة مدينة فاس يوم 10 يونيوه من سنة 1911



منظر من قصبة سلوان بعد احتلالها من لدن الاسبانيين .
مجموعة صور ابن عزوز .

« إن زعيم الثورة الحالية ضد الروكي هو شريف زغنغان » أي مولاي محمد أمزيان

وفي مساء اليوم التالي هاجمت القبائل العمال الاسبانيين في مناجم ويشن . فأثبتت للجنرال مارينا وأصحاب رؤوس الأموال الذين كان يدافع عن مصالحهم أن الروكي لم يعد صاحب السلطان هناك . واغتنم بوحمارة فرصة ضعف قبائل بني بويفرور وحاول عقابهم لأنه اتهمهم بخذلان عمال المناجم الذين كانوا في كنفهم . والتقى الجمعان يوم 10 أكتوبر ، لكن لم يظهر أحد منهما على الآخر . وكان ذلك سببا في تنكب قبيلة مازوية عن بوحمارة ، وكانت آخر قبيلة تسانده .

حصار سلوان

كانت ناحية كرط خاضعة لسلطة رجل واحد ، وهو الشريف أمزيان الذي كان مواليا للسلطة المخزنية الشرعية . وهو الذي قاد حركة المقاومة المسلحة ضد الغزو الاسباني إلى أن استشهد في ساحة الشرف يوم 15 ماي 1912 .

واعترف الجنرال مارينا في كتاب بعث به إلى حكومته أن زعماء قبائل كرط الخمس عشرة الخاضعين لقيادة الشريف أمزيان اجتمعوا يوم 16 أكتوبر في سوق خميس جزولة وبايعوا مولاي حفيظ . وعينوا منهم وفدا ليحمل عقد البيعة إلى فاس . وبعثوا وفدا آخر إلى مليلية يوم 19 أكتوبر لاخبار حاكمها بالوضع الجديد في الناحية .

وفي 21 من نفس الشهر ، اجتمع في نفس السوق زعماء القبائل وقرروا محاصرة الروكي في قلعته بسلوان . وابتدأ الحصار بعد مضي أسبوع ، وشاركت فيه كل قبائل كرط . وحاول بوحمارة أن يفك حصاره ثماني مرات فيما بين 2 و 30 نفمبر ، لكنه لم يفلح . ولم يجد بُدّا من أن يفاوض الشريف أمزيان على مغادرة الحصن وعلى التوجه إلى الضفة الأخرى من نهر ملوية . وكانت تلك آخر رحلة رحلها الجيلالي الزرهوني بعد أن بقي منتحلا شخصية مولاي محمد بن الحسن مدة سبع سنوات . ثم قبض عليه رجال مولاي حفيظ يوم 21 غشت 1909 ، وأعدم بفاس يوم 13 شتمبر .

وهكذا انتهت مغامرات ذلك الرجل الذي كان مغمورا من قبل ، فعمد إلى المكر لاغتصاب السلطان وبسط نفوذه على الريف مدة ثلاث سنوات .

وتوجد دلائل كثيرة تدل على سلامة طوية أهل الريف وتدحض زعم بعض الناس بأن سكان هذه المنطقة اجمعوا على الثورة على السلطان الشرعي . ويكفي أن نعلم أن الأوامر المكتوبة التي كانت تصدر عن الروكي ويأتمر بها أهل الريف كانت مختومة بالطابع « **محمد بن الحسن الله وليه** » .

اعدام أتباع الروكي بفاس ، وذلك يوم 18 شتنبر من سنة 1909 .



بوحمارة أسيرا ، وقد نقل إلى فاس .
ILLUSTRATION, SEPTEMBRE 1909.



الشريف أمزيان : المقاومة الم

محمد ابن عزوز حكيم

كانت المنطقة الشمالية بالمغرب ، نظرا لموقعها الجغرافي ولقربها من أوروبا ، دائما في مقدمة المدافعين عن استقلال البلاد ووحدتها الترابية . ذلك أن المغرب كان من البلاد الاسلامية التي طمع الصليبيون في غزوها ، كما أصبح فيما بعد يثير أطماع الدول الأوروبية التي كانت تنزع إلى الهيمنة والتوسع والاستعمار ، وخاصة البرتغال واسبانيا وانجلترا وفرنسا .

لذلك كانت المناطق الشمالية المغربية ميدانا لكل المعارك التي خاضها المغاربة منذ 1415 (أي منذ احتلال البرتغاليين مدينة سبتة) ضد محاولات الغزو الأجنبي ، وخاصة معارك طنجة سنة 1437 وباديس سنة 1525 ووادي المخازن سنة 1578 والعرائش سنة 1689 ومليلية سنة 1774 .

فكان من الطبيعي أن يكون لسكان الشمال ، وقد نشؤوا في هذا الوسط الذي حفظت الذاكرة الجماعية أمجاده، الحظ الأوفر في المقاومة المسلحة التي اضطر المغاربة إلى خوضها في أوائل القرن العشرين ضد غزو الجيشين الفرنسي والاسباني .

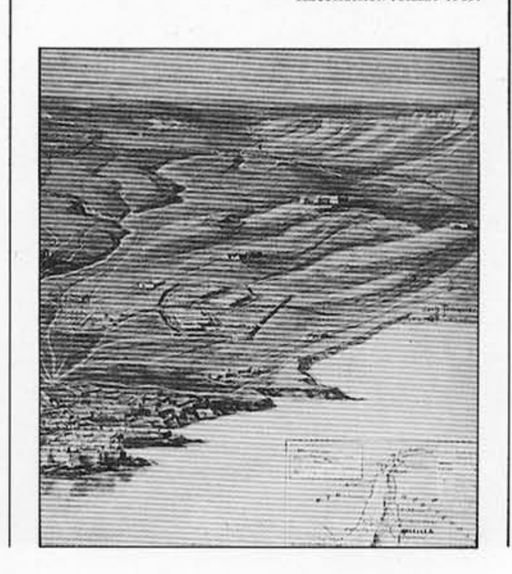
فبينما كان الشيخ ماء العينين ، مؤسس مدينة سمارة يستميت في الدفاع عن الصحراء ضد الغزو الفرنسي ، كان **الشريف محمد أمزيان** يقود حركة المقاومة المسلحة ضد قوات الغزو في الشمال .

فقد عرضنا في المقال السابق إلى ما قام به هذا المجاهد الكبير في مقاومة بوحمارة حتى اضطر الروكي إلى الفرار من قصبة سلوان في 5 دسمبر 1908 . وقد ذكرت بعض الوثائق السرية الاسبانية أن نفوذ الشريف على قبيلة بني بويفرور كان ثابتا نظرا لكون أهلها من مريدي زاوية زغنغان ، وهي زاوية الشرفاء التابعين لأمزيان .

مطامع مستمرة

لم تكن اسبانيا لترضى عن حرص أمزيان على مقاومة أي تدخل خارجي ، إذ كانت دائمة الطمع في احتلال شمال المغرب . فقد أقام محمد أمزيان الدليل على قدرته على قيادة قبائل كرط ، وأصبح زعيما محترما غير منازع في تلك المنطقة كلها . ولذلك أصبح الاسبانيون يرون في وجوده خطرا مستمرا على بقائهم في مليلية واستحواذهم على الثروات الطبيعية التي تحتوي عليها تلك الناحية واستئثارهم باستغلالها . وكانوا يعتبرون المنطقة أيضا بابا من أبواب افريقيا يمكنهم من فتوحات جديدة .

صورة أخذت من الطائرة لناحية مليلية .
ILLUSTRATION-JUILLET 1909.



ولم تكن اسبانيا تريد أن تضيع منها هذه الفرصة التي كانت تتحينها منذ أربعة قرون ، أي منذ احتلال مليلية سنة 1497 ، لاسيما وقد أصبحت حينئذ سانحة .

وكانت اسبانيا ترمي من وراء محاولات المس بوحدتنا الترابية إلى اتخاذ مليلية منطلقا لتحقيق طمعها في غزو كل البلاد ، تنفيذا للوصية الشهيرة التي أوصت بها إيسابلا الكاثوليكية .

فقد استولى الاسبانيون ، بعد احتلالهم مليلية ، على مدينة غاساسا سنة 1506 وجزيرة باديس سنة 1508 . واسترجع المغاربة هذه الجزيرة سنة 1522 ، وغاساسا سنة 1533 . لكن الاسبانيين عادوا إلى باديس سنة 1564 . ثم دخلوا العرائش سنة 1640 والمهدية سنة 1614 وسبتة سنة 1640 وجزيرة نكور أمام الحسيمة سنة 1673 . واسترجع المغاربة المهدية سنة 1681 والعرائش سنة 1689 . واستولى الاسبانيون فيما بعد على جزر كبدانة (الجعفرية) والبران سنة 1848 .

وفي الحقبة التي استولى فيها الفرنسيون على مدينة الجزائر سنة 1830 وحاولوا احتلال بعض مناطق الحدود المغربية سنة 1844 ، حذا الاسبانيون حذوهم ، فهجموا على التراب المغربي

...سلحة ضد الغزو الإسباني



أصبح الاسبانيون يرون خطرا مستمرا على بقائهم في مليلية واستحواذهم على الثروات الطبيعية التي تحوي عليها تلك الناحية ، كما كانوا يعتبرون المنطقة بابا من أبواب افريقيا يمكنهم من فتوحات جديدة . لذلك خلال سنة 1860 حاول المولى العباس أخو محمد الرابع المحافظة على وحدة التراب الوطني ووضع حدود لمليلية .

سنة 1860 واحتلوا مدينة تطوان لمدة عامين .

وفيما كانت فرنسا تحتل جزءا من شرق الصحراء المغربية كانت اسبانيا تحتل مدينة الداخلة في الصحراء الغربية المغربية سنة 1884 .

وقد أدت إرادة فرنسا واسبانيا الهيمنة والتوسع إلى إبرام اتفاقين ، يتعلق أولهما بالمناطق الصحراوية المغربية . وقد أمضي في 27 يونيو 1900 . أما الثاني فيتعلق ببسط نفوذهما على مجموع التراب الوطني ، وامضي في 3 أكتوبر سنة 1904 .

وبعد مضي سنة على هذا الاتفاق الثاني ، وصل بوحمارة إلى كرط ، وذلك في شهر أكتوبر سنة 1905 . ورأت اسبانيا في ذلك فرصة لاستغلال ثروة الريف المعدنية بدون تأخير ، وذلك بمساندة الروكي ضد السلطان الشرعي . لكن وصول « **المحلة** » المخزنية إلى نواحي مليلية أفسد على الاسبانيين خطتهم « **انظر المقال السابق المتعلق ببوحمارة** ». وتحايل الجنرال مارينا MARINA حاكم مليلية حتى شرع في استغلال المناجم (إذ كانت له فيها أسهم) بعد موافقة الروكي على

تخويل الشركة الاسبانية حقوق الاستغلال لمدة 99 سنة . وقد عوض بوحمارة عن ذلك نقدا .

وكان على الحكومة الاسبانية أن تحمي رعاياها العاملين في مناجم بني بويفرور . لذلك بعثت الجيش ليحتل بعض المواقع ذات الأهمية الحربية في بلاد كرط . فاحتلت بوعارك يوم 14 فبراير ورأس سيدي البشير (راس الماء) يوم 11 مارس 1908 . فكان هذا العدوان على ترابنا سببا مباشرا لمقاومة سكان الناحية ، كما كان أحد أسباب طرد بوحمارة من قصبة سلوان .

ذلك ما نعلمه عن تطورات الحرب المسماة « **حرب كرط** » من خلال ما نشر من الوثائق . ولم يلق الجيش الاسباني أمامه الجيش النظامي المغربي ، بل لم يلق إلا فئة قليلة من المقاومين بقيادة الشريف مولاي محمد أمزيان .

لكن ما نشر لا يكشف عن عدد كثير من التفاصيل التي لا يستطيع الكاتب الحصول عليها إلا من خلال الوثائق السرية . ومن الضروري توضيح بعض الأحداث بالاستعانة بهذه الوثائق ، لاسيما أن هذه هي أول فرصة تتاح لكاتب مغربي لدراسة هذا الموضوع .

لقد سبق أن ذكرنا أن حاكم مليلية الجنرال مارينا حاول أول الأمر أن يشرع في استغلال مناجم كرط دون استعمال القوة . فكان أول عمله أن سهل على الشركة الاسبانية لمعادن الريف شراء مناجم ويشن بثمن 650.000 بسيطة ، سلمت للروكي . فتنازل للشركة عن استغلالها لمدة 99 سنة .

الجنرال مارينا ، صاحب الأسهم في مناجم ويشن .
ILLUSTRATION 1909.

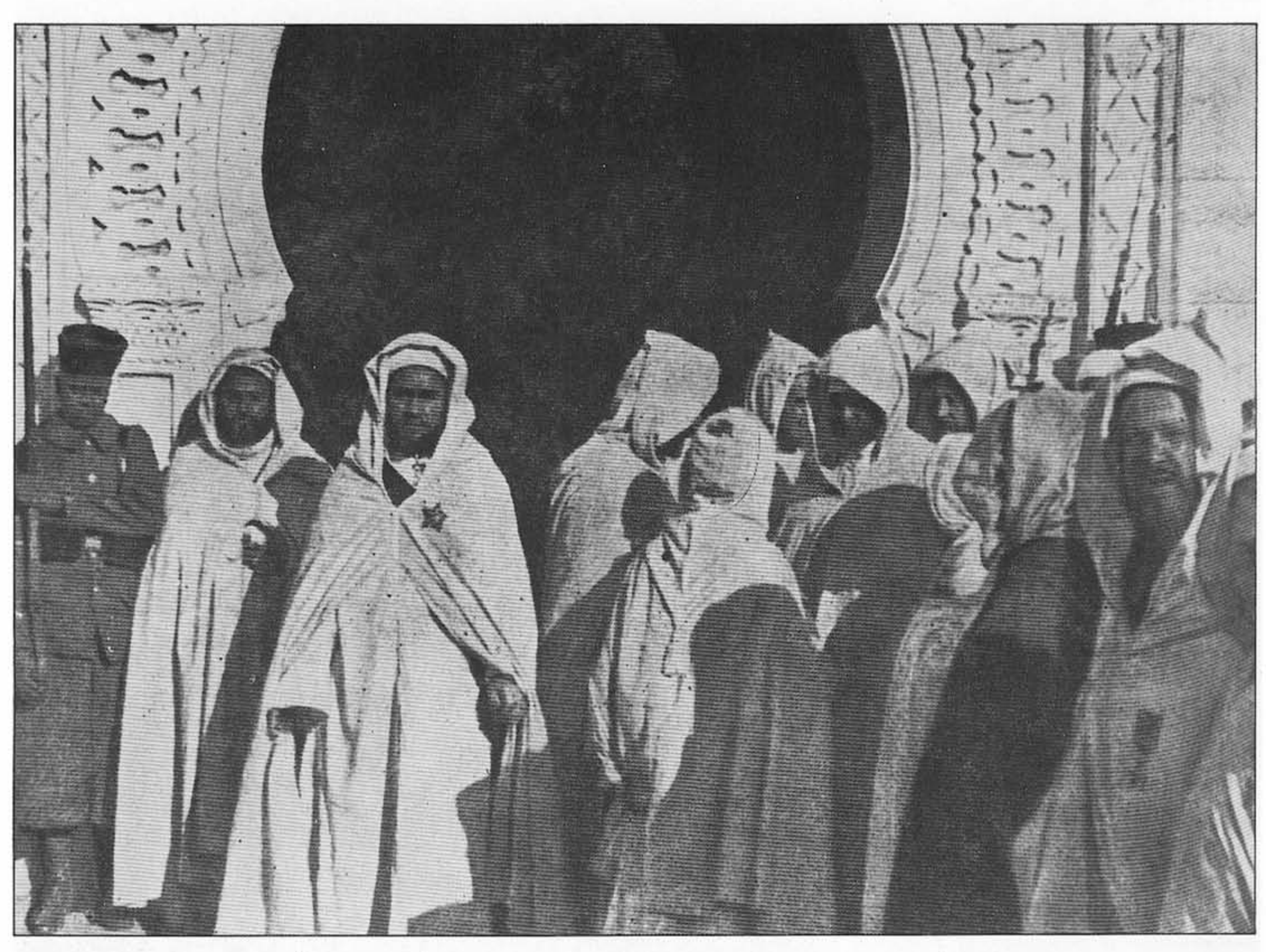


واحتاجت الشركة إلى بناء سكة حديدية لنقل المعادن من ويشن إلى مليلية . فأذن بوحمارة بذلك « **بظهير** » مؤرخ برابع أبريل 1908 . وشرع في العمل بالمناجم يوم 17 ماي .

ولم يقم الاسبانيون ولا الروكي وزنا لآراء السكان في هذه الصفقات . ولم يلبث هؤلاء أن عبروا عن إرادتهم . فبعث الجنرال مارينا يوم 12 دسمبر إلى حكومته برقية يطلب فيها التعليمات بعد أن نبه إلى « أن القبائل أجمعت على منع بناء السكة الحديدية » . فأمره وزير الحرب بتهديد السكان . فاتصل مارينا بزعماء القبائل وأبلغهم عزمه على متابعة الأعمال . لكنهم أجمعوا على الرفض ، وأجابوه بأنه يجب إيقاف العمل حتى يحضر إلى الناحية وفد من قبل السلطان مولاي حفيظ . وذلك ما يدل عليه محتوى البرقية التي بعثها الجنرال مارينا يوم 18 دسمبر ، إذ قال « **إن لم يسارع السلطان حفيظ إلى الفصل في هذه القضية ، فلن نستطيع أن نعمل شيئا بدون استعمال القوة** » . وبما أنه كان عازما على استعمال القوة ، فقد طلب في نفس البرقية أن يبعث إليه بالمدد .

وأخبر السفير الاسباني ، الذي كان حينذاك في مدينة فاس ، بأن السلطان هو الذي كان له أن يأذن باستغلال المناجم « **التي تحولتها اسبانيا في الريف** » . وذلك ما ورد في المذكرة التي قدمها السفير إلى السلطان يوم 4 يناير 1909 . فأجاب السلطان بأنه استدعى زعماء القبائل لاستشارتهم .

فقررت مدريد ، بناء على ذلك ، إرهاب رؤساء القبائل وتهديدهم وإشعارهم « **بأن سلطة ملك اسبانيا قائمة فعلا في الريف عوضا عن سلطة السلطان التي لا أثر لها** » . لذلك انطلق الكولونيل لاريا Larrea يوم 5 يونيو من معسكر سيدي البشير (رأس الماء) يتجول في تراب قبيلة كبدانة . ثم أسس لنفس الغرض فرقة من الحرس العسكري مؤلفة من بعض المغامرين المغاربة .



التازي ، نائب السلطان بطنجة .
ILLUSTRATION-JANVIER 1920.

وبعث الاسبانيون سفيرهم ، مرة أخرى ، إلى فاس في أواسط مارس ليطلب إلى السلطان بعث جيشه إلى الريف . فكان جواب مولاي حفيظ المطالبة بجلاء الاسبانيين عن بوعارك وسيدي البشير .

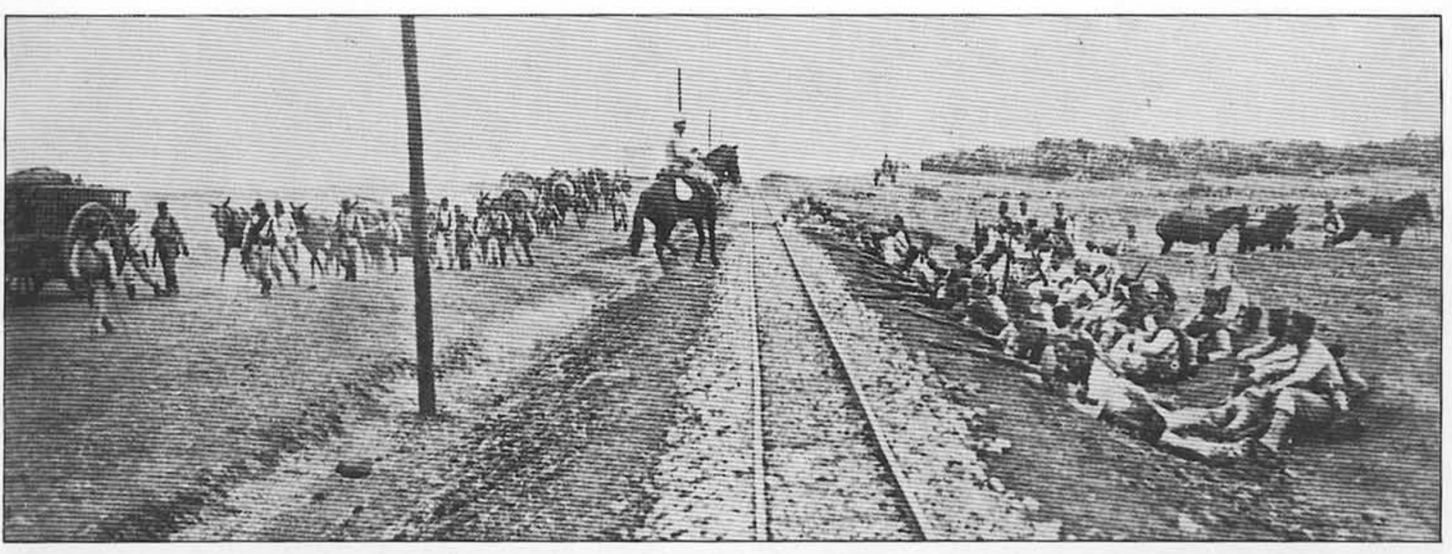
واستعجل الجنرال مارينا ، إذ كان يريد الاستفادة من أسهمه في الشركة الاسبانية ، فأبرق إلى حكومته يوم 25 ماي يلح في الحصول على الاذن باستيناف العمل في المناجم وفي السكة الحديدية . فأجابت حكومة مدريد يوم 31 ماي بجواب واضح صريح ورد فيه ما يلي « **لقد أذن للشركة باستئناف عملها ، وللحاكم أن يحميها عند الحاجة** » .

وفي فاتح يونيو قدم إلى طنجة وفد من أهل الريف يشكون إلى نائب السلطان حركة الجيش الاسباني في كبدانة . وبعد يومين قدم الكباص شكاية في الموضوع إلى ممثل اسبانيا في العاصمة الدبلوماسية .

وحاول مارينا ، يوم 5 يونيو ، مفاوضة زعماء القبائل في الأمر . لكنهم بقوا متمسكين بموقفهم ، منتظرين قرار السلطان .

ومع ذلك ، فقد أذن الجنرال مارينا باستئناف بناء السكة الحديدية ، لا باستخراج المعادن ، لأن حرس الشركة المكلف بحماية المناجم لايستطيع الوصول إلى ويشن . وفي نفس اليوم ، أي يوم 7 يونيو ، أبلغ المفوض الاسباني نائب السلطان مذكرة يقول فيها إنه لم يكن الغرض من اهتمام اسبانيا بالمناجم « **إلا مساعدة السلطان على الحصول على ما يحتاج إليه من الموارد الاقتصادية** » ، وأشعره شفويا بأن « **اسبانيا لم تكن تقصد إلى العدوان على السيادة المغربية ، إذ إن هذه السيادة منعدمة في الريف** » .

وأجاب النائب يوم 9 يونيو بمذكرة احتجاج يطالب فيها بالكف عن الأعمال فورا . واكتفت الحكومة الاسبانية ، رغم تشبث المخزن بموقفه ورغم معارضة أهل الريف ، ببعث مذكرة



إلى نائب السلطان يوم 11 يونيو ، تزعم : « **أن القبائل وافقت على استئناف العمل ، وأن ذلك يمكن المخزن من الحصول على ما يحتاج إليه من المال ، وأن الأمر يتعلق بإصلاح الخط الحديدي فقط ، وأن اسبانيا مستعدة لحماية المغاربة الذين يريدون العمل في الشركة** » .

بعد ذلك بيومين ، أخبر مارينا حكومته بأنه نبه الشريف أمزيان إلى « **أنه سيذهب إليه ليعاقبه إذا ما هوجم المغاربة الذين يعملون في السكة الحديدية** » . وكشفت الحكومة الاسبانية ، في نفس اليوم ، عن نيتها في فرض إرادتها بالقوة على السلطان وعلى القبائل . فعرضت على البرلمان مشروع قانون بمنح اعتماد استثنائي قيمته 3.381.000 بسيطة لمواجهة الوضع في مليلية . وأخبر الشريف أمزيان نائب السلطان بحقيقة النوايا الاسبانية . فأقنع النائب المفوض الاسباني ببعث مذكرة أخرى إلى حكومته ليطلب وقف الأعمال . فكان الجواب تسليح مارينا للمغاربة العاملين في الخط الحديدي للدفاع عن أنفسهم إذا ما هوجموا .

وفي يوم 25 يونيو ، رأى الشريف أمزيان الفرصة سانحة لشهر الحرب على الاسبانيين . وذلك ماورد في البرقية التي بعثها مارينا إلى وزير الحرب الاسباني يوم 27 من نفس الشهر ، إذ قال فيها :

« **لابد من أن نحسب لأمزيان حسابه لأن له أثره على الوضع ، إذ إنه دعا إلى الجهاد ضدنا** » .

وجزعت الحكومة الاسبانية ، فبعثت بمذكرة إلى الحكومة الفرنسية تنبه فيها إلى « **أن الجيش الاسباني قد يضطر إلى الدفاع عن نفسه إن يهاجم الشريف أمزيان العمال** » .

لكن حدث خلاف ذلك ، إذ إن اسبانيا لم تترك المبادرة للشريف أمزيان . فانطلقت أولى

الجنرال ديل ريال .
مجموعة صور ابن عزوز .



كتيبة من الجنود الاسبانيين على طول السكة الحديدية .
ILLUSTRATION-AOUT 1909.

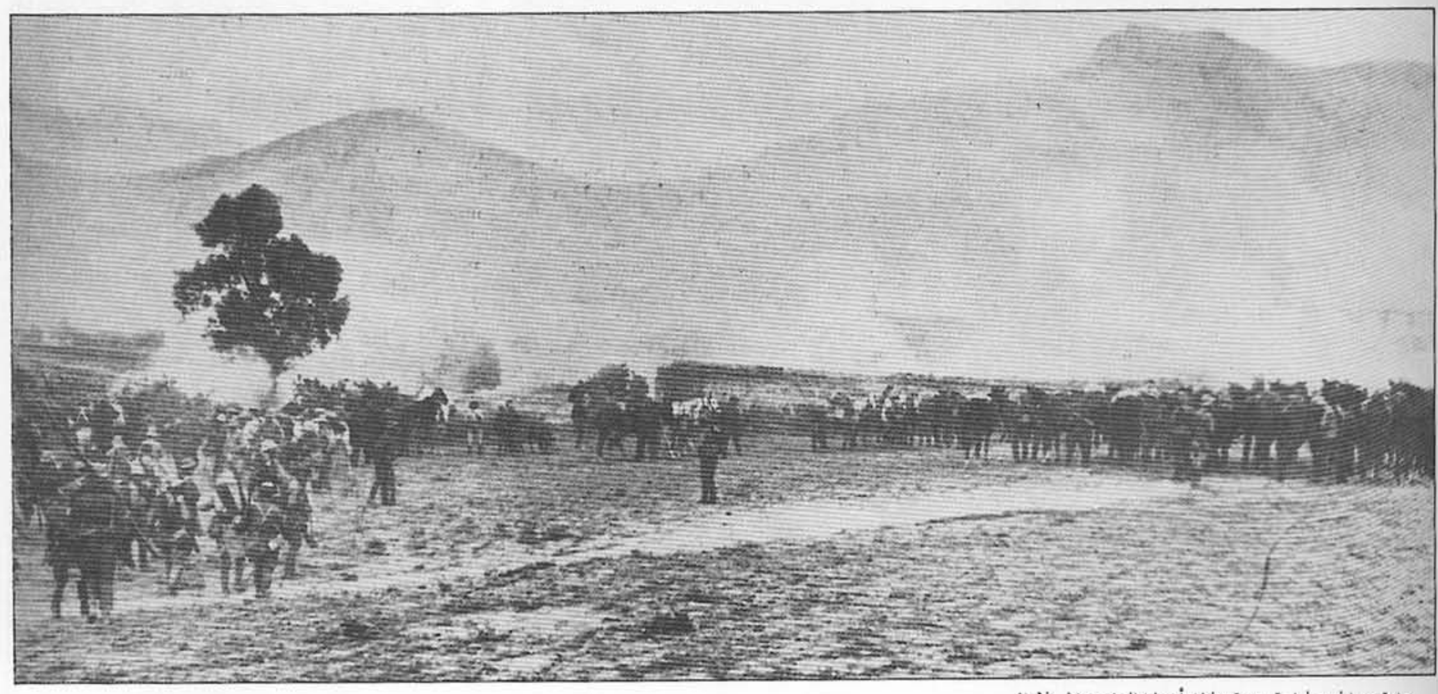
حملات الجيش الاسباني يوم فاتح يوليوز من بوعارك بقيادة الجنرال ديل ريال DEL REAL ، ومن سيدي البشير بقيادة الكولونيل لاريا LARREA . وأطلقت الأيدي في قبيلة كبدانة بالسلب والنهب لمدة ثلاثة أيام ، ثم أحرقت القرى وأحرق الزرع وألقي القبض على جميع السكان .

وسارع الشريف أمزيان إلى دعوة زعماء قبائل كرط إلى الاجتماع به بسوق مازوية يوم 3 يوليوز ، فقرروا توحيد ما لهم من قوة عسكرية وعتاد لاغاثة سكان كبدانة . وأخبر الجنرال مارينا حكومته في اليوم التالي بأنه لا يرى أية وسيلة لحماية عمال السكة الحديدية إلا باحتلال رأس سيدي أحمد الحاج في نواحي الناضور .

واجتمع أمزيان مرة أخرى برؤساء القبائل يوم 5 يوليوز بسوق مزوجة . فاعلنوا أنهم مستعدون لقتال جيش الاحتلال الاسباني ولمهاجمة المغامرين الذين تستعملهم الشركة .

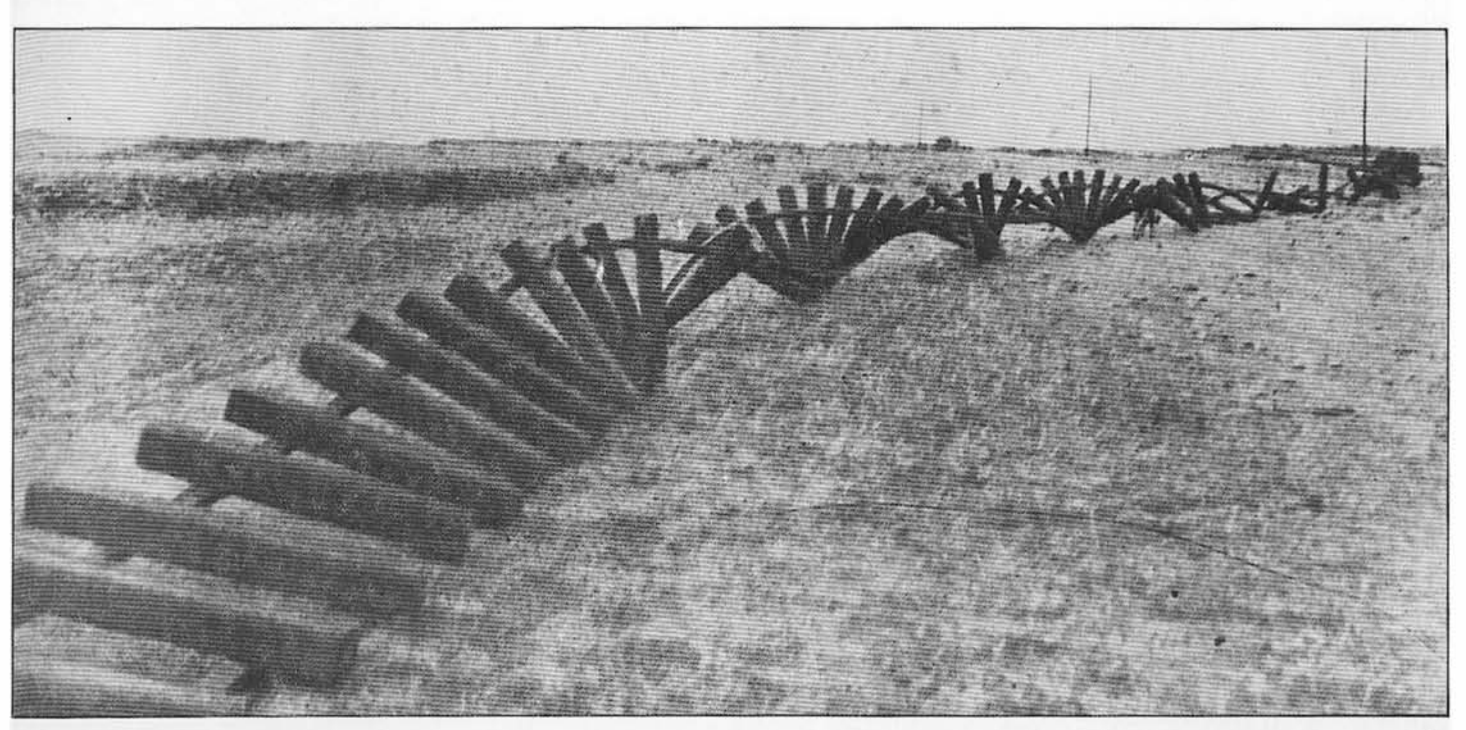
واجتمعت الحكومة الاسبانية في اليوم التالي ، وقررت بعث المدد إلى مليلية . وخُربت ، في نفس الليلة ، عدة أمتار من السكة الحديدية . ثم رفض العمال استئناف عملهم طوال يوم 7 يوليوز . وبعث إنذار آخر يوم 8

المدفعية الجبلية الاسبانية .
مجموعة صور ابن عزوز .



جماعة من الجند لحراسة مدينة تطوان أشعلوا النيران بمنازل الاهالي المتمردين .

MARTIN-DÉCEMBRE 1924.



تحطيم السكة الحديدية في الليلة من 2 إلى 3 غشت 1909 .
ILLUSTRATION-AOUT 1909.

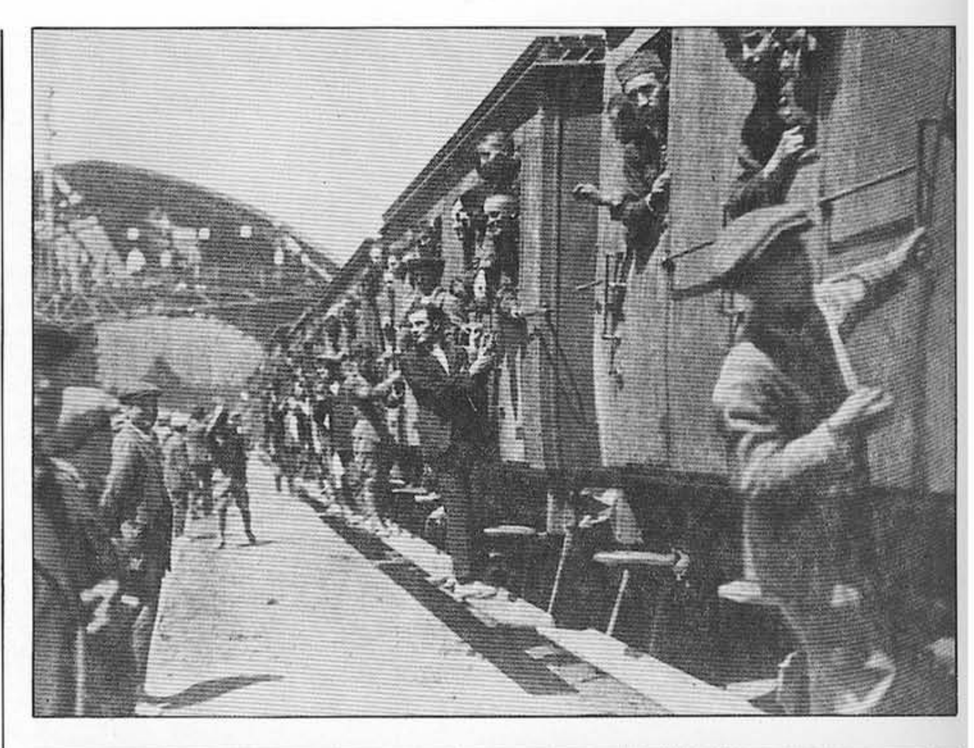


يوليوز إلى الجنرال مارينا لمطالبته بوقف الأعمال حقنا للدماء . لكن الاسبانيين طردوا مبعوثي الشريف أمزيان من مليلية بعد أن أكدوا لهم بأن العمل سيستأنف في اليوم التالي . ثم هاجم رجال الشريف أمزيان العمال ، فقتلوا منهم ستة وجرحوا واحدا ، وذلك بمجرد ما نفذ مارينا وعيده . ولم يمض إلا نصف ساعة على هذه الهجمة حتى قدمت عدة فيالق من الجنود الاسبانيين من مدينة تطوان . وقد وقعت في ذلك اليوم ست معارك بطريقة حرب العصابات .

وفي يوم 10 يونيو بعث الملك الفونسو الثالث عشر ببرقية إلى الجنرال مارينا يهنئه فيها « **بأولى معركة وقعت في عهده** » .

وأعلنت الحكومة الاسبانية في اليوم التالي أنها قررت أن تضع رهن إشارة مارينا كل الوسائل الضرورية « **لعقاب المهاجمين** » .

ألفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا .
CL. TRAMPUS.



سفر الجيش من اسبانيا إلى مليلية « .. وقد اعترضت النساء الاسبانيات على بعث الامداد ... »
ILLUSTRATION-AOUT 1909.

وغادرت الامداد الأولى مدينة برشلونة في نفس اليوم ، أي يوم 11 يوليوز . ولم تراع الحكومة الاسبانية شعور الشعب الاسباني ، إذ لم يكن مستعدا للتورط في الحرب . « **ولا أدل على ذلك من المظاهرات التي نظمت يومي 13 و 15 يوليوز لما اعترضت النساء على ركوب الجيش البواخر ، ومن احتجاج الصحافة على بعث الجنود إلى المغرب** » .

وقد يكون من الممل أن نتعرض للمعارك المائة والثلاث عشرة التي وقعت في هذا الشوط الأول من الحرب التي سماها الاسبانيون حينذاك « **حرب الريف** » . فقد استمرت هذه الحرب من 9 يوليوز إلى 26 نفمبر 1909 . ولنذكر مع ذلك ثلاث معارك وقعت يوم 23 يوليوز ، ومنها وقعة خندق آيت عيسى إذ قتل فيها ثلاث كولونيلات اسبانيين .

وبعد أربعة أيام ، وقعت أربع معارك ، منها معركة خندق الذئب ، إذ قتل فيها الجنرال بينتوس PINTOS . ثم وقعت سبع معارك أيام 7 و 22 و 26 شتمبر . ثم احتل الاسبانيون مدينة الناضور يوم 25 من نفس الشهر ، وبعد ذلك قصبة سلوان . وفي 30 شتمبر قتل الجنرال دييس بيكاريو DIEZ VICARIO في معركة سوق خميس بني بويفرور .

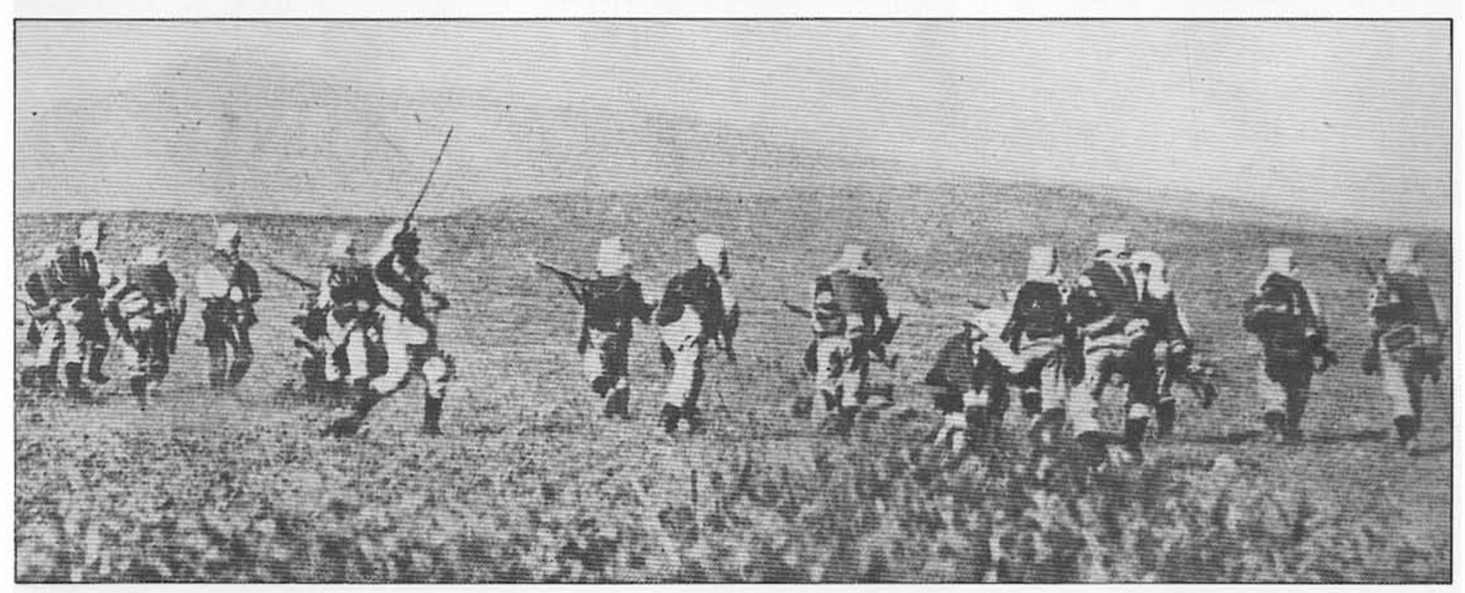
ولما احتل الاسبانيون قرية زغنغان يوم 26 نفمبر اعتبروا أن حرب الريف قد انتهت رسميا . وقد تعمدنا إيراد الكلمة « **رسميا** » لأن الاسبانيين استمروا بعد ذلك في زحفهم ، والمغاربة في مقاومتهم . ودامت هذه الحرب « **غير الرسمية** » من 4 دسمبر 1909 إلى 23 غشت 1911 ووقعت أثناءها 38 معركة .

وليس من شك في أن المخزن لم يكن يستطيع مجابهة المشاكل الكثيرة التي كان يقاسيها . لذلك لبى مطالب الاسبانيين وامضى



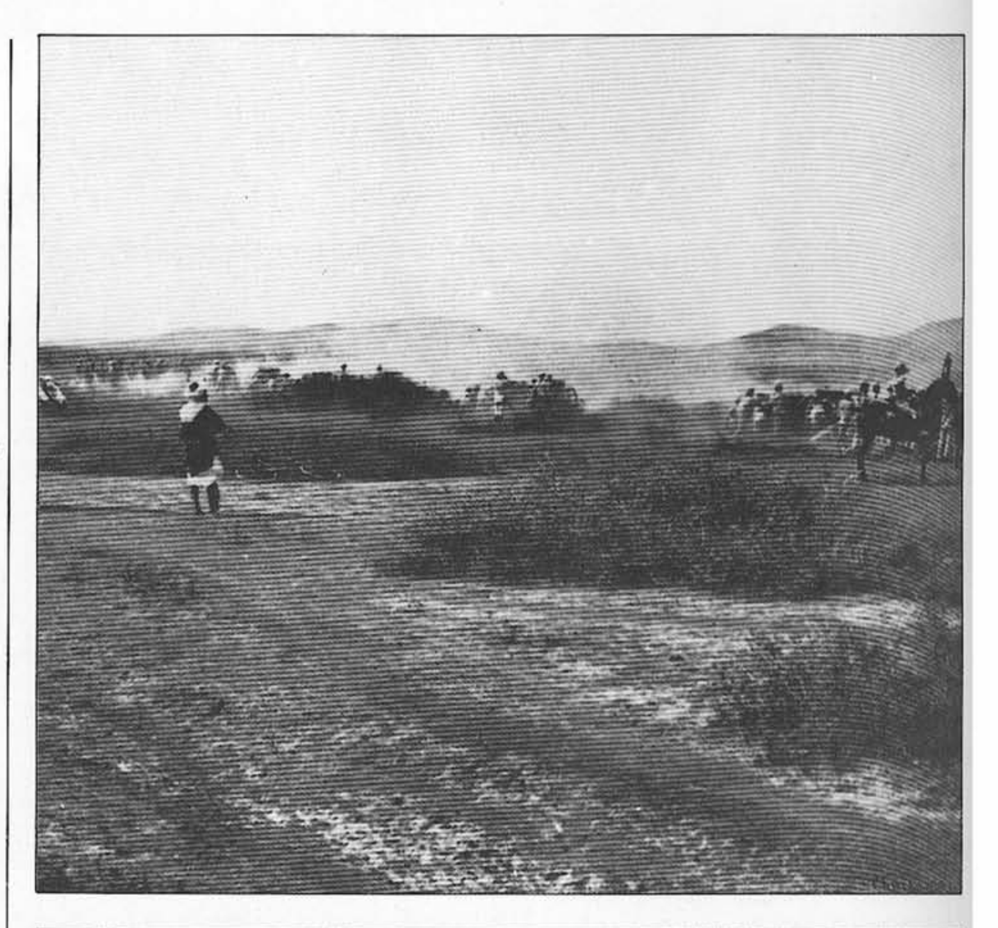
أحد الأطام التي اضطر الاسبانيون إلى بنائها للتحصّن بها .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1909.

مخطّط للمعارك حول مليلية .
ILLUSTRATION-JUILLET 1909.



الاسبانيون وقد أصابتهم طلقات المقاومين .
ILLUSTRATION-JUILLET 1909.

الشريف امزيان



معسكر بالناضور – الاستعداد للمعركة .
مجموعة صور ابن عزوز .

يوم 16 نفمبر 1910 الاتفاقية التي تحتوي على شروط الصلح لفض النزاع بين الجيش الاسباني وسكان الريف . لكن هذه الاتفاقية بقيت حبرا على ورق .

وزار ملك اسبانيا الفونسو الثالث عشر بلاد كرط ومليلية . ورأى أهل الريف في تلك الزيارة غزوا تعديا على بلادهم وعزما على ضمها إلى الممتلكات الاسبانية . وحرص الاسبانيون ، فعلا ، على توسيع المنطقة التي أصبحت تحت نفوذهم ، فاحتلوا زايو وسوق ثلاثاء بني سيدل يوم 12 و 13 ماي ، ووصلوا إلى ضفة نهر كرط .

فعزم الشريف أمزيان وجميع فرق المقاومة على وقف زحف الجيش الاسباني .

وبذلك فتح الشوط الثاني من حرب الريف الذي سماه الاسبانيون « **غزوة كرط** » وقد ابتدأت يوم 24 غشت بمهاجمة اللجنة العسكرية المكلفة بوضع الخريطة ، وانتهت يوم 15 ماي من السنة التالية . وقد وقعت في هذه المدة 124 معركة ، جرت أهمها يوم 23 غشت . وفي يوم 14 أكتوبر وقعت معركة إيزَحَّافَنْ قتل فيها الجنرال دياس أورضني Dias Ordonez .

وفي يوم 15 ماي 1912 استشهد الشريف أمزيان في معركة عزيب علال أوقدور . وكان قد أبلى البلاء الحسن في عشرات المعارك التي خاضها ضد جيش الغزو الأجنبي . وقد أصيب في هذه المعارك 900 جندي اسباني ما بين قتيل وجريح ، من بينهم ثلاثة جنرالات و 11 كولونيلا و 14 كومندانا و 28 قبطانا .

واستمر الجيش الاسباني في احتلال بلاد كرط دون مقاومة تذكر ، إلى أن ظهر بعد تسع سنين زعيم آخر من زعماء المقاومة المسلحة في الشمال ، وهو محمد بن عبد الكريم الخطابي .



جنود اسبانيون وقد جرحوا في الجبهة .
Illustration-juillet 1909.

الحماية

اتفاقات دبلوماسية تمهيدية

مع بريطانيا العظمى

التصريح الفرنسي الانجليزي حول مصر والمغرب الممضى بلندن يوم 8 أبريل 1904

إن الحكومة البريطانية تعترف لفرنسا بصفتها « **دولة متاخمة للمغرب في مجال واسع** » بأن لها أن تحرص على أن يعم الامن البلاد وبأن « لها أن تساعد المغرب على إنجاز جميع الاصلاحات الادارية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي يحتاج إليها » . ولن تعرقل الحكومة البريطانية عمل فرنسا من أجل ذلك ، على شرط أن لايكون في عملها مس بالحقوق التي تستفيد منها بريطانيا العظمى في المغرب .

إن الحكومتين « تراعيان مراعاة خاصة » المصالح التي يخولها اسبانيا موقعها الجغرافي وممتلكاتها الترابية في الشاطىء المغربي المطل على البحر الابيض المتوسط .

مع اسبانيا

المعاهدة السرية الفرنسية الاسبانية الممضاة بباريس يوم 3 أكتوبر 1904

تنضم اسبانيا بمقتضى هذه المعاهدة إلى التصريح الفرنسي الانجليزي المؤرخ بثامن أبريل 1904 . وتحدد هذه المعاهدة السرية « مناطق النفوذ » التي تخولها اسبانيا اعتمادا على ما تملكه من تراب على الساحل المغربي المطل على البحر الابيض المتوسط ، كما تؤكد تسليم اسبانيا مقاطعة إيفني ، وتحد ، في الخرائط حدود البلاد التي خولت اسبانيا إدارتها فيما بعد .

– وتعترف فرنسا لاسبانيا في هذه « المناطق التي وضعت تحت نفوذها » بنفس الحقوق التي اعترفت لها بها بريطانيا العظمى على باقي التراب المغربي ، على أن تمارس هذه الحقوق باتفاق مع فرنسا ولمدة لا تتعدى 15 سنة .

– واتفق الطرفان على تنسيق عمل جيشيهما وعلى عدم الاستعانة بدولة أجنبية ، وعلى أن يشتركا في إنجاز الاشغال العمومية وفي استغلال المناجم وفي جميع المشاريع الاقتصادية بصفة عامة .

– واتفق الطرفان على عدم تغيير وضع طنجة الخاص .

المعاهدة الفرنسية الاسبانية حول « وحدة المملكة المغربية » الممضاة بباريس يوم 3 أكتوبر 1904

معاهدة الجزيرة الخضراء المؤرخة بسابع أبريل 1906

أمضت هذه المعاهدة الدول المذكورة فيما يلي :

ألمانيا والنمسا – هنغاريا وبلجيكا واسبانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا والمغرب وهولاندا والبرتغال وروسيا والسويد .

– يحدو الدول الممضية « حرصها على أن يعم المغرب النظام والسلم والرخاء . وتؤمن هذه الدول بأن هذا الهدف لايمكن بلوغه إلا بإنجاز إصلاحات أساسها المبادىء الثلاثة ، وهي سيادة صاحب الجلالة السلطان واستقلاله ووحدة تراب ايالته ، والحرية الاقتصادية بدون تمييز . »

ويشتمل نص المعاهدة على 119 فصلا موزعة على ست وثائق ، وهي :

تؤكد هذه المعاهدة محتوى المعاهدة السرية السابقة وتبرز « حرص الطرفين على وحدة المملكة المغربية وسيادة السلطان » .

1 - التصريح المتعلق بتنظيم الشرطة ؛
2 - اتفاق حول مراقبة تهريب السلاح وردع التهريب ؛
3 - العقد المتعلق بإنشاء بنك للدولة المغربية ؛
4 - التصريح المتعلق بتحسين دخل الضرائب وإنشاء موارد جديدة ؛
5 - الاتفاق حول نظام الجمارك المغربية وقمع الغش والتهريب؛
6 - التصريح المتعلق بالمصالح العمومية والاشغال العمومية .

ونصت هذه المعاهدة أيضا على أن جميع المعاهدات والاتفاقات التي وقعت عليها الدولة الممضية مع المغرب تبقى نافذة المفعول .

وأوضحت المعاهدة كذلك « أن مقتضيات معاهدة الجزيرة ترجح في حالة تعارضها مع محتويات تلك المعاهدات والاتفاقات »

مع ألمانيا

المعاهدة الفرنسية الالمانية الممضاة ببرلين يوم 4 نفمبر 1911

إن ألمانيا ، بمقتضى هذه المعاهدة :

– تلتزم بعدم عرقلة عمل فرنسا فيما يتعلق بإنجاز الاصلاحات الادارية والقضائية والاقتصادية والمالية والعسكرية في المغرب « على شرط ضمان مساواة الدول في الميدان الاقتصادي في المغرب » .

– تعترف لفرنسا بكامل حرية تصرفها فيما يتعلق بمدى مراقبتها وحمايتها للمغرب « بشرط المحافظة على الحرية التجارية التي تضمنتها الاتفاقيات السابقة » . ولن تعرقل ، حقوق بنك الدولة المغربية ولا أعماله ، كما نصت على ذلك معاهدة الجزيرة الخضراء .

– لاتعوق فرنسا عن احتلال أجزاء التراب المغربي احتلالا عسكريا .

تبادل رسالتين بتاريخ 4 نوفمبر 1911 بين ألمانيا وفرنسا حول الحماية

– إن ألمانيا تصرح – وفرنسا تسجل – بأن للحكومة الفرنسية أن تجعل المغرب في حمايتها . ولا تمانع الحكومة الالمانية في ذلك .

– إن فرنسا تؤكد لالمانيا أنها – إن ترد استلام غينيا الاسبانية وجزيرة كوريسو Coriso وجزر إيلوبي Elobey – تتنازل لها عن حقوق الاسبقية التي خولها إياها اتفاق 27 يونيو 1900 المبرم بين فرنسا واسبانيا .

– وفي مقابل ذلك تلتزم ألمانيا لفرنسا بالتنازل عن أي مطلب إذا ما أبرمت معاهدات بين اسبانيا وفرنسا حول المغرب . وقد أوضحت الرسالة الفرنسية بأن « المغرب يشتمل على كل أجزاء شمالي افريقيا الممتدة بين الجزائر وافريقيا الغربية الفرنسية ومستعمرة وادي الذهب الاسبانية »

قنبلة الدار البيضاء

30 يوليوز 1907

علال الخديمي

بينما كان المخزن يحاول إقناع الفرنسيين بالجلاء عن وجدة ، كانت الأوساط الاستعمارية تبحث عن ذرائع لمزيد من التدخل العسكري في المغرب . وبعد احتلال وجدة بأربعة أشهر ، جرت وقائع أخرى على الساحل الأطلسي هذه المرة ، كانت الدار البيضاء مسرحا لها .

أهمية الدار البيضاء والتدخل الأوروبي

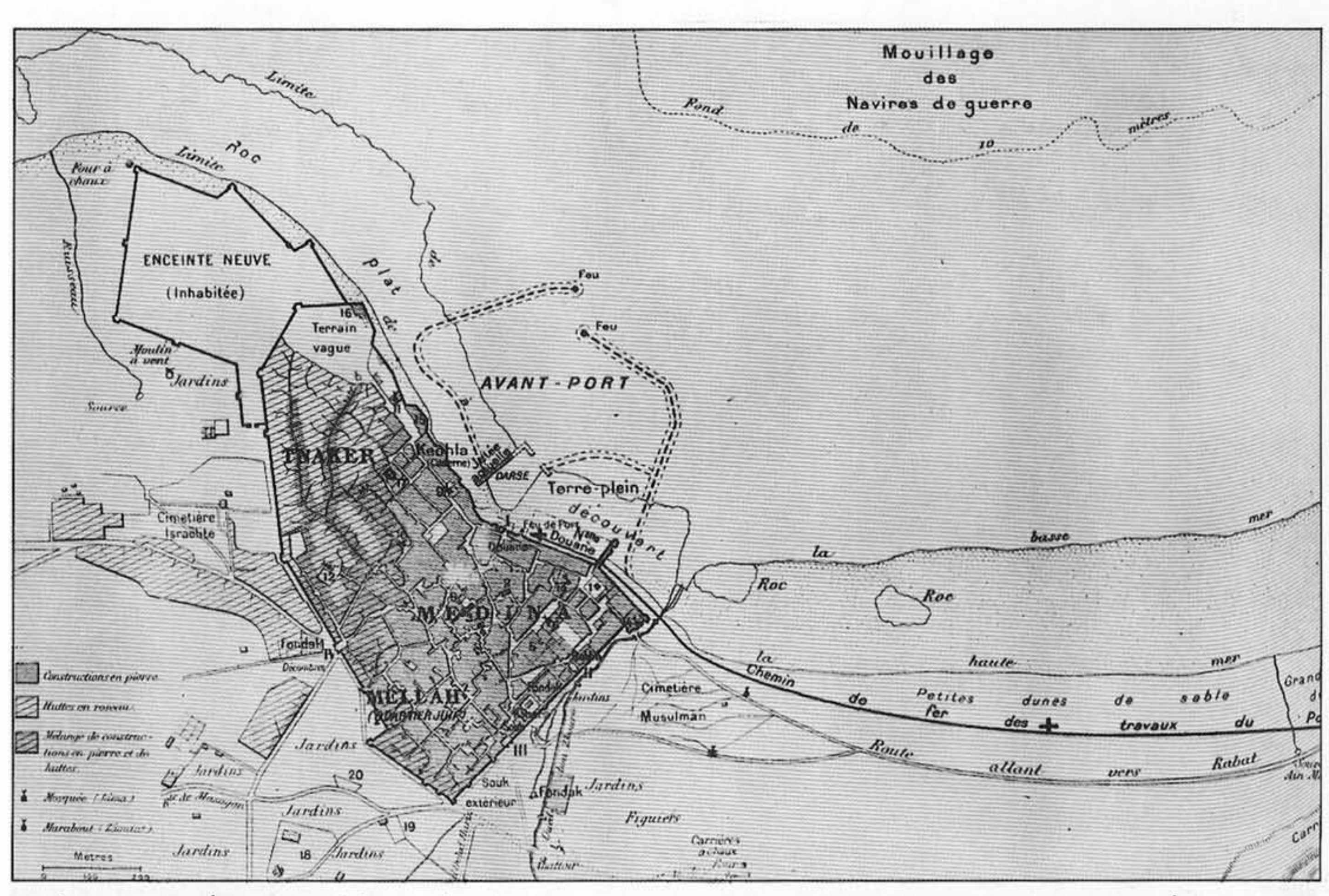
كانت الدار البيضاء سنة 1907 تعرف ازدهارا كبيرا ، نتيجة للتطور الاقتصادي الذي عرفته طيلة القرن التاسع عشر . وقد نتج هذا التطور عن موقع المدينة على المحيط الأطلسي وتوفرها على مرسى عميق ، وعن غنى منطقتها بمختلف المواد التي كانت أوروبا في حاجة إليها .

ومن أهم هذه المواد ، التي كان التجار يتهافتون عليها ، الأصواف ، والحبوب ، خاصة بعد أن عرفت أوروبا بعض الأزمات الناتجة عن ارتفاع أسعار تلك المواد ، ولحاجة الصناعة إلى الأصواف وللطلب المتزايد على الحبوب المغربية .

وهكذا بدأ اهتمام التجار والشركات الأجنبية بالمدينة منذ وقت مبكر وخاصة منذ

منظر من الدار البيضاء سنة 1907 .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.





الدارالبيضاء – المدينة والمرسى .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

1830 ، حيث أسست مراكز تجارية لشراء الأصواف والحبوب وتصديرها لأوروبا ، ثمَّ بدأ توافد الجالية الأجنبية مع تزايد أهمية المدينة ، واستقر بها القناصل ، واتسعت المبادلات مع القبائل المجاورة نتيجة لنظام الحماية القنصلية والمخالطات الفلاحية .

كانت أقاليم الشاوية ، وورديغة وزعير تنتج صوفا جيدا ، وكان ثمن الصوف المغربي زهيدا إذا ما قورن بأثمانه في أوروبا . ولذلك تهافتت المؤسسات التجارية على المدينة . وقد ساعد ذلك توفر المدينة على مرسى عميق مكنه أن يستقبل السفن الكبيرة التي كانت تأتي محملة ببضائع مصنعه ، لتصريفها في السوق المغربي ، بعد أن تم انفتاح المغرب على أوروبا منذ منتصف القرن . أما المواد التي كانت تصدر فهي الأصواف ، والحبوب ، مثل القمح والذرة والزوان . وكانت هذه المواد تأتي للمدينة في مواسم الانتاج ، حيث كانت قوافل الجمال لاتفتأ تتردد بين المدينة والأقاليم المجاورة .

تطور السكان

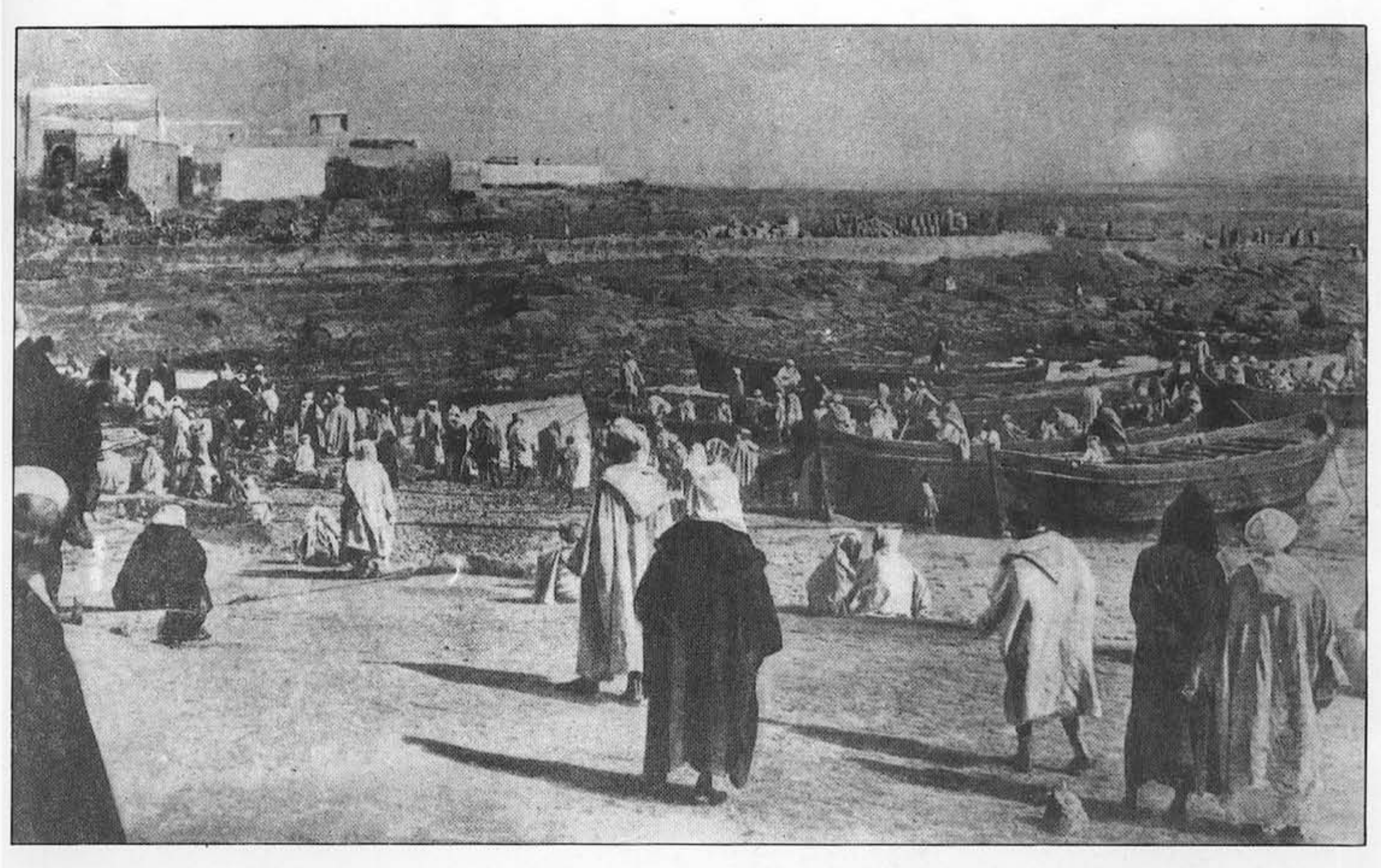
ونتيجة لهذا النشاط الاقتصادي ، فقد ازداد عدد سكان المدينة بشكل سريع ، حيث انتقل من 1000 نسمة في سنة 1857 إلى 30.000 نسمة في سنة 1907 .

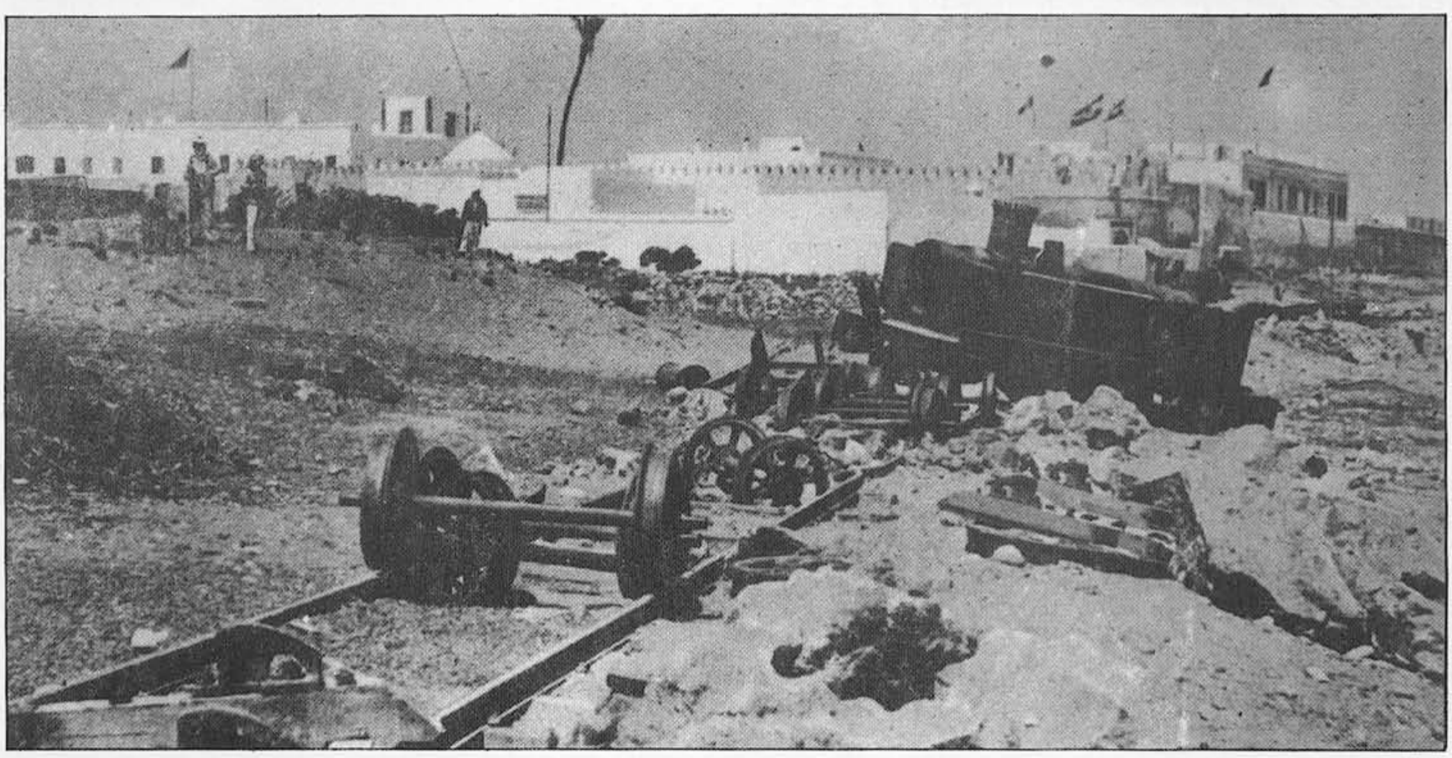
ويرجع هذا التزايد إلى توافد مهاجرين من المدن الأخرى كفاس والرباط ومراكش وخاصة من القبائل المجاورة .

وكان السكان يتألفون من جالية أجنبية كبيرة تسيطر على الحياة الاقتصادية نتيجة لامكانياتها المادية ونفوذ دولها ، في حين أن السكان المغاربة كانوا ينقسمون إلى قسمين : اليهود ، وكان من بينهم تجار الميناء محميين ، مرتبطين بالجالية الأجنبية .

أما المسلمون فكانوا الأغلبية . ورغم وجود طائفة من التجار الأغنياء بينهم فإن الغالبية كانت متوسطة أو فقيرة ، تعيش من العمل عند الشركات الأوروبية والتجار ، أو في الميناء ، كالحمالين والبحارة وكان عددهم كبيرا ، لأن عملية الوضع والوسق كانت تتم بواسطة القوارب الصغيرة .

ونظرا لهذه الأهمية الاقتصادية ، فقد أصبحت الدار البيضاء محط اهتمام الأوساط الاستعمارية التى بدأت تولي الساحل الأطلسي





الدار البيضاء

ميناء الدار البيضاء عند أقصى الجزر .
ILLUSTRATION-JUIN 1910.

أهمية كبرى ، في نطاق صراع المصالح الأوروبية حول المغرب .

وقد ازدادت هذه الأهمية منذ 1906 لما حصلت فرنسا واسبانيا في مؤتمر الجزيرة على امتياز تنظيم الشرطة في موانئ الأطلسي الثمانية ، وعلى رأسها الدار البيضاء .

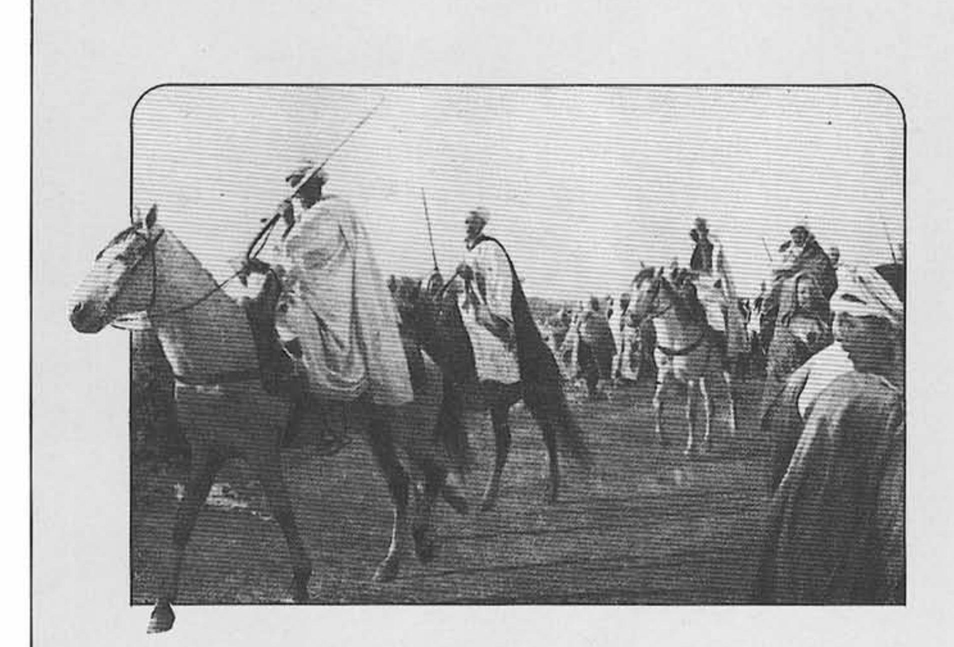
وقبل هذا كانت فرنسا قد حصلت على امتياز إصلاح ميناء المدينة حيث بدأت La Compagnie Marocaine أشغال الاصلاح في صيف 1907 ، كما تمكنت فرنسا بعد احتلال وجدة من الضغط على المخزن ليقبل الشروع في تطبيق المراقبة المالية بالديوانة ، وتنظيم البوليس حسب عقد الجزيرة . وقد انتبه المغاربة لهذه الأطماع ، وخاصة سكان قبائل الشاوية الذين أضرّ بهم التدخل الأوروبي ، ونافسهم ، في شراء المواد الاستهلاكية وفي احتلال الأرض وقطعان الماشية . وقد ازداد التذمر ، بشكل واضح بعد انتشار أخبار احتلال وجدة ، وإصرار الفرنسيين على السيطرة على المغرب .

ومن الطبيعي أن يثير هذا التدخل المتزايد ، ردود فعل وطنية ، وبالضبط ضد الفرنسيين ، وفي الدار البيضاء ، التي حصلوا فيها على امتيازات اعتبرها المغاربة على مختلف مستوياتهم ، إضرارا بمصالحهم واستغلالا لبلادهم وغزوا لها .

وهكذا عارض الأمناء المراقبة المالية ، التي اعتبرتها السلطات المغربية تحجيرا عليها وتضييقا . وعارض سكان المدينة والقبائل المجاورة بناء خط حديدي قرب الميناء ، خوفا من أن يكون خطوة في سبيل السيطرة على بلادهم ، واستغلت الأوساط الأوروبية المتنافسة هذه التطورات لتزيد من تحريض النفوس . وهذه الحالة هي التي دفعت بحشد من السكان الغاضبين إلى الهجوم على الخط الحديدي الصغير وتحطيمه وتخريب عربات[1] نقل الأحجار ، وقتل 9 من عمال La Compagnie Marocaine في يوم 30 يوليوز 1907 .

ما هي الأسباب والدوافع الحقيقية التي أدت إلى هذا الحادث ؟ ولماذا قتل عمال الميناء ، وليس غيرهم من سكان المدينة الأوروبيين ، الذين كانوا يعيشون في أمن شامل ؟

لقد دأبت الكتابات الاستعمارية ، القصيرة النظر ، على ترديد سبب وحيد مؤداه أن المغاربة « المتوحشين » انزعجوا من صغير قاطرة Decauville الصغيرة ، التي كانت تنقل



بعض خيالة الشاوية .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1907.

وابتدأت العمليات ، فتقدم الخيالة . ثم تراجعوا لما رأوا العدو كثير العدد . وكنت ترى ، في البسيط وعلى المرتفعات ، أعدادا كبيرة من الخيالة المغاربة يركضون يمنة ويسرة ، ويتدربون في غير نظام ، لكن بشجاعة نادرة . ثم أطلقت المدافع النار ، لكن بدون كبير فائدة . وما يجدي أحذق المدفعيين وأدق المدافع مع أعداء سريعي الحركة مثل خيالة الشاوية ؟ إذا رمينا المقاتلين المجتمعين في قمم الجبال ، انتثروا ونزلوا إلى السهل . وإذا تعقبناهم وأرسلنا عليهم قذائف المدافع تشتتوا مثل الغبار قبل أن نضبط تسديد المدافع .

"Au Maroc avec le Général d'Amade", Reginald RANKIN-Paris 1909.

[1] في يوم 30 يوليوز ، غضب السكان وهاجموا السكة الحديدية .
عن Weisgerber
"Au seuil du Maroc moderne" 1947.

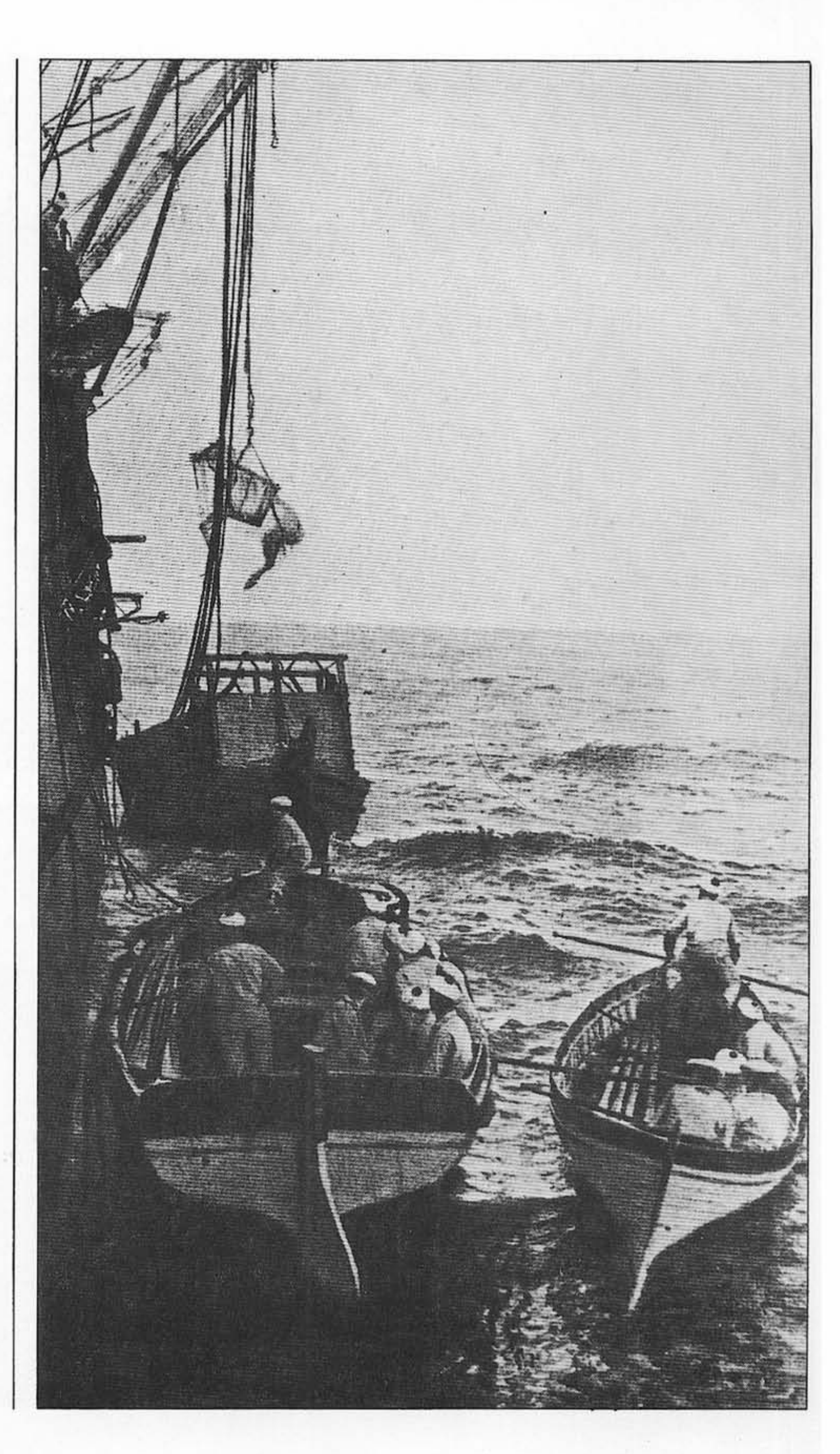
الأحجار إلى الميناء ، حيث اعتبروا ذلك نذير شؤم .

ودون أن نكلف أنفسنا تسفيه هذا الرأي الذي يسفه نفسه ، ويفضح النوايا المبيتة وطبيعة الأفكار الاستعمارية ، فلا يسعنا إلا أن ننبه ، إلى أن دوافع ما حدث متعددة وعميقة يمكن تلمسها فيما أشرنا إليه من ضغوط فرنسية ، ودسائس استعمارية ، وليس هنا مجال لتفصيل ذلك .

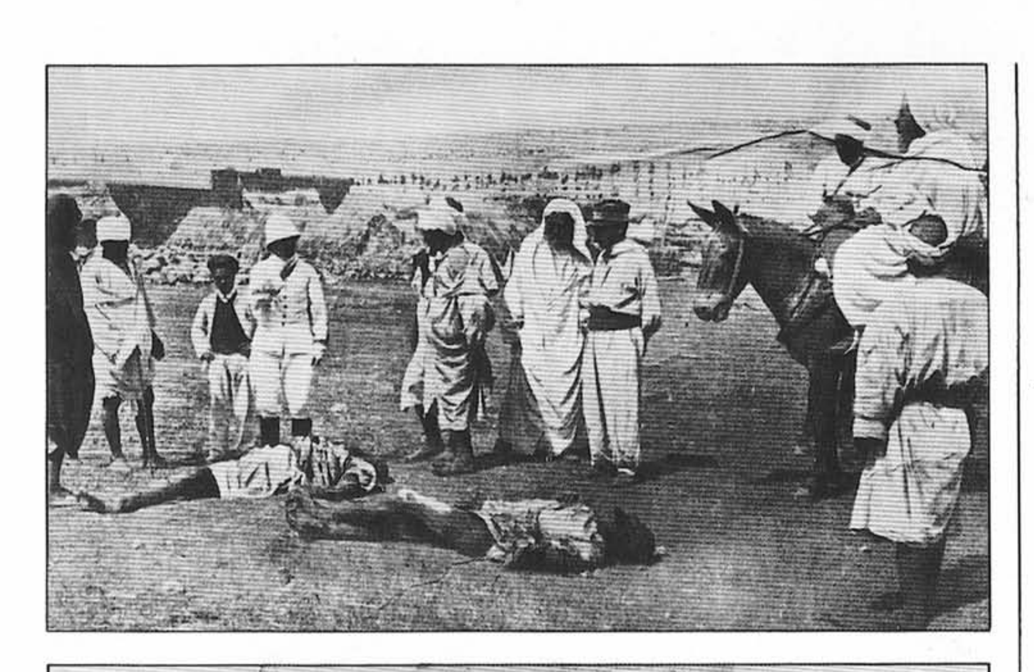
كان حادث **30** يوليوز يمكن أن يمر كسابقيه دون أن يثير ردود فعل دموية من طرف الفرنسيين . وكان يمكن أن يؤدي إلى مطالب جديدة بالتعويضات ، أو يثير مزيدا من التدخل في الحدود الشرقية ، خاصة وأن القتلى لم يكونوا موظفين رسميين ، ولم يكن من بين العمال التسعة القتلى إلا ثلاثة فرنسيين ، والباقي من الايطاليين والاسبان .

لكن الذي حدث شيء آخر . لقد أقدم الفرنسيون على استنفار قواتهم بالجزائر ، وأسطولهم بالمتوسط واتخذت الحكومة الفرنسية قرارات موافقة لرغبة الأوساط الاستعمارية بطنجة وباريز ، تقضي بإنزال جيش بالدار البيضاء لتلقين المغاربة درسا قاسيا ومعاقبة قبائل الشاوية عقابا صارما على ما اقترفوه !

ولقد كانت هذه التبريرات التي أعلنتها الحكومة الفرنسية مجرد تغطية لتدخلها العسكري ، وتمويه على الرأي العام الخارجي والداخلي . ذلك أن المعارضة البرلمانية بزعامة الاشتراكيين كانت تعارض المغامرة الفرنسية في المغرب خوفا من أن يؤدي ذلك إلى مزيد من التعقيدات الدولية . كما كانت الحكومة الفرنسية تحسب للمعارضة الألمانية ألف حساب . ولذلك أكدت على أن التدخل الفرنسي يدخل في إطار مقررات الجزيرة ، لتنظيم البوليس بالدار البيضاء ، وحرصت على مشاركة إسبانية رمزية ، فطاوعتها حكومة مدريد .



الجيش الفرنسي ينزل بميناء الدار البيضاء .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

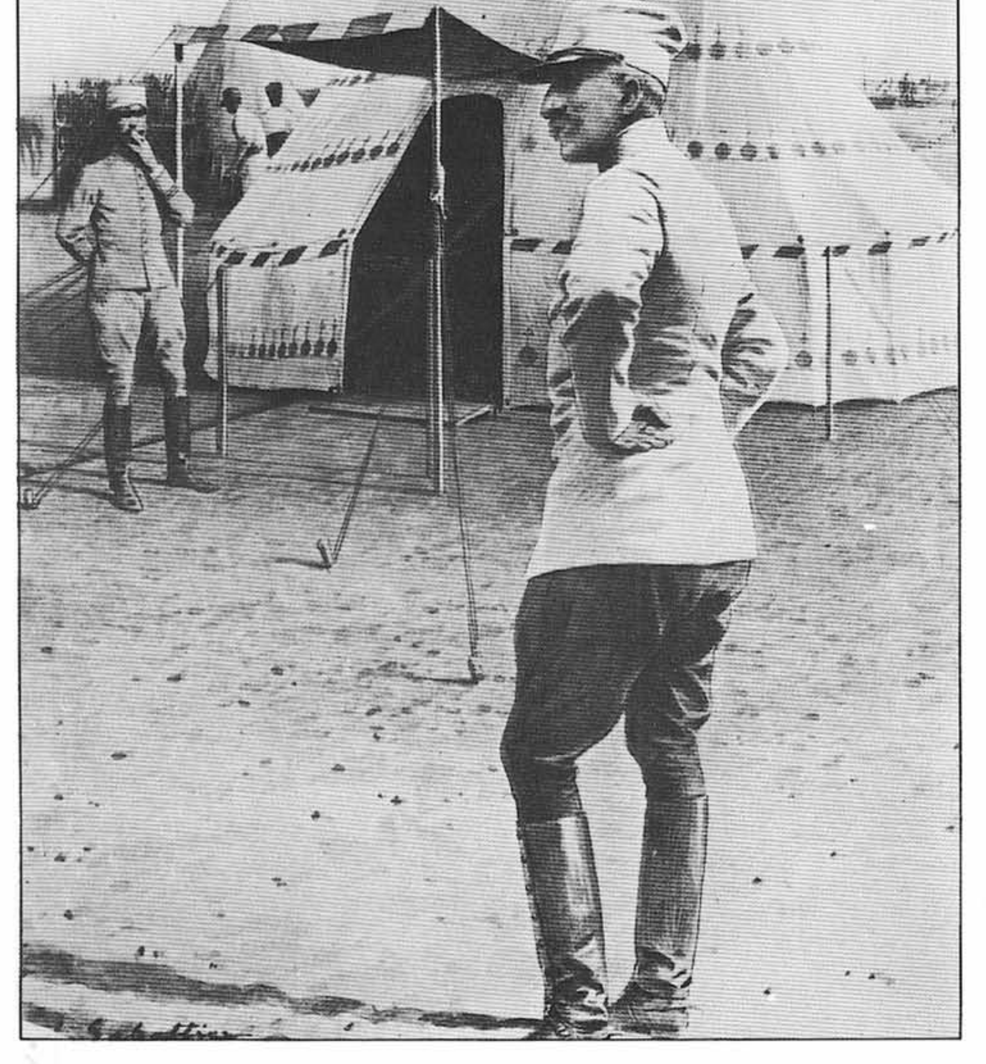


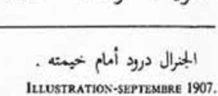
صورة مدنيين وقد أعدما .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

القنبلة أو الجريمة المبيتة

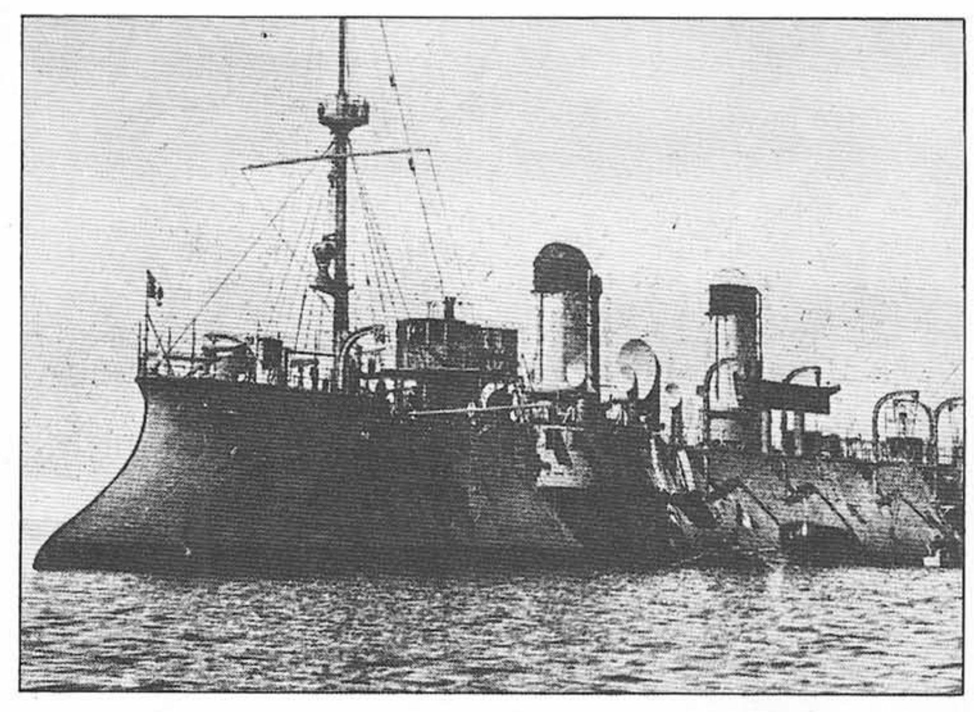
في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات جارية ، لتنظيم حملة عسكرية ونقلها من الجزائر إلى الدار البيضاء ، وفي الوقت الذي كان فيه الأسطول بقيادة الأميرال PHILIBERT يستعد لنقل الفرق العسكرية التي أسندت قيادتها للجنرال DRUDE ، كانت المفوضية الفرنسية بطنجة قد. أرسلت على عجل منذ 31 يوليوز الطراد GALILLÉE بقيادة OLLIVIER ، الذي وصل إلى الدار البيضاء يوم 1 غشت . وقد اتفق هذا الأخير ، مع المكلف بأشغال المفوضية SAINT AULAIRE ، على خطة غادرة ، الهدف منها ، خلق السوابق والأسباب لتدخل فرنسي واسع بالبيضاء كخطوة لاستعمار المغرب ، وإرهاب سكان المدينة بشكل يجعل المغاربة ، يتخلون عن كل مقاومة للقوات الفرنسية المتفوقة . وتظهر هذه النوايا المبيتة ، فيما ذكره SAINT AULAIRE من أنه كان سيشاهد تزايد النفوذ الألماني في المغرب ، ومعارضة المغاربة للمشاريع الفرنسية ، وهو عاجز عن رد الفعل ، كما أشار في مذكراته إلى أن الأسطول الفرنسي ، الذي زار الشواطئ المغربية سنة 1906 ، والقطع التي ظلت تتردد على المراسي المغربية ، لم تحدث أي خوف ولا إرهاب للمغاربة . وتأسف على أن مجال التحرك العسكري للفرنسيين ظل محدودا في الحدود الجزائرية المغربية .

كان سانتولير SAINT-AULAIRE ينتظر إذن – بالاتفاق مع رئيسه REGNAULT – فرصة أخرى للتدخل العسكري ، في مكان آخر غير الحدود الشرقية ؛ ومنحه حادث 30 يوليوز هذه





الجنرال درود أمام خيمته .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1907.



الباخرة كاليلاي Galilée التي قنبلت الدار البيضاء .
Illustration-aout 1907.

الفرصة ، التي كان معدا لها بالاتفاق مع Regnault. ولذلك اتفق مع قائد الطراد الحربي – كما أشرنا سابقا – على القيام بعملية إرهاب دموية ضد سكان الدار البيضاء الآمنين .

والجدير بالذكر أن الهدوء كان قد عاد إلى المدينة ، واستتب الأمن بعد حادث 30 يوليوز ، ونزلت محلة من الجيش يقودها مولاي الأمين بالمدينة ، وتكلفت فرقة من الجنود المغاربة بحراسة القنصلية الفرنسية . ورغم ذلك أخذ قائد الطراد Galilée يتحرش بالمدينة منذ وصوله يوم 8 غشت 1907 ويملي الأوامر على السلطات المغربية بها ، فأنزل صناديق مملوءة بالذخيرة والسلاح بدعوى أنها مواد غذائية موجهة للقنصلية . ولما أحس باقتراب وصول الأسطول الفرنسي ، اتفق مع مولاي الأمين على فتح باب الديوانة لتنزل منه فرقة من البحارة بدعوى حماية القنصلية الفرنسية .

وفي فجر 5 غشت نزل حوالي 70 بحارا مدججين بالسلاح ، واتجهوا نحو باب البحر ، بعد أن اتفقوا مع قائدهم ، على رفع علامة « قنبلوا » حالما يصلون إلى القنصلية .

وقد ادعى الفرنسيون أن الباب قد أغلق في وجه الفرقة التي أصبحت في خطر ، وأن طلقات نارية وجهت لها ، مما أدى إلى جرح قائدها . وكان هذا الحادث المزعوم كافيا ، لافراغ تلك الفرقة رصاص بنادقها في أجسام الجنود المغاربة الذين كانوا مصطفين على طول الطريق من باب المرسى إلى القنصلية الفرنسية ، حيث أردوا قتلى .

وبعد هذا الغدر الذي لايمكن تبريره ، انطلقت أحداث الجريمة البشيعة ، بشروع الطراد Galilée في قنبلة الحي العربي من المدينة . وهكذا أمطرت المدينة بوابل من قنابل Milinite ، مما



مولاي الامين بالدار البيضاء .
Illustration- septembre 1907.

الدار البيضاء

أدى إلى قتل آلاف السكان الأبرياء وتخريب الدور والمتاجر . وفي نفس اليوم وصل الطراد Du Chayla وشرع في القنبلة بدوره بعد أن نزل حوالي 200 بحار إلى المدينة . وبينما كانت السفينتان تقنبلان المدينة كان الفرنسيون بالقنصلية يطلقون الرصاص على كل هارب من جحيم القنبلة .

وهكذا تعرضت مدينة الدار البيضاء يوم 5 غشت ، أي قبل وصول الأسطول الفرنسي بيومين ، لمذبحة رهيبة لايمكن وصفها ، ولا يمكن أن يرتكبها إلا من فقد الاحساس بالانسانية ، ومن أعمت بصره وبصيرته الأطماع الاستعمارية والاحقاد العنصرية .

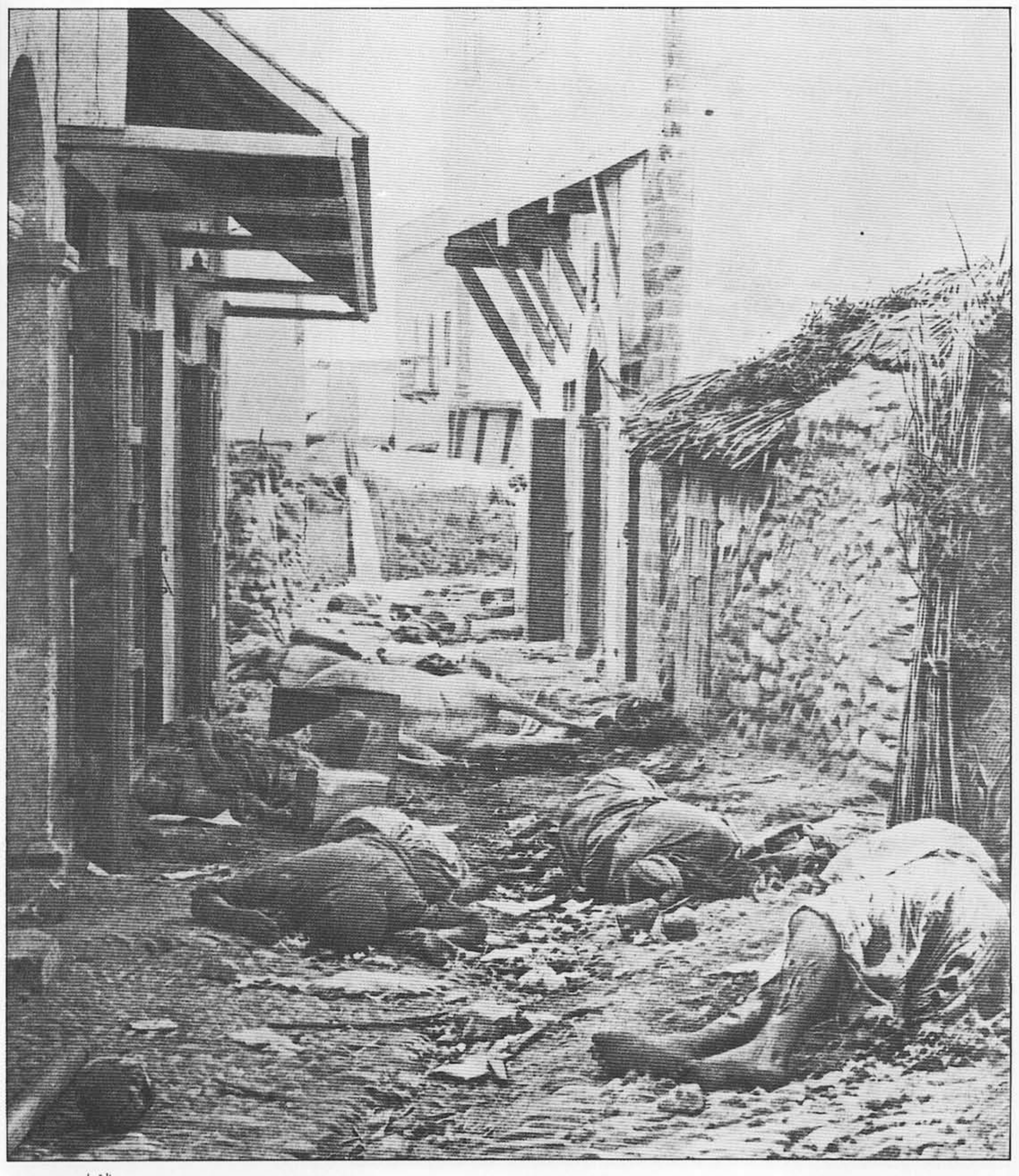
إن الدار البيضاء التي كانت مدينة مزدهرة وعامرة بالنشاط تحولت في يوم 5 غشت إلى ركام من الخرائب والجثث الانسانية والحيوانية ، وعمها الرعب والفزع ، وهرب سكانها الذين بقوا أحياء ولم يفقدوا عقولهم ، وخيم عليها البؤس والأسى .

كيف واجه المغاربة هذه الجريمة ؟ وماذا كان رد فعل سكان المدينة والقبائل المجاورة منذ يوم 5 غشت ، وخاصة منذ وصول الأسطول الفرنسي يوم 7 غشت وشروعه في إنزال القوات الفرنسية بهدف احتلال المدينة وما جاورها ؟ هل حصل الفرنسيون على ما كانوا يرجونه من القنبلة والارهاب ، أم ووجهوا بمقاومة لم تخطر لهم على بال ؟

إن الاجابة عن هذه الأسئلة تتقضى منا الحديث عن دور مقاومة سكان الدار البيضاء وقبائل الشاوية للتدخل الفرنسي سنة 1907 . وهذا موضوع آخر ليس هنا مجال لتفصيله .

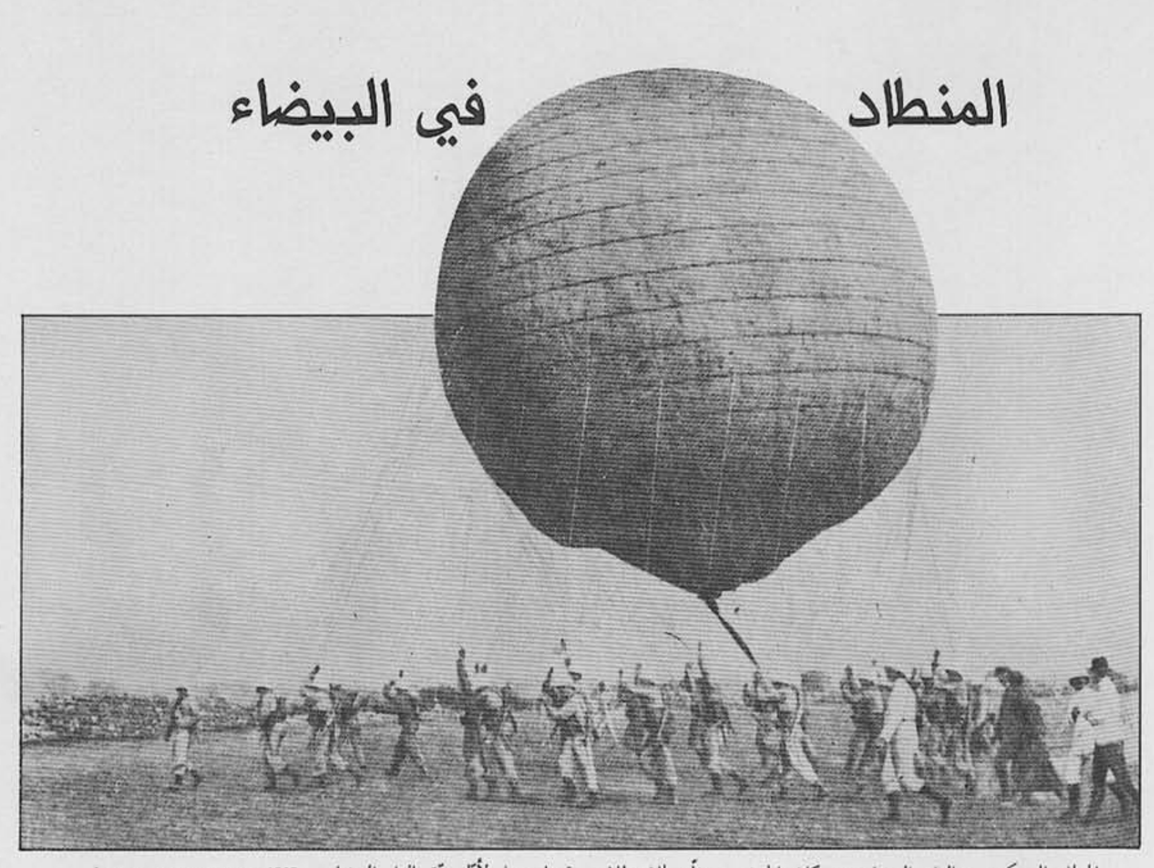
مشهد من الدار البيضاء بعد ما قنبلها الفرنسيون وأحرقوها ...
Illustration-Aout 1907.





التقتيل ...
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

المنطاد في البيضاء



المنطاد العسكري « الدار البيضاء » ، وكان الجيش يستغلّه للاستطلاع . وقد استعمل لأوّل مرّة بالدار البيضاء . ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1907

في أواخر شهر يناير وصلت مدينة الدار البيضاء بمديونة بواسطة جهاز تلغرافي عسكري . وفي شهر مارس أقيم جهاز للتلغراف في برشيد . وبعد ذلك ربطت جميع المراكز بالدار البيضاء بواسطة شبكة عادية .

وقد استعمل المنطاد أثناء العمليات التي قامت بها كتيبة الساحل في غضون النصف الثاني من شهر يناير . لكن لم يلبث أن تبين أنه لم تكن أية فائدة في استعماله . ذلك أن الاستعانة بالمنطاد قد تكون مفيدة إذا كان العدو مستقرا في موقع ما . لكن إذا كان دائم الحركة ، مثل المغاربة ، لايتحصن ولا يتخندق ، فقد يعوق المنطاد عن العمل ويضر . فلما رآه المغاربة مرارا يحلق في السماء عرفوا به مواقعنا ، فاستطاعوا أن يؤمنوا ماشيتهم وزادهم . ولو لم يفعلوا لغنمها الفرنسيون . وقد استعمل الجيش عربة تقوم مقام الخنزيرة عند استخدام المنطاد ، يجرها ستة أفراس . وقد لقبها الجنود « وردان الكتيبة » لضخامتها . وكان المنطاد سببا في قتل عدد من الخيل ، فنقل إلى الدار البيضاء وبعد ذلك إلى فرنسا .

''Au Maroc avec le Général d'Amade'', Reginald Rankin 1909.

مقاومة الشاوية

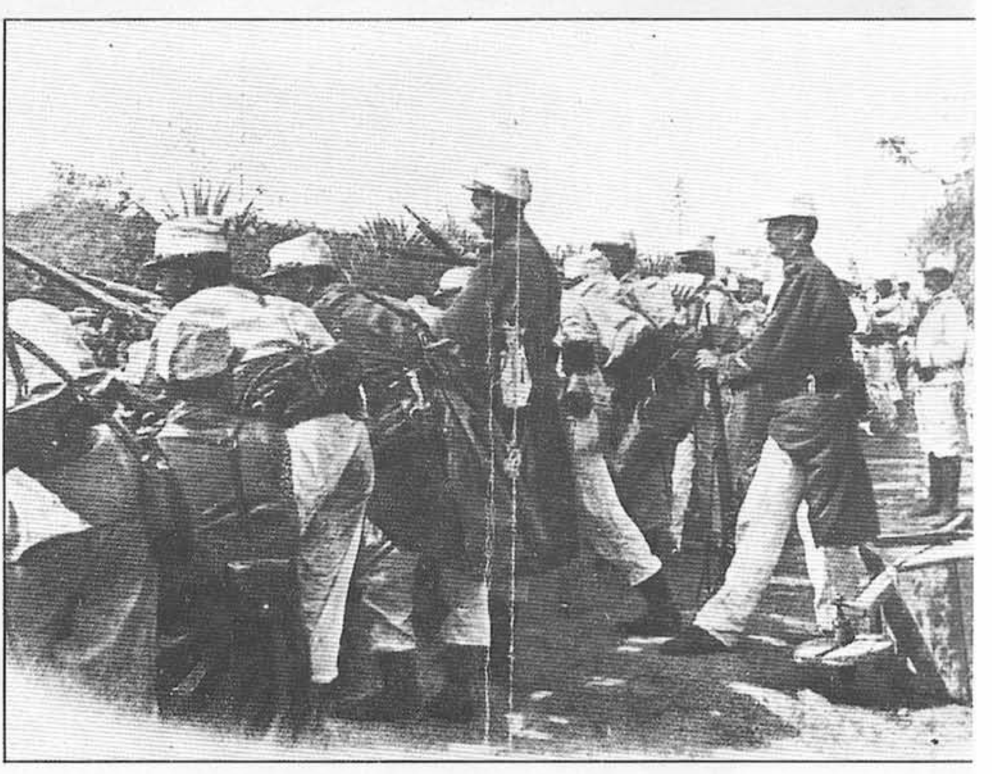
كانت طريقة القتال عند المغاربة تختلف باختلاف قوة الجيش الذي يجدونه أمامهم . فإذا ما وجدوا جيشا قليل العدد ، أغاروا عليه جميعا ، خيالة ورجالة ، بينما تنقض على أجنحته جماعات أخرى عديدة من الفرسان .

وقد عرف جنود الشاوية كيف يكتشفون مواطن الضعف عند العدو ، وخاصة في موقع الرفاخة حيث هاجموا بجموعهم الخيالة الفرنسيين الذين ابتعدوا عن سندهم من المشاة . غير أن هذه الغارات لم تكن ذات خطر على العدو لانها غير منظمة وغير منسقة . على أن كتيبة بوتكور Boutegourd قد حوصرت من كل جانب في موقع المكي ، في حين أن رجال كتيبة طوبان Taupin اضطروا ، لما هوجموا في موقع برابح ، إلى القتال بحرابهم لفك الحصار . وكثيرا ما كان المغاربة يتخذون لهيب النار للاتصال فيما بينهم . وكان طول مدة اشتعال النار أو قصرها بمثابة رموز يتبادلونها .

"Au Maroc le Géneral d'Amade", Reginald Rankin-Paris 1909.

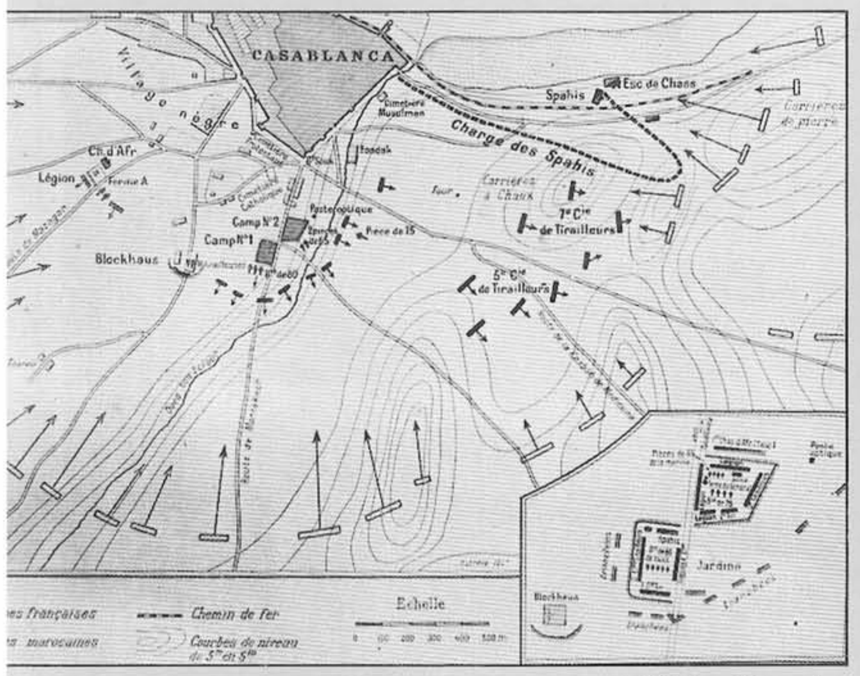


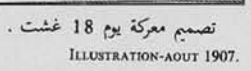
الجيش الفرنسي يطلق النيران حيثما أراد .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

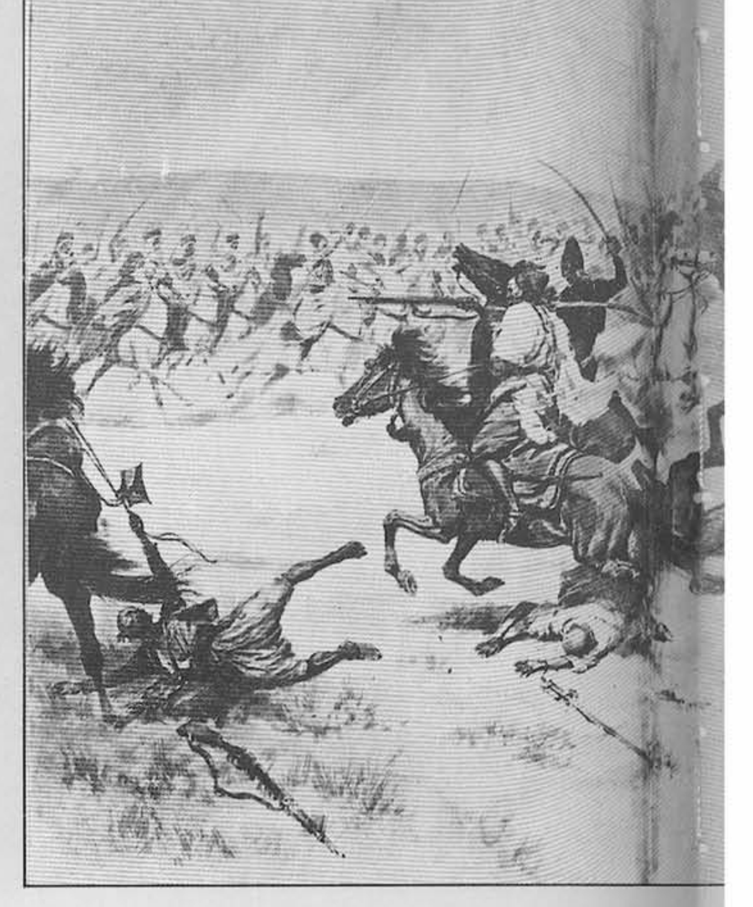


مواقع أهم المعسكرات المغربية بناحية الدار البيضاء .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1907.

قصف مدافع البحرية في معركة 18 غشت .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.




تصميم معركة يوم 18 غشت .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.



معركة حامية الوطيس يوم 31 غشت 1907 قرب الدار البيضاء .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

إحتلال وجدة

علال الخديمي

ظلت مدينة وجدة رمزا لصمود الدولة المغربية في وجه الضغوط الفرنسية المتوالية طيلة القرن التاسع عشر . ولذلك كانت تعتبر ثغرا من الثغور المواجهة لتحديات الأجانب . ورغم موقعها على الحدود الجزائرية المغربية ورغم تواجد الفرنسيين على مسافة قريبة منها ، فقد ظل سكانها محافظين على استقلال بلادهم معارضين لكل تدخل فرنسي مهما كان شكله . وكان عامل المدينة دائما هو الذي يجسم هذه الروح الوطنية . وآخر عامل أظهر معارضته للأطماع التوسعية على حساب وجدة هو أحمد بن كروم الذي قدمت ضده شكاوى عديدة من طرف حكومة الجزائر العاصمة بزعامة Jonnart . وكانت تلك الشكاوى من مبررات احتلال المدينة سنة 1907 .

العلاقات المغربية الفرنسية : 1904 - 1906 :

منذ الاتفاق الفرنسي الانجليزي لـ 8 أبريل 1904 ، اعتبرت فرنسا أن الطريق أصبح مفتوحا أمامها للسيطرة على المغرب .

لكن ما عقب ذلك الاتفاق الودي ، من مشاحنات غير ودية بين فرنسا وألمانيا من جهة وبين المغرب وفرنسا من أخرى ، وخاصة أزمة 1905 ، بيّن للفرنسيين خطأ سياسة دلكاسي رغم ماأزاحته تلك السياسة من عراقيل ، كانت تكبل سياسة التدخل السريع في المغرب .

لكن مؤتمر الجزيرة سنة 1906 الذي قبلته فرنسا مرغمة ، والذي كان المغرب ينتظر منه أن يهتم بما فيه مصلحة المغرب وسعادة المغاربة ، أعطى لفرنسا امتيازات ، اعتبرها زعماء الاستعمار ، مكاسب هامة ، للتدخل السلمي



ديلكاسي ، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي . وإليه كان « جيش افريقيا » يرجع لتوسيع منطقة الاحتلال بالمغرب .
Illustration-13 Novembre 1907.

في المغرب ، جعلتهم يدشنون فترة التدخل السلمي النشيط ، وهي فترة بينت أحداثها الخطأ الذي وقع فيه ساسة أوروبا في الجزيرة ، حيث لم يهتموا إلا بمصالحهم المادية والسياسية ، في حين تجاهلوا رغبة الشعب المغربي في مساعدته على النهوض ، دون الاساءة لاستقلاله وسيادة بلاده ، وهي رغبة عبر عنها المغاربة بوضوح كبير عندما أفشلوا مشروع سان روني طايندي Saint René Taillandier في ماي 1905 . وكان من أهم نقط هذا المشروع بسط النفوذ الفرنسي على مدينة وجدة .

والجدير بالذكر أن مؤتمر الجزيرة الذي لم يقدم حلولا مقبولة لا على المستوى الداخلي بالمغرب ، ولا على المستوى الخارجي ، قد فتح المجال لمزيد من الأحداث الدموية التي هددت مصير المغاربة وكادت أن تشعل نار الحرب بين الدول الاستعمارية .

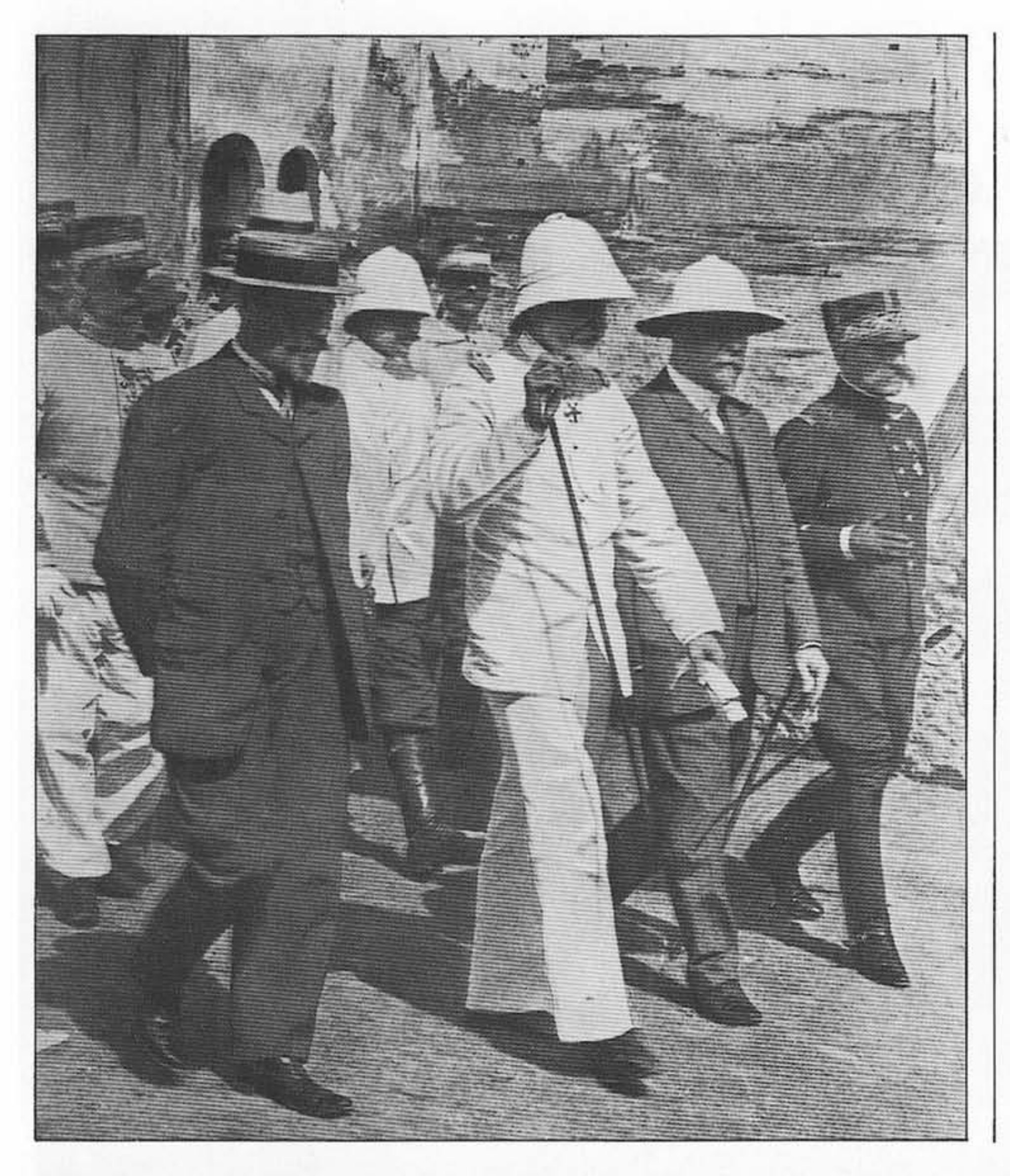
لقد حدث تبدل عميق في عواطف المغاربة ، وعلاقتهم مع الأوروبيين ، بمجرد إعلان نتائج المؤتمر ، وانزعجوا خاصة من الفرنسيين الذين حصلوا على ما سمي بالمصلحة الخاصة لهم من المغرب بدعوى مجاورتهم له . وهكذا بدأ الأوروبيون ، وخاصة الفرنسيين ، الذين كانوا يتمتعون بالأمن التام والحرية المطلقة ، يتعرضون للمضايقة والاختطاف بل والقتل . وكان المغاربة يعبرون بذلك عن رفضهم للاحتلال وتحدي الغزاة الأقوياء .

أما الجانب الفرنسي ، فقد وجد في تلك الحوادث ، ذريعة لسلوك سياسة جديدة تميزت بمضاعفة الضغوط على المغرب ، لارغامه على الخضوع . وقد اقترنت هذه السياسة بتولي Regnault رئاسة المفوضية الفرنسية بطنجة .

عيّن رينيو وزيرا مفوضا بطنجة ، في يوليوز 1906 ، خلفا لـ SAINT RENÉ TAILLANDIER . وكان من الاستعماريين الداعين إلى ممارسة المزيد من الضغط على المغرب ، وكان متمرسا بالشؤون المغربية لأنه ، كان مساعدا لبول كامبون بتونس ، وعين منذ 1904 مندوبا لحاملي أسهم اقتراض 1904 بالمغرب ، ومثل بلاده من مؤتمر الجزيرة .

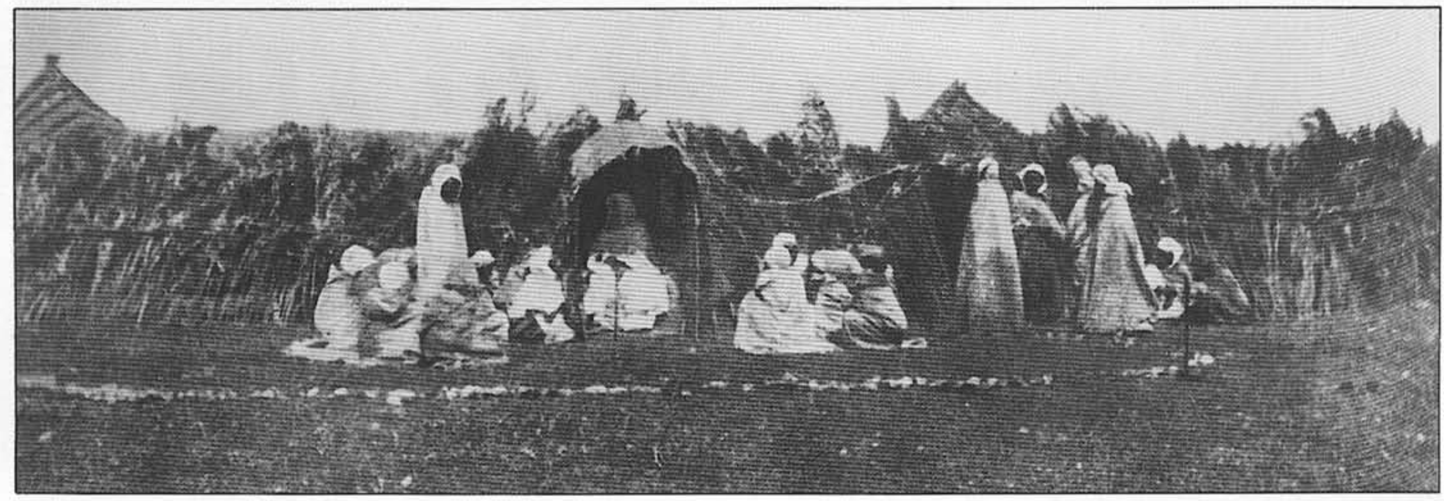
دَوْرُ جونار والضغط العسكري

يدخل تعيين رينيو إذن في إطار السياسة الجديدة التي أرادت الأوساط الاستعمارية سلوكها في المغرب ، وهي سياسة الضغوط المتوالية على المغرب حتى يقبل ، مرغما ، الهيمنة الفرنسية . وكان من أقطاب هذه السياسة حاكم الجزائر العام JONNART الذي لم يفتأ يطالب بحرية تحرك الجيش الفرنسي عبر الحدود المغربية واحتلال المناطق الاستراتيجية في هذه الحدود وأهمها وجدة .



رينُيو (الثاني عن اليمين) وقد حلّ بالدار البيضاء سنة قبل تعيينه بسفارة فرنسا بطنجة .

ILLUSTRATION-30 MARS 1907.



بوعمامة . وقد كان تحريرُهُ أحد شروط الجلاء عن وجدة .

ILLUSTRATION-JUILLET 1907.

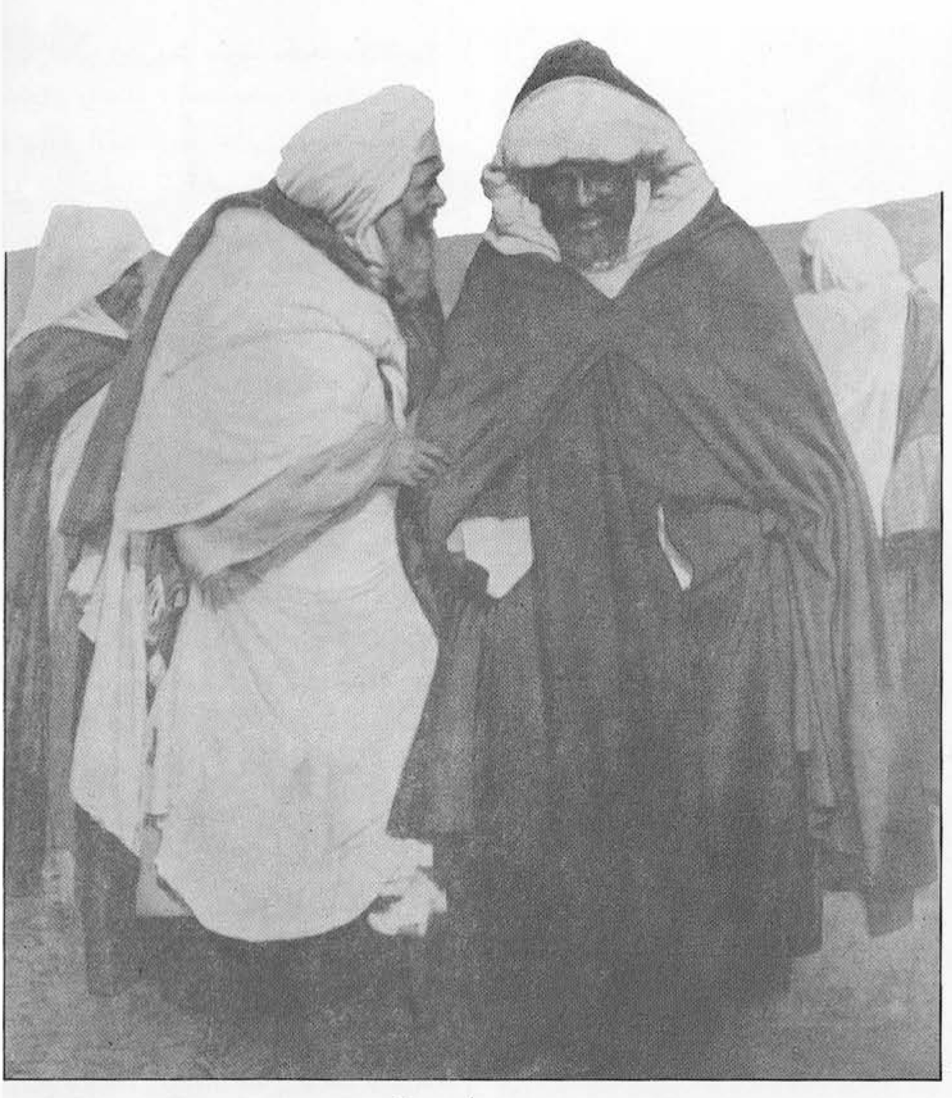
مذكرات من التراث المغربي

لقد سلك JONNART منذ 1905 سياسة تعتمد تجاهل السلطات المغربية والتعامل مع بوحمارة وتشجيع عناصر الفتنة في الحدود كالطيب ولد بوعمامة والضغط على الجيش المغربي عن طريق حجز الأسلحة الموجهة إليه بحرا من طنجة .وستشجع الشركات الفرنسية للتعامل مع بوحمارة وبذل الأموال لكسب بعض العملاء . لكن هذه السياسة فشلت فشلا ذريعا لأن الفرنسيين واجهوا مقاومة مستمرة من السكان ومعارضة صارمة من سلطات المدينة وعلى رأسها أحمد بن كروم . وقد حاول المخزن اقناع الفرنسيين بطرق سلمية . ثم قرر استخدام القوة ضد بوحمارة والشركة الفرنسية المتعاملة معه قرب الناضور في MAR CHICA . ولكن الحكومة المغربية كانت من الضعف والعجز بحيث لم تستطع تنفيذ إرادتها ، خاصة بعد أن هدد REGNAULT باتخاذ إجراءات مضادة إذا تعرض العاملون في الشركة إلى مكروه .

ونتيجة لهذه الضغوط الفرنسية المباشرة وغير المباشرة ، ازدادت مقاومة الشعب للفرنسيين ، الذين أصبحوا هدفا لردود فعل غاضبة .

ورغم أن الأوروبي أصبح شيئا غاليا وسهل الكسر ، ورغم أن المغاربة أخذوا يحتاطون ويبتعدون عن الأوروبيين ، خوفا من المطالبات الخيالية بالتعويض عن كل حادث حقيقي أو مصطنع - (طالب P. AZAM وموجان MAUGIN بتعويضات وبسجن مغاربة ادعيا أنهم أساؤوا إليهما في سوق الغزل بوجدة . فسجن المغاربة وقدم العامل أعذاره . وقد علق AZAM بقوله :

« **إن هذا كان ضروريا للمحافظة على الهيبة الفرنسية في أعين السكان** ») - فإن التصرفات الطائشة لبعض الفرنسيين جعلتهم يؤدون ثمنها غاليا . فقد تعرض أحد العملاء التجاريين اسمه LASSALAS إلى الجرح بحوز مراكش . وقتل آخر بحوز طنجة اسمه CHARBONNIER وتعرض ثالث للهجوم بفاس اسمه GIRONCOURT . رغم انزعاج



عامل وجدة احمد بن كروم (عن اليمين) وقائد أنكاد .
ILLUSTRATION-JUILLET 1907.

الفرنسيين من هذه الحوادث التي كانت تعنيهم بالخصوص ، فإنهم وجدوا فيها السبيل لممارسة ضغوط عسكرية ومالية على المخزن المغربي بهدف إضعافه ، ودفعه للتعاون مع الفرنسيين وتسهيل سيطرتهم على البلاد .

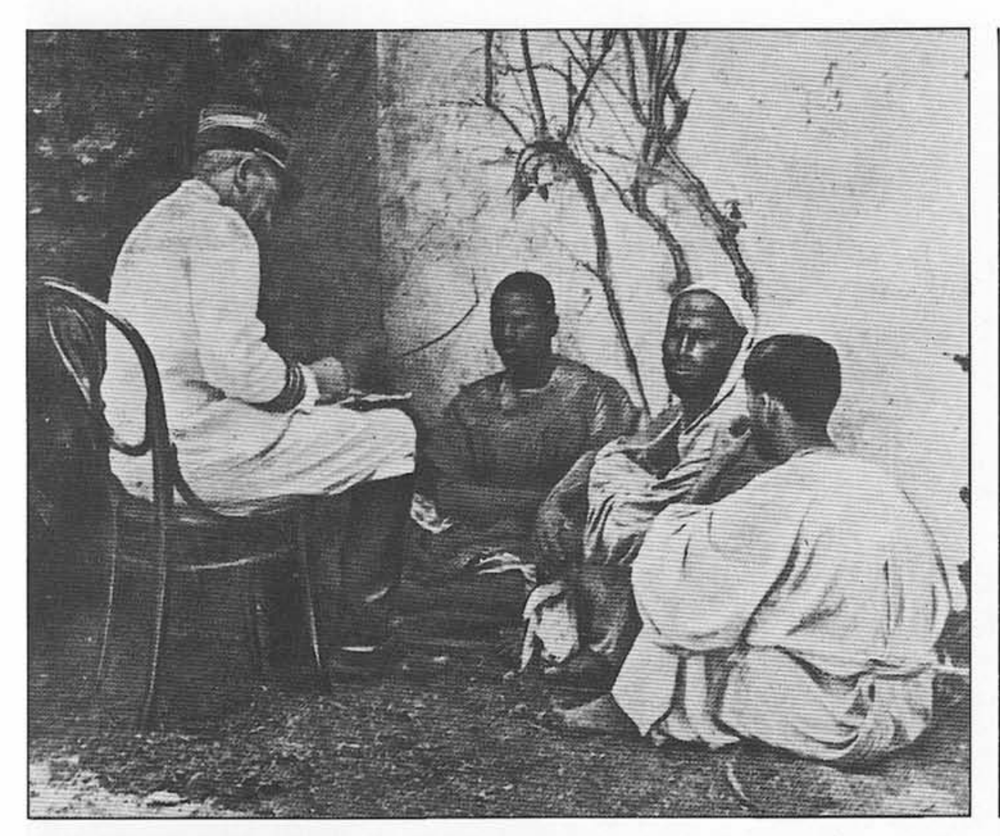
وهكذا ، فبمناسبة قتل CHARBONNIER أرسل الأسطول الفرنسي لميناء طنجة ، وذهب قائده مع السفير الفرنسي للنائب السلطاني محمد الطريس ووجهوا له تهديدا على لسان دولتهم مصحوبا بمطالب مستعجلة يجب على المخزن تنفيذها ، وإلا التجأت فرنسا إلى « ارتكاب ما يكدر الخواطر » . والمطالب المشار إليها هي :

- البحث عن القاتل وقتله ومعاقبة من كان معه .
- أداء تعويض كبير قدره 100 ألف فرنك
- تقديم الموظفين المغاربة الاعتذار للسفير الفرنسي
- تسليم بقعة أرضية من مكان الحادث لبناء تذكار للقتيل
- تسليم الطيب ولد بوعمامة للفرنسيين لاطلاق سراحه .

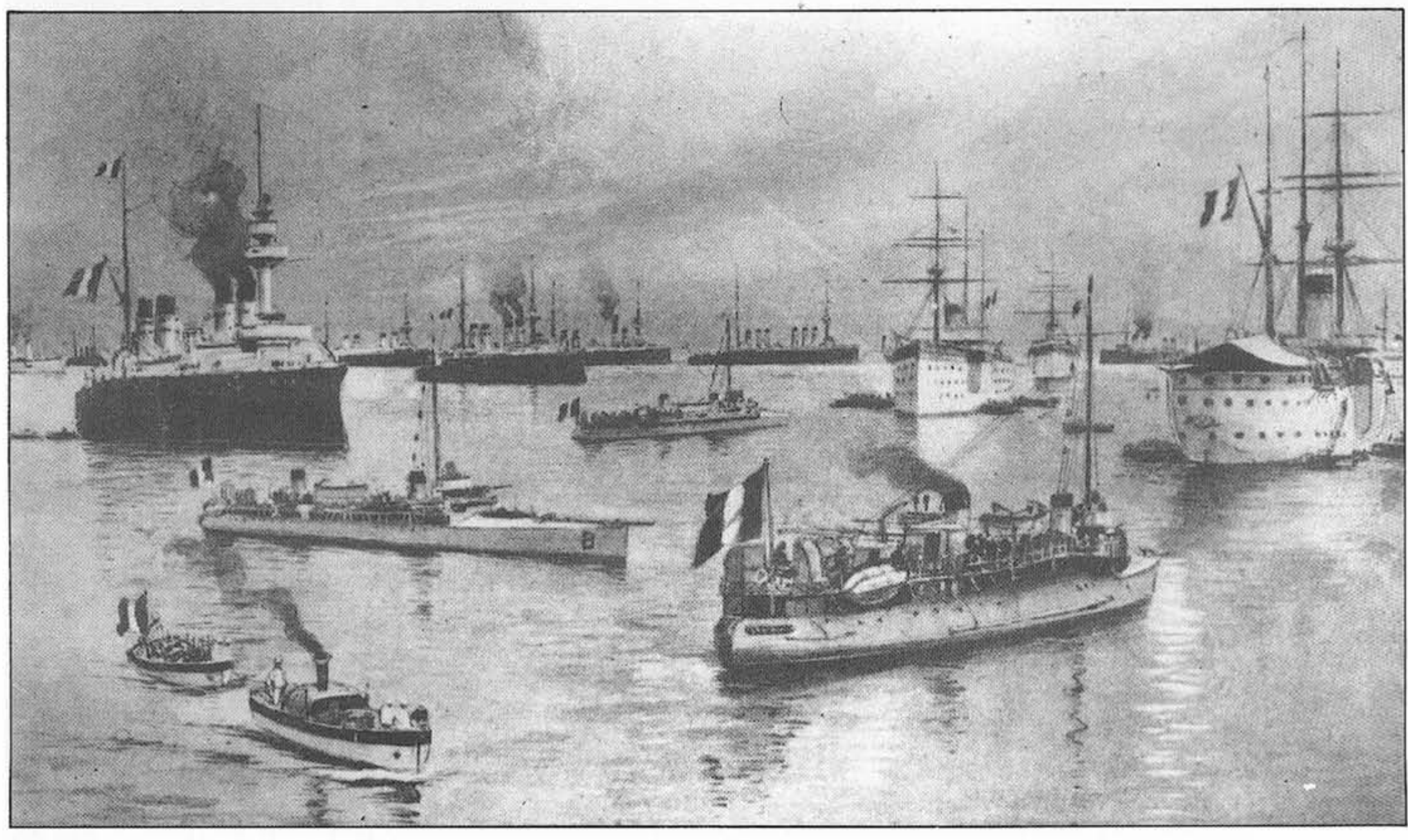
لم يتمكن الفرنسيون ، رغم هذه التهديدات والمطالب التعجيزية من إرغام السلطان

مولاي عبد العزيز على الخضوع لارادتهم . بل كانت النتائج عكسية تماما . فقد توترت العلاقات المغربية الفرنسية بشكل متزايد سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى الشعبي . وساءت علاقات السلطات المغربية في وجدة مع السلطات الفرنسية بالجزائر . وأخذ الجيش الفرنسي يقوم بتحركات واسعة عبر االحدود الشرقية موسعا نفوذه على حساب التراب المغربي والقبائل المغربية . وقد أثار هذا التصرف حركة جهادية عامة في الجنوب الشرقي المغربي ، اتخذت مركزها في تافيلالت ، وحدثت عدة معارك مع المجاهدين والجيش الفرنسي بقيادة الكولونيل Pierron

ومن البديهي أن هذه التطورات ، لم ترض الفرنسيين ، لذلك قرروا انتهاز أول فرصة مناسبة



استنطاق « الأظناء » .
Illustration-Aout 1907.



الأسطول الفرنسي في المياه المغربية .
Illustration-Aout 1907.

للقيام بضغوط أشد وأخطر لدفع المخزن المغربي إلى تسهيل تدخلهم. وقد جاءت هذه الفرصة بمناسبة قتل طبيب فرنسي بمراكش في 19 مارس 1907.

أسباب ونتائج قتل موشان

اعتقدت الحكومة الفرنسية أن من أنجح وسائل « التدخل السلمي » استخدام المستوصفات، ومراكز تقديم الدواء لهذا الغرض. وهكذا أسس مستوصف بمراكش في أواخر 1905، وأسندت مهمته للطبيب MAUCHAMP، الذي كان عمله في حقيقة الأمر يتلخص في القيام بقليل من الطب وكثير من السياسة، تبعا لتوجيهات وزارة الخارجية التي كان تابعا لها.

في 1907 حاول موشان أن يوسع نشاطه السياسي. فذهب لفرنسا والتقى بوزير الخارجية، وطلب منه القيام بعمل عاجل وحازم ضد المغرب لاغرام المغاربة على قبول النفوذ الفرنسي وتدعيم الهيبة الفرنسية. وصحب معه في عودته هدايا كثيرة لبعض الشخصيات بالمدينة ضمنها زربية مطوية على أدوات للتلغراف اللاسلكي. وجاء بصحبته LOUIS GENTIL للقيام بدراسات تهدف للتعرف على الأرض المغربية.

استقبل موشان وزميله بكراهية من طرف السكان الذين رموهما بالحجارة، متهمين إياهما بكونهما جاسوسين جاءا للاطلاع على عورات البلاد. وفي هذا الجو المتوتر والذي سبق أن حللنا بعض أحداثه، أقدم موشان على تعليق بعض الأدوات فوق منزله اعتبرها السكان أدوات للتلغراف اللاسلكي، في حين اعتبرها المخزن مجرد راية لبلاده. ومهما يكن الأمر، فقد أمر الدكتور بإزالة ما أحدث من طرف حشد من السكان. ثم تطور الخلاف إلى هجوم الجمهور الغاضب على الطبيب وقتله.

كان قتل موشان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. وهكذا فحالما علمت الأوساط الاستعمارية بالحادث، انطلقت حملة دعائية مضادة للمغرب مندّدة بالحادث ومحملة للمخزن المسؤولية، وداعية للعقاب. وفي نفس الوقت قررت الحكومة الفرنسية في يوم 25 مارس 1907 احتلال مدينة وجدة مؤقتا. وأخبرت الدول بهذا القرار الذي نفذ في 29 مارس، حيث تدخلت القوات الفرنسية المرابطة في الحدود واحتلت المدينة المغربية التي ظلت طيلة ثلثي قرن رمز الصمود المغربي في وجه الضغوط الفرنسية المتنوعة الأشكال.

نتائج احتلال وجدة

أدى احتلال وجدة إلى ردود فعل غاضبة ضد الفرنسيين في مجموع أنحاء المغرب. وقد ازداد ذلك الغضب، نتيجة لوقوع الاحتلال دون أن يواجه مقاومة، الأمر الذي جعل البعض يعتقد بتواطؤ المخزن وقبوله لذلك الاحتلال. وقد اجتهد مولاي عبد العزيز لحل المسألة والحصول على جلاء القوات الفرنسية بتقديم جميع الترضيات. لكن الفرنسيين قدموا مطالب كثيرة تسيء للاستقلال الوطني كثمن للجلاء عن المدينة. منها:

– عزل وسجن باشا مراكش عبد السلام الورزازي

– إجراء بحث في عين المكان يقوم به قنصل فرنسا بالصويرة

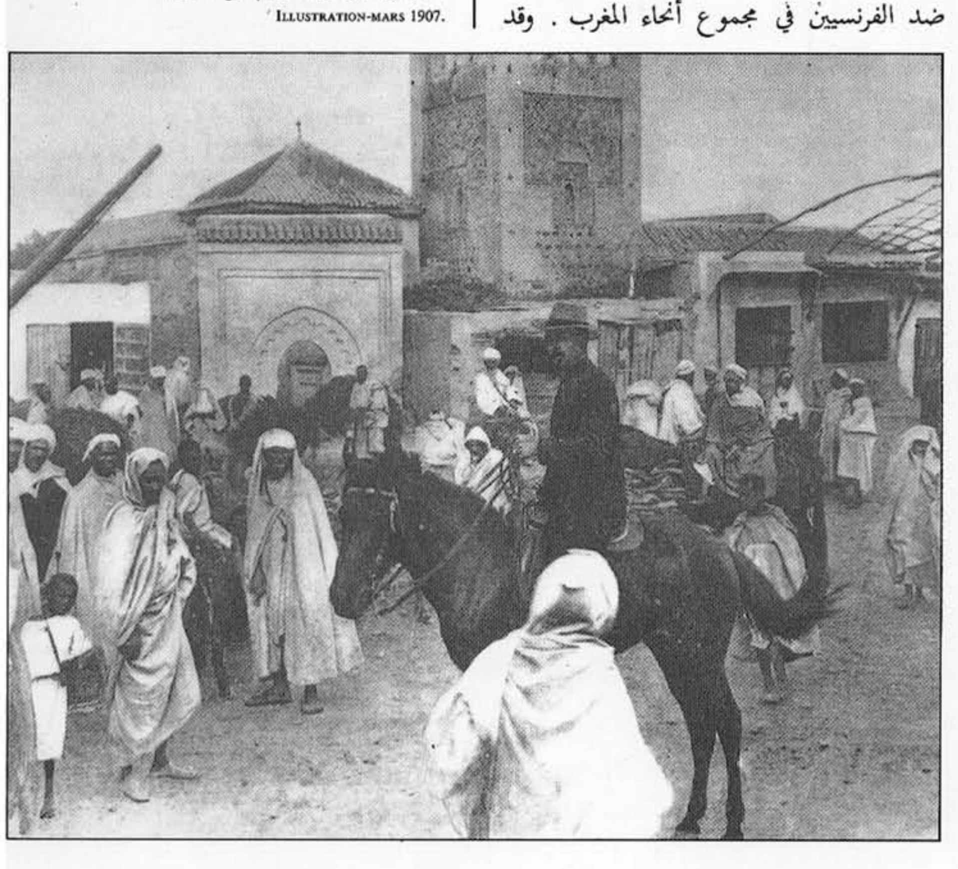
– عقاب المسؤولين عن الحادث

– أداء تعويض

– تنظيم البوليس حالا في الموانئ المغربية.

– تطبيق اتفاقيات 1901 و 1902 الخاصة بالحدود.

الدكتور موشان بضعة أيام قبل اغتياله.
ILLUSTRATION-MARS 1907.



من أسباب احتلال المدينة

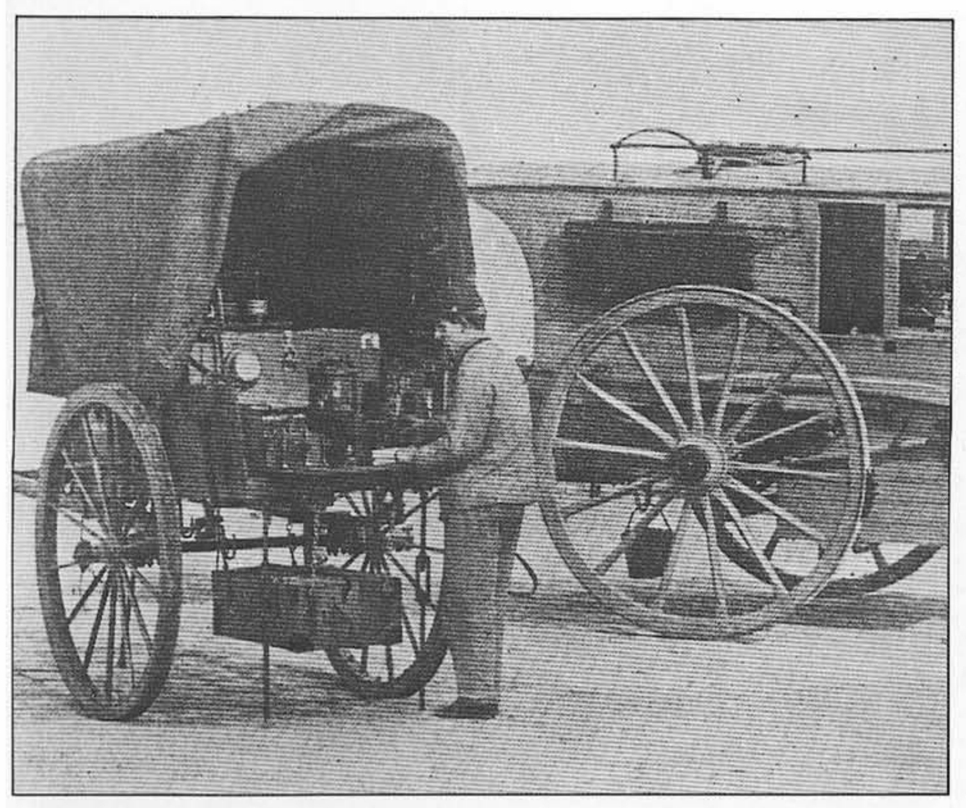
ثم في يوم الجمعة الرابع عشر من صفر المذكور وقع احتلال وجدة من غير مقابلة ولا مشاغبة أخذا بثار القتيل وطلبا للانصاف من الفعلة والفصال فيما لها من الحقوق والدعاوي غير ما ذكر مما هو مسطور في ظهير سلطاني خوطب به القائد عبد الرحمان بركاش وأعيان الصويرة ودونك لفظه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله ثم الطابع الشريف بداخله عبد العزيز بن الحسن الله وليه وبدائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الاسد في آجامها تجم
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا
الله حافظه من كل منتقم

« خديمنا الارضى القائد عبد الرحمان بركاش وأعيان أهل الصويرة المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فإن طبيبا فرنسويا كان مقيما بمراكش فركب علما بالمحل الذي هو به فتسارع الرعاع إليه وقتلوه ومن قبله كان جرح فرنسوي آخر ببلاد تكنة وكذلك في طنجة كان قتل آخر من كبراء فرنسا وكذلك بفاس جرح آخر ولما بلغ ذلك للدولة الفرنسوية حصل لها انزعاج واغتاظت لذلك وهالها ما وقع من هذه الحوادث التي يؤدي إليها طيش الرعاع الذين لايعرفون مزية الهدنة والسكينة ولا يتدبرون عواقب النزاع ولا ينظرون لما نكابده من حسن المهادنة وسياسة الدفاع مع أن ذلك لاحق له فيه من جهة الشروط وأن المخزن قادر على رفع ما تشوشوا منه من غير ضرر منهم لصاحبه بطريق الانصاف وحملها الغيظ على احتلال عسكرها بوجدة طالبة الانصاف وقبض الحق في هذه القضايا والفصال فيما لها من الحقوق والدعاوي وعلقت خروجها من وجدة على إيقاع الفصال في ذلك إذ حلولها موقت لاجل ما تطلبه من المفاوضات لاجل ذلك وها نحن جادون في مباشرة وجوه الفصال معها بما يقتضيه الحق لها في ذلك ومجتهدون في ارتكاب العلاج المخلص من ذلك حتى يخرج عسكرها من وجدة بحول الله ولاجل هذا كنا نحذركم ونحذر غيركم من رعيتنا السعيدة ونبالغ في الاسترعاء والانذار خشية التورط في مثل هذا ونؤكد عليهم في اعلام جانبنا الشريف بكل ما تشوشوا منه ورفع أمره إلينا ليتدارك على الوجه الاسلم من غير افتيات ولا مد يد في أحد وعلى كل حال فلا يأخذكم هول ولا يروعكم تشويش فإننا بحول الله مهتمون بهذا الامر ومبالغون في معالجته حتى يخرج بسلام فليسكن جاشكم ويطمئن بالكم لاننا لا نألو جهدا في صيانتكم والدفاع عنكم بأموالنا ورجالنا بحول الله حالا واستقبالا كمل الله المراد ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد والسلام في 18 صفر عام 1325 هـ من أصله

عبد الرحمان بن زيدان
« اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مكناس » – الجزء الاول



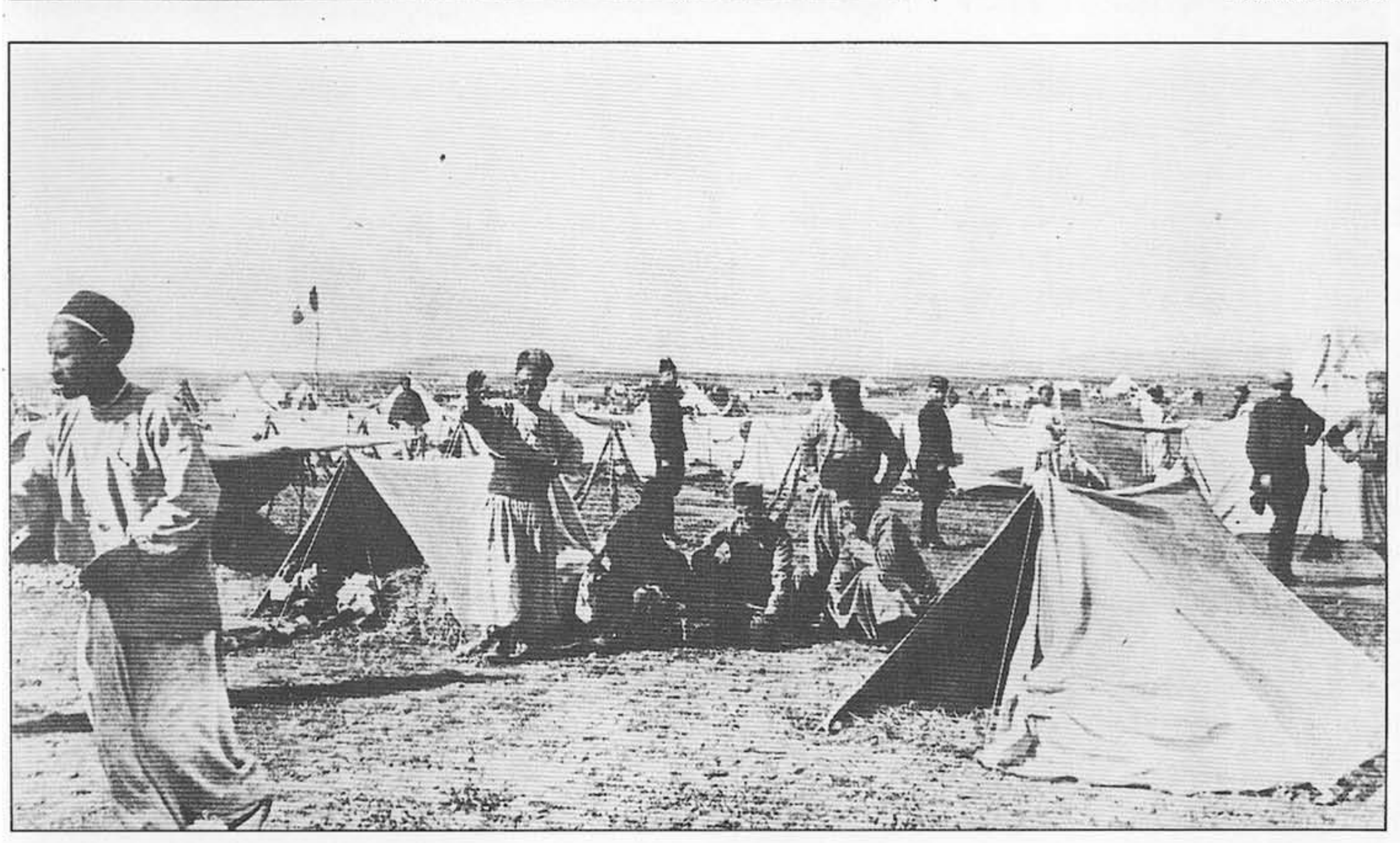
– استدعاء مولاي ادريس مبعوث المخزن إلى الأقاليم الصحراوية ، والذي كان ينسق المقاومة في شنقيط مع ماء العين .

– الكف عن إرسال الأسلحة لماء العينين ، وحجز الأسلحة الموجهة إليه .

رغم قساوة هذه المطالب ، فإن السلطان لم يجد بدا من قبولها أملا في جلاء الفرنسيين عن وجدة . وأدى قبول المخزن لهذه المطالب ، بعد أن حاول التخفيف منها ، إلى ردود فعل شعبية وإلى انتشار القلق والاضطراب ، وخاصة بالحوز ، حيث انتشرت حركة من التذمر بين سكان مراكش والقبائل المجاورة ، التي أخذت تهدد الأوروبيين ، ورفضت السماح للفرنسيين بإجراء

جهاز التيلفون اللاسلكي في المغرب .
ILLUSTRATION-JUIN 1911.

معسكر جيش الغزو الفرنسي على بعد كيلومترين من وجدة .
ILLUSTRATION-MARS 1907.



البحث ، وعارضت عزل باشا المدينة ، ومنعت الباشا الجديد قدور بن الغازي من الالتحاق بمراكش . وقد أشار Brives إلى تغير الرأي العام بالحوز كنتيجة لاحتلال وجدة ، وإلى العداء الذي أصبح السكان يواجهون به الفرنسيين . وتساءل عن السبب فوجد « أصله في احتلال وجدة » كما أشار إلى رسائل السلطان لقبائل الحوز وخاصة لمدينة الصويرة فقال :

« إن الشعور الوطني قد استيقظ نتيجة لرسالة السلطان ، فاختفت الصراعات

احتلال الجيش الفرنسي لمدينة وجدة ، وكان من أول عواقب عقد معاهدة الجزيرة الخضراء .
Illustration-avril 1907.

الداخلية ، وكل الحزازات اتجهت ضد الفرنسيين » .

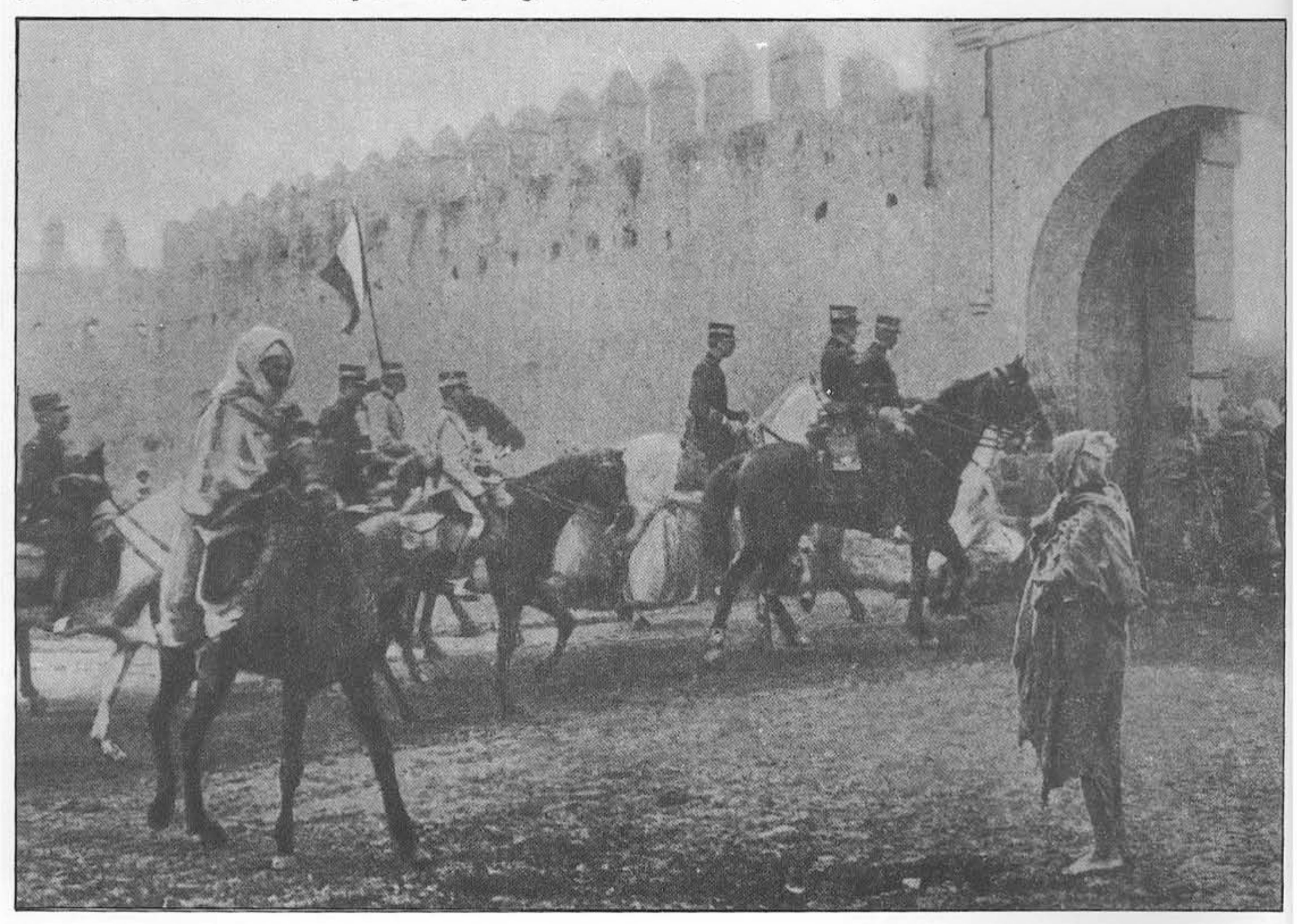
ومما يؤكد رد الفعل الشعبي ضد الأوروبيين أن القبائل أنذرت مولاي حفيظ الخليفة السلطاني بابعاد الأوروبيين من مدينة مراكش . وفعلا غادر الأوروبيون المدينة نحو آسفي التي وصلوها في 14 ماي . ولقد ازداد التوتر نتيجة لتهديدات الأسطول الفرنسي للموانئ المغربية وللحملة الصحافية المحمومة التي كانت تقودها الأوساط الاستعمارية بفرنسا وطنجة ضد المغرب . وقد أشار روزن السفير الألماني بطنجة إلى هذه الحملة بقوله :

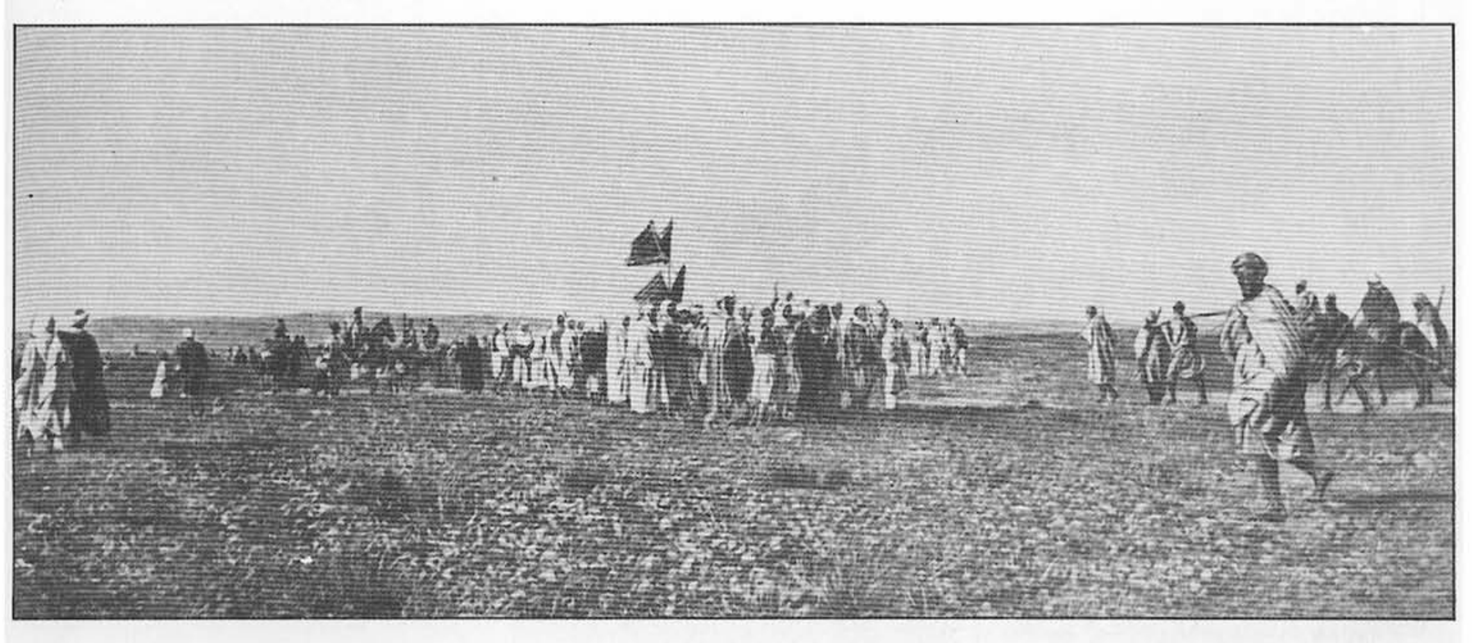
« إن قتل الطبيب والعميل السياسي الفرنسي موشان قد استغل بكيفية تشرف موهبة الاخراج الدرامي لجيراننا . لقد اغتيل موشان يوم 19 مارس وإلى اليوم (25 – 5 – 1907) لايمكن للمرء أن يقرأ عددا من جريدة La Depeche Marocaine أو صحيفة من نفس النوع دون أن يعثر على مسألة الجنازة المتجددة للدكتور موشان » .

ويظهر أن الهدف من وراء هذه المضادة للمغرب كان تحقيق غايتين :

– الأولى تبرير الاعتداء الفرنسي على المغرب أمام الرأي العام الدولي لابقاء الاحتلال بوجدة ، ولذلك كان التأكيد دائما على أن هذا الاحتلال مؤقت ومشروط بتنفيذ المطالب الفرنسية .

– الثانية : الابقاء على استنفار الرأي العام الفرنسي في داخل فرنسا وفي المغرب وتهيئته لتقبل



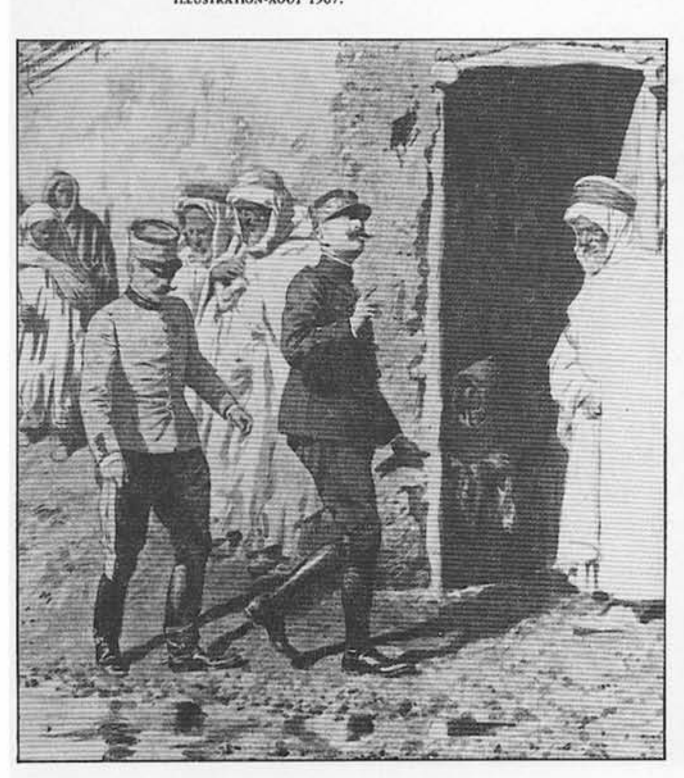


سكان مدينة وجدة يستقبلون موكب السلطان .
Tour du Monde 1904.



احد شوارع مدينة وجدة .
Tour du Monde-1904-dessin de J. Lavée.

الجنرال ليوطي يجوب شوارع وجدة المحتلة ...
Illustration-aout 1907.



مزيد من الاعتداءات على استقلال المغرب ، وفي نفس الوقت ممارسة مزيد من الابتزاز ضد الحكومة المغربية حتى تقبل مرغمة شروط الفرنسيين .

كان مولاي عبد العزيز مصمما على إخراج الفرنسيين من وجدة مهما كانت التضحية ومهما كانت التنازلات . ولكنه كان في نفس الوقت عاجزا عن تنفيذ جميع المطالب الفرنسية لأنها تتعارض مع السيادة المغربية ، وخوفا من إثارة ردود فعل وطنية يستغلها المحتلون لمزيد من التدخل . وكان يزيد في هذا العجز الضائقة المالية التي كان يعيشها مخزن مولاي عبد العزيز بسبب التكاليف الباهظة التي كانت حالة البلاد تتطلبها ، خصوصا ما يتعلق منها بدفع تعوضات الأجانب والديون .

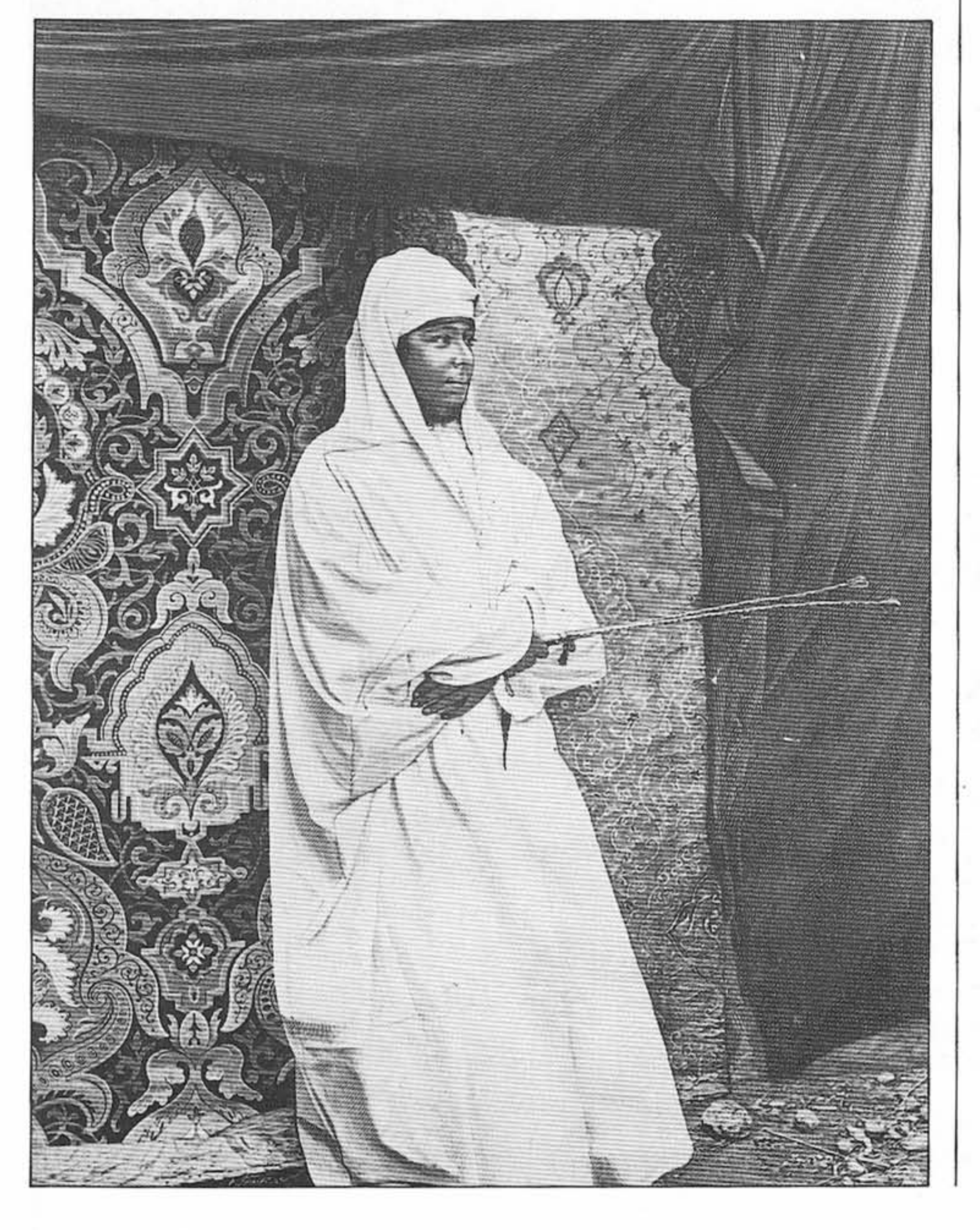
ومن خلال الرسائل التي بعثها السلطان لقبائل الحوز ومدنه ، يمكننا أن نتعرف على هذه الحالة التي كانت تعيشها بلادنا .

ففي رسالة إلى سكان الصويرة ، وأخرى إلى قبائل بني مسكين مؤرختين بـ 18 – 19 صفر 1325 هـ / 1907 م ، شرح السلطان أسباب احتلال وجدة . فأكد على أن الاحتلال حدث بسبب قتل سكان مراكش للطبيب الفرنسي الذي أقدم على تعليق راية بلاده فوق منزله . ورغم أن الشروط تمنعه من فعل ذلك ، يقول السلطان ، فقد كان على السكان أن يرفعوا ذلك للمخزن ، ولا يتسببوا فيما حدث ، دون أن ينظروا إلى ما يكابده السلطان من « حسن المهادنة وسياسة الدفاع » . كما يشير السلطان إلى أن فرنسا قد طالبت بمطالب وتعويضات نتيجة للحوادث التي تعرض لها الفرنسيون ، وأن المخزن جاد في فصال القضية وإخراج جيش الفرنسيين من وجدة . وفي الأخير يأمر السلطات المحلية والسكان بعدم التشوش والخوف وعدم مد اليد في الأجانب ، لأن السلطان مهتم بحل القضية بسلام ، ولأننا ، يقول السلطان « لانألو جهدا في صيانتكم والدفاع عنكم بأموالنا ورجالنا بحول الله حالا واستقبالا » .

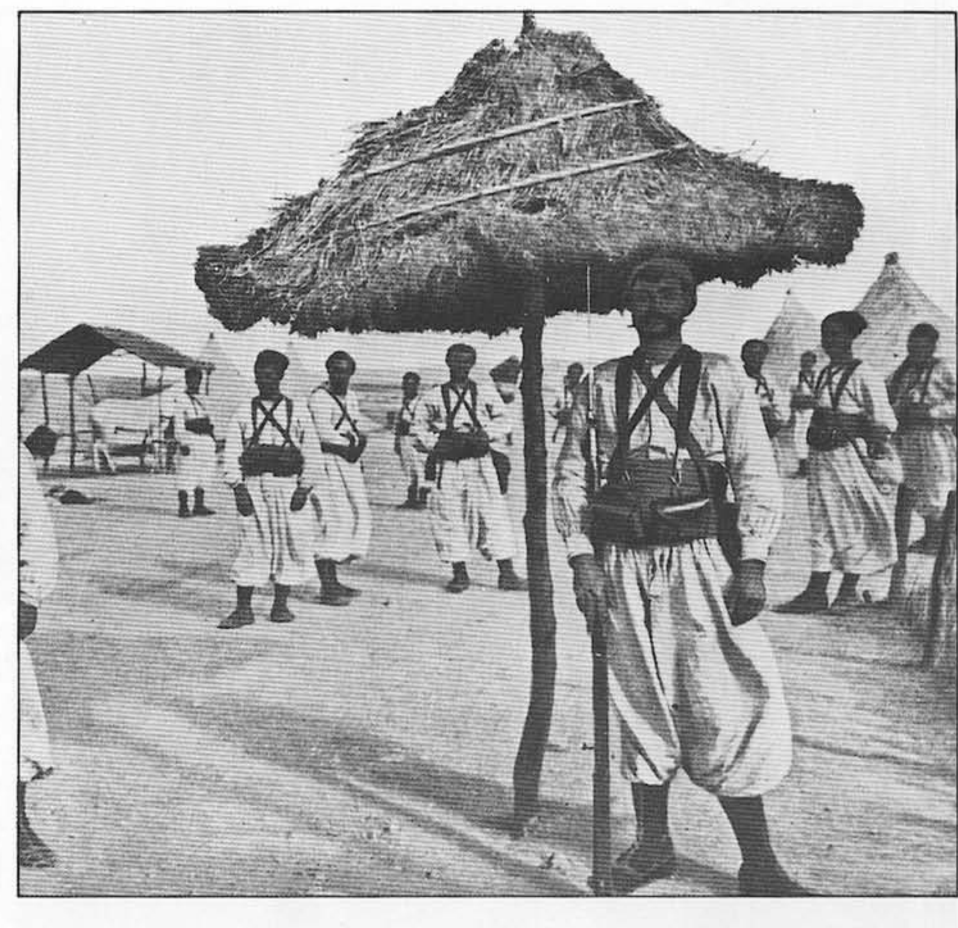
ورغم المحاولات التي بذلها السلطان في سبيل جلاء الجيش الفرنسي من وجدة ، فإن الفرنسيين كانوا يخططون ، في الواقع ، لادامة احتلالهم ، وجعل ذلك الاحتلال خطوة أولى في سبيل اتمام احتلال المغرب كله .

فلقد كانت حكومة الجزائر العامة ، تستغل أبسط الحوادث على الحدود لتضخيمها ، والرد عليها ، ودفع الحكومة الفرنسية لقبول مزيد من التوسع في التراب المغربي .

وهكذا ، فعوض الجلاء عن مدينة وجدة ، كان حاكم الجزائر العام Jonnart يوالي الرسائل لحكومة باريس ، منبها إلى خطورة الهيجان العام بالمغرب ، وإلى انتشار روح المقاومة والجهاد ضد المحتلين ومبينا بأن مركز هذه المقاومة هو جبال



كان السلطان مولاي عبد العزيز في حرج شديد : اما الجلاء عن وجدة ، وإما رفض شروط الحكومة الفرنسية .
Illustration-octobre 1907.



بني يزناسن ، ومتهما عامل وجدة بالتحريض على مقاومة الفرنسيين . ولذلك كله فهو يطالب بالحرية المطلقة للقوات الفرنسية بوجدة ، وبالسماح لها بالقيام بهجومات ضد المغاربة ، وخاصة ضد جبال بني يزناسن ، وإلا اضطر الجيش الفرنسي بعد فوات الأوان ، إلى عمليات واسعة مكلفة .

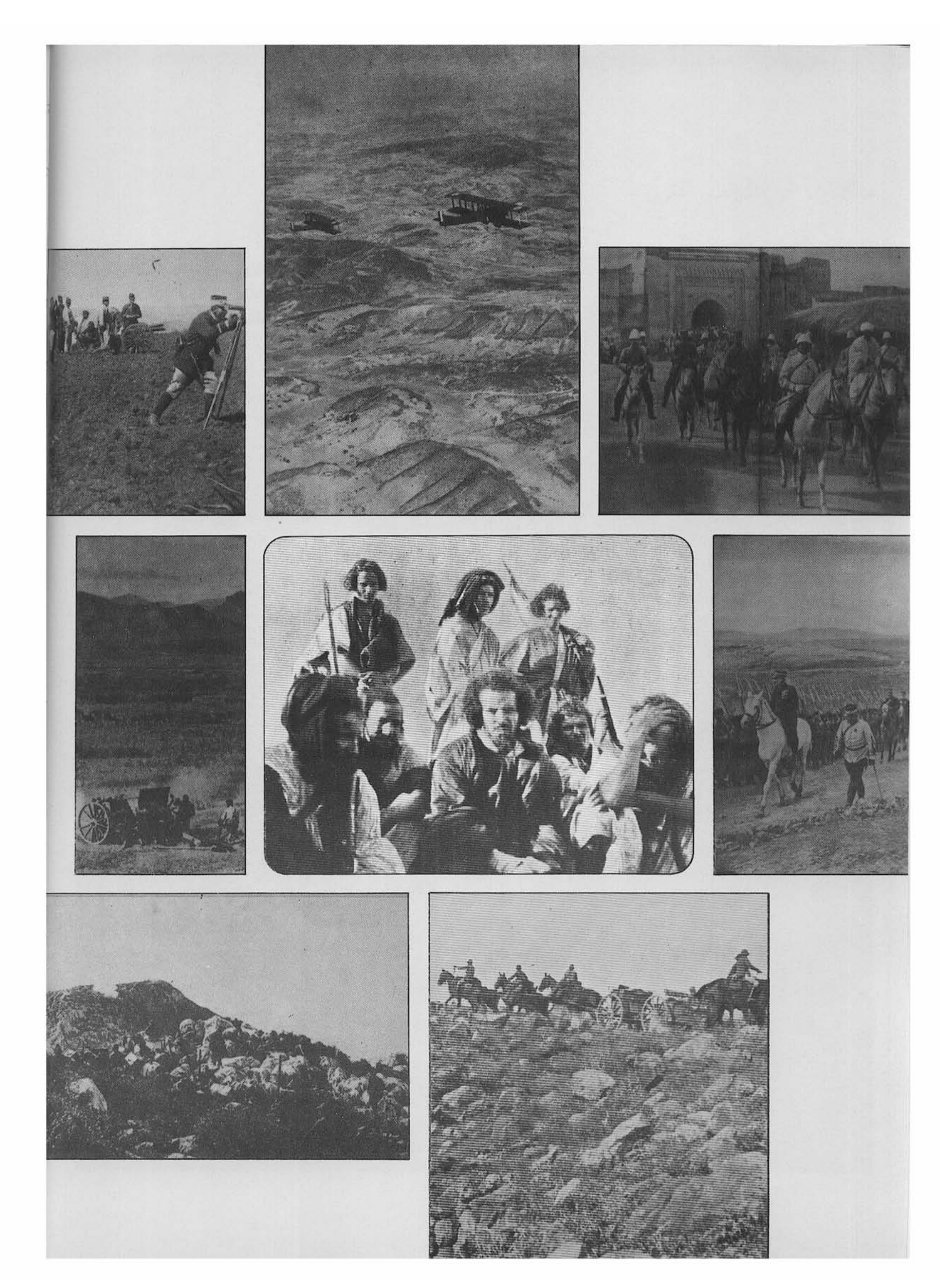
والجدير بالذكر أن حركة الجهاد ضد الفرنسيين ، بوجدة خاصة والحدود الشرقية عامة ، قد تأججت ، نتيجة للتدخل الفرنسي بالشاوية وقنبلة الدار البيضاء صيف 1907 . ومثلت جبال بني يزناسن أهم مركز في هذه الحركة . ولذلك نظم الجنرال ليوطي حملة واسعة ضد بني يزناسن انتهت باحتلال المنطقة . وقد ساهمت في هذه الحملة قوات قوامها حوالي 12.000 جندي وحوالي 400 ضابط .

« مرقب افريقي » أقيم في معسكر بوجدة أثناء احتلال المدينة .
ILLUSTRATION-AOUT 1907.

مهاجمة بني يزناسن .




الجزء الثاني



الحماية والكفاح المسلح

لقد طُبق عهد الحماية .

وحاولت السلطات الجديدة صياغة نمط من الحياة يوافقها . وحاولت أن تسلب الاجيال الصاعدة هويتها وان تدير البلاد ادارة مباشرة . ففرضت تلك الادارة بالقوة ، وتذرعت السلطات تارة أخرى بخدع اظهرتها بمظهر « **الشرعية** » .

غير أن بعض الرجال ثاروا على ذلك النظام وقادوا معهم جموع المقاومين .

معاهدة منعقدة بين فرنسا والمغرب لتنظيم الحماية الفرنسية في المملكة الشريفة

وضع بفاس 30 مارس 1912 / 11 ربيع الثاني 1330

بناء على اهتمام الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالته الشريفة بتأسيس حكم منظم في مراكش قائم على الاستقرار الداخلي والامن العام ، ومساعد على إدخال الاصلاحات وضمان نمو البلاد الاقتصادي اتفقت الحكومتان على المواد الآتية :

الفصل 1 – اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية مع جلالة السلطان على إنشاء نظام جديد في مراكش يسمح بالاصلاحات الادارية والقضائية والتعليمية والمالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في إدخالها لمراكش .

وهذا النظام الجديد سيحفظ الوضعية الدينية وحرمة السلطان ومكانته المعتادة وتطبيق الدين الاسلامي ، وسيصون المؤسسات الاسلامية خصوصا مؤسسات الاوقاف كما أنه سيتضمن تنظيم حكومة شريفة على أساس اصلاحي .

كما أن مدينة طنجة ستحفظ الطابع الخاص الذي اعترف لها به والذي سيحدد نظامها البلدي .

الفصل 2 – يقبل جلالة السلطان منذ الآن أن تشرع الحكومة الفرنسية بعد إعلام حكومته في الاحتلالات العسكرية التي تراها ضرورية لاستتباب السكينة وتأمين المعاملات التجارية في مراكش ، كما أنه يقبل أن تزاول الحكومة الفرنسية كل عمل من أعمال الحراسة برا وبحرا في المياه المراكشية .

الفصل 3 – تتعهد حكومة الجمهورية أن تبذل لجلالته تأيدا دائما ضد كل خطر سيهدد شخصه أو عرشه أو سيقلق راحة مملكته . وسيقدم من (جانبنا) نفس التأييد لوارث العرش ولتابعيه من بعده .

الفصل 4 – سيصدر الامر من جلالته أو من السلطات التي ينيبها جلالته بالتدابير التي يقتضيها نظام الحماية الجديد طبقا لاقتراح الحكومة الفرنسية ، وكذلك سيجري الامر في الضوابط الجديدة وتنقيحات الضوابط الموجودة (من قبل) .

الفصل 5 – ستشمل الحكومة الفرنسية عند جلالة السلطان بواسطة مندوب مقيم عام حاصل على كل تفويضات الجمهورية في مراكش وساهر على تنفيذ هذا الاتفاق الحاضر .

وسيكون المندوب المقيم العام هو الوسيط الوحيد بين السلطان وبين الممثلين الاجانب ، وبينهم وبين الحكومة المراكشية التي لهم معها . وسيكلف خصوصا بكل القضايا التي تهم الاجانب في المملكة الشريفة .

وباسم الحكومة الفرنسية سيصادق على كل الاوامر الصادرة عن جلالته ويأذن بنشرها .

الفصل 6 – سيكل ممثلو فرنسا الديبلوماسيون والقنصليون بتمثيل مراكش وحماية الرعايا المراكشيين والمصالح المراكشية في الخارج .

ويتعهد جلالة السلطان بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية دون رضى سابق من حكومة الجمهورية الفرنسية .

الفصل 7 – حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالته الشريفة سيحددان (باتفاق مشترك) أصول تنظيم مالي يسمح بضمان التزامات الخزينة الشريفة وجباية مداخيل المملكة بانتظام مع رعاية الحقوق المخولة لحاملي سندات الديون العمومية المراكشية .

الفصل 8 – يمتنع جلالة السلطان من أن يعقد في المستقبل رأسا أو بواسطة أي قرض عمومي أو خصوصي أو يمنح أي امتيازات على أي شكل كان دون ترخيص من الحكومة الفرنسية .

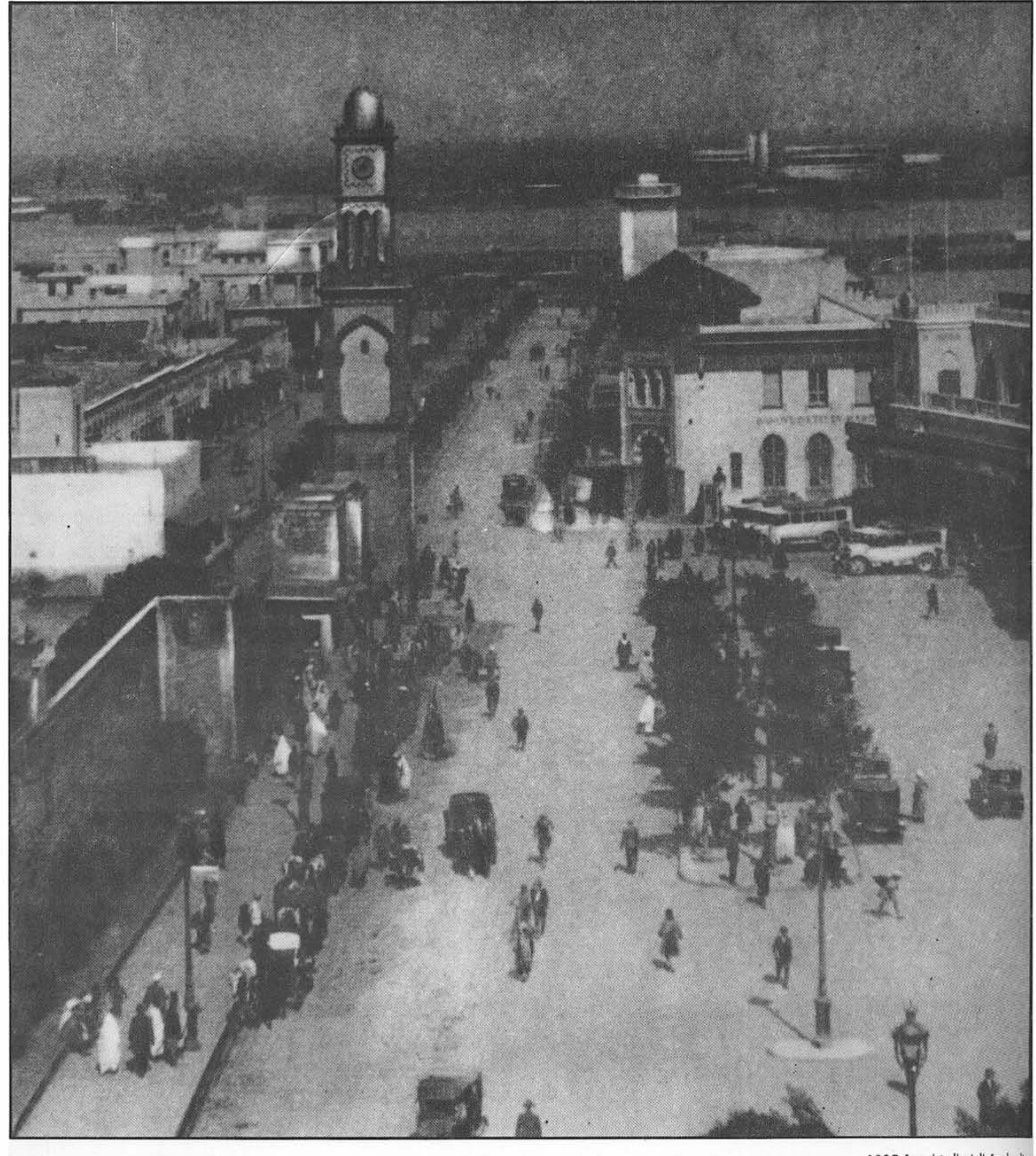
الفصل 9 – سيقدم هذا الاتفاق الحاضر لمصادقة حكومة الجمهورية الفرنسية . ووثيقة هذه المصادقة سترفع إلى جلالة السلطان في أقصر أجل ممكن .

وإقرارا بما هو أعلاه حرر الموقعان الاتفاق الحاضر وختماه بطابعيهما .

فاس ، 30 مارس 1912 موافق 21 ربيع الثاني 1330 .

التوقيع الاول
رينو : سفير فرنسا

التوقيع الثاني
عبد الحفيظ : سلطان مراكش



منظر لمدينة الدار البيضاء سنة 1927

ليوطي والحماية

أحمد رشيد

في مدينة فاس القديمة ، وفي متاهات شوارعها المتشابكة ، تسمع ، عن بعد ، صوتا شجيا حزينا وأنشودة لا تستبين كلماتها إلا إذا اقتربت شيئا فشيئا من مصدرها . فتطرق سمعك العبارة التالية « **النصارى في الصنارة واليهود في السفود** » . كان الصوت صوت امرأة عجوز أناخ عليها الدهر والبؤس . وكانت تردد هذه اللازمة معبرة بها عن الألم الذي أصاب جسمها ونفسها ، ولو كانت لازمتها تدل ، في نفس الوقت ، على كرهها النصارى واليهود .

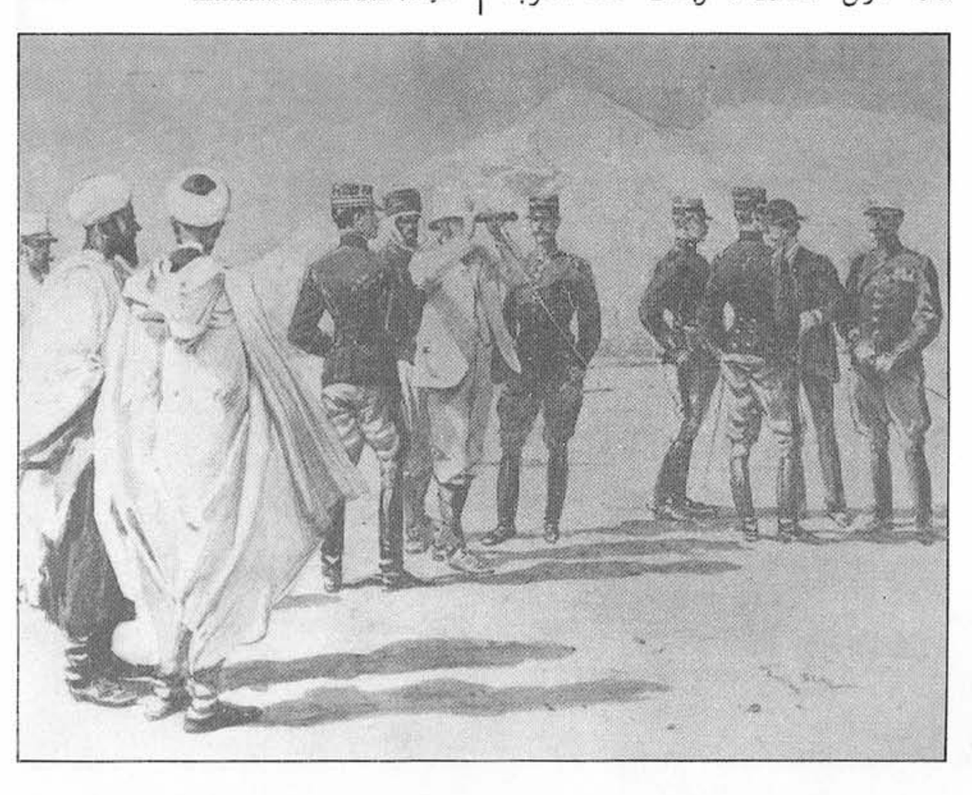
كان ذلك يوم 17 أبريل 1912 في عاصمة المملكة ، حيث خيم السكون . لكنه سكون ينذر بالثورة . لقد تغيرت الأحوال بسرعة بالنسبة لهذه المرأة . وانقلبت الأوضاع في المغرب في أقل من عشر سنين ، بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، إذ كان المغرب مملكة قوية ومستقرة وغنية نسبيا في عهد مولاي الحسن (1873 – 1894) ، وأصبح بعد ذلك بمثابة الفريسة تتناهشه الدول الأجنبية . ولم ينفك المخزن يقترض من كبريات الأبناك . وذلك ما زعزع استقلاله وتصدعت له أركانه . وأصبح التوسع الأجنبي توسعا اقتصاديا أيضا . واستغل الوكلاء التجاريون وأصحاب رؤوس الأموال سذاجة بعض الطبقات الموسرة بالمغرب وقبولها الارتشاء لقضاء أغراضهم .

وكان التوسع توسعا عسكريا أيضا . فلم تلبث قضية دريفوس Dreyfus تفرق الناس شيعا في فرنسا . فوجد الجيش في التوسع الاستعماري متنفسا وفرصة لصرف أنظار الجنود عن هذه القضية ولرد الاعتبار إلى القوات المسلحة .

وأرسل جونار Jonnart الحاكم العام بالجزائر سنة 1903 حملة على قبائل زناكة بفكيك وبشار . ثم ساند تعيين أحد الضباط الذي أثبت كفاءته في الطونكان Le Tonkin ومدغشقر ، وهو الكولونيل ليوطي . ومنذ ذلك الحين شغل هذا الضابط – وقد أصبح جنرالا – مسرح الأحداث مدة ربع قرن أي إلى متم شهر شتمبر سنة 1924 . وبذلك دخل تاريخ المغرب ، وقد اتخذ من فكره مذهب وطريقة للعمل .

وبعد إمضاء معاهدة الجزيرة الخضراء يوم 18 يونيو 1906 ، أخذ الحصار يشتد على المغرب إلى أن أدت الأمور إلى عقد الحماية يوم 30 مارس 1912 ، وبذلك فقد المغرب استقلاله . واغتاظ الشعب لذلك غيظا لم يبل بمثله من قبل . وظهرت بوادر معارضة هذا العقد في الثورات الدامية التي وقعت في مدينة فاس للتعبير عن رفض الحماية . وانتشرت الثورة في أنحاء البلاد ، وظهرت حركات المقاومة ، فمهدت للكفاح من أجل الاستقلال . واحتد الشعور الوطني بعد أن مضى على تكوينه عدة قرون . وقد أدرك جوريس Jaurès حقيقة الوضع في المغرب لما انتقد عقد الحماية ، من أعلى منصة مجلس النواب الفرنسي ، إذ قال عنه : « **عقد المغامرة**

ارسلت من الجزائر حملة عسكرية على المغرب في شهر مارس 1903 . الحاكم العام جونار Jonnartمع أركان جيشه في بلدة زناكة فكيك . Illustration Octobre 1903.



والخيانة الذي كان سببا في ظهور حركة للمقاومة والاحتجاج خفقت لها قلوب المغاربة أجمعين » .

وكان الملاحظون حينئذ ، يخافون من ظهور العلامات التي تنذر بقيام ثورة جارفة عنيفة تعم المغرب قاطبة . وذكر ليوطي نفسه أسباب ذلك في عرض قدمه في مدرسة العلوم السياسية إذ أشار إلى التعصب الديني والحرص الشديد على الاستقلال . وتمثل تلك الأحداث ما قد يكون عليه الكفاح الوطني فيما بعد . لكن ذلك لم يمنع اسبانيا من احتلال منطقة الشمال ، ولا فرنسا من إتمام احتلالها للبلاد بإقرار الحماية . أما طنجة ، فقد أصبحت منطقة دولية .

وعينت الحكومة الفرنسية ليوطي مقيما عاما . وهو شخصية معقدة بليغة التأثير على النفوس . فجمع بين جميع السلطات المدنية والعسكرية . وبذلك طبع تاريخ المغرب بطابعه الخاص . وصادق البرلمان الفرنسي على عقد الحماية يوم فاتح يوليوز . وبعد بضعة أسابيع بايع مجلس العلماء مولاي يوسف خلفا لمولاي حفيظ . وقد قال الدكتور فيسجيربير WEISGERBER ، مراسل جريدة لوتان LE TEMPS في المغرب عن مولاي يوسف ما يلي :

« إنه شديد الحفاظ على دينه . يحترم التقاليد ولا يميل إلى ما كان بعض من سبقوه يلهون به من تفاهات ، فضيعوا بذلك نفوذهم »

جان جوريس JEAN JAURÈS، من أول أنصار الحرية الذين نددوا بوسائل الاحتلال ، وذلك في مجلس النواب الفرنسي .
الخزانة العامة بالرباط .

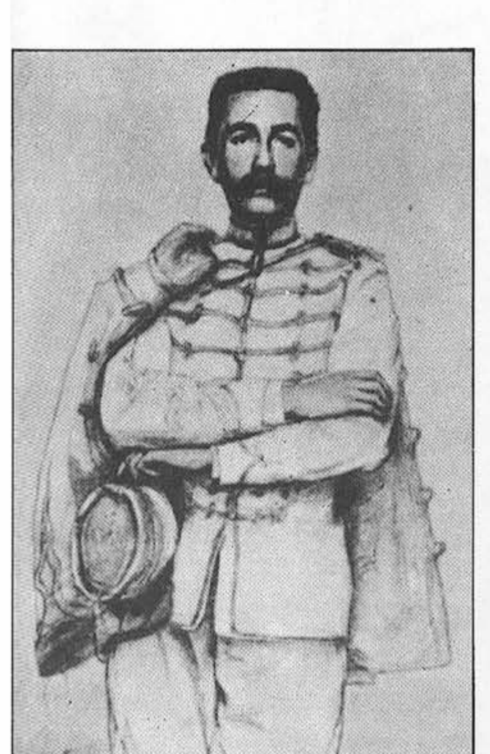


شخصية ليوطي

إن شخصية ليوطي دفعت العديد من أقاربه إلى أن يكتبوا عنه كثيرا ، وقد فتنهم بأفكاره الأرستقراطية ومشايعته للملكية . وكتب كذلك عنه المؤرخون ، فكشفوا عن أوصاف أضيفت إلى ما اشتهر به من مجد وما نسج حول شخصيته من هالة . وقد تيسر الاطلاع على الوثائق الرسمية أكثر من ذي قبل ، بعد أن مضى على وفاته نصف قرن . وأصبحنا ندرك حقيقة أحداث الحماية وحقيقة منشئ نظمها . واعترف الجميع بشخصيته الخارقة للعادة . فقال عنه شارل أندري جوليان CHARLES-ANDRÉ JULIEN **« لم يكن من الرجعيين المتطرفين ، إذ كان أذكى من أن يكون مثلهم . فكان يتصف بذلك الذكاء المطلق الذي لا تعوزه القدرة الفائقة على إدراك الضروريات ، ولا المعرفة**

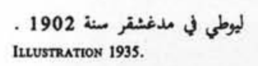
مولاي يوسف بالدار البيضاء .
ILLUSTRATION JUILLET 1909.





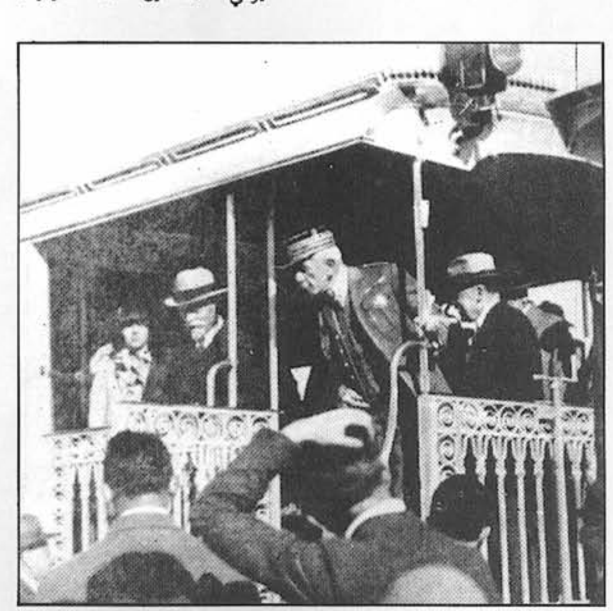
ليوطي ، قبطانا .



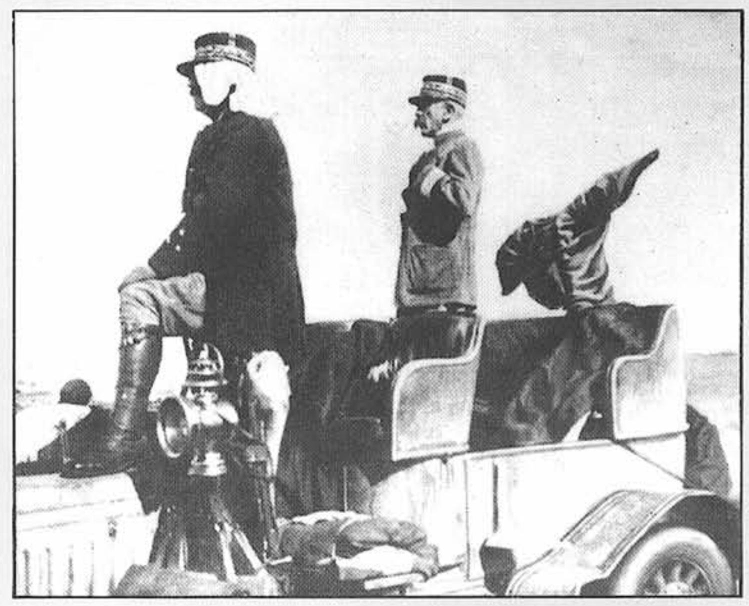


ليوطي في مدغشقر سنة 1902 .
ILLUSTRATION 1935.

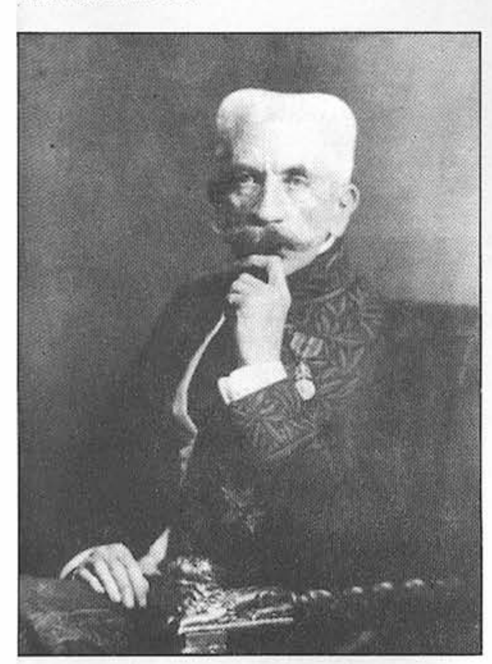
ليوطي أثناء تدشين السكة الحديدية .



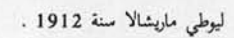
ليوطي على متن سيارة حاملة للرشاشة .
ILLUSTRATION 1912



ليوطي مرتديا زي اعضاء الاكاديمية .
ILLUSTRATION-JUILLET 1920.







ليوطي ، وزيرا للحرب بباريس . تصوير جان سيمون .
ILLUSTRATION 1921-J. SIMON.

ليوطي ماريشالا سنة 1912 .





ليوطي (1854–1934) عن المجلة (1938).. REVUE DES OFFICIERS DE RÉSERVE الخزانة العامة بالرباط .

التي أكسبتها إياه ذاكرته التي لاتضعف ، ولا يعوزه الاطلاع على صفوة الفكر البشري ... ولا يعوزه أيضا حب التطلع الشامل الذي لا ينِي ولا الخيال المتأجج البناء . فكان يكره التقيد بالأراء والعادات المتداولة كما يكره الرتابة والاستبداد في الحكم . وكان لايحب المبتذلات ، فيرشقها بكلمة تبطلها كما تفش الابرة الكرة المرغية . »

وكتبت مؤلفات كثيرة عن ليوطي نخص منها كتاب الجنرال كاترو Catroux الذي عمل تحت إمرته سنة 1907 عند احتلال وجدة . فقد لخص كاترو صفات هذا الرجل « **الفذ** » فيما يلي : « **كان قائدا حقيقيا ، إذ كانت له خصال القواد وسعة نظرهم وتقديرهم للمسؤولية ومعرفتهم للرجال . وكان لا يفتر عن البناء . فقد بنى المدن والقناطر والسكك الحديدية والموانئ ، وعمر الأراضي واستغل المناجم . وكان دائم التطلع إلى المستقبل . وكان تقيا زاهدا ، محترما لتقاليد الدين المسيحي** » .

وافتتن الناس به كثيرا . وبالغ المؤرخون الفرنسيون في إبراز ذلك إلى أبعد الحدود . لكنه لم يكن كامل الأوصاف . فقد أدركنا من خلال ما كتبه في مذكراته الخاصة قدرته الفائقة على الاستبطان ، إذ جعلتنا نطلع على بعض أوصافه . فقد قال : « **مثلي مثل آلة ذات نوابض متينة ، لكن محركها فاسد . فقد يكون سبب ذلك احترام الانسان نفسه ، أي احترامه للشخص الذي يعرف عيوبه أكثر من غيره ، ويعرف نقائصه الأكثر خفاء وسرائره الأكثر كمونا . وقد يكون سببه أيضا احترام الشخص الذي اكتُشف عنده أكثر ما يكتشف من التناقض والبهتان والنقص** »

واستوحى ليوطي نزعته إلى السلطة من فترة نشوئه وشبابه ، ومن الوسط الذي نشأ فيه ، ومن اطلاعه على مؤلفات موراس Maurras وباريس Barrès . ومن هذه العناصر كلها أيضا استوحى إعجابه بألمانيا وبإيطاليا في عهد موسولوني Mussolini. فقد قال عنه الدكتور فيسجيربير : « **لقد لقب ليوطي أصحابه بلقب الامبراطور . وتمنى طوال حياته ممارسة السلطة المطلقة ، لكن لجلب المصلحة** » . فوجد في المغرب ما حقق به أمنيته . وعرف أحسن من غيره كيف يسلك سياسة « **الاكراه والابتسام** » ، وهي لديه مزيج من الرحمة واللطف . وسمى بعضهم تلك السياسة « **سياسة غزو النفوس** » . وما أقل الساسة الذين كان لهم ما كان لليوطي من سعة الادراك وكمال الاطلاع . كان يعمل لصالح فرنسا . لذلك كان له أن يستغل علوما واسعة مثل علوم الاجتماع والاقتصاد والنفس وعلم خصائص الشعوب وعلم الحرب المبني على علم الاجتماع ليعتمد عليها جميعا في سياسته .

« من سياسة غزو النفوس » . ليوطي في مراكش في شهر اكتوبر 1912 .
Illustration 1912.



ليوطي

الحمـــاية

لقد خصصت مؤلفات ودراسات لشرح مذهب سياسة الحماية . وأيد المؤيدون هذا المذهب بنفس القوة التي انتقده بها المنتقدون ، إذ رأى هؤلاء في ذلك المذهب ممارسة الفرنسيين السلطة المباشرة . كان من السهل على الفريق الأول أن يبين أن نظام الحماية لم يكن نظاما استعماريا مقنعا ، سلب الشعب سيادته وترابه ، فوجدوا حججهم في الرسائل التي تركها ليوطي . ومما قاله :

« **نمارس الحماية لا الادارة المباشرة . ينبغي ألا نطمس الأطر القديمة ، بل نستعملها ، وألا نقاوم أعضاء المخزن ، بل نسخرهم في إدارة البلاد . ينبغي أن ننطلق من كوننا أقلية قليلة في هذه البلاد ، فلا نفكر في أن نحل محلهم . ولا يتعد عملنا المراقبة والارشاد . ولا نغض من تقاليدهم أبدا ، ولا نبدل عاداتهم . ولنومن بأن في كل مجتمع طبقة حاكمة خلقت لتحكم وطبقة محكومة . فلا يستغن عن الأولى . وينبغي أن نسعى في أن تومن بمصالحنا ... ولنسخر هذه الفئة الحاكمة لأنها قوة ، ولا نزعجها ، فإننا نملك زمامها . ولتقتنع بذلك . ولنكرمها – على سبيل السياسة – إن لم يكن عن اقتناع ...** » كان ذلك مذهبه في نظام الحماية . وكان قد جربه في الطونكان Le Tonkin . وكان ليوطي دائم النشاط والعمل والحيوية طوال المدة التي قضاها في المغرب . وكان دائما عالي الهمة في تحقيق ما يتوق إليه من رائع الأعمال . وقد قال « **تزعزع العالم ، الآن ، اضطرابات قوية إلى درجة أننا نتساءل كيف ومتى يعود إليه توازنه . وإن ما أتوق إليه هو أن يتلافى المغرب تلك الاضطرابات وأن يقام فيه جهاز متين ، منظم ، منسق ، وأن يظهر بمظهر المجموعة البشرية التي استطاع رجالها ، رغم اختلاف مشاربهم ، أن يسعوا في تحقيق مذهب موحد** » فكانت همته ، كما ترى ، تضاهي شخصيته . غير أن مذهبه في سياسة الحماية ، وهي سياسة تنحصر في إعادة السلام إلى البلاد ومراقبة الادارة ، لم يصمد أمام التقاليد الاستعمارية . واعترف ليوطي نفسه في مذكرته الشهيرة المؤرخة بسنة 1920 بفشله أمام الادارة الفرنسية ، وقد أصبحت لها السلطة المطلقة ، وأصبح نفوذها ينتشر شيئا فشيئا في جميع الميادين .

إن معاهدة الجزيرة الخضراء اعترفت « باستقلال الايالة الشريفة ووحدة ترابها » . وضمنت الدول الممضية على المعاهدة ذلك المبدأ . لكن الفصل الأول من عقد الحماية خرق المبدأ خرقا سافرا ، إذ إنه نص على تشاور فرنسا واسبانيا حول مصالح هذه الدولة الأخيرة في الشواطئ المغربية ، كما نص على وضعية مدينة طنجة . وأكدت معاهدة 27 نفمبر 1912 حول الحماية الاسبانية ما شرع فيه من تمزيق الوحدة الترابية بالهجوم على بشار وفكيك سنة 1903 . فقد حددت مناطق النفوذ ، ولكن سيادة السلطان على جميع البلاد ما تزال قائمة ! واحتفظت الدول المشاركة في مؤتمر الجزيرة بامتيازاتها القضائية والجبائية والتشريعية . فإن ارتكب أحد رعايا هذه الدول الاثنتي عشرة ما يخالف القانون العام أو القانون الجنائي حوكم بمقتضى قانون بلده ، وللقناصلة متابعة الاجراءات القضائية .

وحدد عقد الحماية العلاقات بين المغرب وفرنسا . ونص على « **الاصلاحات التي ترى الحكومة الفرنسية إنجازها في الميادين الادارية والقضائية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية** » . ولما كانت الدولة الحامية ترى نفسها مقيدة بالدول المشاركة في معاهدة 1906 ، فقد اعتمدت على نفوذ السلطان السياسي والاجتماعي . إن السلطان أمير المؤمنين . وقد تكونت وحدة البلاد حول شخصه في عهد الدول المتعاقبة ، وإلى بداية هذا القرن . وكان مولاي الحسن قد أصلح هياكل المخزن لتعود أعماله ذات فعالية . وكان على الادارة المركزية أن تقوم بعملين هامين ، وهما تسيير الادارة العامة والقيام بالوساطة ، وهو عمل لايقل أهمية . فكان وزير الشكايات يتسلم شكايات الناس من تعسف الموظفين ، فيرفعها إلى السلطان ، فيقضي فيها ، وبذلك يسهر على نزاهة الموظفين . ولم يعد للمخزن في عهد مولاي حفيظ ما كان له من الاعتبار والقوة في عهد مولاي الحسن . لكن التقاليد العريقة حفظت ما كان له من نفوذ سياسي . وقد عرف ليوطي ، وهو الخبير بنفسية الناس ، كيف يستغل ذلك .

ولم يلبث النظام الجديد المسمى نظام الحماية أن كشف عن اللبس الذي اضطبع به . لقد كانت السلطة التشريعية في يد السلطان وكان له حق إصدار القوانين . لكن لم يكن له حق اقتراحها . ولئن كانت الديانة الاسلامية مصونة في المغرب ، ولئن حفظ « **للسلطان مقامه الديني وحرمته واعتباره التقليدي ، ولئن ضُمن للناس أداء شعائر دينهم ، وصينت المؤسسات الدينية** » فقد حجزت سلطات الحماية الوسائل الضرورية لممارسة السيادة ، وهي الدفاع والسياسة الخارجية والمالية والأمن الداخلي . وأدت سياسة « **الاستبداد الحكيم** » التي نسبها كاترو إلى ليوطي إلى مزج السياسة بالقوة وبالمكر . فاضطبغت بالازدواج ، وتطورت فيما بعد تطورا تدريجيا . ويظهر هذا الازدواج من خلال محتوى الفصل الرابع من عقد الحماية ، إذ ورد فيه ما يلي

« **إن جلالة السلطان ، أو من يفوض إليه سلطته ، يسن ، باقتراح من الحكومة الفرنسية ، التدابير التي يقتضيها نظام الحماية الجديد** » . فأصبح دور السلطان مثل دور المتكلم باسم سلطات الحماية . ولم يبق له أية سلطة حقيقية . أما فكرة « **المراقبة** » التي كان ليوطي يدافع عنها ، فقد تحولت في الواقع إلى إدارة مباشرة ، مغايرة – لا في طبيعتها ، لكن في درجتها – لذلك النظام الذي أسس في الجزائر ، والذي أدى إلى القضاء على جميع المراتب في البلد ، وعلى القيم الحضارية والدينية ، وذلك بدعوى الادماج . وكانت سياسة المراقبة أشد خبثا وأشد ضررا ، إذ كونت جهازا ثقيلا ينفذ إلى كل التفاصيل . وبذلك قضي على



صورة ليوطي رسمها MARCEL BASCHET.
ILLUSTRATION 1934.

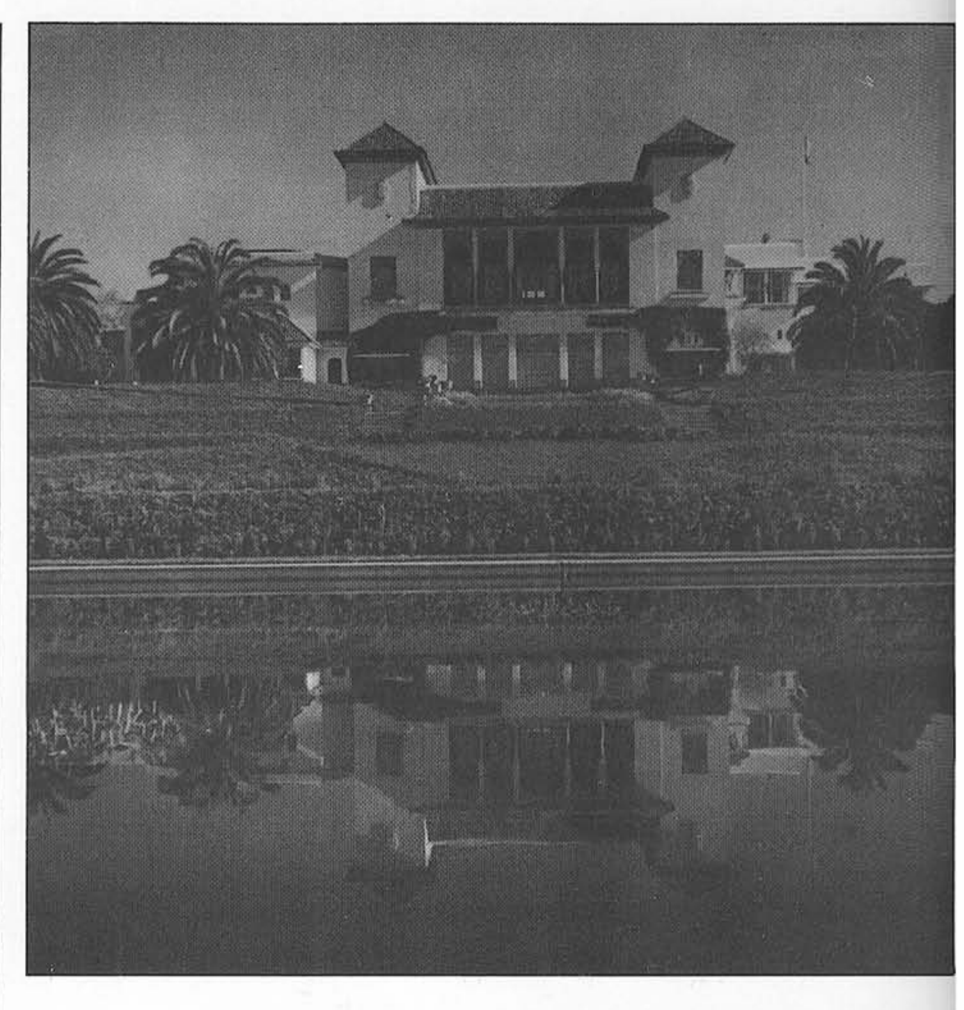
هياكل المخزن التي كانت موجودة منذ قرون . وقد ورد في مذكرة المقيم العام ما يلي :

« ينبغي ألا يُغفل عن أنني أهتم ، قبل كل شيء ، بتنظيم الادارة المحلية كلما اتسعت المنطقة التي نحتلها ، وذلك بوضع الولاة المغاربة تحت مراقبة الولاة الفرنسيين . أما في المناطق العسكرية ، فإن مكاتب الاستعلامات هي التي تقوم بالمراقبة العسكرية ، بإدارة قواد الدوائر ، وتحت السلطة العليا لقواد النواحي . وعلى رئيس المكتب أن يراقب إدارة القواد المغاربة مراقبة مدققة . » وهكذا كانت السلطة الفعلية في يد إدارة يشرف عليها المقيم العام ، وهو « **المؤتمن على جميع سلطات الجمهورية الفرنسية بالمغرب** » .

فلم تحترم الهياكل الادارية الموجودة ولم يحترم تنظيمها . ومن الأدلة على ذلك سلوك سلطات الحماية « **سياسة كبار القواد** » ، إذ كانت عواقبها كثيرة الضرر على المغرب من الناحيتين الاقتصادية والنفسية . فكان القواد ، في غير المناطق الحضرية ، يمارسون جميع السلطات . وبذلك ضعف نفوذ زعماء القبائل . وكانت قوة القواد تقاس بمدى مساندتهم لسلطات الحماية . ولم يكن هذا النظام المبني على استغلال الأقلية للأكثرية إلا تشويها لحكم الارستقراطية . وقد بقي في نفوس الناس ذكريات من الطغيان والجشع لا مثيل لها .

وأصلحت هياكل المخزن إصلاحا محدودا بإنشاء وزارة للأوقاف سنة 1903 ، وأربع وزارات أخرى ، وهي وزارة الصدر الأعظم أي الوزير الأول ووزارة الحرب ووزارة العدل ووزارة المالية . لكن ذلك لم يقو سلطة الدولة ، إذ كانت السلطة مركزة في يد أعوان الحماية الفرنسيين . وقد أحكم تنظيمها وتنسيقها . فكان هؤلاء الأعوان هم الذين يحكمون البلاد ويسيرون شؤونها . ومن أوضح مظاهر فشل هذه السياسة في الميدان الاقتصادي دخول كبريات الشركات الفرنسية في المغرب . وكان الفشل واضحا أيضا في ميدان التعليم . فقد قال شارل أندري جوليان CHARLES-ANDRÉ JULIEN في الموضوع : « **إن التعليم كان أداة تمييز لا أداة تقدم** » وكانت الغاية من التعليم منع أية تربية تهدف إلى تكوين الفكر النقاد الذي ينتقد الوضع الراهن . فكان لابد أن يراعى في عملية « **غزو النفوس** » استمرار عقلية محافظة متعصبة تذهب في ذلك إلى أبعد مما تقتضيه المحافظة على التقاليد . وكان لابد ، في تنظيم التعليم ، من تمييز فئات التلاميذ حسب أصولهم . لذلك أنشئ التعليم الأوروبي والتعليم الاسلامي والتعليم الاسرائيلي ، وكذلك التعليم البربري ، وذلك بدعوى « **احترام التقاليد والعادات والميول** » ، وهي ذريعة ماكرة .

وتعمق هاردي HARDY ، وهو أحد المديرين المساعدين لليوطي ، المكلف بالتعليم ، في الموضوع فقال : « **إن المدرسة ، وهي تستقبل**



الاقامة العامة الفرنسية بالرباط .
تصوير بولان Belin
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

أعدادا كبيرة من التلاميذ ، وتنمي حظوظ النجاح في المستقبل بالنسبة للموهوبين منهم ، تخل بالنظام المعهود في بلد مقبل على الحياة العصرية وذلك رغم الاحتياطات التي تتخذ في تعليم الأخلاق . وقد يؤدي ذلك أيضا إلى اختلال المجتمع ... فتصيبه أزمة تضاف إلى ما يشكوه من أسباب القلق الكثيرة » .

لذلك حرصت سلطات الحماية على تلافي تواصل الطبقات الاجتماعية ، وذلك لحفظ النظام القائم . « **وحاول ليوطي ، بناء على تجربته في الهند الصينية ومدغشقر والجزائر أن يحفظ المغرب من مثل هذه الأخطار ، أو أن يقللها . وأراد ليوطي ، كذلك ، أن يمهل المغرب حتى يستعيد طمأنينته بعد الصدمة التي أصابته إثر التدخل الأوروبي ، كما كان يريد أن يعود إليه استقراره ، وأن يمنع أجيال الشباب من طي المراحل** » واعترف هاردي بأن ليوطي تعمد بناء تعليم المغاربة على تكوين نخبة اجتماعية وعلى مبدأ جوهري ، وهو الاكثار من المدارس ، ولو في أماكن موقتة باستعمال الخيام والأكواخ والحجرات القصديرية « **ليتعود الناس وجود الفرنسيين بين ظهرانيهم** » فلا ينجع أي عمل سياسي إن لم يستند على دعاية كثيفة . وقد برع ليوطي في ذلك .

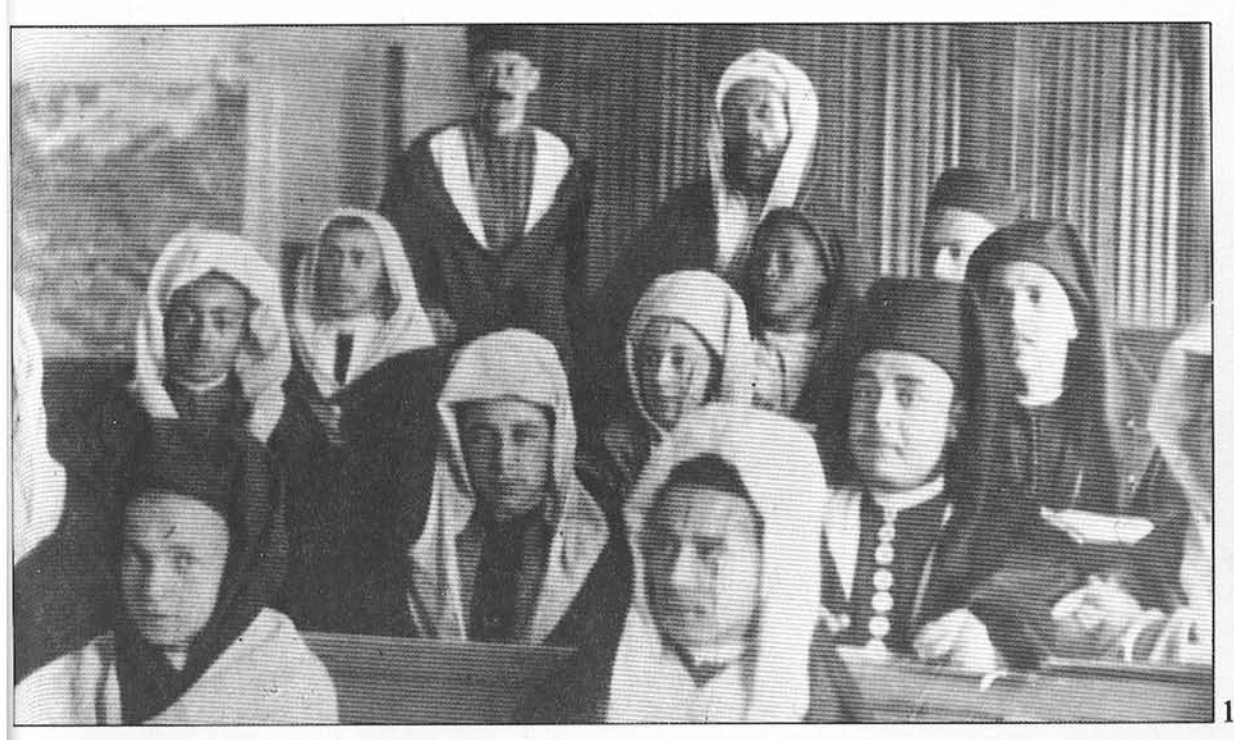
ويلاحظ مثل هذا الميز في سياسة التعمير والبناء . فكانت الفكرة التي ابتكرها حكام الحماية هي « **المحافظة على المواقع الأثرية ، لا لجمالها أو مستوى فنها ، بل لأن السائح لايقصد البلد الذي لم يبق فيه أي شيء يزار** » . فكانت القاعدة التي سنتها السلطات هي المحافظة على التقاليد الهندسية في البناء . وكان احترام التقاليد قاعدة مطردة في جميع الميادين . لكن كان ينبغي ، إلى جانب ذلك ، « **تخطيط مشاريع ضخمة ، بل ونهائية لا موقتة** » وكنا نجد نفس الأفكار والتعليمات في ميدان التعمير ، كأن يتلافى المسؤولون تعايش مختلف عناصر السكان ، إذ ينبغي ألا يساكن بعضها بعضا وألا يزعج بعضها بعضا . فكان المبدأ ما يلي :

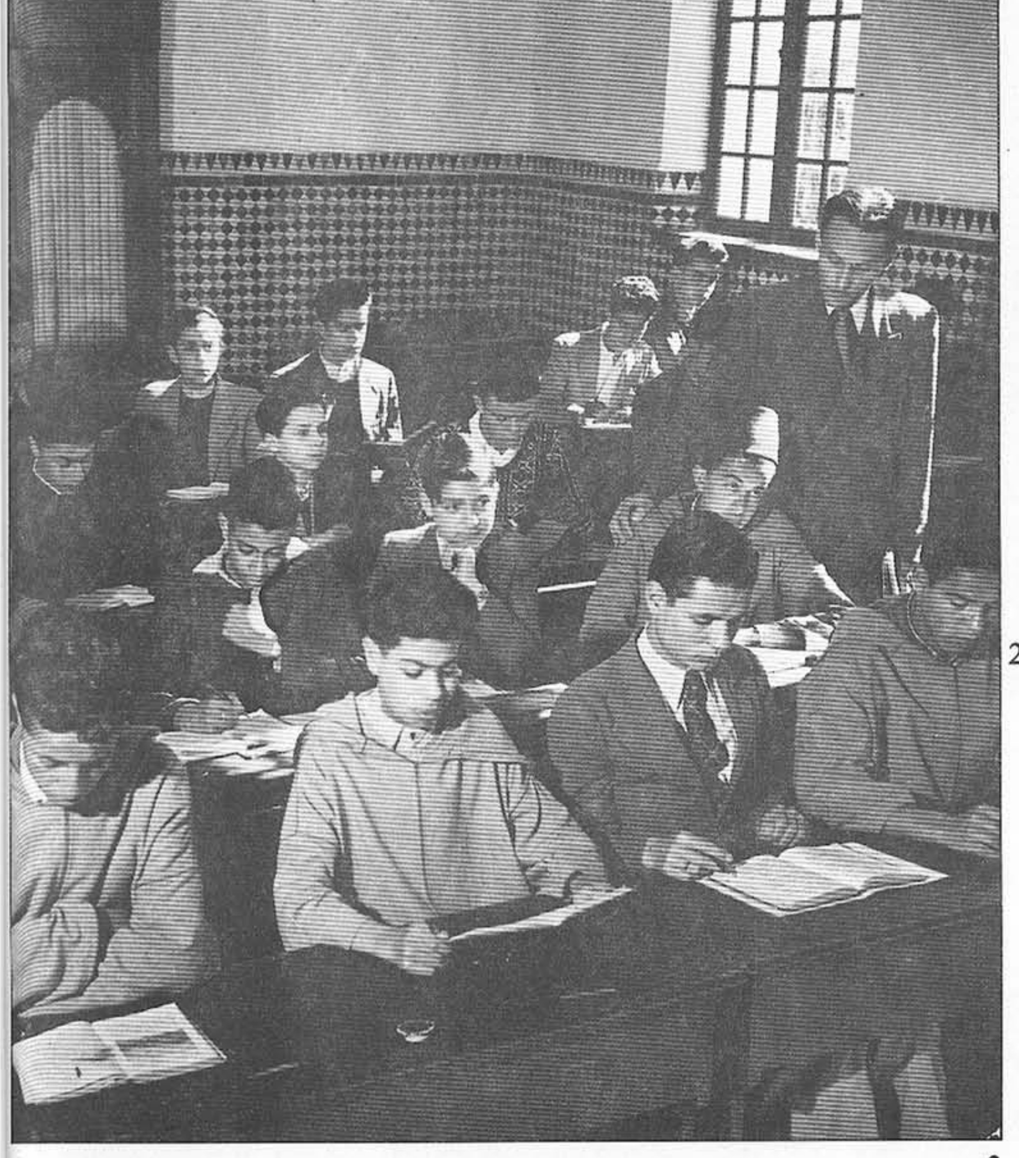
« **ينبغي ألا نمس المدن المغربية الا أقل ما يجب . أما المدينة الأوروبية فيجب إقامتها بجانبها حسب مخطط تراعى فيه أحدث شروط التعمير ، كتزويدها بالماء والكهرباء والحدائق وكبناء الشوارع الواسعة** » .

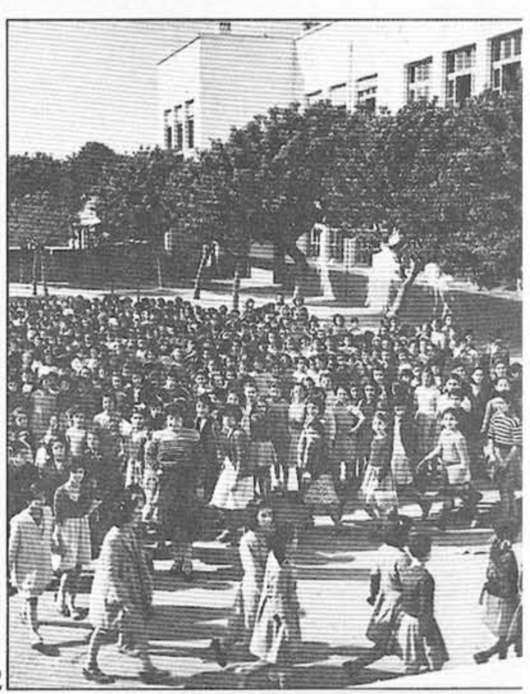
الشركات الكبرى

لقد قررت معاهدة الجزيرة تأسيس البنك المخزني المغربي ، وهو بنك دولي . لكنه أصبح فيما بعد يعمل عمل « **بنك الأبناك** » فسيطر عليه البنك المسمى Banque de Paris et des Pays-Bas، وبذلك أصبح يراقب الاقتصاد المغربي وكل ما تفرع عنه .

كان الجيش الفرنسي يخطط السياسة الفرنسية في المغرب في بداية التوسع الاستعماري . لكن دور رجال الأعمال في ذلك كان أهم . فقد كونت « **لجنة المغرب** » Le Comité du Maroc لفيفا قويا في البرلمان الفرنسي بزعامة شخص اسمه أوجين إتيان Eugène Etienne للضغط على الحكومة . وكان هذا الرجل ، مدة عقود طويلة ، رمزا من رموز الاستعمار . وكان يرى « **المقياس الوحيد الذي ينبغي اعتماده في كل مشروع استعماري هو ما قد ينتج عنه من الفائدة لفرنسا** » . وقد حضر أحد الصحافيين اسمه فرنسيس دوليسي Francis Delaisi احدى المآدب السنوية التي تقيمها لجنة المغرب . ونقل


1


3


2

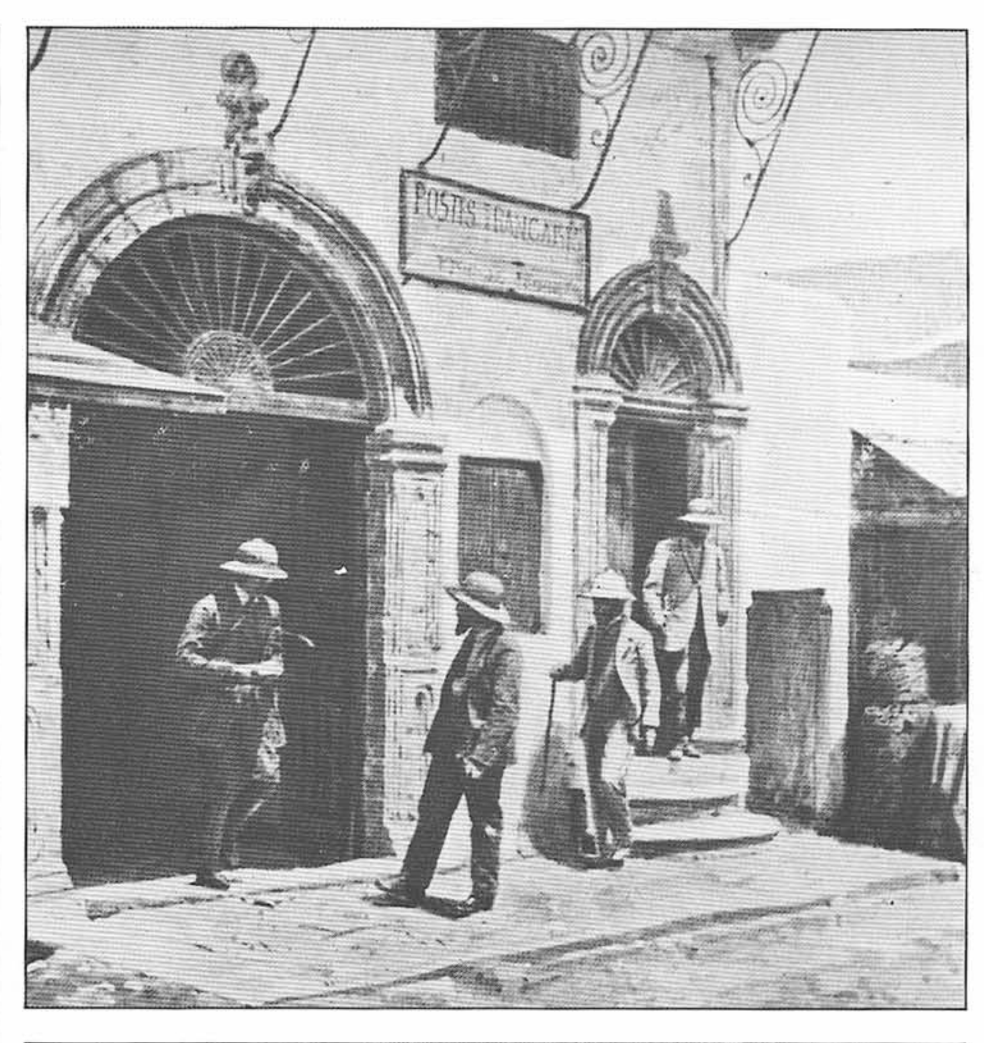
1 تلاميذ ثانوية مولاي ادريس بفاس سنة 1927 .
مجموعة صور بن جلون.

2 مدرسة اسرائيلية بملاح الرباط .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

3 ثانوية مولاي ادريس بفاس ، امست لاستقبال ابناء الاعيان .
(1948) .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

4 مدرسة بطنجة سنة 1904 حيث كانت تدرس اللغة العربية
واللغة الفرنسية .
ILLUSTRATION-MAI 1904.





أول مكتب للبريد بالرباط ، بشارع القناصل .
ILLUSTRATION-JUIN 1912.

جزءا من خطاب إيتيان عبر فيه بكامل الدقة عما تتميز به العقلية الاستعمارية . فقد قال زعيم لجنة المغرب « **انظروا هناك قريبا منكم . إنه المغرب ، أرض الخير التي تسقيها أمطار البركة القادمة من المحيط ومن المتوسط . إنه من أروع مجالات العمل ! هناك مناجم الفوسفاط والحديد . وهناك الحقول لزراعة القمح ، وهناك أشجار الزيتون . هناك يمكن إنتاج القطن ليباع لمعاملنا في مدينة روبي** ROUBAIX ومدينة توركوان TOURCOING **وهناك مجال لمعدنينا ولمقاولينا لبناء السكك الحديدية والموانئ . وهناك مجال للمعاملات التي يستفيد منها أصحاب أبناكنا ...** » وأصبح أرباب الأبناك فيما بعد يتصرفون تصرف الوصي الحريص على المغرب . ومع ذلك ، فقليلا ما كانوا يخالفون آراء بعض الموظفين السامين في إدارة الحماية ، إذ كان هؤلاء الموظفون ينزعجون من شره أصحاب الأبناك ويخافون أن تؤدي سياستهم إلى الاخلال بالأجهزة السياسية القائمة . فقد تغيرت معالم المغرب تغيرا كاملا ببناء المدن والطرق والموانئ . وكان ذلك لفائدة رأس المال الاستعماري وحده . فقد كتب ليوطي في تقرير له مؤرخ بـ 16 يونيو 1915 ما يلي « **ينبغي أن نجعل من المغرب سوقا تجارية وصناعية رائجة ، وذلك هو هدف أية مؤسسة استعمارية** » وكان لابد ، لرواج تلك الأسواق ، من جلب رؤوس الأموال الأجنبية ومن تيسير الاقتراض . وكان لابد أيضا من تجهيز البلاد وتوسيع شبكات المواصلات لاستغلال الثروات المعدنية والفلاحية والمواد الخام . فأصبح المغرب مثل ورش واسع تنشأ فيه المنشآت المتعددة . وقام ليوطي مقام « **كبير الوكلاء التجاريين** » لفائدة نظام الحماية ، كما قال عنه أحد أقاربه . فكثر اتصاله واجتماعه برجال الأعمال والمقاولين في مدن بوردو BORDEAUX وليون



المكتب الرئيسي للبريد بالرباط . صورة حديثة .
تصوير أدول .

Lyon ومارساي Marseille . **وتصرف ليوطي كذلك تصرف المخرج الكبير ، فأنشأ مصالح** للانعاش والاعلام ، ونظم معرض الدار البيضاء . فاتسعت شبكة الطرق وامتدت السكة الحديدية من وجدة إلى مراكش . وجهز ميناء الدار البيضاء ، فأصبح أكبر ميناء في البلد .

وأدى الاستثمار في ميدان البناء إلى إنشاء مدن واسعة . واعتُمد ، في تحقيق هذه المعجزات ، على رؤوس الأموال العامة المغربية المتكونة من موارد الضرائب والرسوم ودخل الأملاك العامة ، وعلى رؤوس الأموال الخاصة التي جمعتها كبريات الأبناك . وسلكت السلطة في ذلك سياسة استثمارية كثيرة المرونة . فقررت فوائد عالية على الأموال المقترضة ، وخفضت التكاليف الجبائية المضروبة على المقاولات . فكانت هذه « **المعجزة المغربية** » ناتجة عن تخطيط موحد اشترك فيه رجال الأعمال ورجال الادارة ورجال الجيش .

وكان دور أصحاب رؤوس الأموال مساندة جهود الاستعمار وتجهيز البلاد بما يُحتاج إليه لاستغلال المواد الخام التي كانت « **كثيرة الغنى** » كما تنبأ بذلك النائب البرلماني أوجين إيتيان ، كالفسفاط والحديد والزنك والرصاص والمنغنيز والكوبالط . فاستولت على كل ذلك الأبناك والشركات استيلاء منظما واقتسمت فيما بينها أهم القطاعات الاقتصادية . واتحدت لنفس الغاية عدة أبناك وعدة شركات . ومن أشهر هذه المؤسسات البنك Banque de Paris et des Pays-Bas الذي راقب نظام البنك واحتكر تجارة التبغ عن طريق « **شركة التبغ بالمغرب** » وأسس مجموعتين من الشركات اسم الأولى Compagnie Générale du Maroc واسم الثانية Omnium Nord-Africain ، وهي مؤسسات اقتصادية متشعبة الاختصاصات . وقد اتسع نفوذ هذه المؤسسات حتى كونت قوة ضغط ساندها علية الموظفين في الاقامة العامة . فتداخلت السلطات المقررة بعضها في بعض ، وذلك ما جعل نظام الحماية يعدّل أهدافه الأصلية ليراعى مصالح أصحاب رؤوس الأموال .

وإلى جانب هذا الاقتصاد الرأسمالي الذي استفادت منه الأقلية ، حوفظ على الاقتصاد التقليدي بنفس الحرص الذي حفظت به تقاليد البلاد . فبقيت الفلاحة معتمدة على أقدم الوسائل ، وذلك بعد مرور عشرات السنين على تأسيس نظام الحماية . فقد قال جان دريش J. Dresch : « **إن الأدوات التي يستعملها المغاربة تشبه ، بصفة عامة ، تلك التي كانت تستعمل في أيام الرومان** . » وضاق الفلاحون في السهول والجبال بهذا الاقتصاد الذي لا يمكّن إلا من سد الرمق . وتطورت الأحداث تطورا فظيعا إثر انتشار الاستعمار الفلاحي وتطبيق سياسة نزع ملكية الأراضي .

أحد أجنحة بنك المغرب بالرباط .
تصوير أدول .



« ... وهناك مجال لمعدنينا ولمقاولينا لبناء السكك الحديدية والموانئ . وهناك مجال للمعاملات التي يستفيد منها أصحاب أبناكنا ... »
بنك المغرب بالرباط – تصوير أدول .

مذكرات من التراث المغربي

جناح المغرب في معرض باريس سنة 1931 .
ILLUSTRATION-AOUT 1931.



دراس القمح بالطريقة العتيقة . تصوير بولان .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

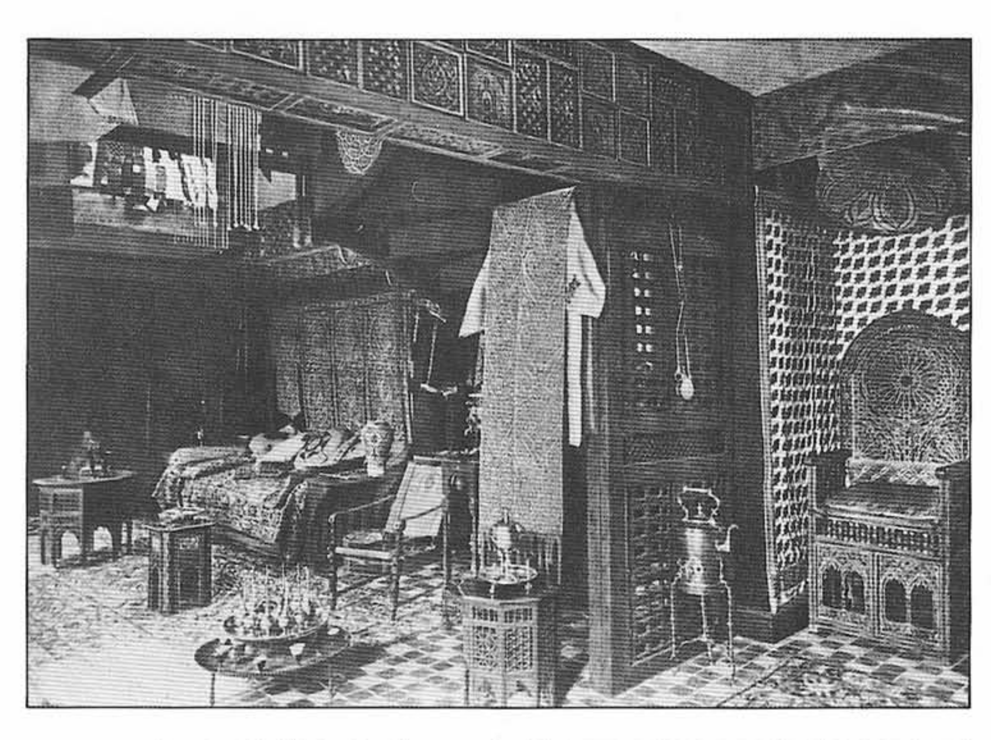
هجرة السكان وتطور الأوضاع

لايمكن أن نتفهم مراحل تأسيس أجهزة الحماية وتطورها بدون الرجوع إلى شخصية ليوطي . فقد كان ليوطي يحب بلاده حبا لا حدّ له . وساعده نفاذ بصيرته على تصور الحالة التي كانت عليها فرنسا ، وعظمتها وانحطاط قيمها شيئا فشيئا . فقال :

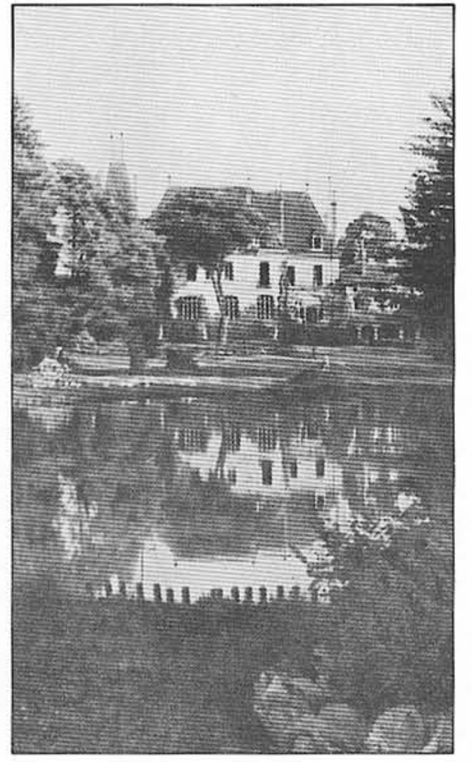
« **إن الأجانب يعتقدون أن بلدنا في طور الانحطاط عندما يلاحظون الفوضى السائدة في حكومتنا ، وعندما ينظرون إلى الموظفين الفرنسيين الذين يعملون في البلاد التي أصبحت تحت نفوذنا ... إن من الأسباب البعيدة التي أدت إلى هذا الانحطاط وهذا اليأس خطيئة الاعتداد بالنفس والنزوع إلى الشقاق والغلو في الأنانية غلوا يمنع التنظيم** » فعلى الفرنسيين ، إن أرادوا إحياء الفكر الوطني ، أن يستلهموا من مستعمراتهم وممتلكاتهم الخارجية ما يساعدهم على استعادة « **مزايا الشباب** » . ومما كتبه في مذكراته : « **لن ينقطع أملي في أن تتحول الحيوية الاستعمارية إلى قوة عندما تعود من الخارج إلى الوسط . لاجرم أن استعمار المغرب من الأعمال التي نفخر بها أشد الفخر . وفي ذلك دليل واضح على أننا ما زلنا نحتفظ بخصال الثبات والجرأة والكد والمبادرة الشخصية ، وهي الخصال التي تميز بها الرعيل الأول في كندا ولويزيان** LA LOUISIANE والهند . »

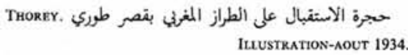
وقد قاسى المغاربة الأمرين من هذه السياسة الاستعمارية التي اتخذت مطية لاحياء القيم الثقافية والخلقية . وكان لهذه السياسة أثرها في فرنسا . وكان ذلك منطلقا للهجرة البشرية الأوروبية إلى « **أرض الميعاد** » . وكان لابد من إصدار نصوص تشريعية كثيرة المرونة لتيسير بيع أراضي المغاربة ونزع الملكية ، وذلك لاغراء المهاجرين . ومع ذلك ، فقد كان عدد الأوروبيين القاطنين في المغرب غير كثير ، إذ بلغ 400.000 شخص سنة 1955 في منطقة الحماية الفرنسية . وأصدر ظهير لنفس الغاية يوم 13 دسمبر 1913 في موضوع تسجيل الأملاك العقارية ، وكذلك لتنظيم الفوضى التي كانت موجودة في هذا الميدان . وقد أباحت معاهدة مدريد ومعاهدة الجزيرة الخضراء لرعايا الدول المشاركة في المؤتمرين امتلاك 80.000 هكتار في أغنى مناطق البلاد . ومكن الظهير المذكور من إضفاء الشرعية على الملكية عند صدوره ، ومن ترغيب المعمرين في الهجرة . لكن الملاكين الصغار والمتوسطين المغاربة حاولوا التعرض في ظروف صعبة جدا لانتشار هذا الاستعمار الفلاحي . فاضطرت السلطات إلى وسائل أخرى لكفهم عن ذلك . وشددت إدارة الأمور الأهلية ضغطها وبعثت المذكرات إلى الضباط والمراقبين لارشادهم إلى الوسائل التي أوصوا باتباعها لتيسير امتلاك المعمرين الأراضي . وتشتمل إحدى هذه المذكرات على تعليمات دقيقة ، إذ ورد فيها :

« **يجب اتباع الطريقة التالية : يقام ، أولا ، بعمل سياسي كثيف ، يكون هدفه إقناع جميع الملاكين بأن يعدوكم بالبيع . ويشهد العدول على ذلك ، كما**



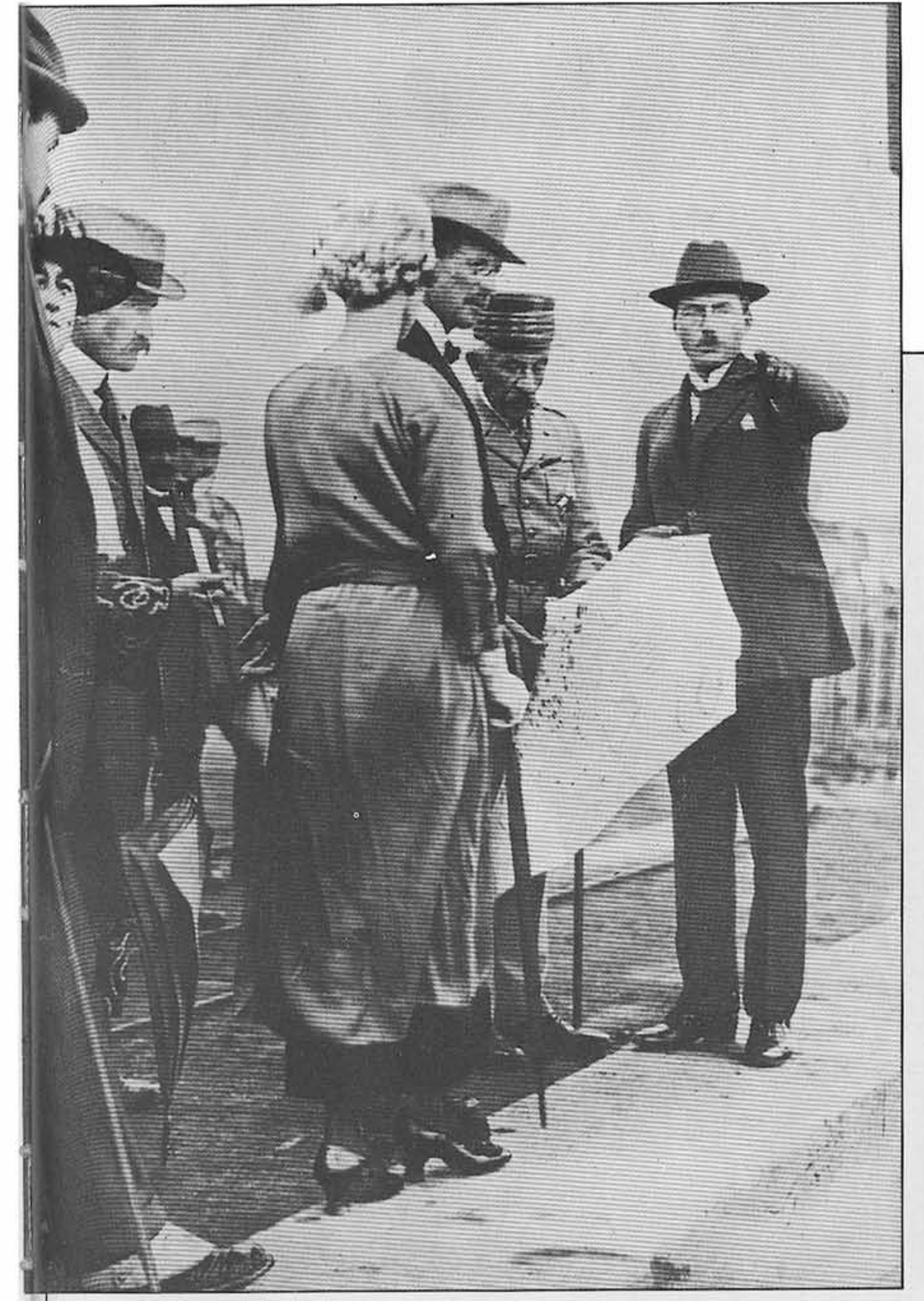
حجرة الاستقبال على الطراز المغربي بقصر طوري THOREY. ILLUSTRATION-AOUT 1934.

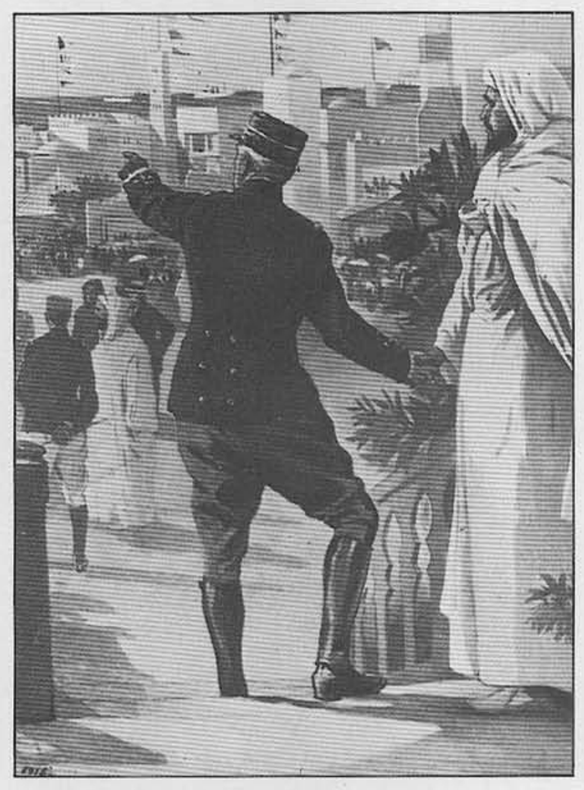




قصر ليوطي ببلدة طوري THOREY. ILLUSTRATION-AOUT 1934.

مذكرات من التراث المغربي



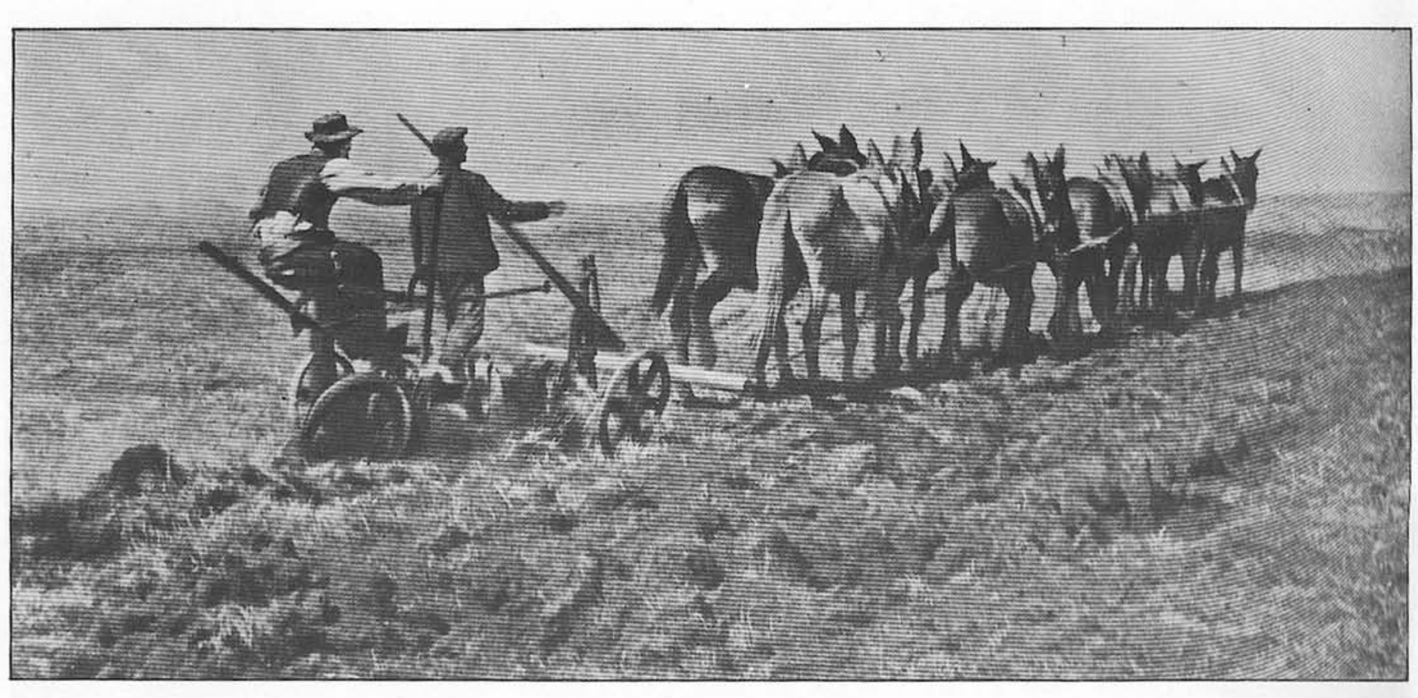




ليوطي في معرض الدار البيضاء سنة 1915 .
ILLUSTRATION-JUILLET 1920.

ليوطي يرى ملك بلجيكا ، ميناء الدار البيضاء سنة 1921 .
ILLUSTRATION-OCTOBRE 1921.

رئيس الجمهورية المغربية .
نزول م. ميلراند بالدار البيضاء مع استقبال حار من طرف السلطان مولاي يوسف .



المعمرون يفلحون الارض.
ILLUSTRATION-AOUT 1934.

يشهدون على قيمة التعويضات التي يطلبها أصحاب الأراضي إما نقدا وإما عينا . وإني ألح على ضرورة الوصول إلى أهدافكم بمعاملات أساسها التراضي ، وذلك لأنها شرعية ، ولأنها وسيلة لتلافي التجريح الذي يعقب نزع الملكية في جميع الأحوال . ولن يعرض على المحاكم ، في نهاية الأمر ، إلا القضايا التي أصر أصحابها على الامتناع . وسيقل عددهم بقدر ما تبذلونه من وسائل الاقناع ومن المهارة والنفوذ الشخصي . »

وطبقت هذه « الدروس القيمة في السياسة » . وقامت الدولة عن طريق الأبناك ومكتب القمح بما يجب لانعاش الزراعات التي تصدر منتجاتها كالخمر والقمح والخضر . ونزح الفلاحون ، الذين سلبوا أراضيهم ، إلى المدن . وبذلك بدأت هجرة سكان القرى ، وتكونت طبقة من العمال حول المدن . وقد روى ميشيل إيكوشار Michel Ecochard ، المهندس المكلف بتنسيق المدن أن ثلثي سكان البلاد مضطرون إلى أن يعيشوا في أكواخ قذرة . ولم تلبث مدن القصدير أن ظهرت . وقد كانت نسبة سكان الأرياف 90 % من مجموع سكان البلاد سنة 1912 ، فاضطرتهم الظروف والأحداث ، وخاصة الفاقة ، إلى التحضر بدون استعداد لذلك ولا تمهيد .

وكان المعمرون قد استقروا خاصة في أخصب السهول ، حول الرباط ، وفي الشاوية ودكالة وفي شرقي المغرب . ثم أخذ مجال الاستعمار الفلاحي الرسمي والخاص يتسع باستمرار مثل التوسع العسكري ، وذلك لأسباب تدعو إليها المنفعة العامة ، حسب زعمهم .

الاحتلال والغزو الاستعماري

احتل الفرنسيون مدينة وجدة سنة 1907 ، وهي كبرى مدن شرقي المغرب . وبذلك بدأت عملية « **تداعي الاحتلال في المغرب** » ، كما سماها أحد أعضاء مجلس النواب الفرنسي . واستمر الغزو إلى سنة 1934 ، وانتهى باحتلال شرقي الأطلس الكبير . ودامت هذه العملية التي سميت « **عملية توطيد الأمن** » ربع قرن . وكانت ، في الواقع ، عملية غزو واحتلال عسكري *لم تضعف المقاومة قط* أثناءها . وكان ليوطي ، وهو الخبير بفنون الحرب ، يهدف لا إلى احتلال الأرض فقط ، بل وإلى تألف النفوس ، وبأقل ما يمكن من الجنود . وكان يلح ، في تعليماته ، على وجوب سلوك طريقة « **المثقب اللولبي** » ، لا طريقة « **المطرقة** » التي تهدم كل شيء . وكانت طريقة المثقب اللولبي عنده مزيجا من القمع والدهاء والمكر للاستعانة بقبيلة ضد أخرى ولاستغلال ضعف بعض كبار القواد وارتشائهم . ولم يكشف لحد الآن عن تاريخ موالاة بعض الناس للاستعمار . لكن الوثائق لم تخف الأسرار جميعها .

وكان لابد من توفير بعض الشروط للنجاح في احتلال البلاد . وكان ينبغي للمسؤولين التصرف بحرية في الميدانين السياسي والعسكري . وكا عليهم أن يتفادوا عرقلة حكومة باريس لتطور البلاد . لذلك جمع ليوطي بين سلطات القائد العام للجيش وسلطات المقيم العام المفوض ، إذ فوضت إليه جميع السلطات في المغرب . وكان الشرط الثاني وجود جيش مجرب . لذلك



الساحة الكبرى أمام السوق بمدينة أرفود .

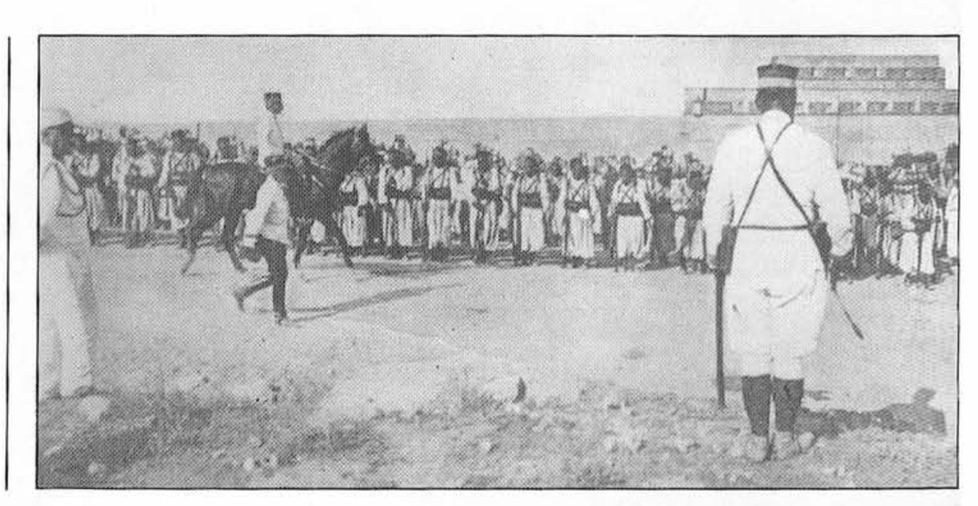
استعملت السلطات « **جيش افريقيا** » الذي درب على تحمل قسوة المناخ وعلى مطاردة الأهالي في الجزائر . ورأت السلطات العسكرية ألا تعرض للموت جنود الجيش النظامي . لذلك أنشأت قوات إضافية مؤلفة من « **الكوم** » و « **المخازنية** » بقيادة ضباط الشؤون الأهلية .

وكانت هذه القوات هي التي يدفع بها إلى المقدمة . فكثر عدد قتلاها في عمليات « **التطهير** » والغزو . فكان المغاربة يقاتلون المغاربة ، كما كان الحكام يستعملون القبيلة ضد القبيلة لاثبات قدم الاستعمار . أما « **الأنصار** » ، إن وجدوا ، فكانواأقل عددا مما يقال . فقد كانت حرية التصرف ووسائل الهروب من الجيش محدودة نظرا لشدة مراقبة القيادة وقواد الجيش النظامي . وكان الجيش كثير العدد ، إذ بلغ **150.000** جندي سنة **1912** عند غزو ما كان يسمى المغرب النافع أي الدار البيضاء والشاوية ومدن الشاطئ والأطلس الكبير والسوس وشرقي المغرب . ثم ضوعف هذا العدد ، وانشئ جيش إظافي عدده نصف مليون رجل لمساندة الجيش النظامي . وكانت بشاعة الحرب وقنبلة الطيران والمدفعية وتخريب متاع الأهالي وإحراقه هو الواقع الحقيقي الذي تعبر عنه العبارة « **قطعة حب** » التي كان يطيب لليوطي ترديدها . وكان ذلك هو الواقع الذي يصحب أي عمل رائع .

وقد مهد الحكام لاحتلال البلاد بحرصهم على تفرقة القبائل وعلى إذكاء العصبيات . فدبروا أمرهم أحسن تدبير بتقسيم البلاد إلى « **بلاد المخزن** » و « **بلاد السيبة** » وبالتفرقة بين البربر والعرب . فقد غزت قوات الاحتلال الأطلس المتوسط من سنة **1914** إلى سنة **1920** ، وقمعت بعض القبائل عن آخرها قمعا لم يسبق له مثيل . ثم استولت على الريف ، إذ تزعم المقاومة فيه محمد بن عبد الكريم الخطابي . ثم كان غزو تافيلالت وجبل صاغرو سنة **1933** وشرقي الأطلس الكبير وتيندوف وموريتانيا . وقد أبدى جيش الاحتلال من القوة ما لم يكن يضاهيه إلا عناد لفيف لجنة المغرب في مجلس النواب الفرنسي ، إذ كون قوة ضغط دافعت دفاعا قويا عن عظمة الامبراطورية الفرنسية ، تلك الامبراطورية التي انقرضت فيما بعد لما قويت شكوة الوطنية . وإذا كانت قوات الغزو الفرنسي تقدمت تقدما منتظما ، فإن المقاومة لم تضعف قط . لم تكن خرافة « **توطيد الأمن** » واستسلام القبائل إلا عملية هائلة للدعاية الكاذبة . فقد كتب الجنرال كيوم Guillaume ما يلي : « **لم تقبل علينا أية قبيلة من تلقاء نفسها ، ولم تستسلم أية قبيلة دون قتال . وقد استنفدت بعضها كل وسائل المقاومة** » . ولابد من الاعتراف بأن سلطات الحماية أفلحت في اختيار السبل والخطط للوصول إلى أهدافها . فقد عم الأمن البلاد ، ولكن ماذا كان الثمن ؟ وتحققت المعجزة الاقتصادية ، لكن من الذي استفاد منها ؟ أكان ذلك لفائدة الفلاحين الذين ساءت حالهم أكثر فأكثر ؟ أم لفائدة العمال المحرومين الذين يعيشون عيشة الضنك في مدن القصدير ؟ أم لثلثي السكان الذين يسكنون الأكواخ القذرة ؟ أم للفلاحين الذين انتزعوا من بيئتهم وسلبوا أراضيهم ؟ أم لهذا الشعب قاطبة وقد أهين وأرعب إرعابا ، وانتهكت منه حرمة الجسد والنفس والعقيدة ؟ إن الشعب المتعلق بدينه وأرضه لايمكن استعماره دون أن يشعر بالخزي والاهانة ، ولو بوّقت سلطات الحماية باحترامها الاسلام كما فعلت . ويلاحظ ، بعد ذلك ، أن كل التعليلات الخلقية والتشريعية المتعلقة بطبيعة الحماية أصبحت واهية ، كما كانت سلطات الحماية ، أو السلطات الاستعمارية تنظر إلى الأشياء بنفس النظرة ، أو نظرة مخالفة ، لكن الحقيقة هي هي .

إن الشكاة التي سمعناها أثناء جولتنا التاريخية ، من تلك المرأة العجوز في مدينة فاس المؤتمنة على التقاليد ، قد انتشرت في البلاد وتحولت إلى دعوة إلى الثورة « **اليهود في السفود والنصارى ...** » وقد تردد هذا النداء في جميع النواحي ، في الجبال والسهول . وكان بمثابة شعار ديني نودي به إلى القتال والمقاومة . وكان الاسلام حافز الجميع ، إذ هو الملجأ الذي يتحصن به الشعب المتمسك بدينه ضد كل من يشوه شخصيته المتأصلة . إن ذلك الشعب يعترف

بالمسيحية واليهودية ويحترمهما . لكنه رأى ، في هذه الحقبة الاستعمارية ، من تعسف الغزاة ما جعله يعتبر غزوهم حربا صليبية أخرى . فلم يكن تصرف المغاربة من قبيل التعصب الديني ولا مظهرا من مظاهر الوحشية . لكنه رد فعل بيولوجي ، صدر من الأعماق للدفاع عن الكيان . فطمأن ذلك على سلامة الأمة وعلى



حامية وهران قبل معركة الحدود المغربية .
ILLUSTRATION-JUILLET 1907.

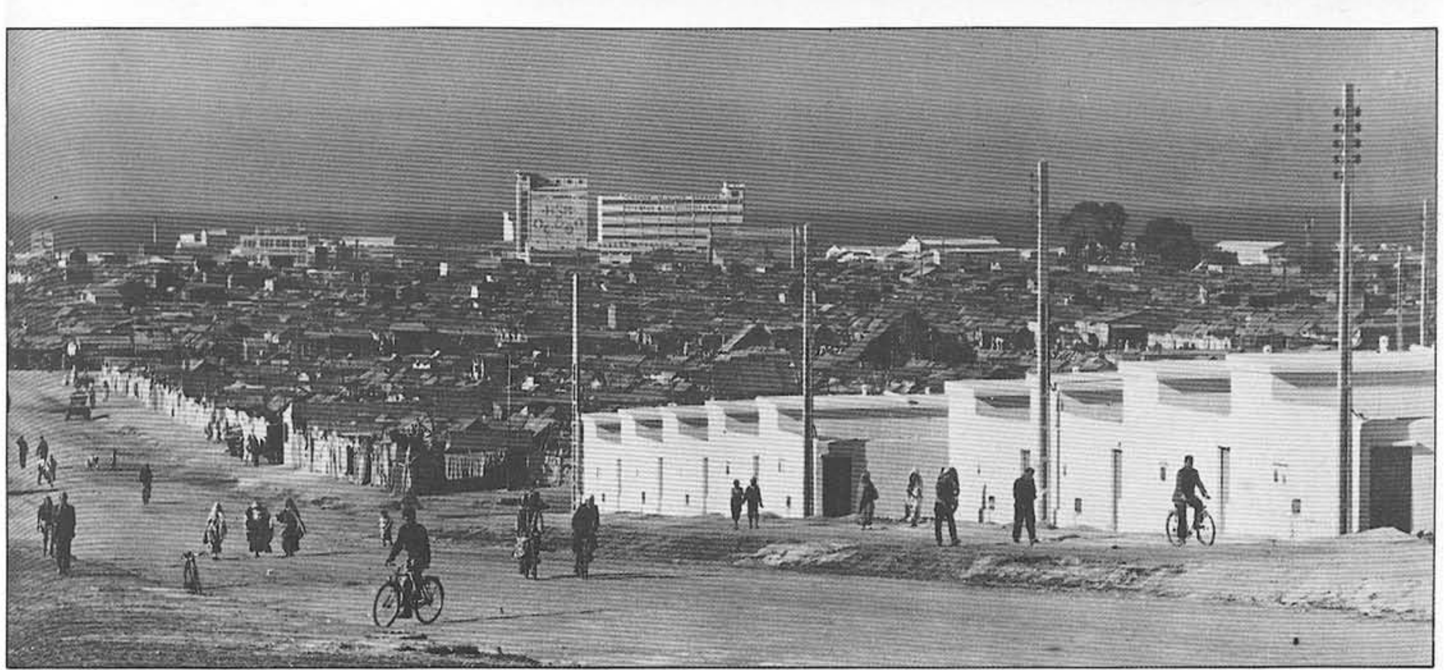
قنبلة قرية بني عمار .

تماسك وحدتها . ولم يكن رد فعل مرضي كما أوعز بذلك بعضهم .

لاشك أن من السهل تلخيص أسباب قيام نظام الحماية وتقويم منجزاته وحصيلته . لكن لايمكن تقويم عواقب هذا النظام على المجتمع المغربي في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية تقويما يعتمد على الأعداد ونسب الفائدة والاحصائيات . إن الغموض مازال يخيم على كثير من الأحداث السياسية . ولم يكشف بعد عن جانب هام من تاريخنا . فعلى المؤرخين المغاربة أن ينكبوا على هذا التاريخ وعلى الماضي لتقويم النظرة الخاصة التي ينظر بها البعض إلى تاريخ الاستعمار . وعليهم كذلك أن ينظروا نظرة جديدة وأكثر موضوعية إلى الماضي القريب ، إذ ما يزال يؤثر كثير التأثير على حاضرنا .

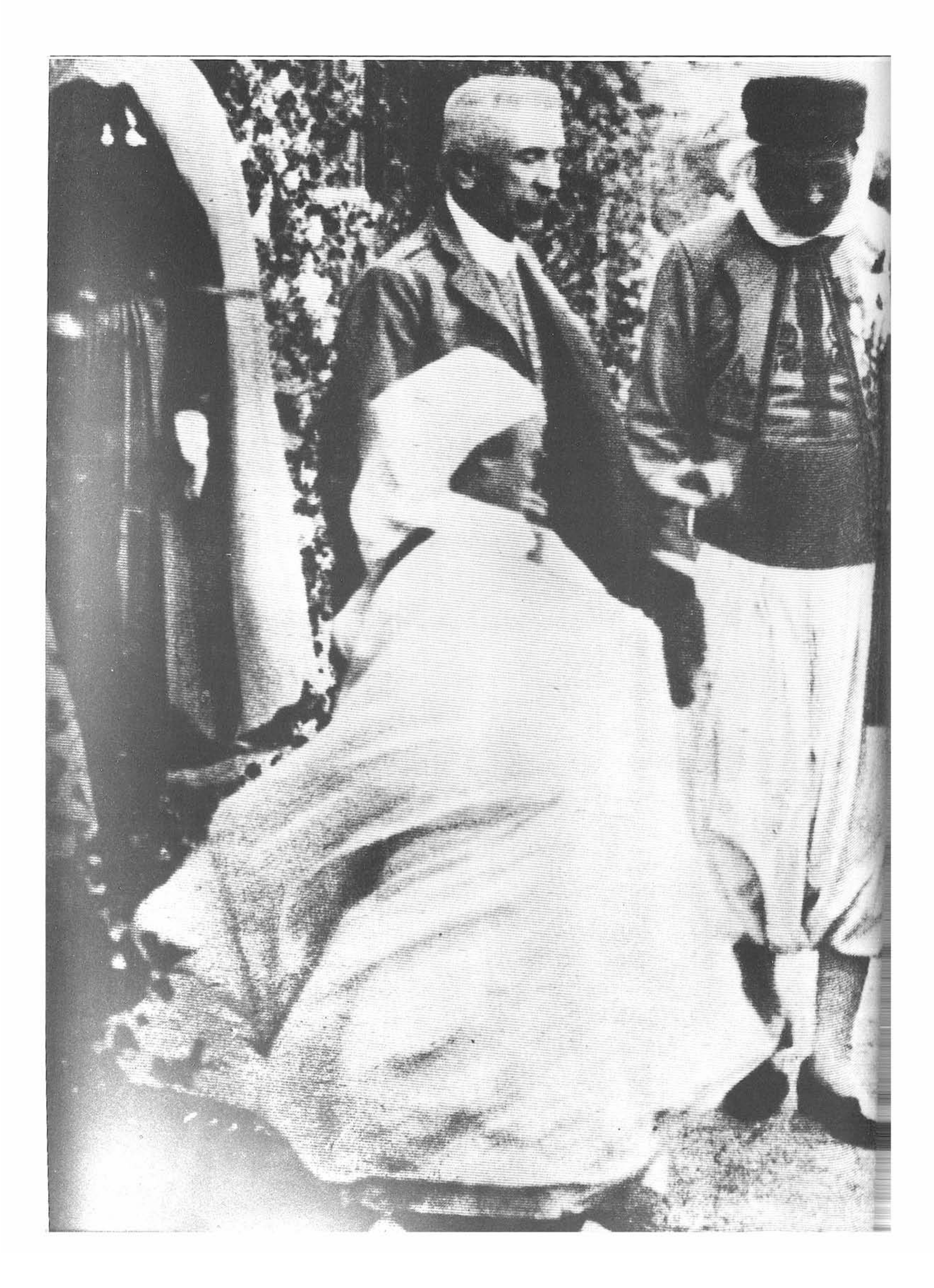


...« معركة وسط الأزهار » برأس الماء .
ILLUSTRATION 1911.



– مدن القصدير – توسيع الحي المحمدي بالدار البيضاء (حي CARRIÈRES CENTRALES)
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

« لقد قمت بالخطوات الأولى للسلطان »
ليوطي ماسكا يد سيدي محمد في صغره .
PARIS MATCH-NOVEMBRE 1952 الخزانة العامة بالرباط .



أحمد الهيبة

عبد الله العروي

إن ما كتب عن **الهيبة** كثير ومتناقض . إن الكتاب الفرنسيين ينظرون إلى احمد الهيبة نظرتهم إلى الرجل الذي يدعي الصلاح ويأتي بالخوارق . ويرون أنه تزعم جموعا من الرجال الزرق الجياع ، نزحوا من الصحراء للاستيلاء على ثروات مدن الشمال . ويرى أولئك الكتاب أيضا أن الهيبة ورجاله كانوا يريدون القيام بحركة مثل حركة المرابطين ، لكن لم يكتب لها النجاح . ويمكن أن نجزم بأن هؤلاء الرواة ما كانوا ليكتبوا ما كتبوه ، وبالطريقة التي كتبوه بها لو أن الهيبة قرر مساندة المستعمرين . أما الروايات العربية التي كتبها بعض الفقهاء المتأثرين بالمالكية الحضرية والذين عكسوا عقلية عهد الحماية ، فلم تنظر هي أيضا إلى حركة الهيبة بعين الرضى . ومع ذلك ، فإن كل هذه النصوص تتحدث بصفة مباشرة أو غير مباشرة عن شعبية الهيبة الواسعة وعن الآمال العريضة التي فجرها نداؤه في نفوس الطبقات المحرومة .

أصل الهيبة

كان اسمه الحقيقي أحمد هبة الله (من الفعل وهب) . ثم بدله وأحل محله الاسم « **الهَيْبَة** » (من الفعل هاب) . ولعل التبديل كان مقصودا . وقد ولد في شهر رمضان من سنة 1293 هـ / مارس 1876 . وهو ابن الشيخ ماء العينين الشنكيطي . وكان له إخوة كثيرون . ولم تكن له أية موهبة في قيادة الحروب ، خلافا لأخيه الأغضف . لكنه ورث عن أبيه كل ما كان له من علم بالدين ومن نفوذ معنوي .

وتنازع المغرب وفرنسا على بلاد شنكيط في نهاية القرن التاسع عشر ، إذ كانت فرنسا تحكم السينغال . وكانت لها ، منذ مدة طويلة ، صلة بأمراء الترارزة والبراكنة . وكان السلطان

احمد الهبة (1876 - 1919) .

عن Gavin Maxwell (1966) .

يعتبر تلك البلاد جزءا لايتجزأ من ايالته ، بينما كانت فرنسا تعتبرها « **بلاد السيبة** » وتراها بلادا شاغرة . ووالى ماء العينين السلطان في هذا النزاع . وكثيرا ما وفد على فاس ومراكش ومعه أبناؤه ، ومن ضمنهم أحمد . فيكرم المخزن والسكان وفادتهم . وكان يخبر السلطان بحالة شنكيط . فيبذل له السلطان النصيحة والمعونة المادية . وأصبح الشيخ يظهر ، شيئا فشيئا ، بمظهر خليفة السلطان على المناطق الصحراوية الجنوبية .

ظهور حركته

في سنة 1905 استدعت السلطات الفرنسية في السينغال كسافيي كوبولاني Xavier Coppolani من الجزائر . وكان خبيرا بقضايا الأولياء والصلحاء ومنظرا لسياسة « **الاحتلال السلمي** » ، وهي السياسة التي سلكها ليوطي فيما بعد . ثم كلفت تلك السلطات كوبولاني بالاتصال بزعماء القبائل وأشياخ الطرق « **الدينية** » ويحملهم على خدمة المصالح الفرنسية . عندئذ أكد ماء العينين وأولاده سيادة السلطان على البلاد كلها ولعنوا كل من اغتر بالفرنسيين . وأصبحت زاويته بمثابة مركز للتجنيد ، واتخذ تلاميذه جنودا ، ونادى بالمقاومة المسلحة . وحوصر كوبولاني وقتل في شهر أبريل سنة 1905 في بلدة تيجيكجا . فتبين لفرنسا أنها لاتستطيع دخول الصحراء صلحا . وذلك هو سبب حقدها الشديد على ماء العينين .

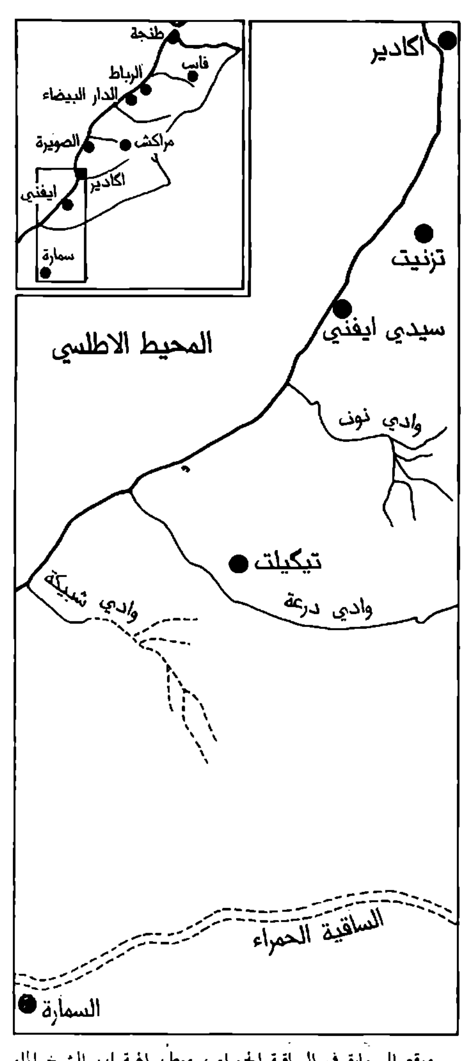
سياسة المخزن

وبعث السلطان مولاي عبد العزيز عمه مولاي ادريس لتنظيم المقاومة في عين المكان . وكان أكبر هموم الحكومة الفرنسية استرجاع السلطان عمه . ولما اضطربت الأحوال في المغرب عقب الاعلان عن نتائج مؤتمر الجزيرة الخضراء استغلت فرنسا هذه الأزمة وشددت ضغطها على السلطان وشرطت عليه عودة مولاي ادريس لارجاع العلاقات المغربية الفرنسية إلى سابق حالها . وبلغت ، في نهاية الأمر ، هدفها . ولذلك أصبح ماء العينين من أشد أنصار مولاي حفيظ لما تزعم حركة مقاومة أخيه لرفض معاهدة الجزيرة .

وفي أثناء ذلك قاد الكولونيل كورو Gouraud حملة على شمالي الصحراء ، وانهزم انهزاما شنيعا في وقعة المعينم . واستطاع رغم ذلك أن يدخل مدينة أطار يوم 9 يناير 1909 ، وكانت يومئذ حصنا لقوات ماء العينين . فجلا عنها ماء العينين ودخل الساقية الحمراء ، إذ كان الفرنسيون والاسبانيون معا يطمعون فيها ، فكانت بمثابة أرض شاغرة . وترك ماء العينين قيادة المقاومة لابنه الأغضف ، وقصد مع ابنه الهيبة حاضرة مراكش ليستمد السلطان مددا عظيما .فلما وصلا إلى المدينة علما أن مولاي حفيظ كان يواجه حالة أسوأ من التي كان يواجهها أخوه المعزول . فلم يستطيعا لقاءه لتعذر المواصلات بين فاس ومراكش نظرا لاحتلال الفرنسيين بلاد الشاوية . وأبلغهما مولاي حفيظ أن من الخير الجلاء عن الصحراء مؤقتا والاقامة بمدينة تزنيت . وكانت وفاة الشيخ ماء العينين بهذه المدينة سنة 1910 .

الهيبة يتولى قيادة الزاوية

وكان أحمد الهيبة قد رافق أباه في جميع رحلاته واشترك في جميع المعارك التي دارت بالصحراء . وقد عرّف بنفسه في أوساط العلماء ، فقدروه . ولذلك تولى قيادة الزاوية العينية دون معارضة . واستفاد من شهرة أبيه ،



موقع السمارة في الساقية الحمراء ، موطن الهبة ابن الشيخ ماء العينين .
Gavin Maxwell 1966.

وكثرت عشيرته . فاجتمع إليه الناس ، إذ وقف موقف المدافع الشديد عن سيادة السلطان واستقلاله .

وفي هذه الأثناء استمرت القوات الفرنسية في غزو البلاد . فاضطرت مولاي حفيظ إلى البقاء في فاس وإلى التنازل لهم المرة بعد المرة عما يطلبون . أما الجزء الجنوبي من المغرب ، فقد انفصل عن سائر البلاد ، وصار في حكم كبار القواد مثل الكلاوي والمتوكي والكندافي والكلولي وحيدا وموايس ... إذ كانوا سندا للنظام الجديد ، ثم عادوا إلى قياداتهم منذ 1911 ، وقد تركوا وشأنهم ولم يدروا ما يفعلون : أيسبقون الأحداث

مذكرات من التراث المغربي

منظر من مناظر تزنيت .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

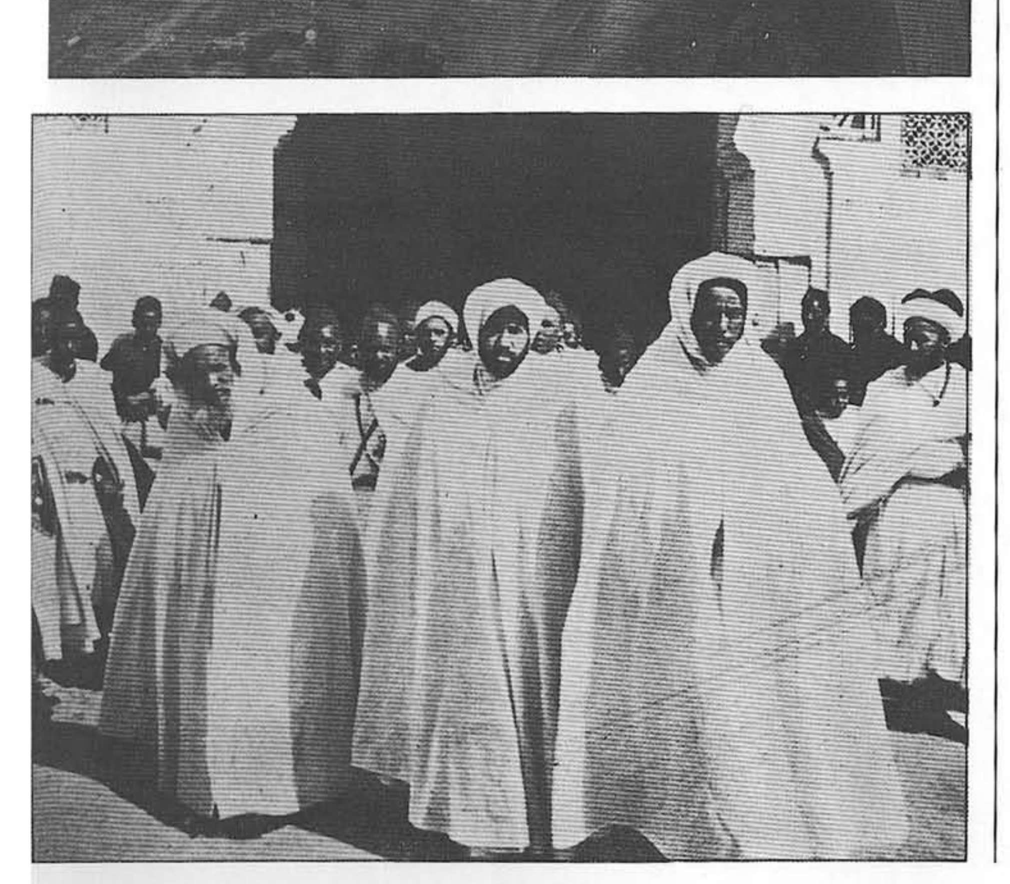
ويستسلمون للفرنسيين ؟ أم يوالون قواد الجهاد ويشتركون في المقاومة ؟ أم ينتظرون انتظار الرجل المتبصر ؟ فلم يكن لهم في هذه الحال أية فائدة في التنكب عن الهيبة ، ولا في التعرض لمقاصده .

وحلّ الهيبة بمنطقة بعيدة عن وسط البلاد حيث رابطت القوات الفرنسية . فكان في مأمن من أي هجوم مفاجئ . لذلك سهل عليه بث دعايته ضد الفرنسيين . فانضم إليه كل من أراد أن يحفظ المغرب والسلطان والاسلام من الوقوع في حكم الكفار .

الهيبة يتولى قيادة الجهاد

لقد ثار جنود المخزن في فاس وقتلوا ضباطهم الفرنسيين في شهر ماي 1912 ، وذلك بعد مرور شهرين على توقيع معاهدة الحماية ، وبعد مرور سنة على دخول قوات الجنرال موانيي MOINIER عاصمة المملكة . ثم حوصرت المدينة للمرة الثالثة في ظرف سنتين . وشاع خبر قتل السلطان في إحدى المعارك ، وبذلك بقيت البلاد بدون إمام . وذلك غير جائز .

وكان الهيبة يستعد لحالة مثل هذه . فتلقب يوم 3 ماي 1912 بلقب إمام المجاهدين تمهيدا للقب إمام المؤمنين . ولم يكن في ذلك مخالفا لأحكام الشريعة نظرا للظروف التي أشرنا إليها . لاشك أنه كان للهيبة من الصفات الدينية ما يؤهله للامامة . لكن لم يكن له من الصفات السياسية ولا من التجربة العسكرية ما يضفي



المخزن سنة 1911 : المتوكي ، المقري ، والكلاوي .
ILLUSTRATION-MARS 1911.

الشرعية الكاملة على إمامته . لكن ذلك لم يكن جليا أول الأمر . لذلك يجوز تصديقه ، وعن حسن نية ، إذا لم يوجد ما يُدفع به ...

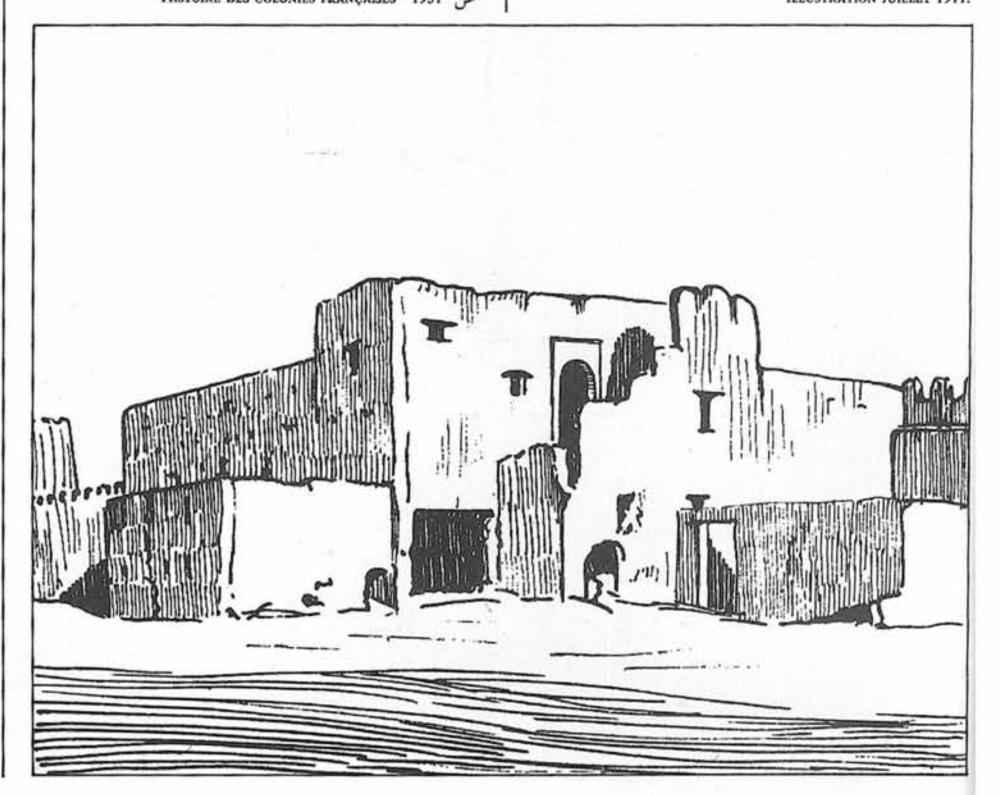
لاجرم أن الهيبة ما كان ليقدم ، في الظروف العادية ، على ما أقدم عليه . وهل كانت الظروف عادية ، وقد احتل المغرب ووزع توزيعا ، وحرم من سلطانه الشرعي ، إذ شاع خبر قتله أو أسره ؟ لذلك لم يعجب الناس ، أول الأمر ، لمبايعة الهيبة ، ولو لم يكادوا يصدقونها فيما بعد . ولربما كانت متوقعة .

وكان من شأن تلك البيعة أن تفسد على الفرنسيين سياستهم إفسادا . فلم تكن للجيش الفرنسي الوسائل الكافية للتدخل مباشرة في الجنوب . ولم يؤذن له بذلك .

ولربما أوعزت السلطات العسكرية الفرنسية إلى القائد الكلاوي والقائد المتوكي بالقيام بحملة على الهيبة قبل ذلك ببضعة أشهر . لكن ساء سعيهما . وساند القائد الكلولي قائد حاحة



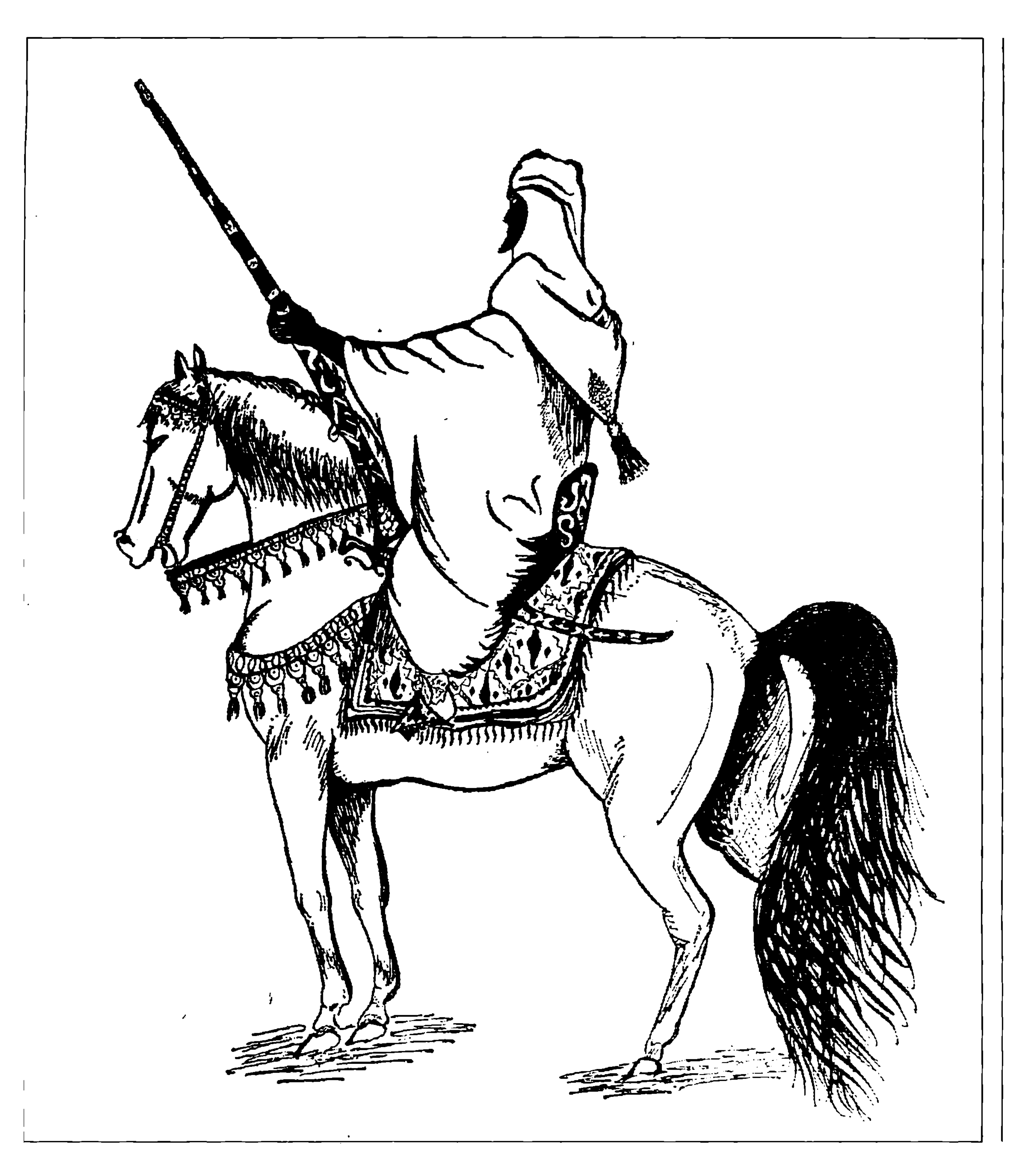
القائد عبد الملك المتوكي .
Illustration juillet 1911.



قصبة ماء العينين بالسمارة .
عن "Histoire des colonies françaises" 1931



الجنرال موانيي .
الخزانة العامة بالرباط .



الهيبة قائد الجهاد .
عن GAVIN MAXWELL.

الشهير الهيبة مساندة رسمية . وكشف الامام الجديد عن مقاصده ، فأخذ يرئس صلاة الجمعة في حفل رسمي حسب التقاليد السلطانية . ولم يلبث الناس أن تبينوا مغزى حركته . وسارع سكان الأرياف ، بمجرد ما علموا بندائه ، إلى طرد القواد الذين ولاهم الكلاوي والمتوكي وإلى هدم منازلهم ، إذ كانوا يرونها رمز طغيانهم ، وعادوا إلى نظام الجماعة لادارة شؤونهم . ثم حرمت جميع الضرائب وأسقطت ، باستثناء الزكاة والعشور .

وأدخلت هذه الثورة الرعب في قلوب كبار القواد . فأخذوا يتنكبون عن السلطات الفرنسية ... وبعث المتوكي وادريس منو ، باشا مراكش ، المال والسلاح إلى الهيبة . وأرسل المدني الكلاوي إليه الرسل .

وأكدت المصادر الفرنسية أن مولاي حفيظ نفسه كتب إلى الهيبة ينبئه بتاريخ تنازله عن العرش . ولربما أوحى إليه بخلافته . إن من الجائز أن يكون مولاي حفيظ قد عبر عن عواطفه لابن ماء العينين ، إذ كان به معجبا . أما أن يوعز إليه بالحلول محله على العرش ، فمن الصعب تصديق ذلك لانعدام الحجج التي لا تدحض . فقد عرض الفرنسيون بمولاي حفيظ لحاجة في نفس يعقوب ، وعمدوا إلى ذلك للازراء به ولعدم الوفاء بالوعود التي وعدوا بها .

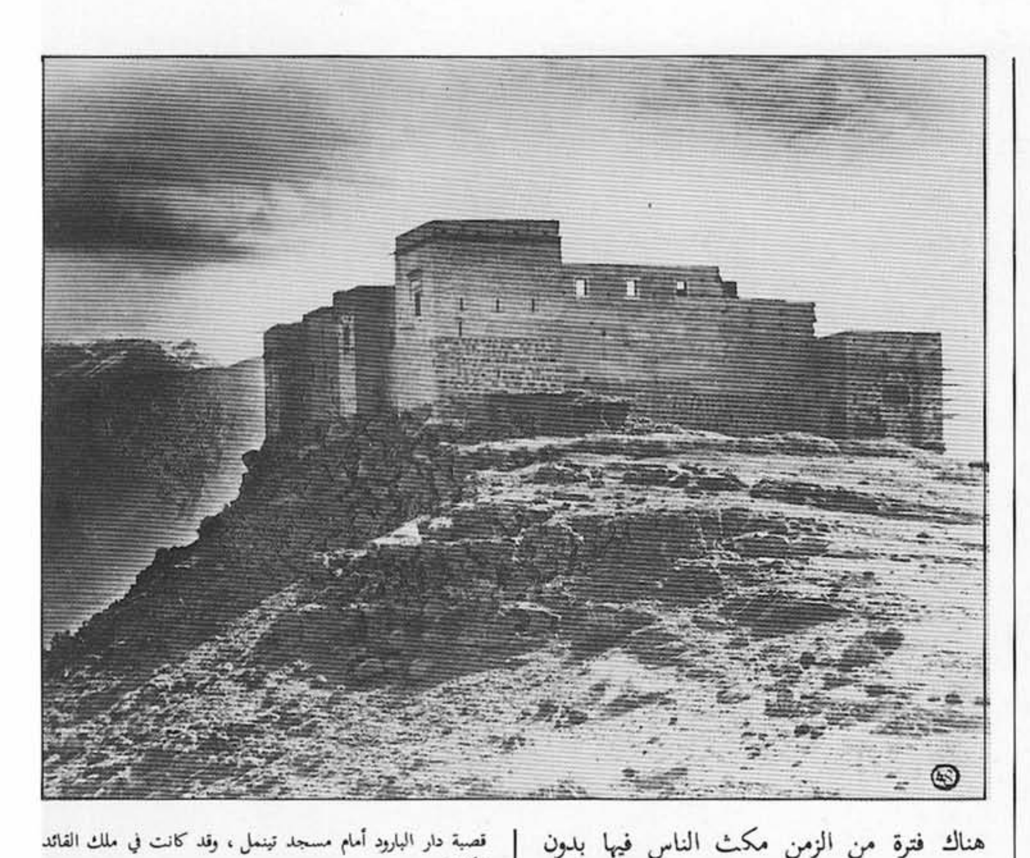
دخول مراكش

وأصبح الهيبة أشهر الناس في جنوبي المغرب بعد مرور شهرين على دعوته إلى الجهاد في مدينة تزنيت . ولم تكن هناك أية قوة قادرة على الثبوت أمامه . وأُعلن يوم 13 غشت 1912 عن تنازل مولاي حفيظ عن العرش ، وبقي الناس مدة ينتظرون مبايعة مولاي يوسف . فكانت هناك فترة من الزمن مكث الناس فيها بدون إمام . وذلك ما شجع الهيبة على انتحال لقب السلطان علانية . فجمع حوله عشيرته الكثيرة العدد وأنصاره ومن انضم إليه من جنوبي البلاد ، وقصد مدينة مراكش ، ودخلها يوم 18 غشت دخولا رسميا ، وبويع له في المسجد الأعظم ، واعترفت به السلطات المحلية .

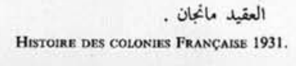
وكان السكان الأوروبيون قد أُجلوا عن المدينة يوم 12 من الشهر . أما القنصل الفرنسي والممثل الشخصي للجنرال ليوطي وسبعة أوروبيين آخرين ، فقد بقوا في المدينة ، ظنا منهم أنها تستطيع المقاومة إلى وصول القوات الفرنسية المرابطة في الصخور .

على أن ليوطي منع منعا من التدخل . فاكتفى بتقوية جيش الجنرال مانجان MANGIN الذي كان يتألف من خمسة وعشرين ألف جندي ، واستمر في الاتصال بكبار القواد وتتبع الحالة عن كثب .

فأصبح في المغرب سلطانان ، كما كان الأمر سنة 1908 ، أحدهما في الشمال ، والآخر



قصبة دار البارود أمام مسجد تينمل ، وقد كانت في ملك القائد الكندافي .
مجموعة صور خاصة .

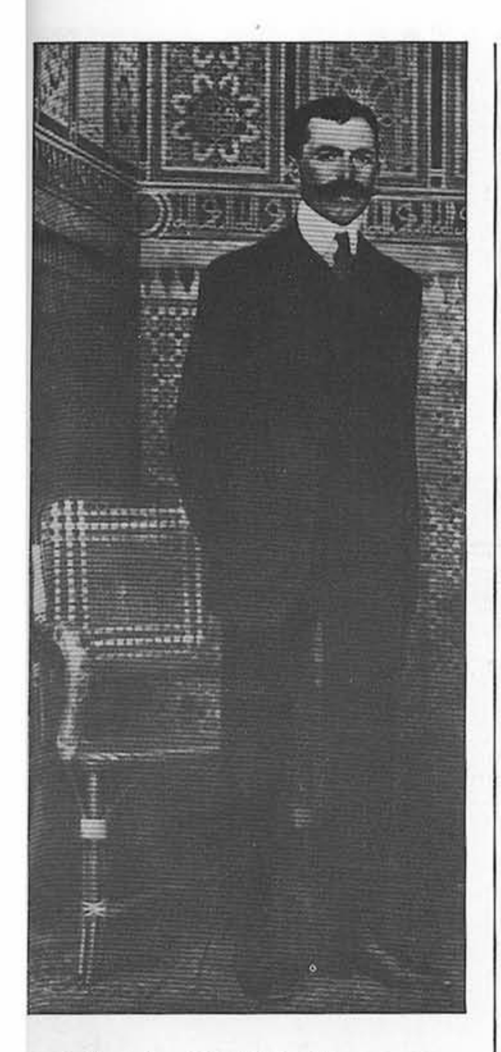


العقيد مانجان .
HISTOIRE DES COLONIES FRANÇAISE 1931.





الصدر الاعظم المدني الكلاوي .
ILLUSTRATION JUIN 1911.



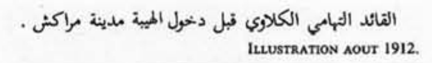
ميكري MAIGRET قنصل فرنسا بمراكش ، ولم يبرح المدينة عند دخول الهيبة ، وذلك ليطلع حكومته على الاحداث .
ILLUSTRATION-JUIN 1912.

في الجنوب . وكان الهيبة في مأمن من أية هجمة مفاجئة ، وذلك بسبب الرهائن السبع التي كانت لديه . وبذلك استطاع أن يبعث رسله إلى تادلة قصد الاتصال بزعماء المقاومة في الشمال لتنسيق حملات متزامنة على قوات الاحتلال .

وبدا عندئذ لليوطي أن كل المخططات الفرنسية أوشكت على الانهيار . واشتد رعبه لما حجزت مصالحه المكلفة بالتجسس وثائق فهم منها أن دعاة حركة الجامعة الاسلامية يدبرون ثورة عامة يشعلون نارها في متم رمضان الذي وافق 12 شتمبر . وأخبر الهيبة أهل مراكش بأن المعركة الكبرى ضد الفرنسيين قد تكون يوم 27 رمضان أو يوم فاتح شوال .

الهيبة ومصير الحماية

ورأى الفرنسيون في جوهر حركة الهيبة خطرا سياسيا عليهم . فقد يجمع حوله كل المعارضين مادام مقيما بمراكش ، فتبطل بذلك معاهدة الحماية . وكانت ألمانيا تستطيع إثارة قضية المغرب من جديد ، ولو للحصول على امتيازات أخرى . وكان ذلك سبب اشتداد قلق ليوطي . أما من الناحية العسكرية الصرف ، فلم يكن في تلك الحركة كبير خطر . ولم يكن للهيبة ولا لأخيه مربيه ربه – الذي أسند إليه رئاسة الجيش – ما يؤهلهما لقيادة الحرب . ولم يكد يكون من بين العشرة آلاف نفر الذين دخلوا مراكش يوم 18 غشت من احترف الجندية احترافا . لاجرم أن عددا كبيرا منهم شاركوا في القتال ، لكن على طريق البدو وسكان الجبال الذين ألفوا الكر والفر والترصد للعدو . ولم يسبق



القائد التهامي الكلاوي قبل دخول الهيبة مدينة مراكش .
ILLUSTRATION AOUT 1912.

لهم أن شهدوا حرب الجيوش العصرية . وكان بعضهم عزلا ، وكان لبعضهم الآخر بندقيات قديمة . وفشل الهيبة لأسباب سياسية ، لا لانهزام جيشه في المعركة ، سيما وقد كان يتباطأ جهد مستطاعه للقاء العدو .

أخطاء الهيبة

كان الهيبة يحرض على جهاد قوات الاحتلال . أما في الميدان الداخلي ، فكان يدعو إلى اتباع أحكام الشريعة الاسلامية . واشتد في ذلك ، فقرر إسقاط المكوس وجوز القطع النقدية الملغاة من قبل . وفرض مهورا رمزية عند الزواج . وقد بدت مثل هذه الأحكام عادية في المجتمعات البدوية القليلة العدد . لكنها كانت بمثابة ثورة اجتماعية حقيقية عند سكان مدينة كبيرة مثل مراكش . لذلك تنكبت النخبة الحضرية قاطبة عن النظام الجديد .

ولما رأى الهيبة سلطانه يضعف بسرعة ، رأى أن يتلافى ذلك بالدعوة إلى الجهاد مرة أخرى . وذلك ما كان أعداؤه ينتظرونه بفارغ الصبر . فبعث ابن عمه الأغضف بن مصباح ليتعرض لفرقة من الجيش الفرنسي عائدة من رحلة أستطلاعية في بلاد دكالة .

وأخبر الجنرال مانجان بذلك في الوقت المناسب . فباغت رجال الأغضف يوم الخميس 22 غشت في بلدة الأوهام وسهل عليه تشتيت جموعهم ، لكنهم سارعوا إلى الاجتماع من جديد وأغاروا على الفرنسيين يوم 24 من نفس الشهر ، وكبدوهم خسائر ذات بال . ثم عاد مانجان إلى الهجوم مرة ثانية يوم 29 غشت ، دون أن يستأذن في ذلك . والتقى الجمعان قرب ابن كرير . ولم يستطع رجال الهيبة مقاومة السلاح

الثقيل الذي كان الفرنسيون يستعملونه . لذلك تشتتوا وطاردتهم الخيالة إلى مراكش . أما مانجان ، فعاد بمعظم جيشه إلى ضفاف أم الربيع .

معركة سيدي بوعثمان

وأدرك الهيبة خطأه . لذلك حاول أن يتباطأ في استئناف القتال . وأعلن أن ذلك سيكون بعد انصرام شهر رمضان . ورأى ليوطي في ذلك تأكيدا لما علمه من تدبير مؤامرة الجامعة الاسلامية . وقرر أن يطلق العنان للجنرال مانجان . فوصل بقواته حتى سيدي بوعثمان . وكان ذلك تحديا للهيبة . فأمر مربيه ربه بالاستعداد للحرب . وكان حماس أصحابه عظيما . فخرجوا فوضى للقتال ، وتقدموا للعدو ، وهم مؤمنون بأنهم سيحققون المعجزة وينتصرون . وبدأ القتال في فجر يوم 24 رمضان / 6 شتمبر ، وأثخن الفرنسيون في أصحاب الهيبة ، إذ قتلوا منهم 2000 رجل في ظرف ساعتين . ولما علم زعماء حركة الهيبة بالهزيمة ، اجتمعوا جول إمامهم ، واتفقوا على مواصلة الجهاد . ولما جن الليل ، قرر الهيبة فجأة الجلاء عن مدينة مراكش ، فدخلتها مقدمة الجيش الفرنسي في صباح اليوم التالي . فسرح الرهائن وعين المدني الكلاوي باشا المدينة . ثم بويع مولاي يوسف مبايعة رسمية في مراكش كما سبق أن بويع بمدينة فاس .

الهيبة في بلاد سوس

ولم يكن الاستيلاء على مراكش لينذر بنهاية أمر الهيبة . ذلك أنه عاد إلى مدينة تزنيت واستعاد شهرته في سوس . وبقي يدعو إلى الجهاد ويرفض كل ما عرض عليه من عروض مغرية .

ونصحت الحكومة الفرنسية ليوطي بالتصرف بحكمة . فقرر عدم الهجوم وترك الأمور على حالها ، معتمدا أكثر من ذي قبل على سياسة كبار القواد . فقدم أحدهم تارة ، وآخر تارة أخرى .

وكان الكندافي قد رأى من الحكمة اعتزال مراكش أثناء الأحداث التي تعرضنا لها ، لكنه لم يقطع صلته بالهيبة ، إذ كان يبلغه غروض الاقامة العامة .



معسكر كتيبة مانجان MANGIN في سوق الأربعاء .
ILLUSTRATION OCTOBRE 1912.



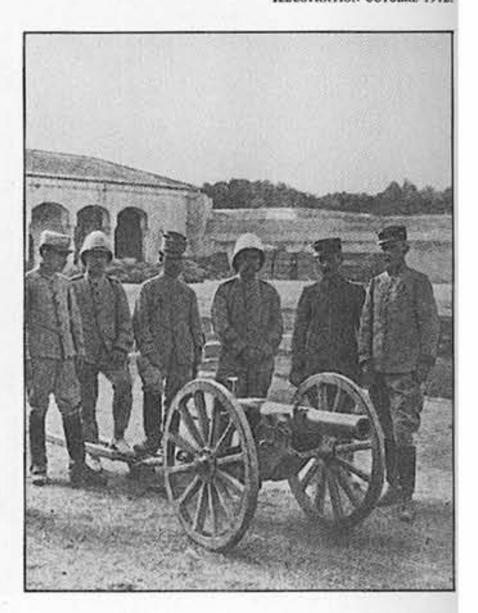
كتيبة مانجان .
ILLUSTRATION OCTOBRE 1912.

أما التهامي الكلاوي ، فلم يشترك في هذه المساومات . فاحتل مدينة تارودانت فجأة لينتصر الأحداث ويتقدم على غيره . وكان ذلك في الوقت الذي أنزلت فيه حامية فرنسية قليلة العدد في ميناء أكادير . ولما رأى الهيبة الأحداث تتطور بتلك الطريقة جلا عن تزنيت ليقيم ببلدة كردوس .

« حرْكة » لاموط

لم يكن للحكومة الفرنسية من هم ، في بداية الحرب العالمية الأولى ، سوى تثبيت سلطتها في المناطق المحتلة . فأحجمت عن الهجوم في جميع الجهات حتى سنة 1916 ، إذ بدأت الأحوال تتغير . ذلك أن الاسبانيين دخلوا مدينة طرفاية وأخذوا يوالون الأغضف أخا الهيبة . وفي شهر نفمبر ، قدم إلى الناحية أحد القناصلة الألمانيين الذي كان يعمل من قبل في فاس ، ومعه ضابط تركي ، ولم يكن يخفى أنه يريد الاتصال بأبناء ماء العينين .

مدفع الهبة ، و قد غنمه الفرنسيون في معركة سيدي بو عثمان .
ILLUSTRATION OCTOBRE 1912.



تصميم معركة سيدي بو عثمان . ILLUSTRATION AOUT 1912



وظن الفرنسيون أن المجاهدين قد يداهمونهم من جديد . وذلك ما كان سببا في تنظيم ما سمي « حرْكة » الجنرال لاموط LAMOTHE التي شارك فيها الكلاوي والكندافي برجالهما . فقد خرجوا من مراكش يوم 17 فبراير ووصلوا إلى تزنيت يوم 6 مارس . ثم أخذوا يستعدون للهجوم على بلدة ويجان ، إذ اتخذها رجال الهيبة مقرا لهم . فلما اقتربوا منها وجدوا سورا طوله ستة كلم « **وقد أحكم بناؤه حتى ظن مهندسو الجيش الفرنسي أنه من عمل الأوروبيين ، لكنهم أخطؤوا في ظنهم** » . واضطر القواد الفرنسيون إلى التقهقر لما قاومهم أصحاب الهيبة مقاومة لم يكونوا يتوقعونها . ولم يلبث تقهقرهم أن تحول إلى هزيمة . وفجع رجال الكلاوي فجيعة فادحة .

وأشاد شعراء سوس مدة طويلة بهذه الحرب وبالانتصار على الفرنسيين وحلفائهم .

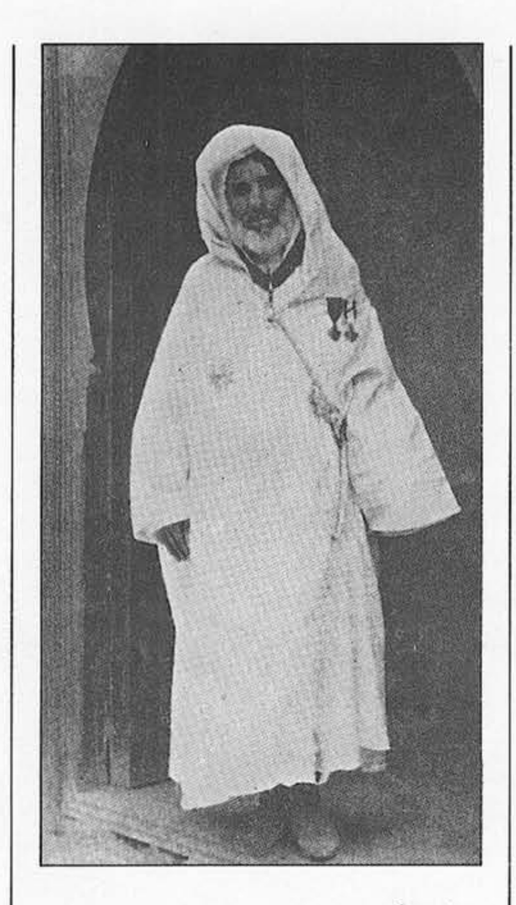
وكان مربيه ربه قد انفرد ، منذ مدة طويلة ، بقيادة الجيش ، بينما اختص أحمد الهيبة ، منذ جلائه عن مراكش ، بالقيادة الروحية . ومات في بلدة كردوس يوم 23 يونيو 1919 ، واستخلف أخاه على حركة المقاومة . وحافظت بلاد الأطلس الأصغر على استقلالها إلى سنة 1934 .

مقاومة الزوايا

كان الشعب المغربي يعلم منذ سنة 1844 أن الفرنسيين والاسبانيين يطمعون في احتلال ترابه . وقد واجه ذلك على مستويات ثلاثة : على مستوى الدولة وعلى مستوى الزوايا وعلى مستوى الجماعات المحلية .

فقد سلك الملوك ، على مستوى الدولة ، سياسة الاصلاح ، وفيها تلتمس المبادرة التاريخية .

صورة السلطان مولاي يوسف الرسمية . وقد بويع سنة 1912 . الوثائق الملكية بالرباط .



القائد الكندافي .
عن GAVIN MAXWELL 1966.

أما الزوايا ، فقامت بنشاط سياسي كبير ، ولو كان نشاطها الأصلي نشاطا دينيا . وكان نظام الطرق الدينية أول الأمر نظاما دفاعيا . فإذا كانت الدولة قوية كانت الزاوية جزءا من أجهزتها . وإذا ما ضعفت الدولة أو تصدعت أركانها استقلت الزاوية وواصلت عملها وحدها لتحقيق أهدافها . فلم يكن ماء العينين قط سوى شيخ زاوية يأتمر بأوامر سلاطين عهده ليقطع طريق الصحراء عن الفرنسيين والاسبانيين . وقد تعدت الزاوية العينية ذلك الحد بقيادة الهيبة لما كال الاستعمار الأوروبي الدولة المغربية من الضربات المتوالية ما أدى إلى انهيار أركانها . لاجرم أن ماء العينين نفسه لم يكن مؤهلا ، لا هو ولا أولاده – باستثناء الأغضف – لقيادة المقاومة المسلحة . لكن أكان ذلك منوطا بهم ؟

ولما تعذرت المقاومة المسلحة على الزاوية كما تعذر ذلك على المخزن ، برز دور الجماعة المحلية ، لكنه دور محدود بطبيعته . فلا تستطيع الجماعة القيام إلا بأعمال تحفظ بها ما تستطيع حفظه . وقد تدرك الأحداث إدراكا خاطئا إن لم يميز بين هذه المستويات الثلاثة . فكانت حركة الهيبة تتسم بما تتسم به حركات الطرق الدينية . وبذلك تدرك أسباب اهتمامها بإصلاح الدين وعدم اهتمامها لا بمقتضيات استمرار الدولة ولا بمصالح النخبة الحضرية ولا بالتقاليد المحلية . وبذلك تدرك أيضا أسباب معارضة الناس لها .

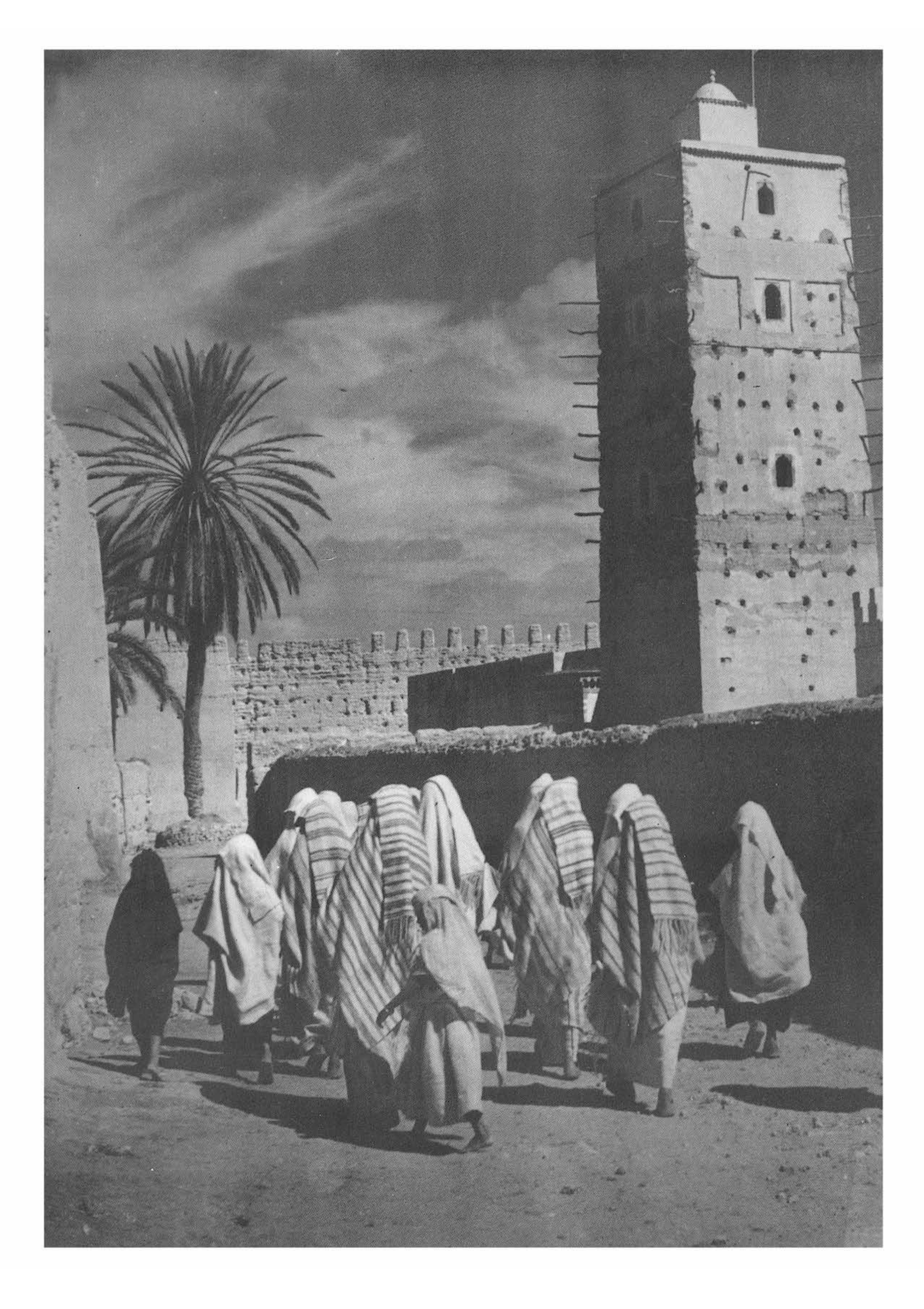
لقد أحدثت أعمال الهيبة ضجة كبيرة لكونه انطلق من مناطق بعيدة عن المطامع الاستعمارية ولكونه احتل ثاني عواصم البلاد . لكن الناس لم يضجوا مثل ضجتهم تلك ، لما ظهر قواد الجهاد في مناطق أخرى مثل أمزيان في الريف والبوعزاوي في الشاوية وأمهاوش في الأطلس المتوسط ، رغم أن أهداف هؤلاء الزعماء كانت مثل أهداف الهيبة .

غير أن حركة المقاومة التي نظمها الهيبة وأمثاله قد حبطت ، وذلك رغم استمرارها إلى سنة 1934 . ولربما رأى بعض الناس أن مآلها كان الفشل على كل حال . فما سبب ذلك ؟

أسباب الفشل

لنذكر أول الأمر أن هذه القاومة كانت منذ سنة 1912 خارجة ، من الناحية الشرعية ، عن سلطة المخزن ، وأنها لم تكن تنال أية معونة من المدن ولا من سكان السهول . وكانت قواعدها توجد في المناطق الجبلية والصحراوية التي كانت تعتبر مجدبة . لذلك حوصرت ومنعت من الاتصال بعضها ببعض . فأصبحت الحياة فيها غير مطمئنة والاتصالات غير متيسرة .

وكانت الظروف البشرية والبيئية والاقتصادية غير مواتية للمقاومين في غالب



تزنيت .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

الأحيان ، وذلك خلافا لما كان يظن . لقد كان الرجال القادرون على القتال قليلي العدد . ولم يمكن الاعتماد عليهم إلا لمدة قصيرة جدا .

يقال إن الأطلس الصغير كان مكتظا بالسكان ، مثلما كانت عليه جميع المناطق الجبلية . قد يكون ذلك صحيحا . لكن عدد الرجال المسلحين الذين قادهم مربيه ربه في معركة سيدي بوعثمان لم يتعد الخمسة آلاف ، وهو العدد الرسمي عند جيش الجنرال مانجان . وقد اشتد بعد ذلك هذا الاختلال في العدد شيئا فشيئا .

وكان من مبادئ السياسة الاستعمارية إكثار عدد الجنود « **لارهاب الأهالي وإضعاف معنويتهم** » .

واستفاد المقاومون ، أول الأمر ، من قدرتهم على سرعة الحركة ومن معرفتهم لطبيعة المناطق التي يقاتلون فيها . لكن لم يعد في ذلك فائدة لما طالت مدة العمليات الحربية ، وخاصة لما أصبح الجيش الفرنسي يشتمل على عدد كبير من الجنود الاضافيين المغاربة المنتسبين إلى نفس المناطق .

ولما كان الصحراويون وسكان الجبال يرحلون للنجعة ، لم يكن لهم أن يهملوا ماشيتهم ولا أشجارهم مدة طويلة . وبذلك ضبط الغزاة مواقعهم وشنوها عليهم حربا اقتصادية منظمة . واحتل الجنود الفرنسيون الواحات لما أجنى النخيل ، وذلك في غضون الحملة على آدرار سنة 1909 ، إذ اضطروا ماء العينين إلى الجلاء عن شنكيط ، فجوعوا السكان وأرغموهم على الاستسلام . لكن استسلامهم كان مؤقتا .

أما سرعة الحركة التي كانت من أهم أسباب مناعة المقاتلين ، فقد أصبحت نسبية لما أخذ الجيش الفرنسي يستعمل الابل المهرية منذ 1901 . ولم تعد تلك السرعة تفيد في شيء منذ 1920 حينما بدأ جيش الاحتلال يستعمل الطائرة بانتظام للاستعداد للحملات بأخذ الصور الكثيرة ولارهاب السكان أثناء الحملات نفسها .

أما عن السلاح ، فما أكثر ما قيل حول التهريب الذي كان الفرنسيون يزعمون أن الألمانيين والأتراك يواطئون الاسبانيين على تنظيمه في ناحية وادي نون . ومع ذلك ، فلم يكن يوجد أي سلاح ألماني بعدما قضت نيران الأسلحة الفرنسية على المقاومة سنة 1934 . ومن جهة أخرى ، فما كان استعمال الأسلحة الألمانية متيسرا ، حتى ولو كانت كثيرة العدد ، نظرا لندرة الذخيرة . وما كان أقل جدوى تلك الأسلحة إذا قيست بالمدفعية الثقيلة والطيارات التي كان جيش الاحتلال يستعملها .

ثبات المقاومة

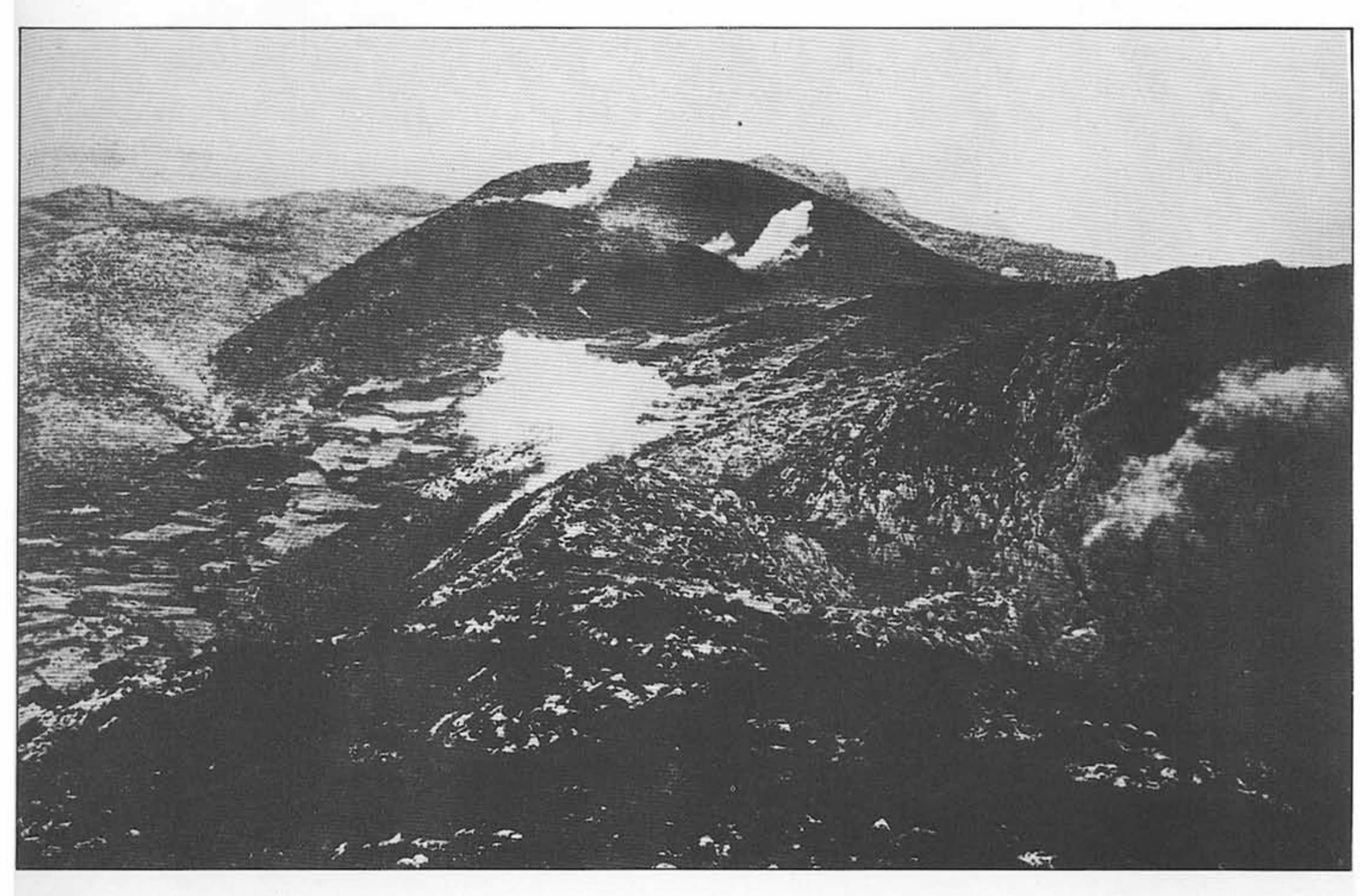
لقد شرع الهيبة في نشاطه مع أبيه في بلدة آدرار سنة 1904 لما بدأ الفرنسيون في غزو ما كانوا يعتبرونه « بلاد السيبة » . وطاردتهما قوات كورو Gouraud . فانسحبا إلى داخل الساقية الحمراء ، ثم دعاهما مولاي حفيظ إلى الاقامة بمدينة تزنيت . وبقي الهيبة وأبوه ، إلى تلك الحقبة وفيين في خدمة السلطان .

ثم كان احتلال مدينة فاس ، وكانت معاهدة الحماية ، وكان تنازل السلطان الشرعي عن العرش . فاعتبر الهيبة نفسه متحللا من بيعته للسلطان . وعقد لنفسه على المقاومين في مدينة تزنيت . ولما دخل مراكش تلقب بلقب إمام المؤمنين ولقب السلطان . ولما حد الجيش الفرنسي من عزمه عاد إلى تزنيت ، ثم إلى كردوس . وبقي وفيا لنفس الفكرة . ولم يخطر بباله قط أن يستسلم . وربما كان ذلك هو السبب الذي من أجله لم يتجاوز عنه دعاة الاستعمار .

وهناك مظهر آخر من مظاهر نشاط الهيبة كان في غالب الأحيان هو سبب موقف الناس إزاءه موقفا مزدوجا .

معركة سيدي بوعثمان .
Illustration septembre 1912.





طلقات مدفعية .
« ... وكان أقل جدوى تلك الاسلحة إذ قيست بالمدفعية الثقيلة والطيارات التي كان جيش الاحتلال يستعملها » .
ILLUSTRATION-OCTOBRE 1924.

الجهاد والايمان بالخوارق

لقد نشأت طوال القرن التاسع عشر حركة شعبية تدعو إلى جهاد الأجانب جهادا لا هوادة فيه مهما كانت العواقب ومهما كانت الظروف . وكان ذلك ينفع السلطان تارة في سياسة الرفض التي كان يسلكها . وكان يضر بتلك السياسة تارة أخرى .

وكان العلماء وأعضاء المخزن يشجعون تلك الحركة ويبررون بها مواقفهم . غير أنها أخذت تفقد نفوذها واعتبارها في الأوساط الحضرية في أواخر القرن لما بدأت ترتبط شيئا فشيئا بالخوارق . وكان زعماء تلك الحركة يجزمون يقينا بأن احتلال البلاد لن يقع إلا إذا أنذر ذلك بفناء العالم .

وكان نشاط الهيبة من قبيل هذه الحركة الواسعة التي تؤمن بنزول الامام قبل فناء العالم . وحكى الناس أن الهيبة أشاع ، قبل تعيينه قائدا للمجاهدين ، أنه قادر على إبطال ضرب مدافع الغزاة . ويقال كذلك إن مربيه ربه كان يستنجد بالملائكة في سيدي بوعثمان عشية 6 شتمبر ، مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر . ورأى العلماء أن مثل هذا التصرف خطير . وقد استغربوه ، سيما وهو صادر عن شيخ من شيوخ الزوايا ، وعن رجل من ذرية النبي ، أو يدعي ذلك فقط . فقد تنزع العامة ثقتها من صاحب الخوارق إذا لم تتحقق المعجزات التي يدعيها .

استغلال حركات المقاومة

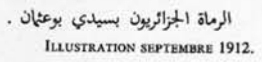
وانقطعت صلة حركة الهيبة وأمثاله بالنخبة الحضرية التي كانت تدرك حقيقة مدى التفاوت بين قوة المغاربة وقوة أعدائهم . وأصبح أولئك المقاومون ينتظرون حدوث المعجزة لدرء الغزو الأجنبي . وأخذوا يرفضون ما بدا ، فيما بعد ، أنه لم يكن منه بد . واستمرت هذه المقاومة من سنة 1919 إلى سنة 1934 . وقادها اثنان من أبناء ماء العينين ، مربيه ربه والنعمة من بعده .

وألهمت هذه المقاومة الشعراء ، فأشادوا بها في قصائد كثيرة عرف بها المختار السوسي ، لكنها لم تتعد في ذلك الوقت حدود الأطلس الصغير .

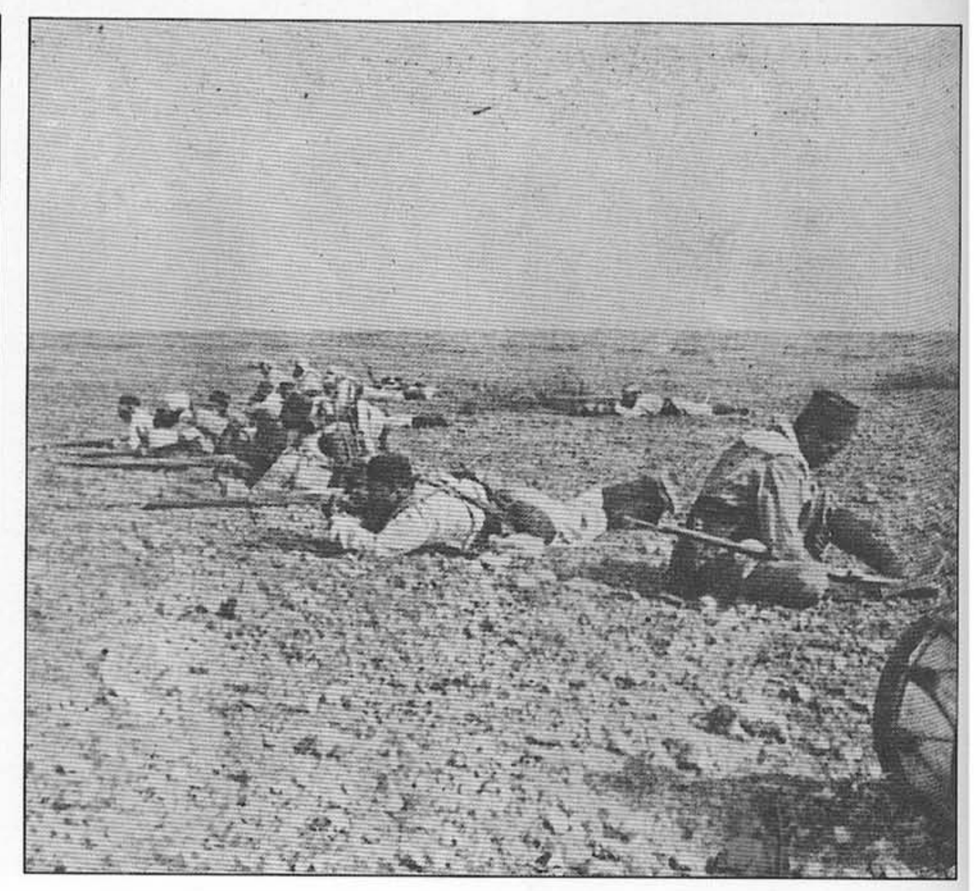
ومع ذلك ، لما انتهت المقاومة سخرها الوطنيون لأغراضهم وأخذوا يشيدون بالغارات الموفقة وبالذين ماتوا ولم يستسلموا .



أول طائرة أتى بها الجيش الفرنسي الى مراكش .
ILLUSTRATION NOVEMBRE 1912.



الرماة الجزائريون بسيدي بوعثمان .
ILLUSTRATION SEPTEMBRE 1912.



وأصبحت قصة الهيبة وأمثاله بمثابة الملاحم التي تستحث بها الهمم . وأخذ زعماء الحركة الوطنية الجدد يعتمدون على الملاحم التي صنعت أثناء المقاومة الطويلة الصامدة يتساءلون أيعد الاستسلام أمام القوات الساحقة استسلاما حقيقيا .

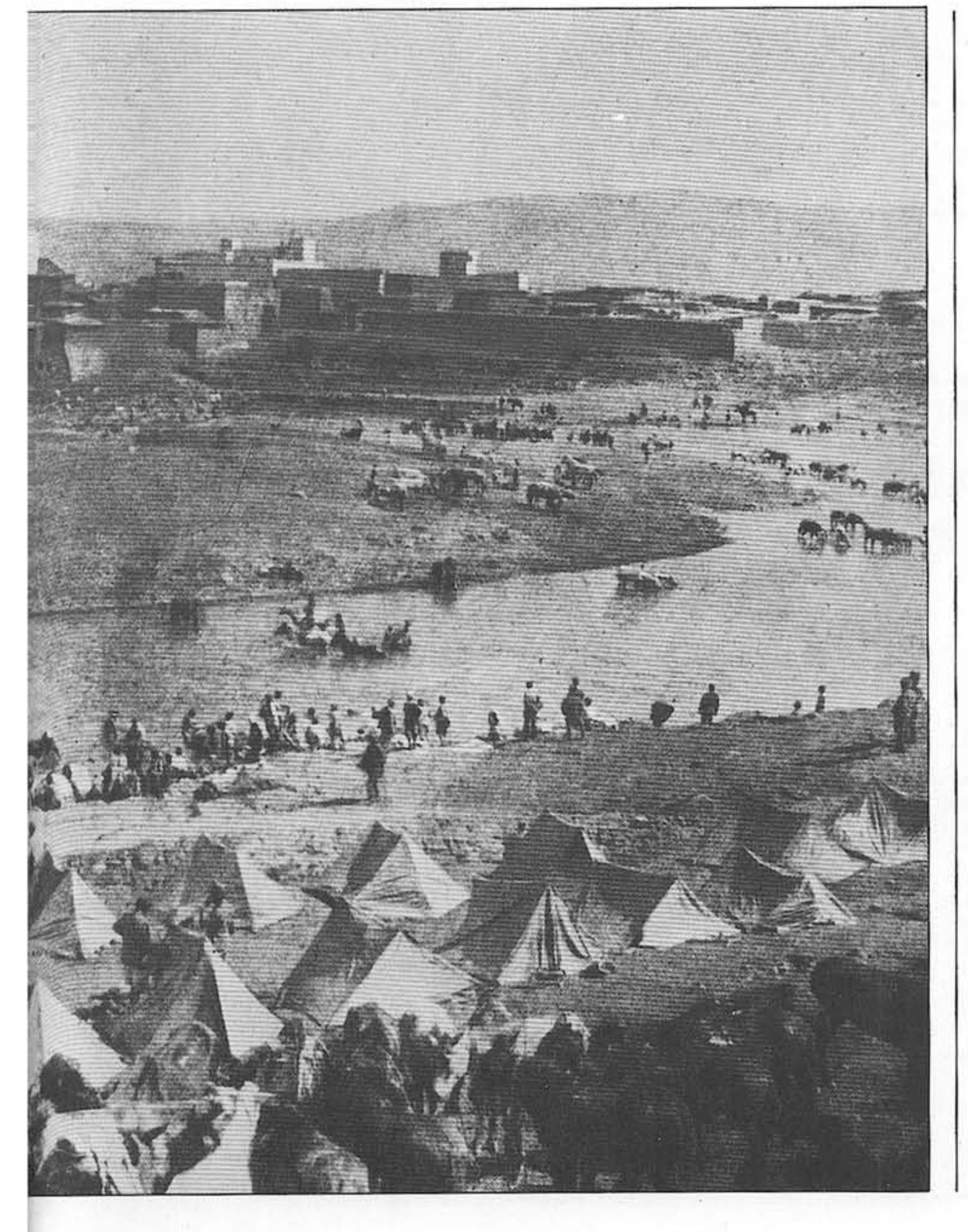
كان قواد جيش الاستعمار يعتبرون دخولهم البلاد دخولا سلميا كلما سهل عليهم الغزو . لكنهم كانوا يوصون بتدمير العدو تدميرا كاملا كلما اشتدت مقاومة أية جماعة كبيرة أو صغيرة . وكان يحلو لهم أن يقولوا في أواخر عهد ليوطي :

« **إن القبائل لاتستسلم إلا إذا سيمت الخسف** » . وذلك ما يدل على أن « **غزو النفوس** » لم يحدث قط .



موحا أوحمو الزياني

خالد الجامعي



لقد استمر الفرس يجري مسرعا وهو لايبالي بالقذائف . واطلق الفارس عنان فرسه لينظر إلى إحدى النقاط البعيدة ، وقد بعدت حتى كاد الحاضر يختلط بالماضي .

إنها وقفة الاستذكار ، الوقفة التي ينتصر فيها الموت ، والتي يستعرض فيها الانسان أحداث حياته ، كما زعموا .

ثم تعود الذاكرة إلى الماضي ...

ويذكر الفارس ...

إنه يذكر الأيام التي كان يجري فيها على فرسه بسرعة غريبة إلى جانب أبيه موحا أو عقا . وقد بذل أبوه من الشجاعة والاستبسال والسعي الحثيث ما استطاع به أن يجعل من آيت حركات قبيلة ذات قوة وحرمة وهيبة .

وخلف الابن أباه طبقا للتقاليد والعادات . فأصبح سعيد زعيما ، وبقي مسيطرا على القبائل الأخرى ، مثل آيت ماي وآيت مرزوغ ...

ثم كانت معارك أخرى ...

واضطربت الذاكرة ، ثم وضحت الأحداث ، ووضحت الصور بعد ما أضبت .

ثم اشتدت الأحوال ...

ذلك أن القوة تورث الخوف والغيرة والحسد والثورة ...

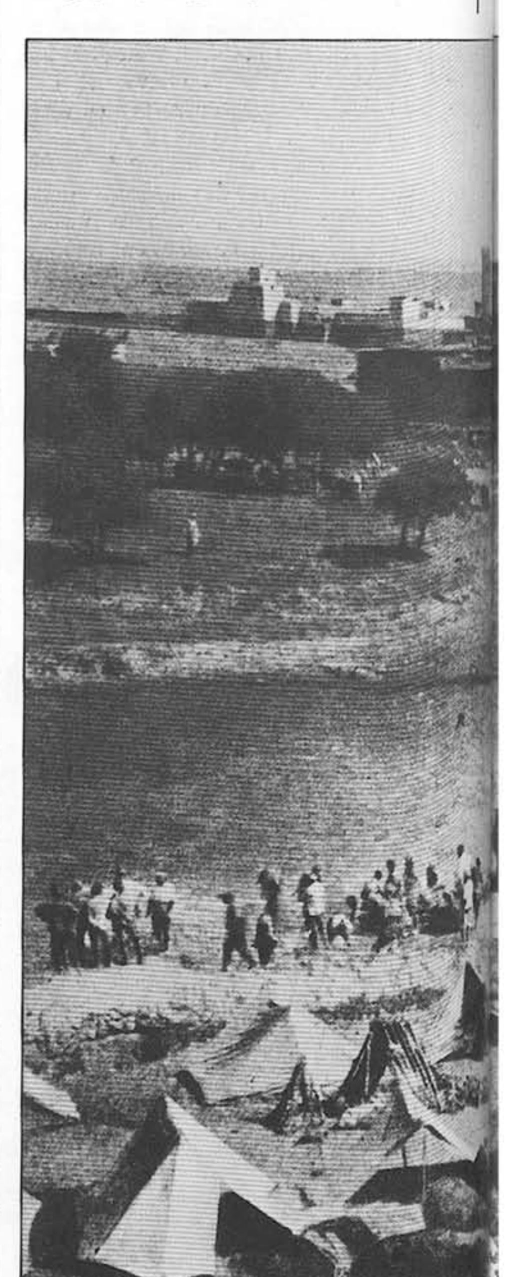
ثم كان التألب ضد نفوذ آيت حركات . وانقلب الوضع . فقد أغير على سعيد وقبيلته

خنيفرة في ملتقى الطرق .
ILLUSTRATION 1920.

موحا أو حمو الزياني

وحلفائها وطوردوا باستمرار بعد ما كانوا هم المغيرين وهم الغازين . وتوالت عليهم الهزائم إلى أن اندحروا . فقتل سعيد واضطر باقي أعضاء القبيلة إلى الالتجاء داخل أسوار خنيفرة ، التي أصبحت اليوم مدينة ، بعد أن كانت بالأمس القريب « دشرا » .

إن خنيفرة وليدة أم الربيع . وقد بنيت على منعرجات الضفة اليسرى من النهر . وبنى بها



احد سكان بلاد زايان .
المكتب الوطني المغربي للسياحة .

مولاي اسماعيل قنطرة جعلت من المدينة ملتقى طرق يقصده التجار الذين ينقلون الطعام والزاد إلى بلاد تادلة وأبي الجعد والشاوية . ولم تلبث المدينة أن أصبحت مركزا تجاريا وموقعا عسكريا هاما .

فما كان أثقل الارث وما كان أصعب العمل ! كان على موحا أو حمو ، وهو أخو سعيد وابن موحا أو عقا ، أن يظهر أنه قادر على تحمل المسؤولية رغم شبابه . كان عليه أن يجعل من الهزيمة نصرا وأن يحيي الرماد ليشعل منه النار .

وابتسم الشيخ الفارس .

ذلك أنه كان من الذين لهم طالع يمن ، ومن الذين يسعفهم الحظ في أعمالهم ، بل ومن الذين يعرفون كيف يخضعون الحظ لارادتهم ...

ثم استذكر موحا أو حمو لقاءه بذلك الرجل القوي الورع الجليل سيدي ابن داود الشرقاوي . واستحضر كذلك نصائحه التي زوده بها بصوت خافت كأنه الهمس .

ثم كان لقاؤه السلطان مولاي الحسن وتسلمه ظهير تعيينه قائدا على زيان آيت يعقوب . وقد اشتد أزره بهذه الشرعية وبالرجال الذين وضعهم السلطان رهن إشارته بقيادة العلاف . وبذلك استعاد ما كان لأبيه ولآيت حركات من سلطان ونفوذ وهيبة .

ثم كانت الجولة عبر شوارع فاس الضيقة الملتوية ، واكتشاف الأسباب العديدة التي جعلت من فاس عاصمة المملكة ومكنتها من نشر نفوذها إلى أبعد بلاد افريقيا وحتى إلى المشرق .

وتعاقبت في ذاكرته صورة المدينة واستقبال مولاي الحسن والمشاريع التي نشأت في ذهنه ، وهو يزور المدينة . وأخذ يفكر في رفع درجة خنيفرة ، القرية البسيطة لتصير عاصمة صغيرة ومركزا تجاريا هاما بقيساريته وحي خاص بالدباغين



وسوقه الذي يقام مرتين في الأسبوع ، بلا مكس ولا رسوم .

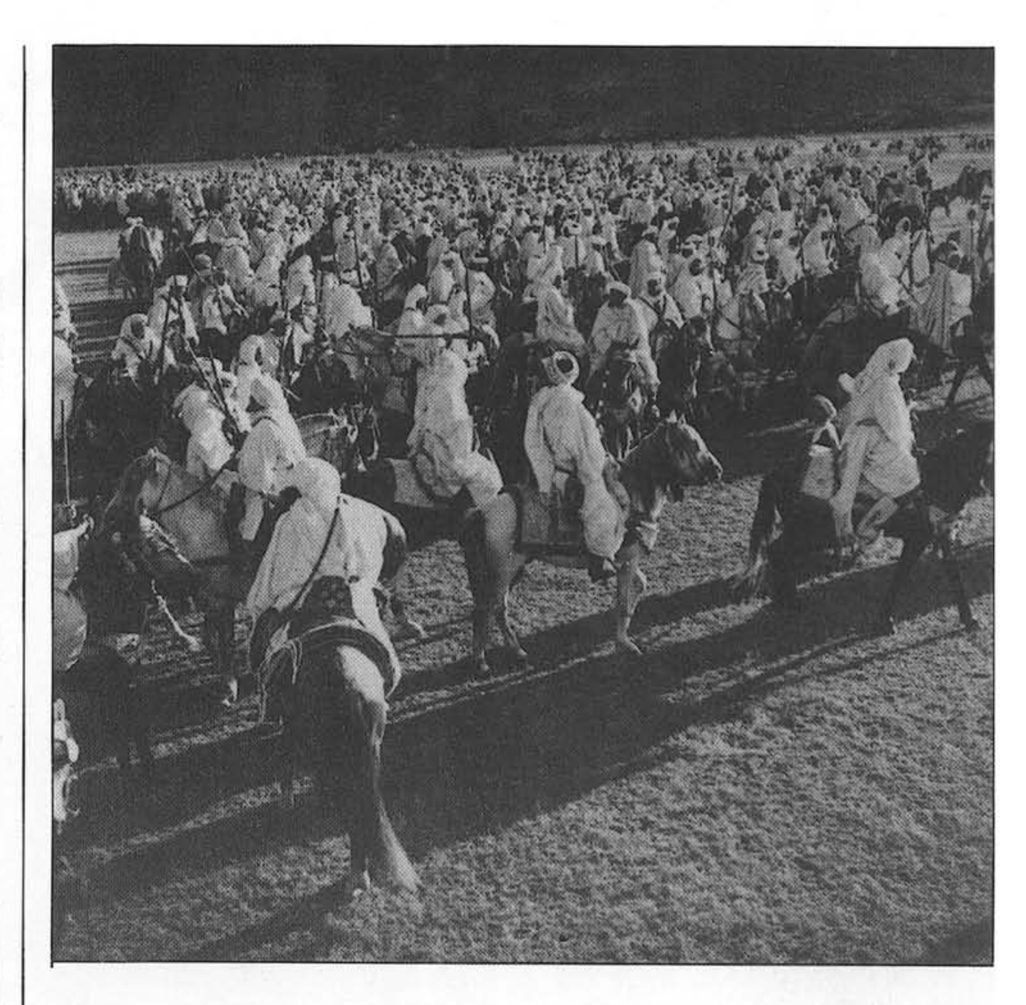
وقد حقق حلمه .

فأصبحت خنيفرة مدينة يتساكن فيها التجار والصناع الفاسيون والزموريون وأولئك الذين نزحوا من سهول الشاوية ودكالة البعيدة ، وحتى مما وراءها ، ومن فيافي الصحراء الحارة .

وكان يحلم كذلك بتنظيم المدينة وتحضيرها ليعمها النظام والأمن ولتقام بها شعائر الاسلام .

ثم تذكر الشيخ أيضا ترتيل القرآن وأصوات التلاميذ ، وهم يرددون بعض الآيات بدون فتور ، وأصوات الدرقاويين والتيجانيين والعيسويين وهم يقرؤون اذكارهم وأورادهم .

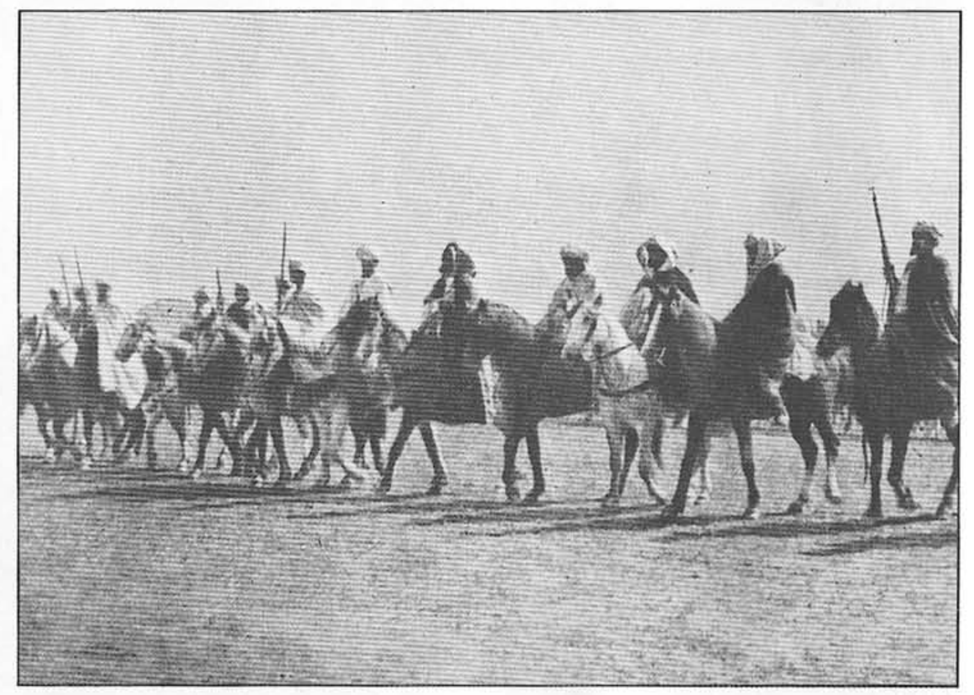
واستمر الفرس في عدوه لا يلوي على شيء ، كأنه أصبح جزءا من هذه الأرض الزيانية التي درستها الخيل وعدت فيها طولا وعرضا ، هذه الأرض التي كانوا يستوعرونها ويرون فيها جبالا عالية وشعابا عميقة .



وكأن الفارس استوى ليستنشق الهواء . وكأن هذه الرائحة وأشجار الأرز التي عمرت طويلا ، فبلغت القرن أو كادت ، قد بعثته من جديد . إن الكلمة « **جبل** » تعني الحرية . ثم عكس بريق عيني الشيخ فجأة صورة هذه الجبال الزيانية التي تعالت بين شعاب الجزء الأعلى من أم الربيع وشعاب وادي سرو التي تحيط بها مناطق زراعية . وقد امتد عند قدم الجبل سهل « **أدرسان** » ذو التربة السوداء الزكية . وفي شمال أم الربيع يمتد « **أزاغار** » بمراعيه الشتوية . إن مثل هذه البلاد تستحق أن يستمات في الدفاع عنها .

ورأى الشيخ كذلك أن الموت في هذا البلد سبيل إلى الخلود .

فرسان زايانيون .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



«... و كان ذلك البلد حقيقا ان يدافع عنه ... »
المكتب الوطني المغربي للسياحة .

إن قبائل زيان تشتمل على 9000 عائلة ، إذا أضيف إليها بنو بوحسوسن المقيمون في مولاي بوعزة . وإن قوتهم لا تمكن في أعدادهم ، بل في قدرتهم على الحرب ، المعتمدة على بسالتهم وتماسكهم وانتظامهم وقيمة خيالتهم . وقد اشتمل جيش خيالتهم على 2500 فارس ، فكانت قوة هائلة ضرستها أعوام طويلة من الحرب . وتميز جيشهم كذلك بسرعة حركته وإقدامه وقدرته الفطرية على المخاتلة في الحرب .

«Les Berbères Marocains et la pacification de l'Atlas Central» 1912-1933 Général Julliard-Paris Guillaume

موحا أو حمو الزياني

ثم شب الفرس فجأة .

فقد انفجر على الزيانيين أولئك الذين عمدوا إلى إخضاعهم واستعبادهم وانتهاك الجبال ، كأن كابوسا أطلقهم . وكان الطارئون قوما يبثون الرعب إذ كانوا متدججين بالسلاح ، ينفثون القذائف والنيران بآلاتهم الطائرة . لكن الزيانيين لا يبالون ! وطالت الحرب واشتدت وقست . لكن لاشيء يعدل الحرية والشرف والأرض .

ولم يكن لموحا أو حمو من هدف سوى جمع القبائل الزيانية على كلمة واحدة وتأليف كتلة تتكسر عليها قوات الغزاة .

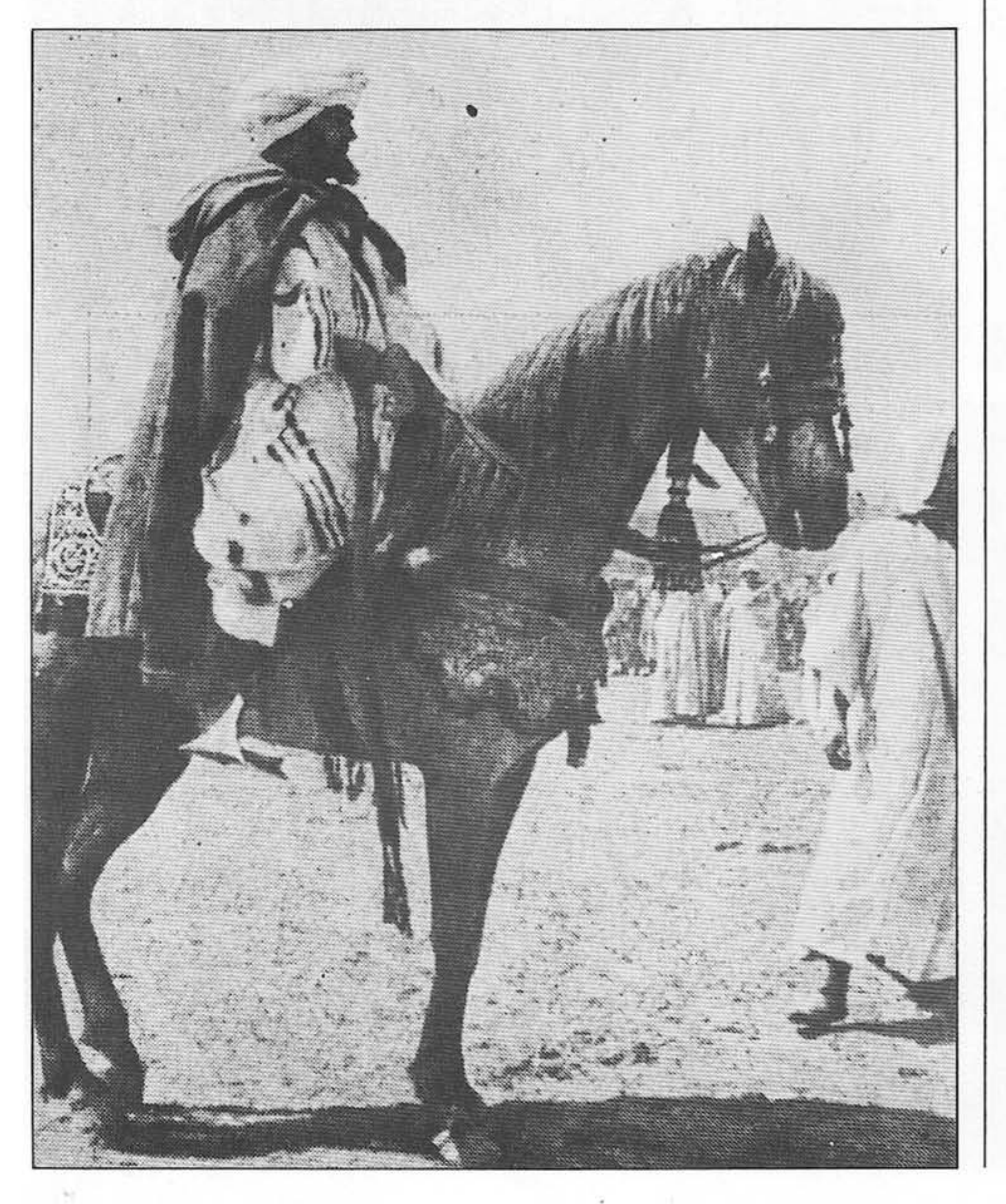
وتذكر موحا أو حمو السهرات الطوال إذ كان القوم يستفيضون في الحديث من أجل توحيد القبائل ولم شتاتها . وما كان أحوجها إلى الحكمة لتناسي النزاعات والضغائن . إن الاتحاد يضمن البقاء ! ...

وكأن جلبة المعارك استرعت أنظار الفارس ، وكأن رائحة البارود تلدغ خياشيمه من حرافتها . ولكنها كانت تقوى عزمه . وكأن طلقات الأسلحة تختلط في سمعه بزغارد النساء .

وكأن الفارس استفاق من حلمه ، فقبض على زمام الفرس بإحدى يديه ، وشهر بالأخرى بندقيته المواترة . وكانت المعركة ضارية ، لاهوادة فيها . وكثيرا ما كان الناس يتلاحمون في القتال . وانتهت المعركة بموت الأحبة وانسكاب عبرات النساء وحشرجة المحتضرين . وانتهت أيضا بانشاء القصائد التي تخلد ذكرى شجاعة الشهداء في ذاكرة الذين حيوا بعدهم .

ثم لمظ الفارس ليبلل شفتيه ، وقد أجمدهما البرد حتى كادت الزرقة تعلوهما .

الحسن ، أكبر أبناء ذلك الرجل الذي استشهد وبيده البندقية .
ILLUSTRATION 1920.



النتائج : لقد كانت الفرقة تشتمل على 43 ضابطا و 1232 جنديا . فقتل منهم 33 ضابطا و 590 جنديا ، وجرح 5 ضباط و 171 جنديا . ولم يسلم من الضباط الثلاثة والاربعين الذين شاركوا في المعركة سوى خمسة ، منهم أربعة من الخيالة .

ولم نستطع أن ننقل إلى خنيفرة إلا 40 جثة ، منها جثة ضابط .

وغنم الثوار كل أسلحة المدفعية والرشاشات وعددا كثيرا من البنادق .

وقد هزمت قواتنا شر هزيمة . ولم يسبق أن هزمنا مثلها في شمالي افريقيا .

Les Berbères marocaines et la pacification de l'Atlas Central (1912/1933). Général Julliard-Paris Guillaume.

الوفاة

بقي الشيخ وحده في خيمته الكبيرة ، في أعالي الجبال ، ومعه خدمه .

لقد انتهت مهمته وانتهت حياته ، وأخذ ينتظر الموت . ثم جلس وأخذ يرهف السمع لعله يلتقط ، مرة أخرى ، رنين الطلقات النارية قادما من إحدى الشعاب .

وسنحت الفرصة .

في يوم من أيام يوم الفصح من سنة 1921 ، غادر الشيخ خيمته وجبله . ثم امتطى جواده ، ومعه بعض اتباعه . وأخذ يجري خببا عبر الطرق الضيقة وعبر المراعي والجداول ، وعبر الغابات والشعاب ، وعبر كل ما كان ملكه وحياته . وتقدم إلى ساحة الوغى ، إلى حيث كان يسمع الطلقات النارية يتبادلها رجاله وحلفاؤنا يقودهم أبناؤه .

ولما وصل إلى ساحة الوغى استوى على ركابيه وعض على زمام الفرس ورفع بندقيته ، وهاجم ، كدأبه من ذي قبل .

موحا أو حمو !

لقد أصابته رصاصة في عنقه ، ثم وقع على الارض . وتوقف القتال . وهرع الناس إليه من كل صوب ، فأقاموه ، لكنه لفظ أنفاسه . مات القائد . وحمله الناس إلى معسكره لتأبينه . وأخذت النساء يندبنه ويخمشن الخدود ويصرخن صراخ المتفجعات . واشعلت النيران في حروف الجبال لتنعى موحا أوحمو وتنقل الخبر إلى واحات الصحراء .

وبقي الدخان يتصاعد رقيقا مستقيما ، ثم تلاشى واختفى في السماء . وتكدر لونه فوق جبال الاطلس الكاتمة أسرارها . وتلاشت الاماني العريضة ، التي كان الامازيغيون يداعبونها ، كما تلاشت حرية زاياف .

Moha ou Hammou le Zaïani de François Berger

فكأن طعم الانتصار ترصع عليهما . لكنها انتصارات مؤقتة ، مثل ما حدث في معركة الهري إذ انتصرت الشجاعة والثبات والايمان على الحديد والدم وآلات الموت . وكم مرات كانت القهقرة ! وكم مرات كانت الهزيمة ! لكن المجاهدين لا يبالون بالهزيمة ، إذ صدقوا واستبسلوا في القتال حتى النهاية . فليست الهزيمة هزيمة أمام عدو أقوى . وليس التقهقر اندحارا .

ثم تذكر الرجل الجلاء عن مدينة خنيفرة . وظهر على بصره أسى عظيم . لاجرم أنه لم يقم بها طويلا ، إذ لم يكن يقر له قرار إلا في الجبل . لكن خنيفرة كانت جزءا من ذكرياته ، ومن ذكرياته الخاصة . ألم يقض بها الليالي الطوال مع الفاسية ، زوجته التي بنى لها قصرا على النمط الفاسي حتى لاتشعر بالغربة .

الحسن بن موحا أو حمو يسلم على الجنرال بويميرو-POYEMIRAU
ILLUSTRATION JUILLET 1920.

موحا أو حمو الزياني

وقد أحسن صنعا لما جلا عن المدينة حتى لايحاصر بها ، فيضطر إلى الاستسلام في غير عز .

وكانت القافلة تصعد طرقات الجبل الملتوية الضيقة . ومازال القائد يذكر إلى الآن لسع البرد . وكان جميع النساء والأطفال والشيوخ قد عزموا على مرافقته وعلى الوفاء له وعلى القتال والمقاومة حتى الاستشهاد .

فإذا قبل الانسان إبادة عشيرته كلها ، فكأنه رضي بإهمال التاريخ لها إهمالا وبنسيانها أبدا . غير أن الزمن حليف الضعيف في مثل هذه المعركة ، بل في مثل هذه الحرب .

فليعش أبناؤه الأربعة عشر . وليتلاف إبادة التسعة آلاف بيت . ذلك أن صبيان اليوم سيصبحون غدا رجالا . لذا ينبغي التبصر في الأمر حتى لا يعرضوا للموت من غير فائدة . ولتوضع أعلام المستقبل التي سيهتدى بها . وليفاوض أبناؤه العدو في استسلامهم قبل أن يحيق بهم خزي الهزيمة .

فابتسم الشيخ ، بل كاد يبتسم ابتسامة العابث . وكانت ابتسامته تنم أيضا عن قليل من السخرية الممزوجة بالرضا .

وعقدا أبناؤه مع الغزاة عقد صلح يحافظ على كرامتهم ويخوّلهم السلطة والقوة . وسيصبحون بعد ذلك أقوياء ، وسيصبحون سادة .

ثم وقف الفرس . وانتهت تلك الجولة المفرطة في السرعة . لكن البطل الشيخ لم يترجل . وبدت على جلبابه وسلهامه بقعة حمراء .

وخرقت الجبل صيحة :

مات موحا أو حمو

لقد لفظ أنفاسه ... ثم نسجت قصة سيرته . وأخذ الشاعر ينشدها في أعالي الجبال في ظل أرْزة عمرت قرنا أو كادت ، وهي أيضا تستعرض ذكرياتها ...

إن التاريخ لينقش في ذاكرة الشعوب نقشا . وعنه تنشأ الاساطير والملاحم ، وتترنم بها الذاكرة في أبيات موقعة على الآلام وعلى الشدائد وعلى المسرات . إنه شعر غفل ، لكنه شعر الجميع . وقد قص ما قاساه الشعب في دفاعه عن نفسه ومقاومة الغزاة .

« تيريكراف »

لقد طار اللقلاق من تانانت وهو ينفث اللهيب .
واستولى الرومي حتى على السماوات ،
فأصبحت هي أيضا تقذفني .
يا تيريكراف ! إلى أين تحمل أسباب الالم والدمار .
فالطائر سلبت جناحيه ، والاسد سلبت زئيره .
في بطنك تحمل القنابل ، ويقولون إنك تحمل المدافع .
ويتروع منا الفؤاد عند سماع هديرك .
وعائش ! لقد نغص علينا التيريكراف العيش .
فأصابنا قرب البيت ، أنا وشويهاتي وكلابي .
كلما أخرجت ماشيتي ، وكلما رافقت نعمي .
داهمني التيريكراف وسمعت فرقعة الرشاشات .
ياتيريكراف ! لن أقيم حيث تقيم .
ما أغرب ما اخترعوا ! ياشابات ، يارجال ،
عودوا إلى خيامكم .
لقد نفخوا الروح في العود ، وإلى السماء أرسلوه .
هو في السماء ، ولا يصيبه الرصاص .
لا تلحقه يدي ، وليتني أدركته .
بالله عليك ياسيدي محـ ، أحلل عليه لعنتك
فيقع عندنا ونتمكن منه ، فنثأر ونشفي الفؤاد .

شعر غفل عن "Moha ou Hammou, le Zaiani", François Berger.

مقاومة آيت عتاب

سيسلبونكم شعيركم يا آيت بوزيد .
سنحل عندكم في الخامس عشر من شهر مارس .
وسترى ياأخي ، ياميمون ، كيف تتفرقع القنبلة
وكيف لا تنفع الدار مع القنبلة
وكيف تقع عليك في مخبئك القنبلة
في قعر الشعبة كأنما قذفتك بها يد البشر .

شعر غفل عن "Moha ou Hammou le Zaiani", François Berger.

أربع عشرة سنة من ا

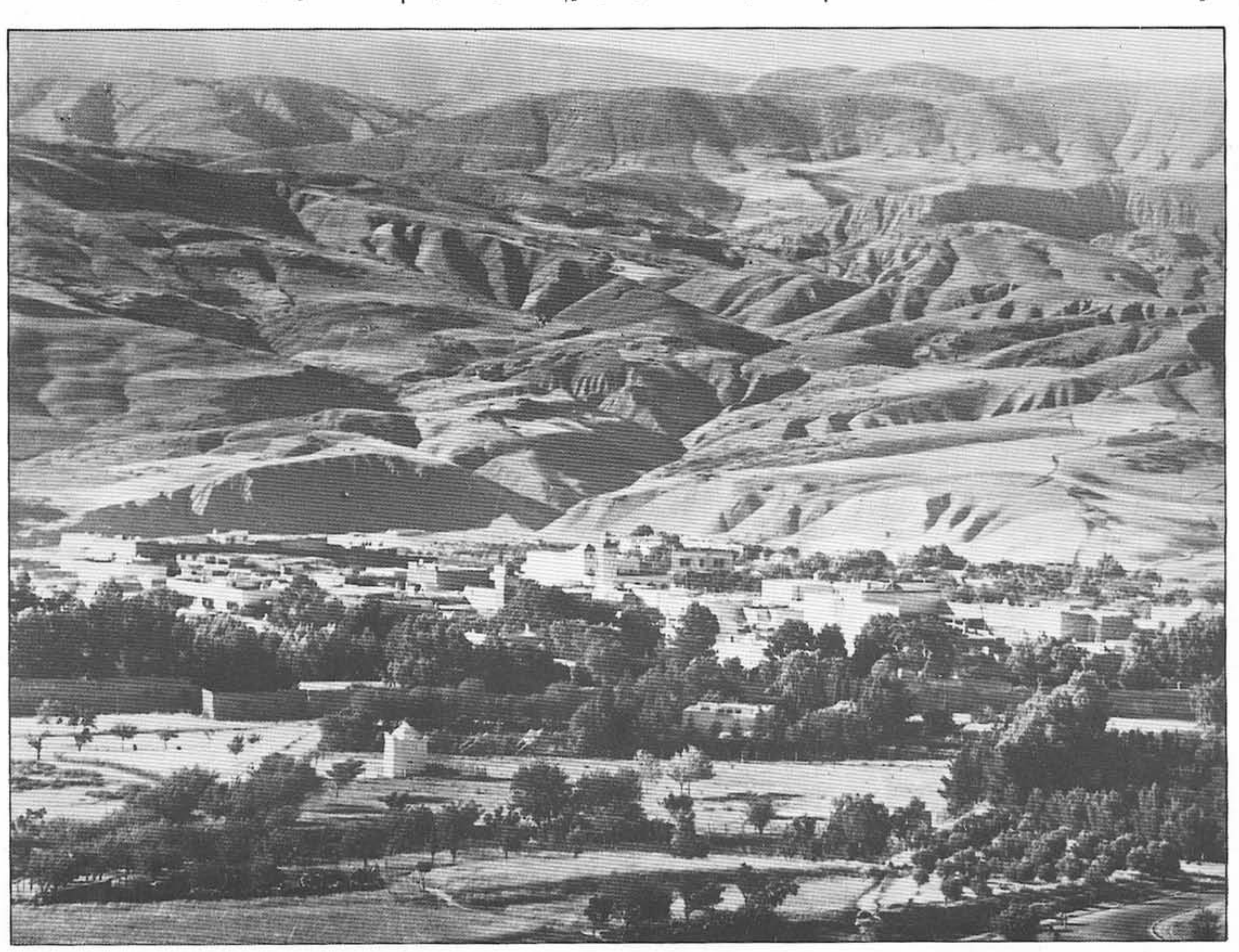
توفيق أكومي

لقد كانت معاهدة الحماية التي أمضيت بفاس سنة 1912 إقرارا للتواطؤ الذي حصل بين الدول الاستعمارية ، كما كانت منطلق تحول هام في أحداث تاريخ المغرب . وبذلك انتهت المرحلة التي كانت ابتدأت بهزيمة تطوان سنة 1860 .

وقد اضطر المغرب إلى التعرض أثناء تلك المرحلة إلى تأثير الدول الأوروبية ، ثم أخذت فرنسا واسبانيا في احتلال البلاد منذ سنة 1912 .

كانت الدسائس الاستعمارية قبيل الحماية سببا في انتشار الثورة وتعميم الاضطرابات في المغرب ، وخاصة في ناحية مدينة تازة . وكانت أشهر هذه الحركات حركة « الروكي » بوحمارة . أما عصيان قبائل الأطلس المتوسط ، ثم قبائل

مدينة تازة
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط.



لمقاومة فى ناحية تازة

الريف بين سنة 1912 وسنة 1926 ، فكان للدفاع عن الحرية ولمقاومة الاحتلال الأجنبي .

تازة ، الممر الفريد والمحور الهام في تنظيم الاحتلال

إن موقع تازة موقع فريد لكونه صلة وصل بين المنطقة الشرقية والمنطقة الغربية من المغرب من جهة ، وبين جبال الريف شمالا والمجموعة الأطلسية (ومن ضمنها الأطلس المتوسط) جنوبا .

ولربما اشتقت مدينة تازة اسمها من الكلمة البربرية « ثيزي » إذ يعني مدينة الفجاج . ذلك أن فج الطواهر الذي يبلغ علوه 556 مترا يوجد غربي المدينة ، بينما يوجد شرقيها فج رجم الزحازحة الذي يبلغ علوه 547 مترا .

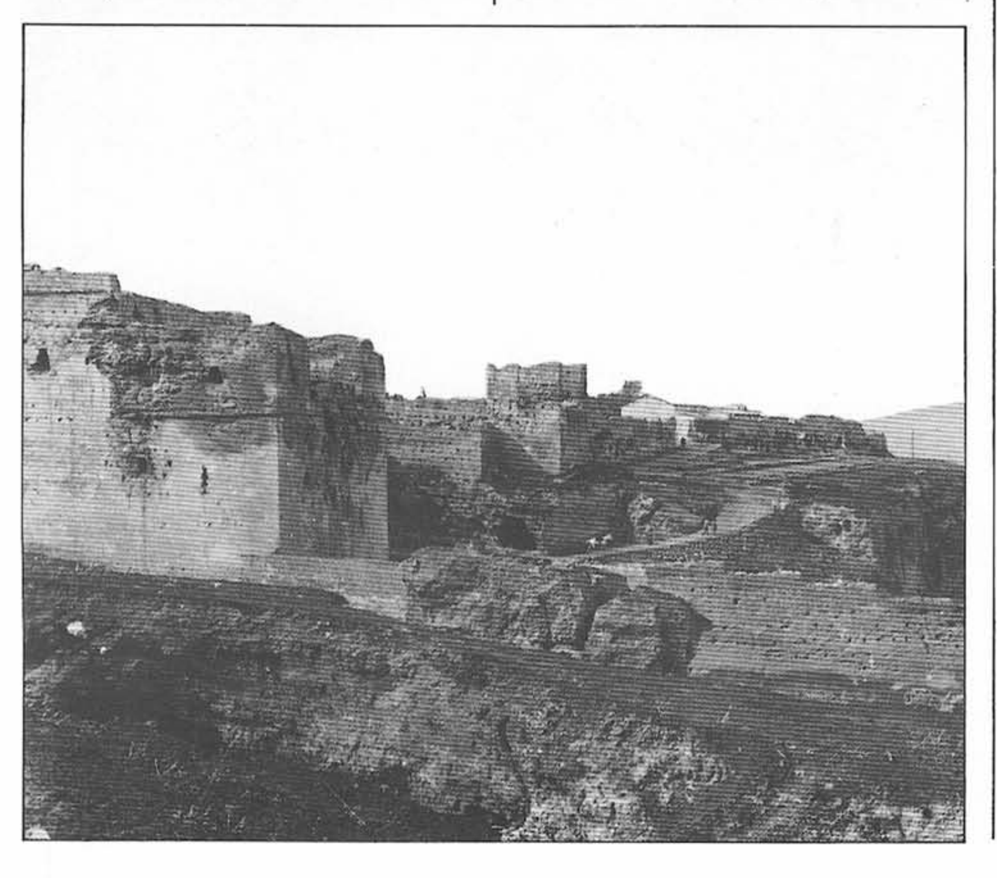
فكانت هذه المنطقة ممرا ضروريا يفصل ناحيتين متباينتين ، وهما سلسلة الريف والأطلس المتوسط . وبقيت هذه الطريق ، منذ القدم ، ذات أهمية كبرى . ولا تُخرق الجبال الموجودة غربي تازة إلا عن طريق الوادي الضيق الذي يجري فيه نهر إيناون . ومن ذلك كان لموقع تازة أهمية عسكرية ذات بال ، إذ إنها تستطيع أن تسد ذلك الممر بين الشرق والغرب . ومن ذلك أيضا ندرك الاهتمام الكبير الذي أولته لهذه « الثغرة » قوات الاستعمار التي كانت مرابطة في شرقي المغرب وفي الشاوية قبيل الحماية .

موقع منيع

تشرف المدينة على الوادي الضيق الذي يجري فيه نهر إيناون . وقد ارتفعت عن سطح البحر بـ 585 مترا ، واستندت إلى جبل تومزيت الذي يبلغ من العلو 1000 متر. وقد تميز هذا الموقع عن سائر ما حوله . لذلك لم يغفل عنه أي مار بهذا المجاز .

ويكاد دخول المدينة يمتنع من جهات الشمال والغرب والشرق . أما من الجهة الجنوبية الجبلية ، فيسهل النفوذ إليها ، وذلك ما جعل سكانها يحصنونها بسورين اثنين وبخندق . ومما زاد في تعريض المدينة للغزو وجود جميع منابع الماء الذي تزود به المدينة في الجنوب . لذلك كانت المدينة دائما عرضة لغزو القبائل المجاورة ، وخاصة قبيلة غياثة عند ما تضطرب الأحوال .

ويمكن أن نعتبر أن الموقع ، ولو كان ذا فائدة بالنسبة للمدينة نفسها ، لم يكن ذا أثر كبير ، وذلك لوجود المدينة في منطقة كانت دائما تثير الأطماع . وكان طمع القوات الاستعمارية أشد ، إذ كانت لها أسلحة عصرية . إن الظروف السياسية والعسكرية التي سادت



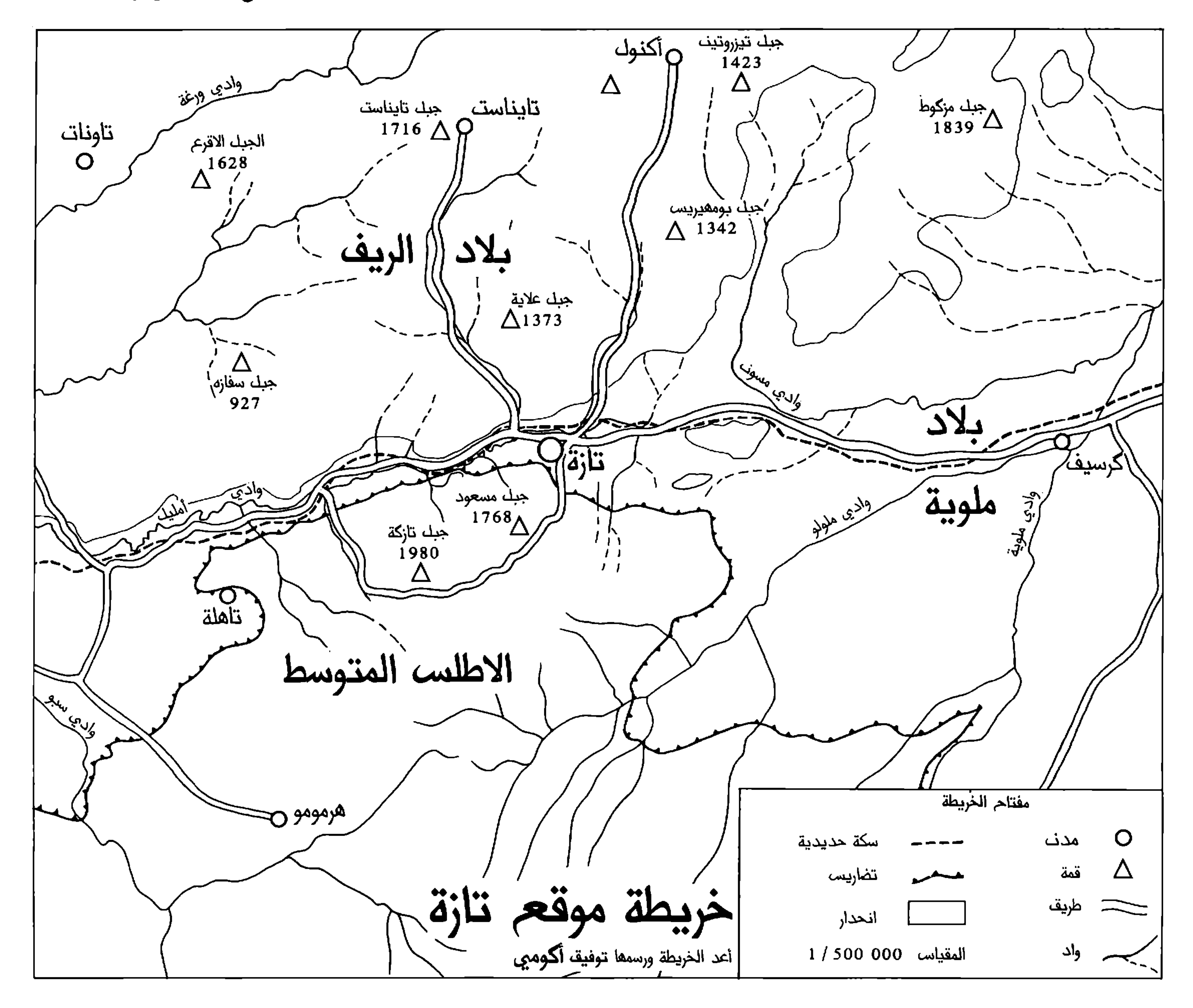
أسوار مدينة تازة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

المغرب عقب إمضاء معاهدة الحماية كانت تنذر بوقوع معارك عنيفة في المناطق المتاخمة لمدينة تازة ، وذلك بين قوات الاستعمار التي كانت تسعى إلى فتح الطريق بين الشرق والغرب وبين القبائل الثائرة ، أي قبائل البرانس والتسول وغياتة وبني وراين التي كانت تسكن شمالي تازة وجنوبيها .

وقد حوربت هذه القبائل حول تازة باسم السلطان وبدعوى المحافظة على سلطته . واستغرق إخضاع السهول والهضاب والمدن أقل من سنتين . أما احتلال ثغرة تازة (17 ماي 1914) وربط الشرق بالغرب ، فلم يتيسر إلا قبيل الحرب العالمية الأولى . وقد كتب أ. بيرنار A. Bernard سنة 1917 في مؤلفة La France au Maroc ما يلي : « **لا داعي إلى أن ننبه إلى الأهمية الكبرى التي نراها في هذا المجاز الذي يصل المغرب بالجزائر . وكانت وحدة ممتلكاتنا الافريقية غير تامة ما لم نستول عليه** »

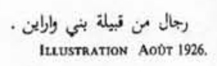
القبائل عقبة كبرى في تحقيق أهداف الحماية

ولم تواصل القبائل مقاومتها القوات الاستعمارية إلا ضمن جماعات قليلة العدد ومنعزلة بعضها عن بعض . فقد كتب ج . سيليريي J. Célérier سنة 1927 « **وكانت القبائل الثائرة تستطيع دائما التسلل فرادى أو جماعات**

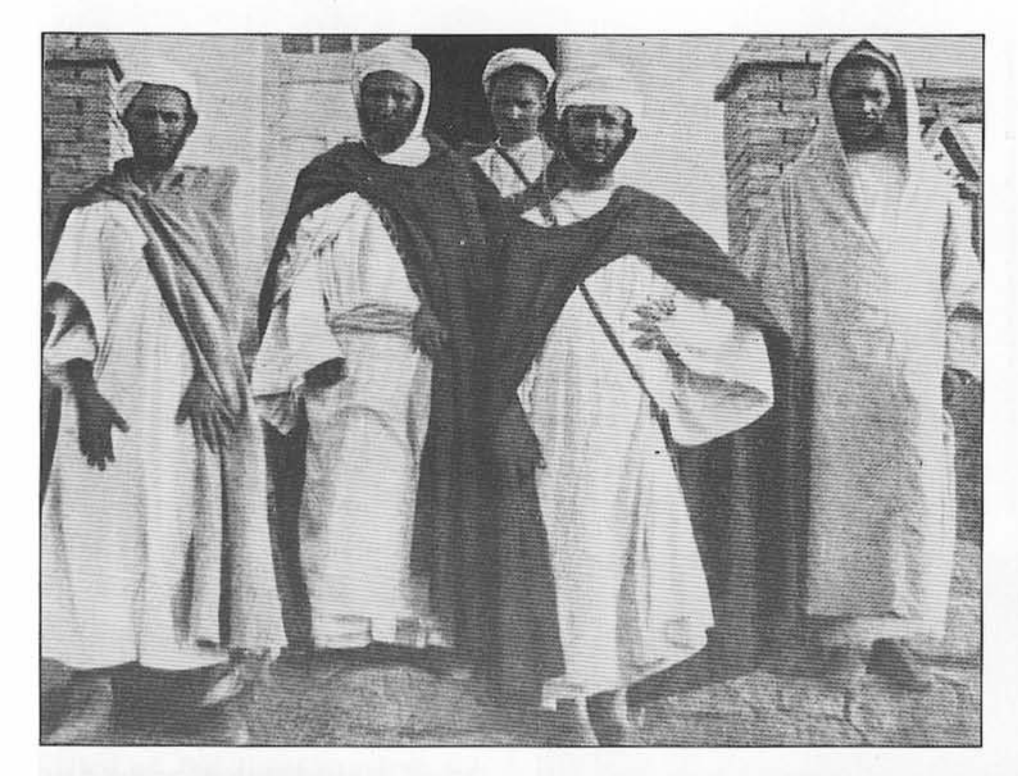


خريطة موقع تازة

أعد الخريطة ورسمها توفيق أكومي



رجال من قبيلة بني وراين .
ILLUSTRATION AOÛT 1926.



نساء من قبيلة البرانس يستسقين . تصوير كوطورب .
TOUR DU MONDE. 1904





منظر جوي من مناظر تازة سنة 1918
الخزانة العامة بالرباط .

قليلة العدد خارج بلادها بعد أن يضرب عليها الحصار . وكان الثوار يذهبون لغزو القبائل الطائعة ولقتل حراسنا ... ولن نستطيع أبدا أن نصف كل ما قاسيناه أثناء هذه السنين الطويلة ، في هذه الحروب التي تتجدد في كل حين ، وفي هذه الظروف التي كادت تختنق فيها الأنفاس لشدتها ، والتي تنهك الانسان وتوتر أعصابه لكونه يشعر بوجود العدو في كل مكان ولا يراه في أي مكان »

وقد عرفت هذه الجماعات كيف تستفيد من وعورة البلاد لتستعيض بذلك عن ضعف العتاد والسلاح . فسهل عليها التحرك في منطقة القتال . فقد قال بيرنار A. Bernard **« إن منطقة تازة منطقة حيوية وممتنعة . فلنتصور ، في فرنسا الظروف التي قد نعبر فيها وادي الرون Le Rhône لو أن قبائل ثائرة ميالة إلى الحرب تسكن جبال الألب Les Alpes وجبال Massif Central . عندئذ ندرك بعض الادراك ما يعرقل العمل في ناحية تازة ، إذ تطل عليها جبال الريف شمالا وجبال غياثة وبني وراين جنوبا »** .

إن استبسال سكان هذه الجبال في الدفاع عن حريتهم لحقيق أن يسجل ضمن الملاحم والمفاخر التي حققها الأبطال المغاربة طوال التاريخ . ذلك أنهم استطاعوا أن يقاوموا جيشا من أحدث الجيوش ، رغم حرمانهم مما كانوا يتزودون به من السهول ورغم حرمانهم من جزء واسع من المناطق التي كانوا يرتادونها ، وذلك بعد احتلال القوات الاستعمارية منطقة « أزاغار » (المراعي الشتوية) . فلم ينل ذلك من روح النضال التي كانوا يتحلون بها إلى أن حلت سنة 1920 .

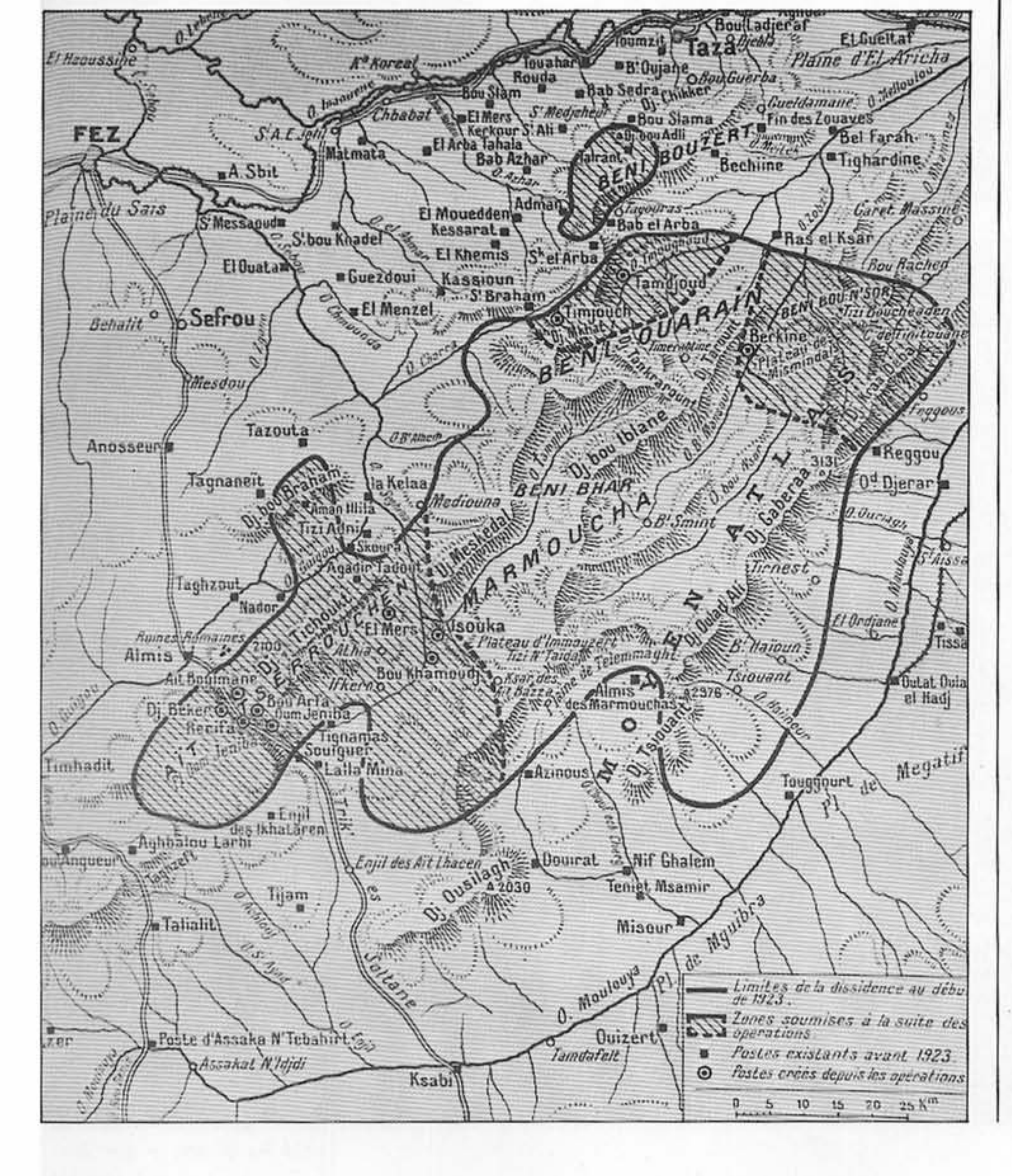
وبعد أن أخضعت قوات الاحتلال مناطق السهول الزكية أخذت تقتحم المناطق الجبلية عملا بقولة بوجو Bugeaud الشهيرة :

« يجب أن نكون السادة في كل مكان حتى لا نفتقد الأمن في أي مكان » وأخذت قوات الاحتلال تسعى إلى ربط الصلة بين شرقي المغرب انطلاقا من نهر الملوية ، وبين غربيه انطلاقا من أربعاء تيسا . وفي نفس الوقت أخذت الأرض تضيق بغياثة وبني وارين لما احتل الفرنسيون بلاد ملوية شرقا إلى تافيلالت ، وبلاد زايان غربا ، وهي إحدى القبائل التي تميزت بمقاومتها الاستعمار .

وخفف دخول الاسبانيين بلاد الريف متاعب قوات الاحتلال الفرنسي . وعمدت هذه القوات إلى منع الصلة بين قبائل الريف (البرانس والتسول) وقبائل الأطلس المتوسط (غياثة وبني وارain) . وأصرت إصرارا لا مثيل له على تغيير طريقتها في احتلال الأطلس المتوسط ، إذ كانت هذه الطريقة خطّية إلى تلك الفترة . فقد قال بيرنار :

« لقد خرق الجنرال ليوطي مبدأه في خطة احتلال البلاد ، إذ كان يوصى بالانتشار في جميع الجهات ، كما ينتشر الزيت انطلاقا من نقطة واحدة . أما في هذه الناحية ، فلا يمكن أن تنتشر القوات إلا انتشارا خطيا ، وذلك مهما كان إحكام التمهيد السياسي »

وذلك ما دل على ضعف استقرار المستعمر في الأطلس المتوسط ، إذ كانت جباله



منطقة العمليات الحربية ضد بني وارain وآيت سغروشن ومرموشة .
Illustration. Juillet 1923.

خطرا مستمرا على المواصلات بين الشرق والغرب . وقال بيرنار أيضا : « **إن الأطلس المتوسط مركز هام في خطة نشر الأمن في المغرب ، وكذلك في دراسة الجبال** » .

لذلك رأت سلطات الحماية ، بُعيد الحرب العالمية الأولى أن تهدف أول الأمر إلى توسيع ما كان يسمى « بقعة تازة » . وقد كتب بيرنار قبل ذلك ، أي سنة 1917 :

« **إن أول ما يتحتم علينا القيام به في المغرب ، في الظروف الراهنة ، هو توسيع مجاز تازة** » .

وقد اعتبر الأطلس المتوسط حوالي سنة 1920 منطقة « آمنة » بصفة رسمية ، لكن سكانه ، وحتى سكان تخومه ، لم ينقادوا تمام الانقياد إلا سنة 1926 . وقد قال ج . سيليريي سنة 1927 :

« **قبل سنة لم يكن أي من الأوروبيين يستطيع المرور في هذه المنطقة لامتناعها ، إذ منعتها عليهم الطبيعة والسكان معا . بل كان ينبغي عليهم أن يحتاطوا شديد الاحتياط لضمان سلامتهم . فمن زاغ عن الطرق المحروسة عرض نفسه للموت . فقد كان الثوار مستترين بسلاحهم خلف كل صخرة وفي أعماق الأودية وفي أعالي القمم ، ومستعدين لضرب أي شخص جازف بنفسه . لذلك أحيطت هذه الكتلة الجبلية بسلسلة من مراكز الحراسة والحصون والآطام والأبراج . غير أن كثافتها لم تكن قط كافية** »

وهكذا ، لم تؤمّن جبال الأطلس تأمينا قارا . وساءت الحال منذ سنة 1921 بقيام ثورة الريف . وبذلك كان على قوات الاحتلال مواجهة حربين ، حرب الريف وحرب الأطلس .

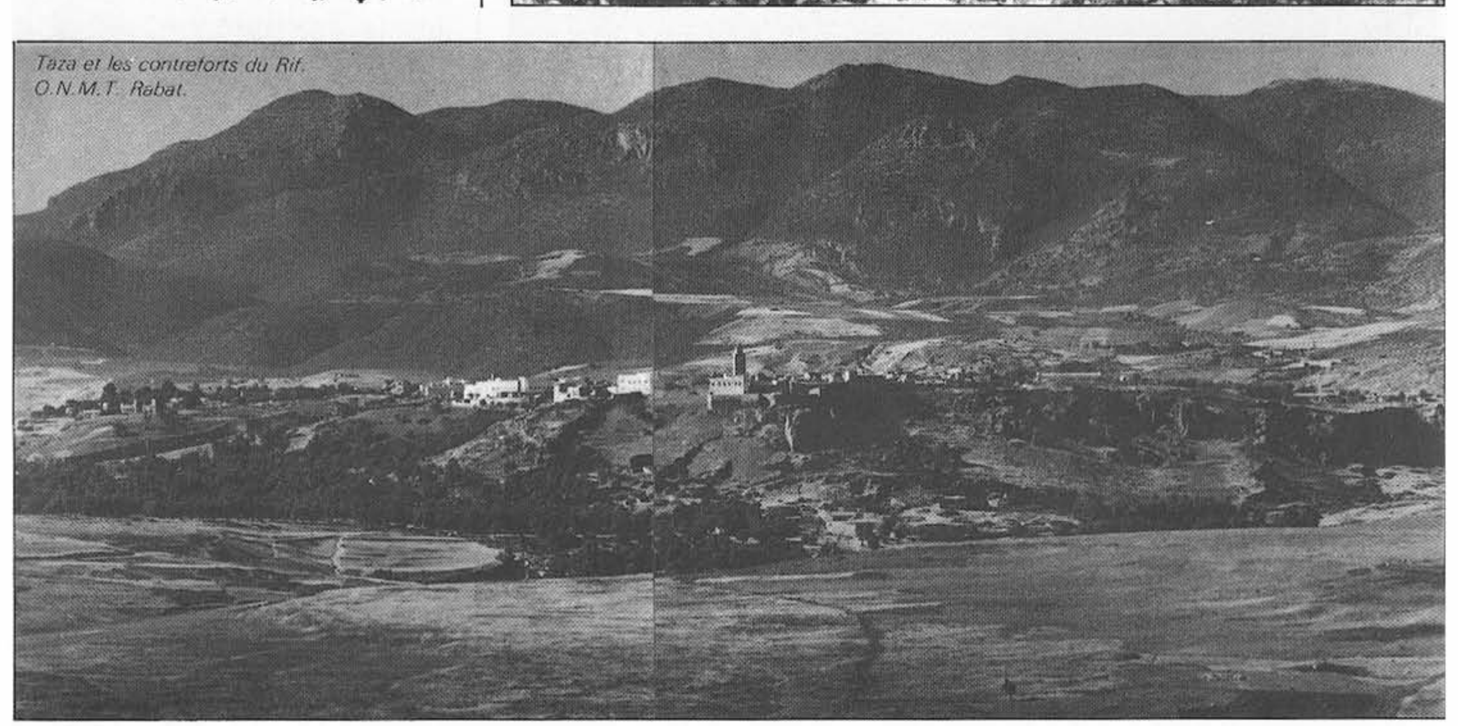


قرية من قرى البرانس وقد خربت وأحرقت .
ILLUTRATION. OCTOBRE 1925.

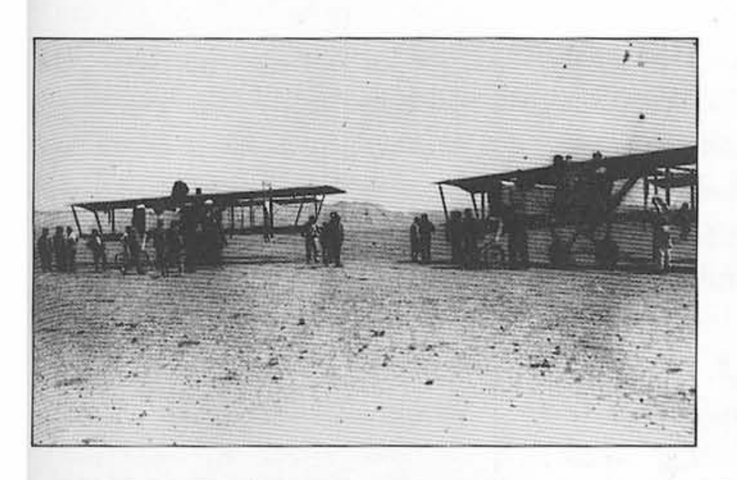
حركة المقاومة في الريف

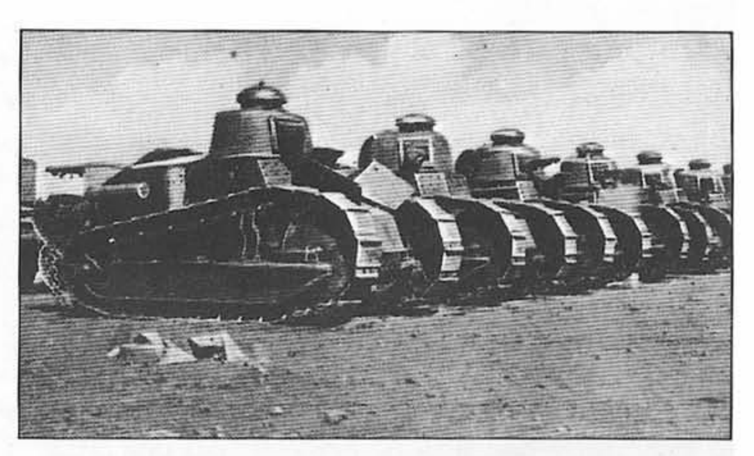
وقد ثارت قبائل الريف من سنة 1921 إلى سنة 1926 بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، وقاومت الحلف الفرنسي الاسباني بعد أن هزمت القوات الاسبانية في معركة أنوال سنة

مدينة تازة وجبال الريف .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



Taza et les contreforts du Rif.
O.N.M.T. Rabat.





دبّابات ببلدة تيسا – تصوير بوحصيرو .
وثائق دولوز .Delooz

طائرات فرنسية بتازة (1918) .
الخزانة العامة بالرباط .

1921 . فلما استولى ابن عبد الكريم على المناطق الشمالية بالمغرب أصبح يهدد مدن تازة وفاس ووزان تهديدا مستمرا . وفي سنة 1924 ، هزم الجيش الاسباني في معارك أخرى ، أشهرها معركة الشاون ، إذ استولى على المدينة في شهر نفمبر من نفس السنة . فلم يبق بيد الاسبانيين سوى بعض المراكز على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . واستعان ابن عبد الكريم منذ ذلك التاريخ بقبائل البرانس والتسول في الشمال ، وبذلك تأكد تهديده لتازة . وتخوفت قوات الحماية من هذا الوضع الجديد ، لاسيما أنه سبق أن أخضعت هذه القبائل . فقد قال الجنرال سيريني Serrigny :

« إننا لانحارب (...) الريفيين أنفسهم ، بل نحارب القبائل التي كانت خاضعة لنا من قبل ، ثم أثارها علينا الريفيون »

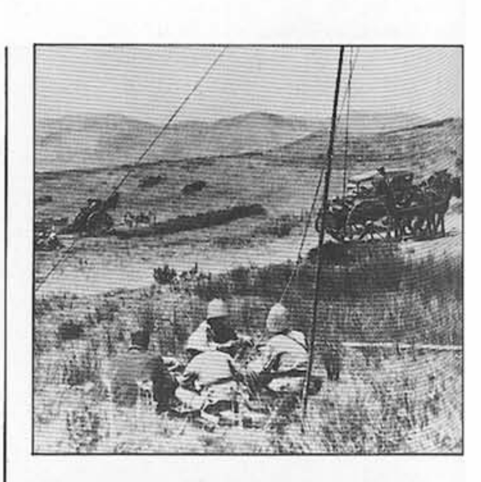
وتوغل الفرنسيون في بلاد ورغة سنة 1925 . واعتبر ابن عبد الكريم عملهم هذا



المدفعية بناحية تازة .
Illustration. Avril 1914.



مدافع من نوع 155 و75 أثناء معركة بناحية تاونيت وفي وادي اللبن الأعلى .
Illustration. Juin 1925.





العمليات شمالي تازة ، في بلاد البرانس .
ILLUSTRATION. SEPTEMBRE 1925.

العمليات بمسيلة ، شمالي تازة . وقد امتطى ضابطان فرنسيان سلة المنطاد لمراقبة حركات أهل الريف .
ILLUSTRATION. SEPTEMBRE 1925.

اعتداء عليه . وأخذ يستعد للهجوم في جبهة واسعة في فصل الربيع من نفس السنة . وكان المجاهدون يقدمون على القتال بحدة مثالية . وقد شجعهم على ذلك انتصارهم على الاسبانيين وثقتهم بقائدهم . ولم تمض إلا أسابيع قليلة حتى ضعفت الجبهة الفرنسية رغم استبسال الجنود . وأخذ الفرنسيون يفكرون في الجلاء عن تازة . لكن ليوطي أمر بالبقاء فيها مهما كانت الظروف ولو اضطر إلى إجلاء السكان المدنيين . وبلغ التقهقر والرعب بناحية فاس وتازة من النفوس مبلغا جعل ليوطي يقول :

« لقد حدثت موجة من الرعب العفوي مثل تلك التي تنتشر فجأة في هذه البلاد ، كما شاهدته سنة 1912 مرتين وسنة 1919 » .

ولما تطورت الأحداث بهذه الطريقة اضطرت سلطات الحماية إلى العدول عن الخطة التي سلكتها إلى تلك الحقبة في تأمين البلاد ، وهي الخطة التي كان ليوطي يدعو إليها بقوله : **« تظهر القوة لتتلافى استعمالها » وبقوله « لأن نفتح ورشا خير من أن نستعمل كتيبة جنود »**

ولم يمكن حد التوسع الريفي إلا بالقيام بحملة واسعة النطاق . وحدث الشقاق حول الخطة الحربية بين ليوطي ورجاله من جهة ، وبين أركان الحرب التي كان يشرف عليها بيتان PÉTAIN من جهة أخرى . فما كان للقوات الاستعمارية أن تخرج من المأزق الريفي إلا بالتشدد . من ذلك استعمال كميات كثيرة من أحدث السلاح ، وفي جميع الأحوال مثل الرشاشات والبنادق الرشاشة ومدافع الهاون والدبابات . واستعمل الطيران على مدى واسع لم يسبق له مثيل لقصف السكان وإرهابهم ولتقليل مواردهم . وأصلحت الخطوط الحديدية والطرق لتيسير حركة القوات الاستعمارية ولتمكينها من مبادرة الخصم .

وعدل الجيش عن الوسائل التقليدية التي كانت « **المكاتب العربية** » تعتمد عليها . وعمد إلى نفس الوسائل التي كان الريفيون يستعملونها كالضغوط النفسية وأسر الرهائن . وبذلك ظهر من الطرق السياسية والعسكرية التي سلكتها سلطات الحماية بين 1925 و 1926 ما ينبئ بما قد تكون عليه فيما بعد « **طرق مقاومة الثوار** » .

واعتمدت سلطات الحماية أخيرا في خطتها على « **مغربة** » الحرب ، وذلك بتحريض القبائل المتنافسة بعضها ضد بعض – كتحريض البرانس ضد أهل الريف – وبتجنيد أكبر عدد من « **الكوم** » . وعقد لضباط الشؤون الأهلية على هذه القوات الاضافية المكونة من المغاربة ، وأسندت إليها أصعب العمليات ، وذلك لتقليل خسارة القوات النظامية . وقد قال د . ريفي D. RIVET :

« إن حرب الريف كشفت عن الخوف من الثورة ، ذلك الخوف الدفين في أعماق نفس المستعمر . وقد كانت بمثابة إنذار منبه حافز إلى الرجوع إلى بوجو BUGEAUD رجوعا مؤثرا ، لا إلى طرقه فقط ، بل وإلى مذهبه . فقد كان مذهب بوجو ، سنة 1926 المرجع الأول الذي يرجع إليه الطيار الذي يستعمل بصورة مكثفة أحدث السلاح ، وبذلك سبق غيره إلى استعمال الطرق التي استعملت فيما بعد أثناء الحرب العالمية الثانية ، كما يرجع إليه ماريشال الحرب العالمية الأولى الذي كاد يكون في وضعية المتقاعد ، لايقوم إلا ببعض الأعمال التي يعد بعضها عملا تكريميا » .

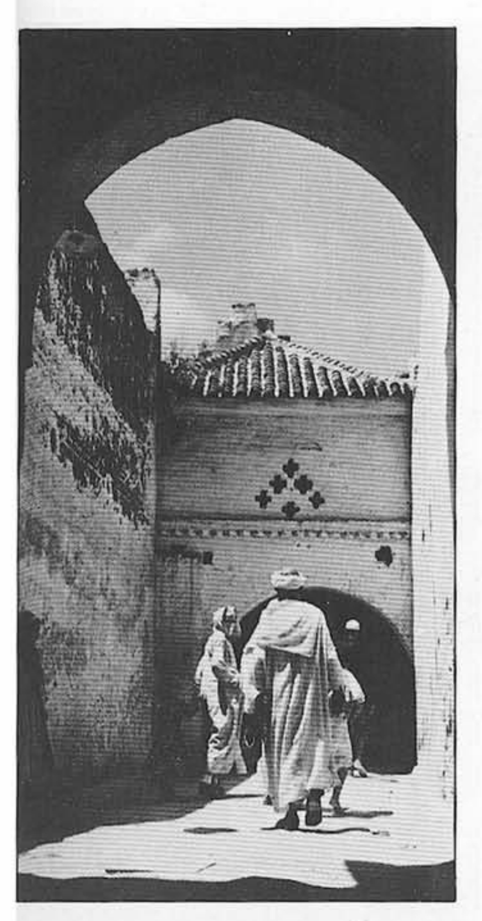
معسكر ضخم

كانت مدينة تازة في موقع يربط بين اثنين من أهم مراكز المقاومة المغربية ، وهما الأطلس المتوسط والريف . لذلك كان لابد أن تتأثر بالوجود العسكري في ميدان التجهيز وفي الميدان العقاري وفي الميدان الديموغرافي .

فما لبثت المدينة أن اتسعت منذ 1914 خارج موقعها التقليدي ، وذلك نظرا لأهميتها الحربية . وسرعان ما ارتقت إلى درجة البلدية يوم 28 أبريل 1917 ، ثلاث سنين بعد الاستيلاء عليها من لدن القوات الفرنسية . وفصلت المدينة الجديدة عن المدينة العتيقة طبقا للمبدأ المعماري المعروف . وكان ذلك دأب سلطات الحماية في



احتلال مدينة تازة .
ILLUSTRATION. MAI 1914.



شارع من شوارع تازة .
الخزانة العامة بالرباط .

المدن الاثنتي عشرة التي أصبحت هي الأخرى بلديات في منطقة الاحتلال الفرنسي .

وكان هذا الفصل بين المدينتين واضحا ، إذ كان فيه وسيلة لإبعاد المدينة الجديدة لتسهيل مراقبة المدينة القديمة وردع أية محاولة للثورة . وكان هناك هدف ثان ، وهو إبراز تفوق القيم الثقافية الغربية على القيم الاسلامية في ميدان تنظيم المدن وتنسيقها .

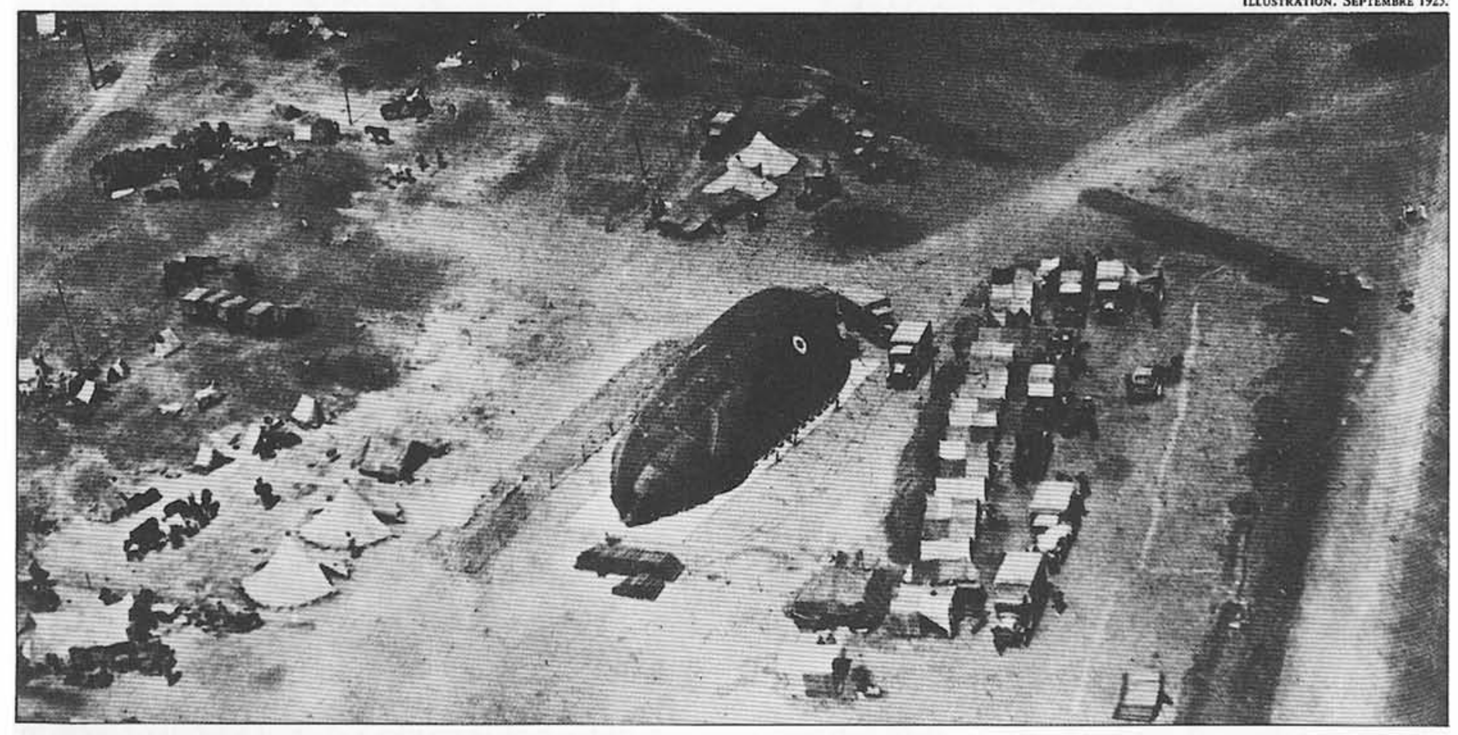
وبالاضافة إلى ذلك تميز الاستعمار في مدينة تازة باصطباغه بالصبغة العسكرية .ذلك أن الدولة الفرنسية استأثرت بمساحات شاسعة من الأرض لاقامة منشآت عسكرية ضخمة .

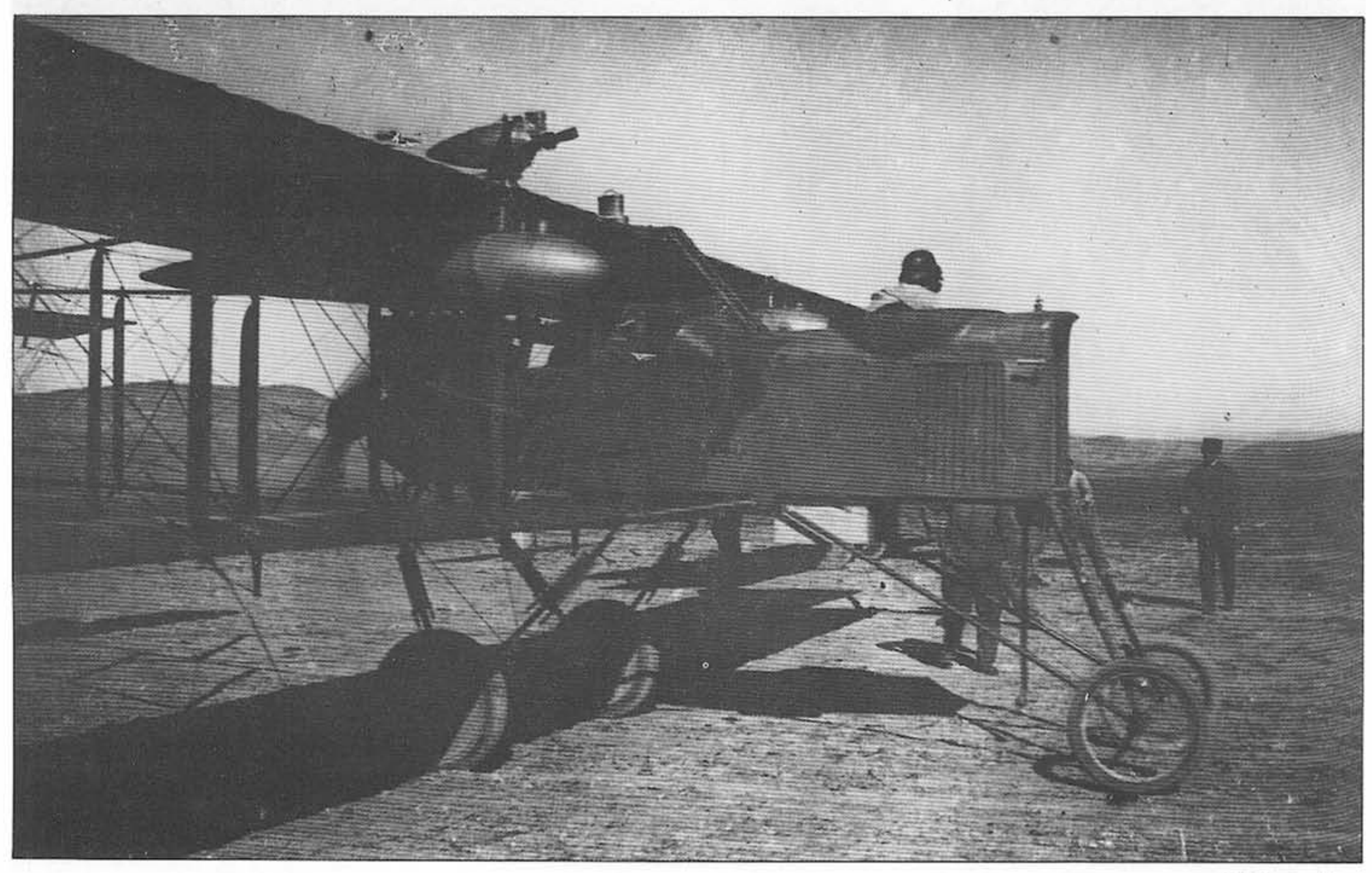
وكان في المدينة ثلاثة معسكرات . كان اثنان منهما داخل المدينة العتيقة (معسكر لاكروا LACROIX في الجهة الشرقية ومعسكر كودير COUDERT في الجهة الغربية) . وكان جنود هذين المعسكرين يراقبون المدينة ويمنعون دخولها عند الحاجة . لكن أهم معسكر أثار الانتباه هو معسكر جيراردو GIRARDOT الذي كان يوجد في الجهة الشمالية عند مدخل المدينة . وكانت مساحته تفوق مساحة المدينة التي بداخل الأسوار .

وكان في إقامة هذه المنشآت تأكيد لقيمة موقع تازة في التخطيط العسكري . ثم مُدّ الخط الحديدي بين البيضاء ووجدة . وبذلك تحققت الرغبة التي كان الاستعمار يحلم بها منذ قديم ، وهي إنشاء خط يربط الدار البيضاء بالجزائر وتونس . ثم أنشئ كذلك مطار قرب المدينة الجديدة وخط حديدي سمي « **خط 60** » يصل إلى قلب المدينة الجديدة ، وينتهي في معسكر جيراردو . وفي ذلك دليل على أن لهذا الخط أهمية بالغة على المستوى المحلي والمستوى الاقليمي نظرا للنشاط الدؤوب ولوفرة العتاد المنقول .

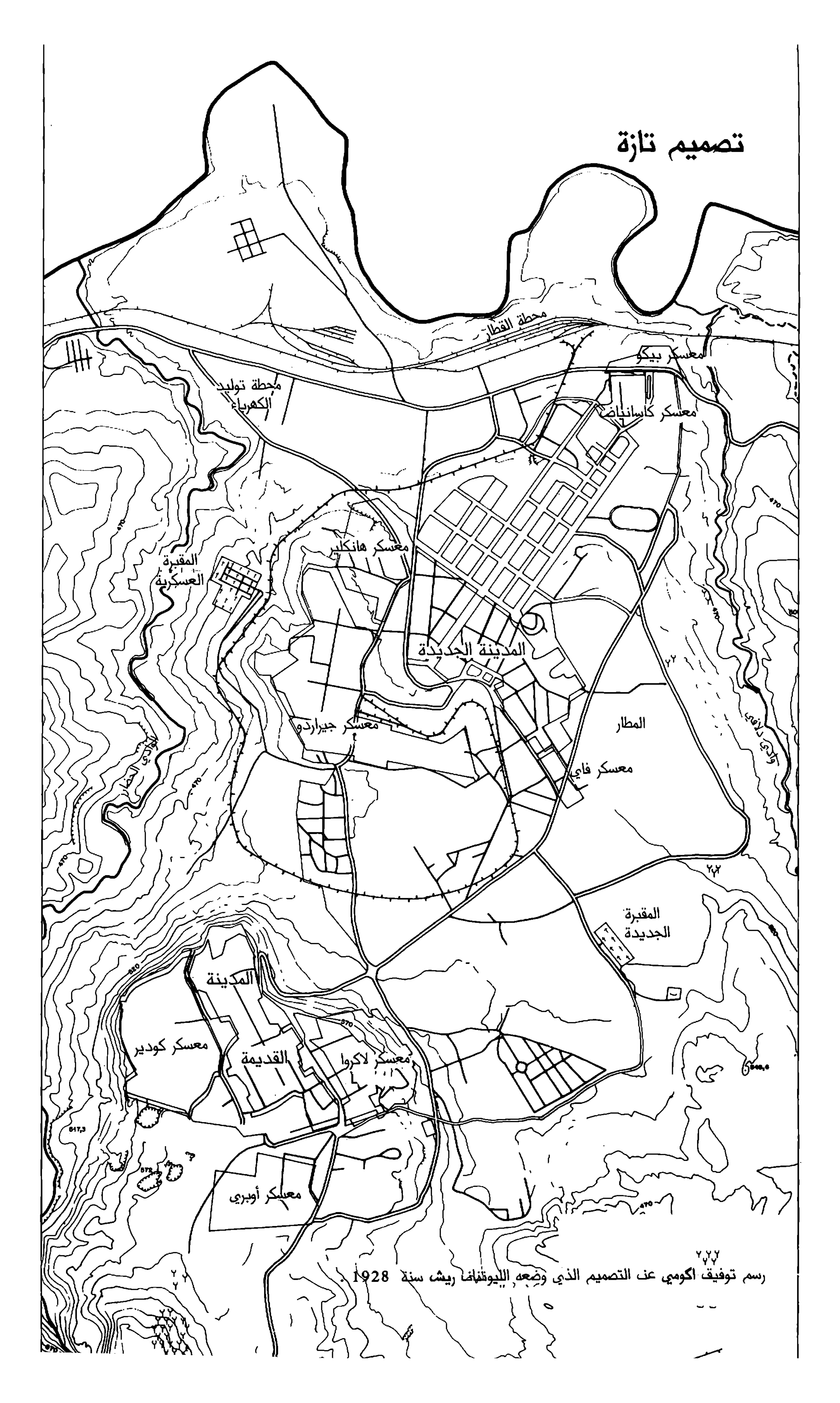
وكانت هذه المنشآت مؤقتة ، إذ كان يجب إعادة النظر فيها . لكن ذلك لم يتيسر إلا بعد انتهاء عملية « **تأمين البلاد** » نظرا لمقاومة القبائل زحف القوات الفرنسية . ذلك أن النظام العسكري أثقل كاهل المدينة ، إذ اعتبر أول الأهداف . فلم يعدل الفرنسيون عن مشروع استبدال المنشآت العسكرية الموجودة شرقي المدينة فقط ، بل وأضافوا إليها خمسة معسكرات أخرى أقيمت كما يلي : معسكر كاسانياض CASSAGNADE ومعسكر بيزان PEZAND على حافة الطريق بين فاس ووجدة ومعسكر هانكلر HUNKLER شمالي المدينة الجديدة ومعسكر فاي FAYE جنوبيها ومعسكر أوبري AUBRY جنوبي المدينة العتيقة . ذلك أن

معسكر شمالي تازة .
ILLUSTRATION. SEPTEMBRE 1925.

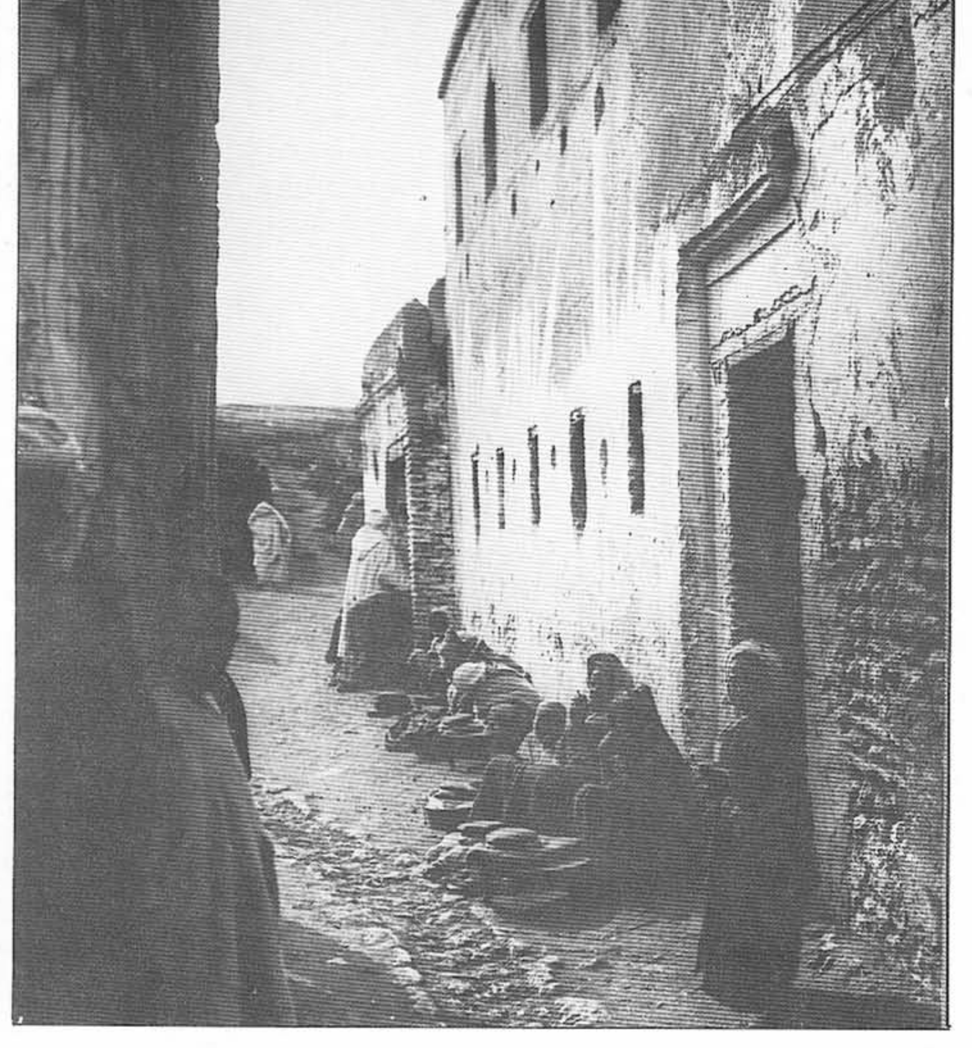


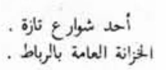


مطار تازة (1918) .
الخزانة العامة بالرباط .



رسم توفيق اكومي عن التصميم الذي وضعه الليوتنانت ريش سنة 1928





أحد شوارع تازة .
الخزانة العامة بالرباط .

الحرب كانت كثيرة الجيشان في هذه الحقبة ، **« فلا تسمع إلا طلقات المدافع في جبال تازة »** حسب سيليريي . واستولت السلطات الإستعمارية على 400 هكتار في المحيط الحضري ، سلبت من قبيلة غياتة ، وذلك في الوقت الذي كانت فيه نفس السلطات تقيم المنشآت العسكرية . وقد وزعت هذه الأراضي كما يلي :

– الأراضي العسكرية : 244 هكتار أي 61 %

– الملك الخاص الأوروبي : 100 هكتار أي 25 %

– ملك الدولة الخاص :56 هكتار أي 14 %

ولم يسلب من أية بلدية في المغرب لأغراض عسكرية مثل ما سلب من الأراضي في مدينة تازة .

أما فيما يتعلق بالأوروبيين الذين استوطنوا المدينة ، فقد فاقت نسبتهم نسبة عدد كبير من

شارع بالقصبة بمدينة تازة .
الخزانة العامة بالرباط .





أحد أسواق تازة .
الخزانة العامة بالرباط .

المدن المغربية . وقد سجلت النسب التالية :
– 400 أوروبي من مجموع 4400 من السكان أي بنسبة 9،1 % سنة 1914
– 2284 أوروبيا من مجموع 9606 من السكان أي بنسبة 23،8 % سنة 1926
– 3408 أوروبيين من مجموع 14973 من السكان أي بنسبة 22،8 % سنة 1936

وهكذا يمكن أن نقدر أن ربع سكان المدينة كان من الأوروبيين طوال ربع قرن .

ويتبين من كل ذلك أنه كانت للمعارك الضارية التي وقعت حول تازة بين قوات الاستعمار والقبائل الحريصة على استقلالها عواقب فاجعة على المدينة وعلى القبائل نفسها .

أما في المناطق القروية ، فكان للحماية أثر مباشر على السكان ، إذ سلبوا أراضيهم . فقد قال القبطان روميو Romieu عن بني وراين :

« إن دخولنا البلاد قد أخل بالتوازن العريق بين اعداد السكان وبين الانتاج ، وهو توازن كان يفيد السكان أنفسهم . فأعطي المعمرون أزكى الأراضي التي كان الناس يستغلونها ... وحددت مناطق الغابات وأسندت إدارتها إلى مصلحة المياه والغابات ، وذلك ما اعتبر نقصا من حقوق السكان على هذه المناطق »

أما في المنطقة الحضرية ، فقد أدى الضغط الاستعماري إلى اكتظاظ المدينة بالسكان ، وبالتالي إلى انخفاض مستواها من الناحية الاجتماعية ، وذلك بتكاثر عدد الجنود المغاربة والأوروبيين وبانقراض النشاط التقليدي . فقد لاحظ موسار M. Moussard ذلك سنة 1936 فقال :

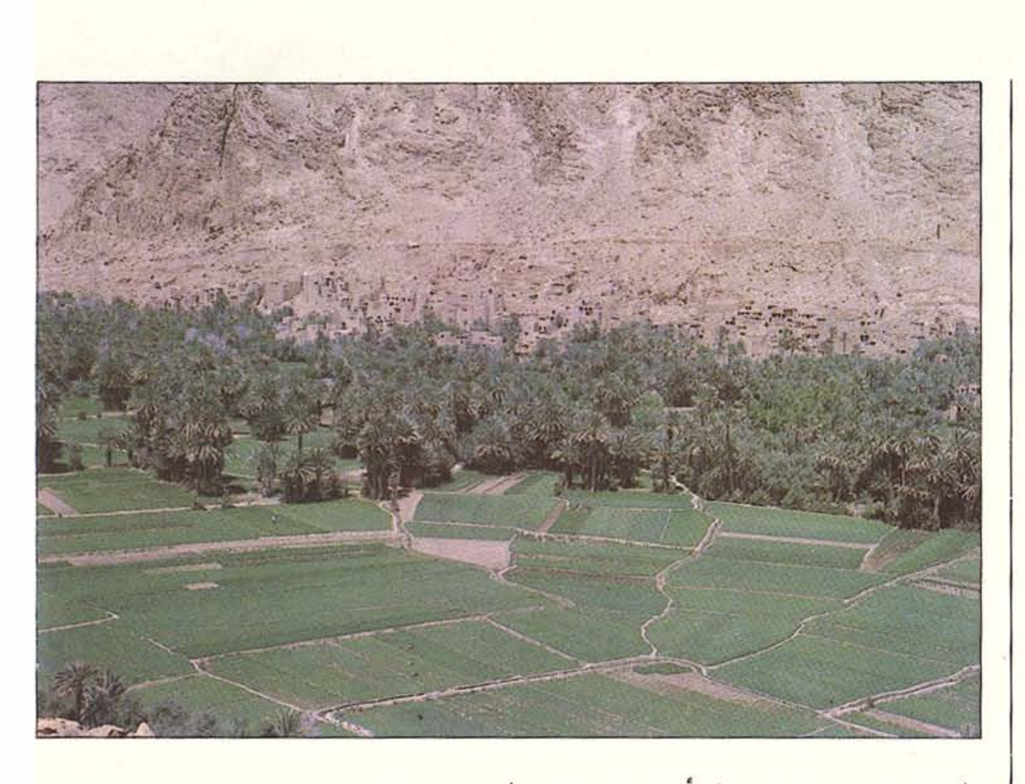
« إن مهنة الدباغة وصنع الصابون قد اندثرت ، وإن عدد الحاكة أصبح 26 بعد أن كان 57 وإن الجمعية الخيرية أصبحت تبذل مساعدتها لستة وعشرين حائكا ولستة خرازين ، صانعي « البلاغي » » (مذكرة عن تازة المدينة الصغيرة بالمغرب Note sur Taza, petite ville du Maroc.

دُخُولُ الفرنسيّين بلاد دَرعَة وتافيلالت

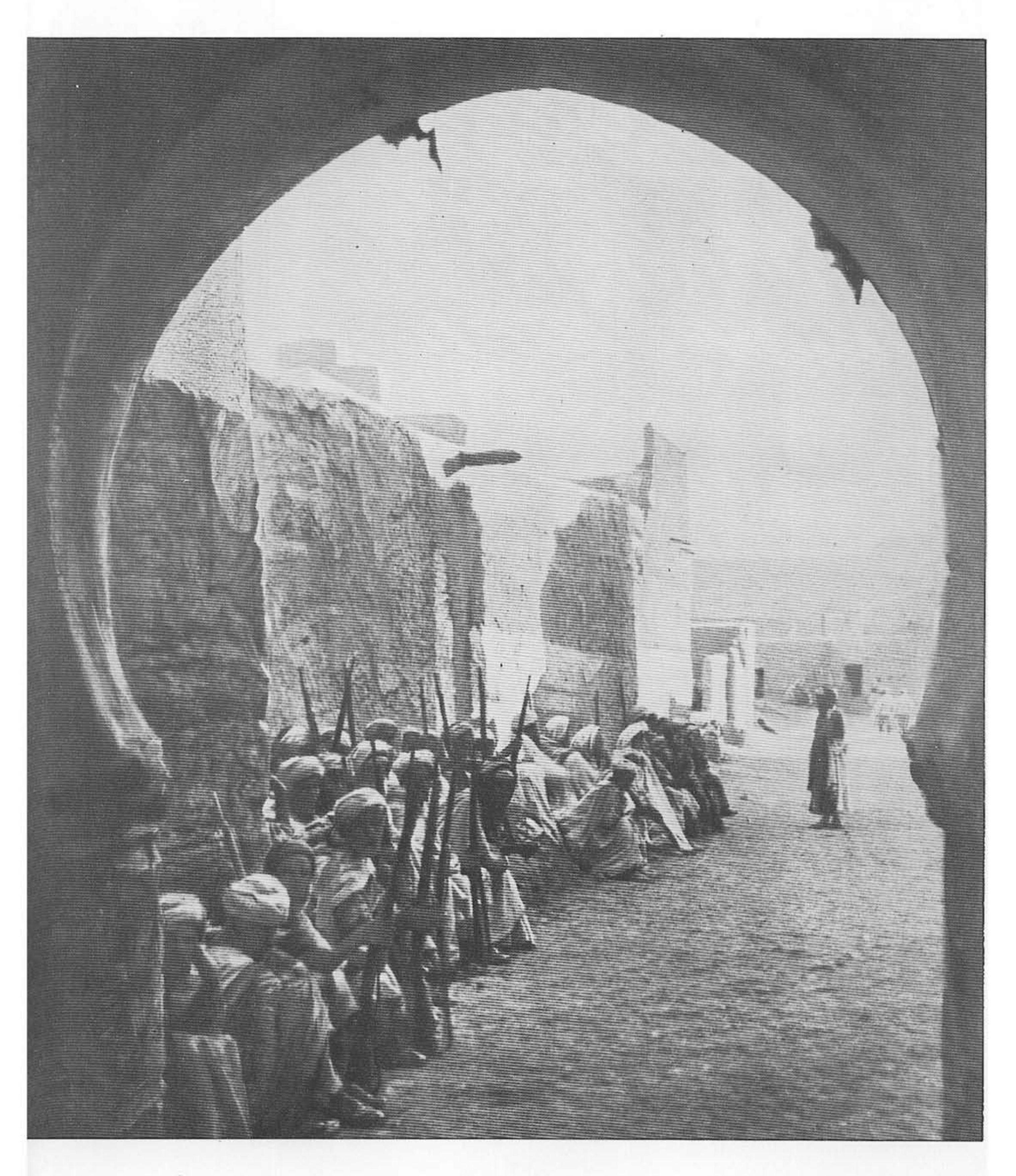
أحمد الصفريوي

ليس ما يسمى « **حرب توطيد الأمن** » سوى حرب استعمارية . ذلك أن الغزاة يزعمون أنهم يتدخلون لبث فضائل الحضارة بين الأشخاص الذين يسمونهم الثوار أو العصاة أو أشخاصا متخلفين . ويزعم هؤلاء « **المؤمّنون** » أن غايتهم قطع دابر الفوضى وتحسين أحوال الناس . ولابد من الرشاشات والمدافع بالاضافة إلى الصبر والدهاء لبلوغ تلك الغاية . وقد تدعَى طائفة من الشعب المغلوب على أمره إلى مساعدة المستعمر ومساندته . ذلك أن السياسيين وقواد الجيش يساند بعضهم بعضا في مثل هذه الأحوال . أما المقاومون ، فيشنون حملات على الغزاة يعتبرها هؤلاء أعمال نهب ولصوصية . ويرئسهم أحيانا شيوخ طريقة من الطرق الدينية أو أحد الفقهاء ، فيعتبرهم الغزاة متطرفين معتصبين . وكان الاستعمار الفرنسي لا ينعت المقاومين إلا بالسرقة أو التعصب . فلا يراعي لهم جانبا ، لا عملا ولا كتابة . وبما أن قبائل الأطلس الصغير وقبائل وادي درعة الثائرة خطر على الاستعمار ، فلابد من غزوها للاستيلاء على البلاد . فمن الخطأ اعتبار البدو « **الذين يحترفون السلب والنهب** » قوما حريصين على حريتهم . ومن الخطأ الاعتراف لهم بحق القتال لحفظ تلك الحرية . فإن صمدوا واستبسلوا أمام زحف قوات الاستعمار ، فَلِعِلْمهم بأن ذلك الزحف سيقضي على حياتهم التي يحيونها بين الغزو والقصف .

وتدل كل هذه العلل الخادعة وهذه الدلائل غير الثابتة على أن الغزاة يحاولون تبرير عملهم وإرضاء ضمائرهم والتحلي بسلامة الطوية . وعندما يستسلم الجندي الباسل ، فيلقي بسلاحه (الذي لم يعد صالحا) ، وقد قهره العدو بأسلحته المتطورة ، فقد يشيد المستعمرون أحيانا بشجاعته ، ويتنبؤون له برخاء يقدرونه على قدر نوعية « **استسلامه** » . ولأسياده الجدد أن يقوموا سيرته ويصححوا تصرفاته . فيضربون



وادي درعة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

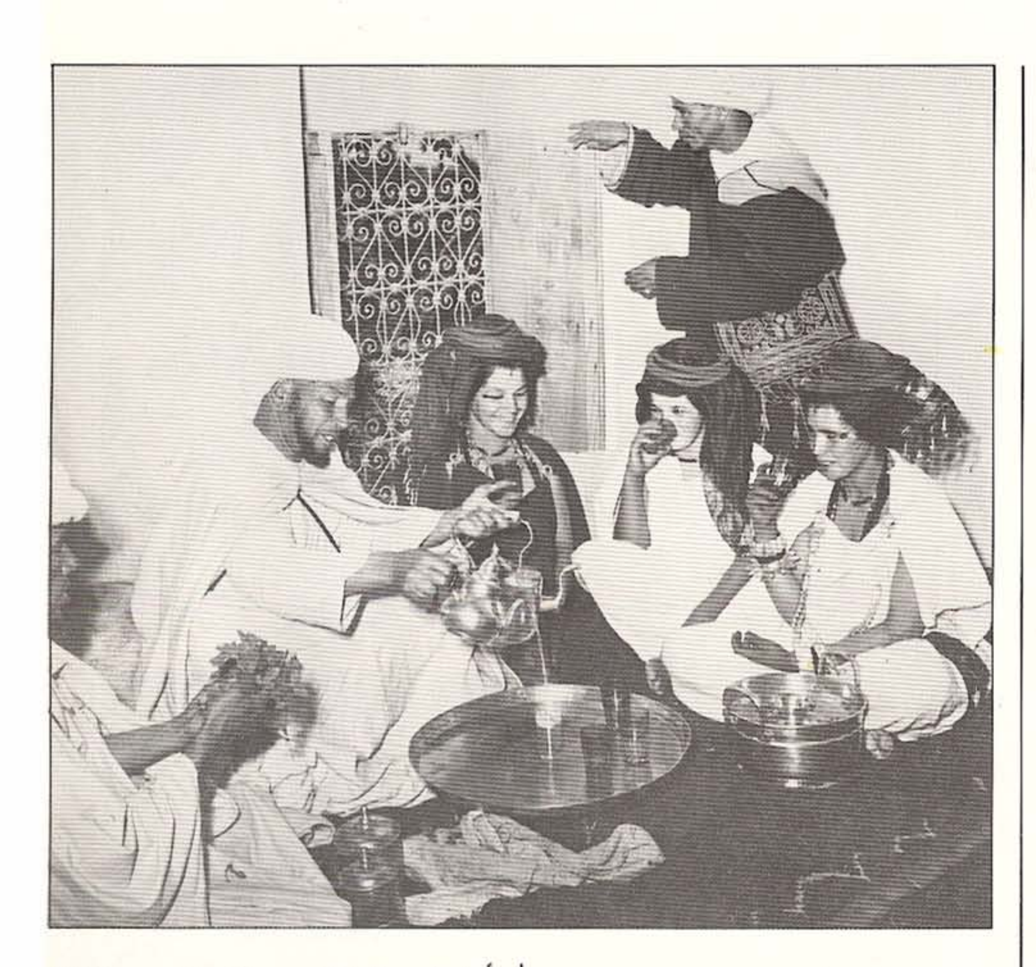


صفحا عما تهفو إليه نفسه وعن خلجات قلبه وعن خطورة ما ضاع منه وعن جزعه أمام نمط الحياة الجديد الذي عليه أن يألفه . ويجب عليه أن يصبح إمعة ، فيقبل كل ما يقترحه الغزاة ، وأن يفتح بيته وقلبه وألا يفتر عن الانشراح والابتسام .

...كانوا آخر من آمن ...

كانت قبائل آيت عطا وآيت يافلمان وآيت سخمان آخر من انخدع بجميل الكلام . فماذا كان يريد هؤلاء « **اللصوص** » الذين كانوا يتعطشون إلى السلب والنهب والتخريب ؟ الحقيقة أنهم كانوا يقنعون باليسير أي بالعيش في الطمأنينة وبحفظ الكرامة في محياهم ومماتهم . لا جرم أن هؤلاء النواجع وهؤلاء الرحل لم يكونوا يعرفون إلا الفيافي الحجرة وبعض المراعي . ولشد ما كان تعلّقهم بهذه الأرض الخالية التي كانت مساقط رؤوسهم ، هذه الأرض التي اكتشفوها شبرا شبرا وخالطوها طوال حياتهم . ذلك بلدهم الذي حدوا حدوده بأنفسهم . ذلك هو وطنهم . لذا كانوا مستعدين للتضحية من أجله ومن أجل ترابهم ومن أجل ضأنهم ومعزهم ، ومن أجل واحاتهم القليلة الخصب ومن أجل نخيلهم القليل الحمل . وقد حاربتهم فرنسا مدة عشرين سنة قبل كسر شوكتهم . ياليت التاريخ يحفظ الملاحم التي خاضها هؤلاء الفلاحون الأبطال وهؤلاء الجنود الذين حرصوا على الدفاع عن تراثهم الغني بالعادات والتقاليد والطقوس التي لم تضمحل رغم تعاقب العصور ! لقد كانوا يوجسون ما يهدد نمط حياتهم . فقد يهون عليهم أن يفقدوا بعض ما يملكون من المتاع . أما أن يفقدوا أنفسهم بدون قتال ، فذلك ما لا يرضاه سكان الصحراء ولا سكان الأطلس .

في بلاد تافيلالت .
ILLUSTRATION, FÉVRIER 1932.



الشاي عند آيت عطا .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

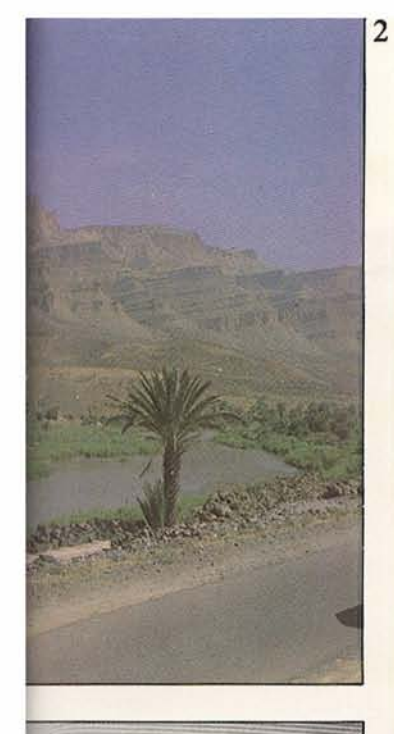
يعتقد بعض الناس أن الصحراء بلد خلاء قفار ، منبسط مكسو بالرمال . لكن الصحراء المغربية غير ذلك . تشتمل بلاد آيت عطا على فياف وجبال تشقها شبكة مائية أهم أنهارها درعة وغريس وزيز . وتنبع هذه الأنهار من الأطلس الكبير ، ثم تحيي واحات هامة في أقصى الجنوب ، وبعد ذلك تغور بين الكثبان . وكلما ابتعدنا من الأطلس الصغير أقفرت البلاد . ويمكن أن تعد جبال صاغرو وأوكنات مركز نشاط قبائل آيت عطا الصحراوية . ويبلغ طول هذه الكتلة من الجبال 200 كلم ، وعرضها 40 كلم . وهي امتداد للأطلس الصغير من ناحيته الشرقية . وتبدو جبال صاغرو مثل كتلة عميقة التقطيع ، مشوشة التضاريس ، مسطحتها أحيانا . وتبلغ أعلى قممه 2712 م . وتبدو تضاريسه كذلك موحشة وعرة ، تؤثر على مشاهديها . ويفصل صاغرو عن أوكنات منخفض ثيزي نبوجو ووادي الركـ . والجبل أوكنات نفس البنية ونفس الالتواء . أما أعلى قممه ، فلا تتعدى 1400 م .

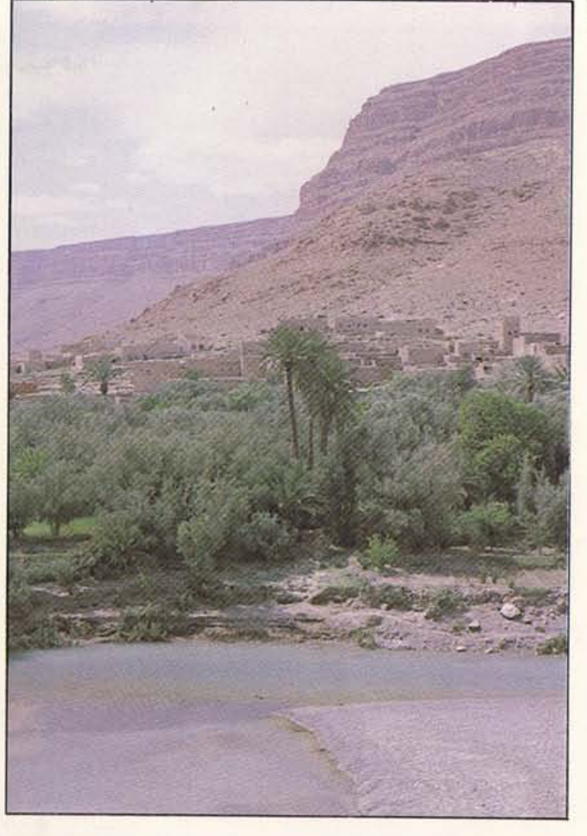
طقس شديد القسوة

تحد بلاد آيت عطا ، من ثلاث جهات ، الأنهار المذكورة أعلاه ، وهي درعة غربا ونهر زيز شرقا ، وأنهار دادس وتودغة وغريس شمالا .

أما الطقس فقاس جدا ، من النوع القاري الشديد الجفاف . غير أنه سريع التقلب ، وكثيرا ما يقسّي البرد التربة ليلا . أما زوابع الرمل ، فتأتي في كل فصل من الجنوب ، أو

مذكرات من التراث المغربي


2


1

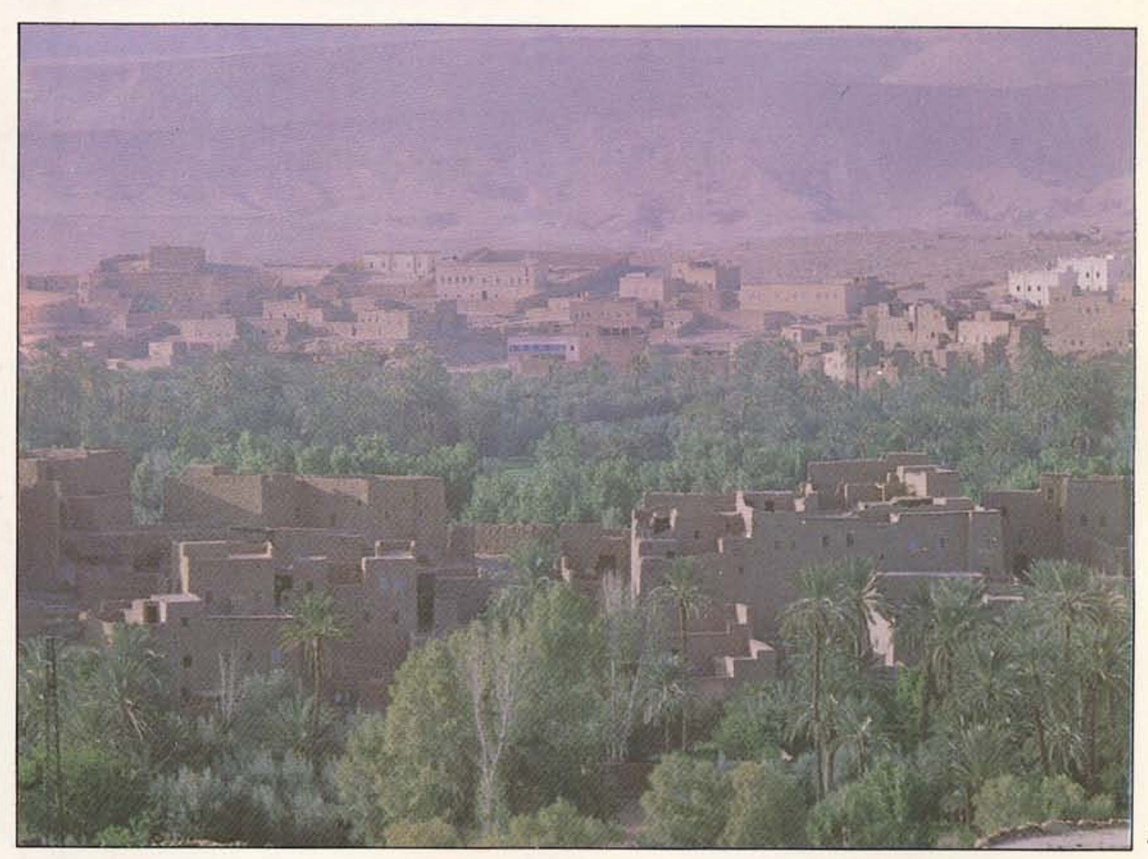
1 وادي زيز .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

2 وادي درعة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

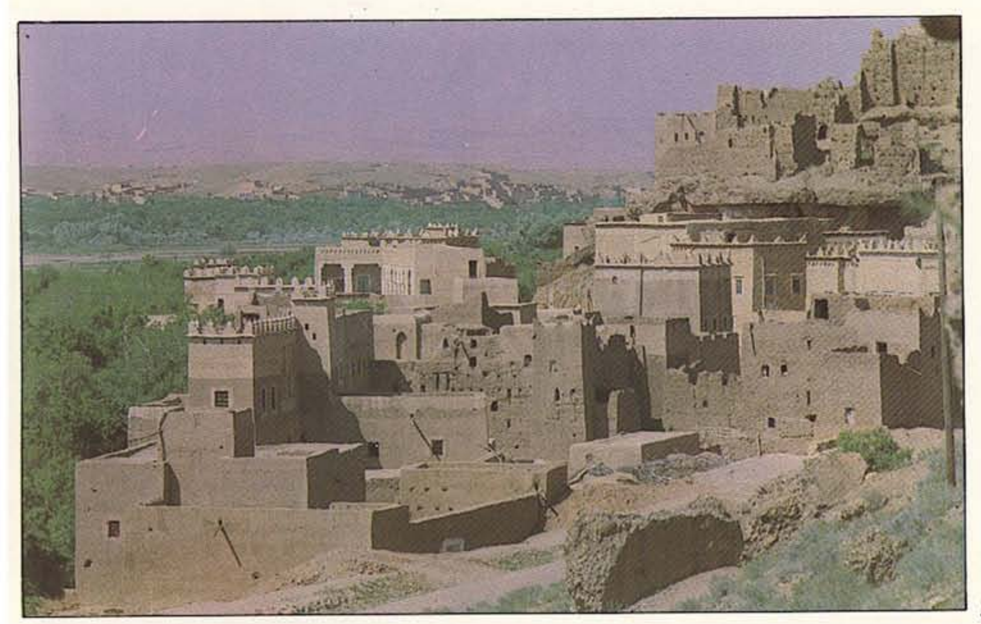
3 في بلاد آيت يول .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

4 بلدة أكدز بوادي درعة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

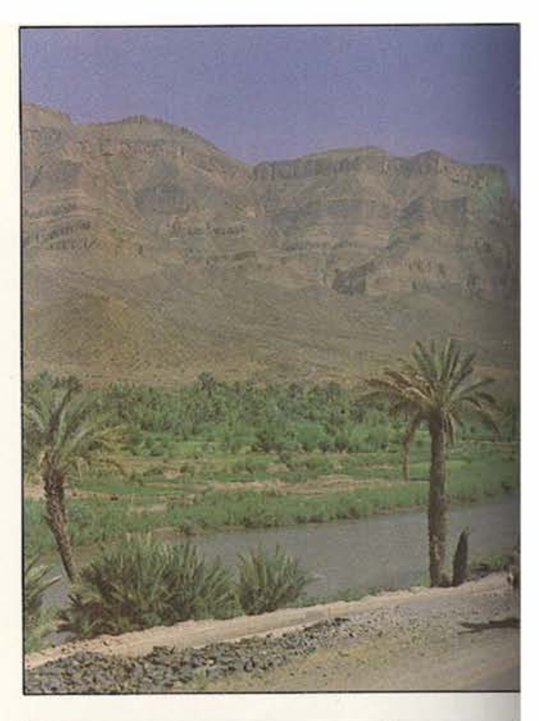


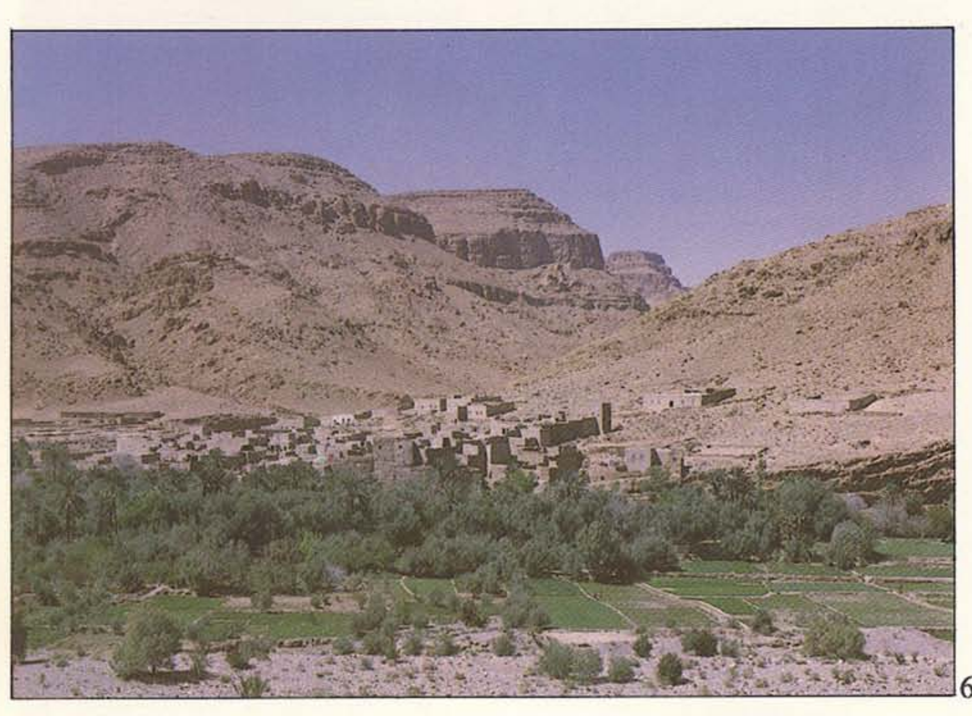

4

بلاد درعة وتافيلالت



5





6



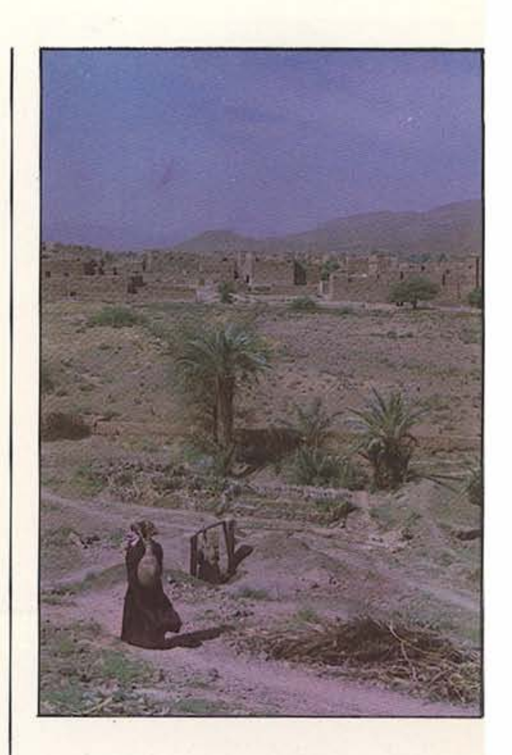
وادي دادس .
5 المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

تينغير ببلاد تودغة .
6 المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

امرأة من بلاد دادس .
7 المكتب الوطني المغربي للسياحة بالمغرب .



7



قصبة آيت عطا .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

الجنوب الغربي ، فتجتاح البلاد وتهلك الحرث . أما الأمطار فنادرة . أما الثروة ، فليس مصدرها الأودية فقط ، تلك الأودية التي ضبط نظام الري فيها ، فجلبت الرخاء للواحات ، بل مصدرها الجبال والفيافي الواسعة أيضا . ذلك أن هذه المناطق منتجعات واسعة للمعز والضأن والابل ، ولو كانت تبدو قفارا . فتتصرف كل قبيلة ، كبيرة كانت أو صغيرة ، في آلاف الهكتارات من المراعي . وعندما يقل الكلأ في الفيافي ، تقصد الماشية جبال صاغرو ، ثم تنزح عنها في أثناء المدة القصيرة التي يشتد فيها البرد وتعصف الثلوج . وبذلك تتكامل الجبال والفيافي . ولذلك كانت تربية الماشية أهم موارد آيت عطا .

وفي نهاية فصل الشتاء تغادر أغلب الماشية مراعي الجنوب اليابسة ، إذ لم تعد تجد فيها ما يسد الحاجة من الكلأ . وتذهب إلى وسط الأطلس الكبير حيث تصطاف . ذلك وصف موجز لهذه المنطقة التي دارت فيها معارك ضارية .

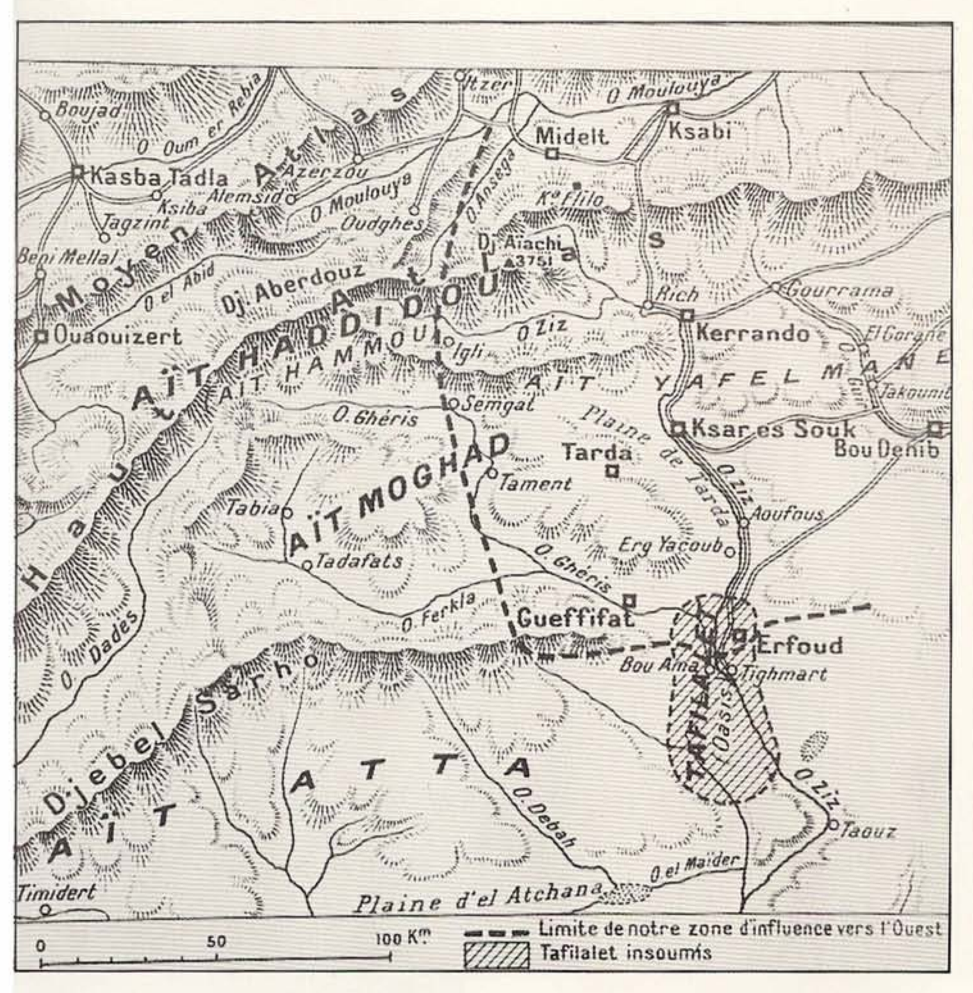
ولم يخض آيت عطا وحدهم هذه المعارك الطويلة الأمد ، إذ ساندتها مجموعة قبائل آيت يافلمان الشداد ، فتناست هذه المجموعة نزاعها مع العطاويين لتستعد لمنع الغزاة من دخول بلادها . أما في الجبهة الشمالية ، فكانت آيت سري وآيت سخمان تحرس المنطقة الوسطى من الأطلس .

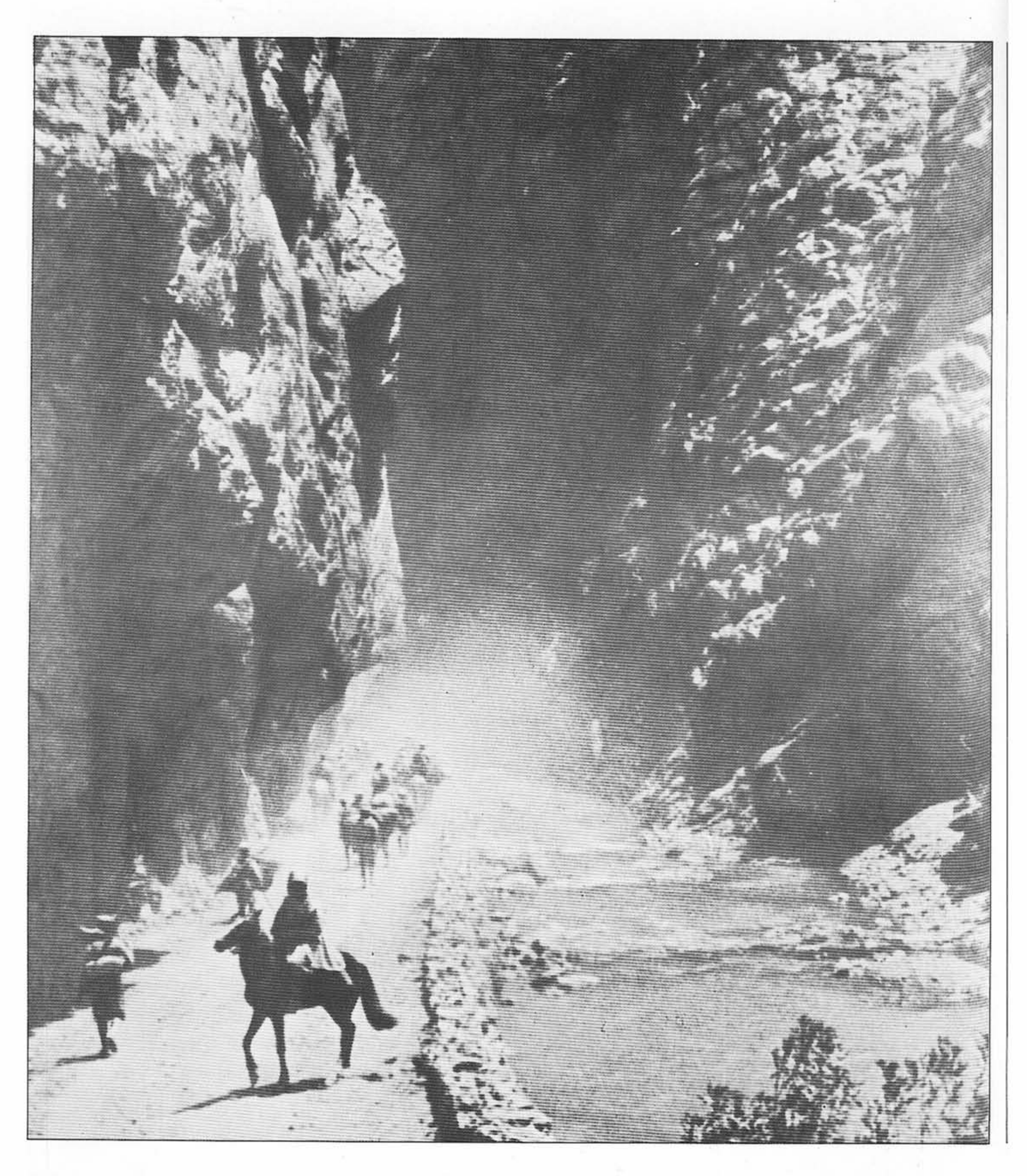
وقد اعتبرت هذه المنطقة « **منطقة ثائرة** » . وكان يحدها الأطلس الصغير ووادي زيز وخط العرض الذي يربط زيز ببودنيب وبوعنان وبشار . وكانت تشتمل على الهضاب والسهول الصحراوية ، وتمتد جنوبا إلى أن تتصل بالمناطق القفار . أما في الشمال ، فتمتد داخل خطوط العدو عند المنحدرات الجنوبية من الأطلس المتوسط .

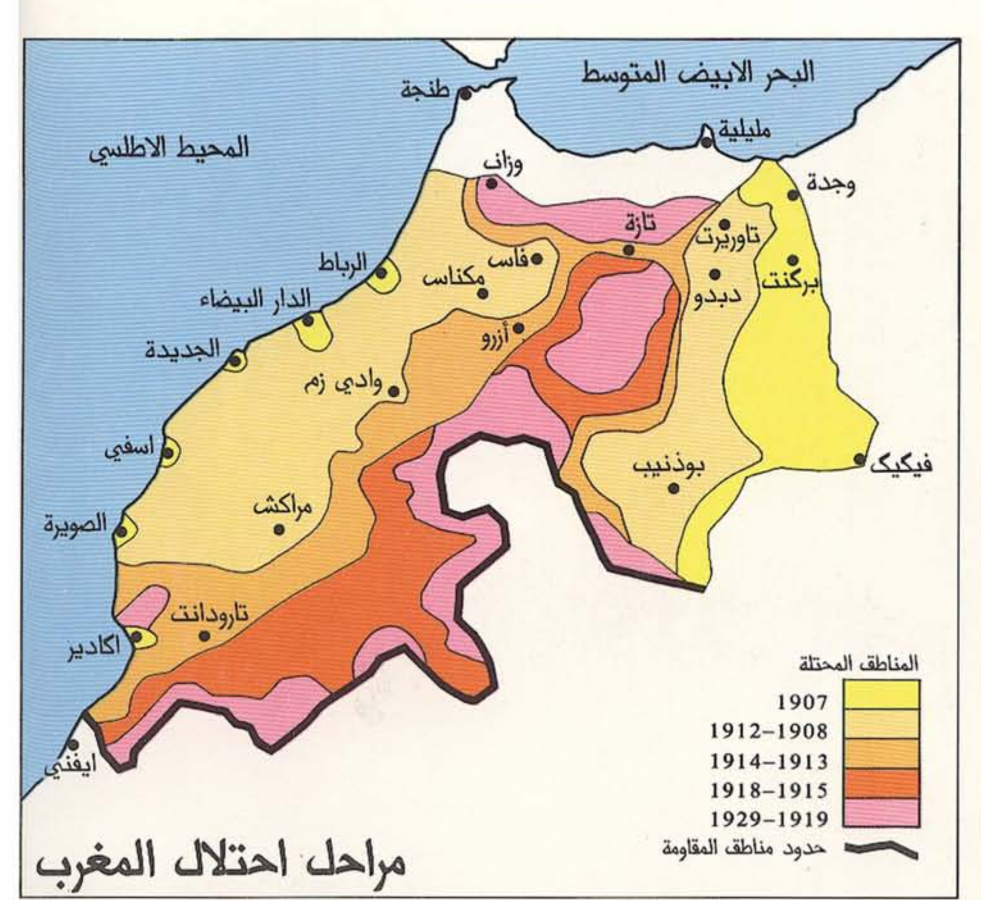
دخول قوات الاحتلال مضايق دادس .
ILLUSTRATION. OCTOBRE 1933.

هكذا أعد المشهد واستعد الممثلون للقيام بأدوارهم . وبعد قليل ظهرت بعض أصحاب الأدوار الكبرى . وأخذت جيوش الغزو تجتمع في مختلف قواعدها . وقد كانت قوية منتظمة . وقد اشتملت ، بالاضافة إلى سلاح المدفعية وسلاح الجو ، على 25 كتيبة وسبع وحدات محمولة وسبع كوكبات و 15.000 من « **الكوم** » والمساعدين من القبائل . أما رجال المقاومة ، فكان عددهم بين 50.000 و 60.000 رجل مسلحين بأسلحة متقادمة غير متناسقة . وقد يكون من الممل سرد جميع

منطقة العمليات بتافيلالت .
ILLUSTRATION. DÉCEMBRE 1929.





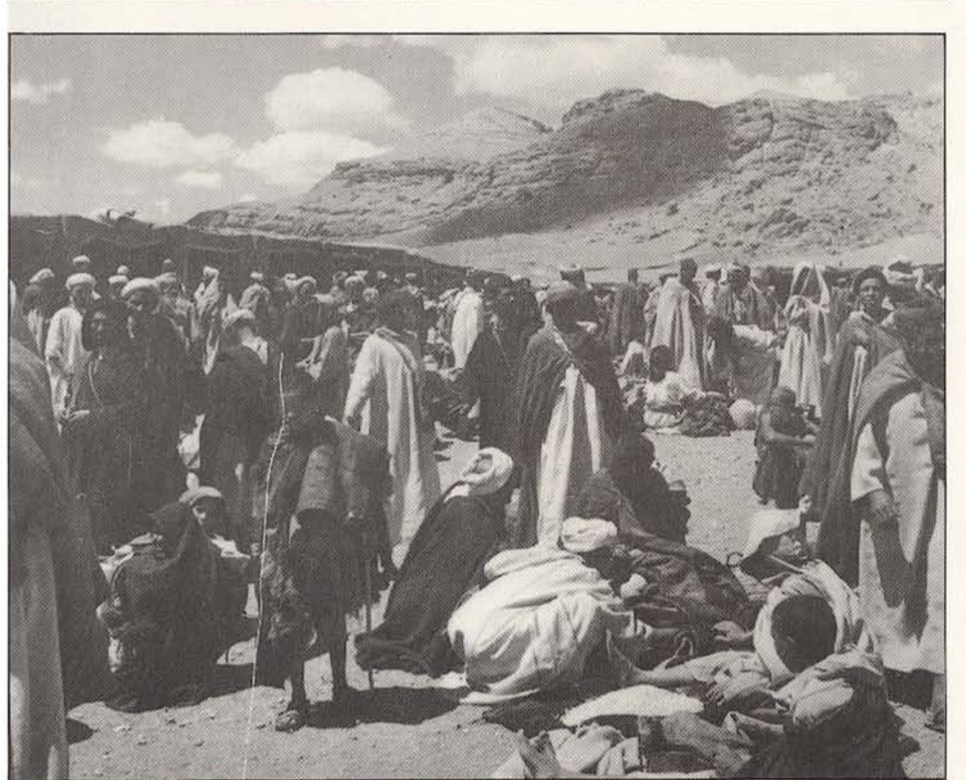


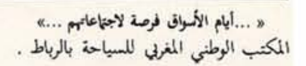
مراحل الاحتلال .

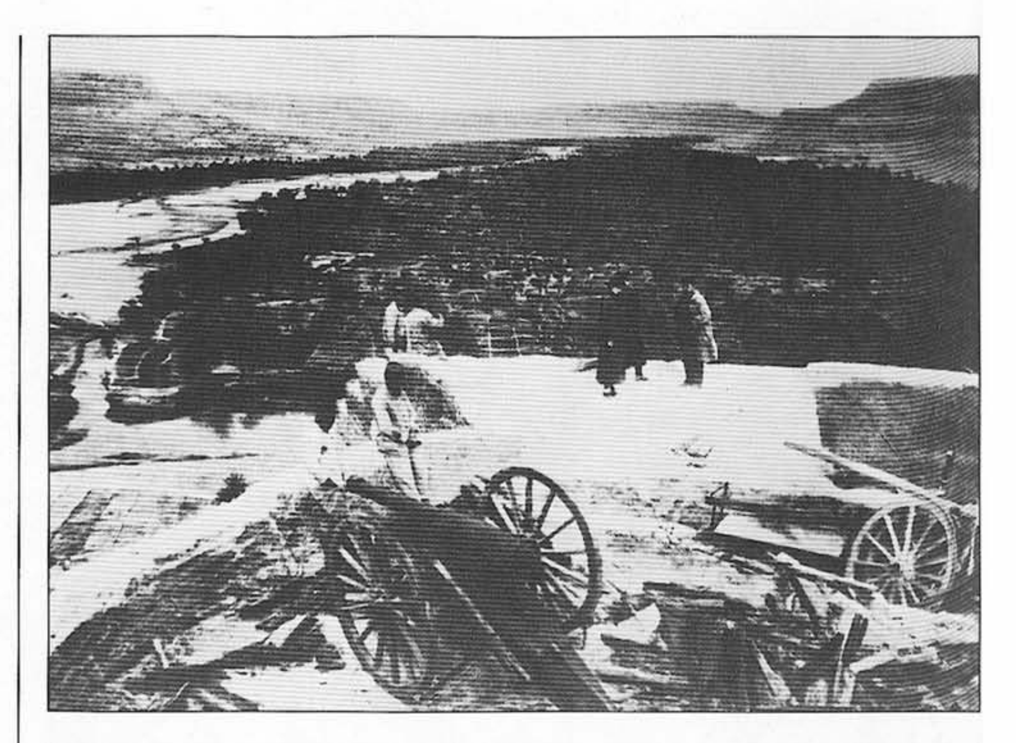
القبائل التي شاركت في المقاومة . فقد كان الغزو مرحلة بعد مرحلة . واستولى الغزاة على البلاد جزءا بعد جزء ، إذ توالت الحملات بدون انقطاع ، لكن بحذر ، على جبهات شتى ومتنوعة ومتباعدة أحيانا بعضها عن بعض . وكان العمل السياسي يسبق العمل العسكري دائما . ذلك أن الغزاة كانوا يعمدون أول الأمر إلى منع القبائل من التحالف حتى لا تكون قوة قاهرة ، قادرة على الصمود وعلى تحدي الجيش الفرنسي مهما كانت قوته . وكانت بلاد تافيلالت مركزا حساسا يستقطب حركات المقاومة . لذلك رأى جيش الاستعمار أن من أهم أعماله إخضاعها .

خطة ماكرة

وكان من الضروري الاستعداد لذلك استعدادا طويلا دقيقا ، رغم أن احتلال البلاد كان يبدو سهلا . وقد دبر المستعمرون أمرهم تدبيرا حاذقا . وتأنوا في تنفيذه . ورأوا أن تافيلالت بمثابة الهري بالنسبة لآيت عطا وآيت حمو . فإن يدخلها الغزاة ، فقد تتقهقر القبائل إلى بلاد درعة حيث تنشئ مركزا للمقاومة جديدا وأشد خطرا . لذلك إن أحسن خطة هي الاستيلاء على وادي درعة أولا ، والاستقرار به قبل الهجوم على تافيلالت ، مهد الدولة العلوية (**أنظر « مذكرات من التراث المغربي » ، المجلد 4 ص 14 »** . إن هذه البلاد عبارة عن واحة مترامية الأطراف تشتمل على عدة قرى . وهي مركز ذو بال في ملتقى الطرق بين مكناس وتيمبكتو وبين مراكش وبشار . وترتادها في أيام السوق قبائل آيت عطا الصحراوية وبرابرة الأطلس




« ...أيام الأسواق فرصة لاجتماعاتهم ...»
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



مكتب الادارة الفرنسية ببلدة آوفوس .
ILLUSTRATION. SEPTEMBRE 1926.

المقيم العام لوسيان سان LUCIEN SAINT ، ينظر إلى وادي نودغة ، ويتمنى احتلاله .
ILLUSTRATION. FÉVRIER 1932.

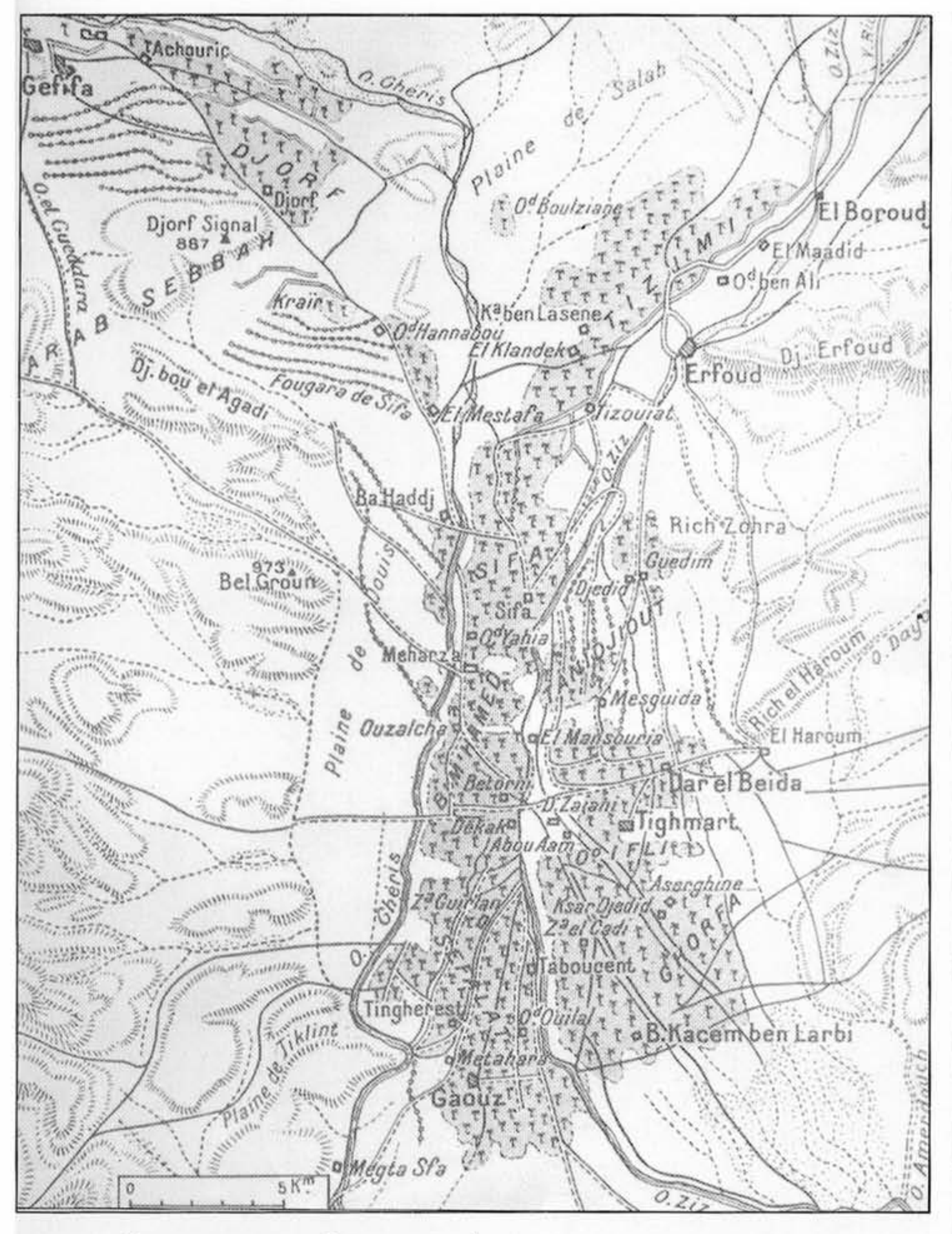
الكبير وأولاد جريد القادمين من جنوبي القطر الجزائري ، كما ترتادها أحيانا قوافل كثيرة يكفي عددها لتوفير رخاء نسبي . وقد حلت الريصاني محل مدينة سجلماسة الشهيرة (**أنظر « مذكرات من التراث المغربي » المجلد 2 ص 25**) التي أشاد بها كل المؤرخين العرب . ولا يصيب الجفاف بلاد تافيلالت إلا نادرا ، وذلك لوجودها في ملتقى وادي زيز ووادي غريس ، بل الأمر بالعكس ، إذ إن هذين النهرين قد يفيضان عليها أحيانا ما لاتحتاج إليه من الماء . وكانت القبائل الرحل تهفو دائما إلى تلك البساتين الخضراء وإلى النخيل الوارف . وها قد جاءت قوات الغرباء تستعد للاستيلاء على هذه البلاد ، وكأن أولئك الغزاة قدموا من عالم آخر ، من عالم اتخذ من العنف علما ، وطور آلات القتل ، واخترع آلات جديدة ، وأخذ يبتهج بقدرتها على التخريب . ثم دخل أولئك الجنود الغرباء بلاد التربة الحمراء حيث اختلطت الرمال بالحصى . ومروا بسهول زيز الزاهية المزدانة بنخيلها وأثلها ، وبقصباتها وقراها المحصنة التي حرست ، منذ قديم الزمن ، الرياض والبساتين المختفية في ظلال هذا المنخفض الذي حفره النهر وسط الهضاب الجرداء . لكن المقاتلين حاضرون لقطع الطريق على الاستعمار وللاستشهاد في سبيل هذه الأرض التي تطعمهم ، وفي سبيل هذه الظلال التي يرتع فيه أبناؤهم ، وفي سبيل هذه المقابر التي آوت موتاهم .

بلقاسم المجاهد العظيم

وقد عينوا عليهم زعيما . وهم مستعدون لاتباعه . وليس هذا الزعيم برجل مغمور . ذلك أن الفرنسيين يعرفونه حق المعرفة . فلم ينسوا الهزيمة التي أصابهم بها سنة 1918 ، إذ استأصل بعض رجالهم الذين خرجوا من بودنيب لريادة المنطقة ، فأرغمهم على التقهقر شمالا إلى آرفود ، وعلى الجلاء عن تافيلالت يوم 15 أكتوبر 1918 . ذلك الزعيم هو بلقاسم أزروال الذي ينتمي إلى قبيلة إيمدران من آيت دادة علي ببلاد أنكاد (قبيلة بني بوزكو) . وخاض هذا المجاهد الشهير الملاحم بشجاعة ، ودافع عن حرية بلاده

لقد كان عمل آيت عطا مرضيا بصفة عامة أثناء المعارك . أما آيت ستيلو وآيت بويكنيفن ، فقد تفوقوا تفوقا . أما آيت حسو ، فقد توانوا ، لكن لم يكن في ذلك ما يزعج . غير أنه لوحظ مرارا أنهم نزعوا الرصاصات من بنادقهم وحشوها بالورق لما عرفوا إخوانهم الثوار أمامهم . ولم يرض قائد « الحركة » عن هذا الاكتشاف . وهل يجوز أن نواخذ على ذلك قوما يعلمون حق العلم أنهم يقاتلون إخوتهم أو أعمامهم أو أبناء أعمامهم ؟

وعن استقلالها . وقد استقر في تافيلالت سنة 1917 . وفي سنة 1919 استولى أبّا علي ، وهو أحد أعوانه ، على زاوية سيدي الهواري ، إذ كان شيخها سيدي علي مواليا لكلاوة ، وقتل جزاء على خيانته . وقتل كذلك عدد كبير من أعيان آيت مرغاد . ولما اشتد حصار الأجانب لبلقاسم النكادي توجه إلى منطقة زيز الأعلى . ووقعت معركة كبيرة عند زاوية سيدي بوكيل . ثم استولى سنة 1927 على قصر أبّا عدي شمالي تافيلالت . لكنه لم يلبث أن جلا عنه . ثم استقر سنة 1930 في الريصاني وحالف آيت خباش . وأصبح بلقاسم رمز المقاومة . وكان له نفوذ كبير على قبائل آيت آرزو وآيت واهليم وآيت عطا . واستتب له الأمر على المنطقة ، وأخذ يستعد لقتال جيش الغزو . على أن هذا الجيش نفسه لم يفتر عن الاستعداد ، إذ كان عليه أن يخضع زهاء 8.000 أسرة تقطن بلادا بعيدة الأطراف ، وعرة المسلك . وكان عليه أيضا أن يبدأ بعمل سياسي حاذق وأن يستولي بجميع الوسائل على بلاد زيز



بساتين النخل في تافيلالت .
ILLUSTRATION. OCTOBRE 1933.

وغريس وفركلة وتودغة ودرعة ، وسكانها من الحضر ، يدينون بالولاء لآيت عطا . وخط الفرنسيون خطة مدققة ، إذ نزل جيش الاستعمار بمنطقة درعة العليا . ثم أسس مكتب الشؤون الأهلية ببلدة أكدز في فاتح يناير 1931 . غير أن المقاومين بمنعطف درعة لايغفلون . فقد قدم أحمد الزربة ، وهو أحد مساعدي بلقاسم إلى

كتاوة ومعه آيت خباش . فحمل آيت إيسفول على مهادنة آيت حسو من آيت واهليم . ثم عين على المحاميد أحد الشيوخ ، المعروف بحرصه على المقاومة ، مكان قائد كان مواليا للفرنسيين . ثم عرج أحمد الزربة على تامكروت ، وأكرم شيوخ الزاوية وفادته . وجزع الفرنسيون لأخبار هذه الرحلة التي كان الأسرى والجواسيس يحدثونهم بها . فقرروا خوض الحرب . وقد قال عن ذلك القبطان جورج سبيلمان GEORGES SPILLMAN ،

وهو أحد الذين شاركو في هذه المأساة :

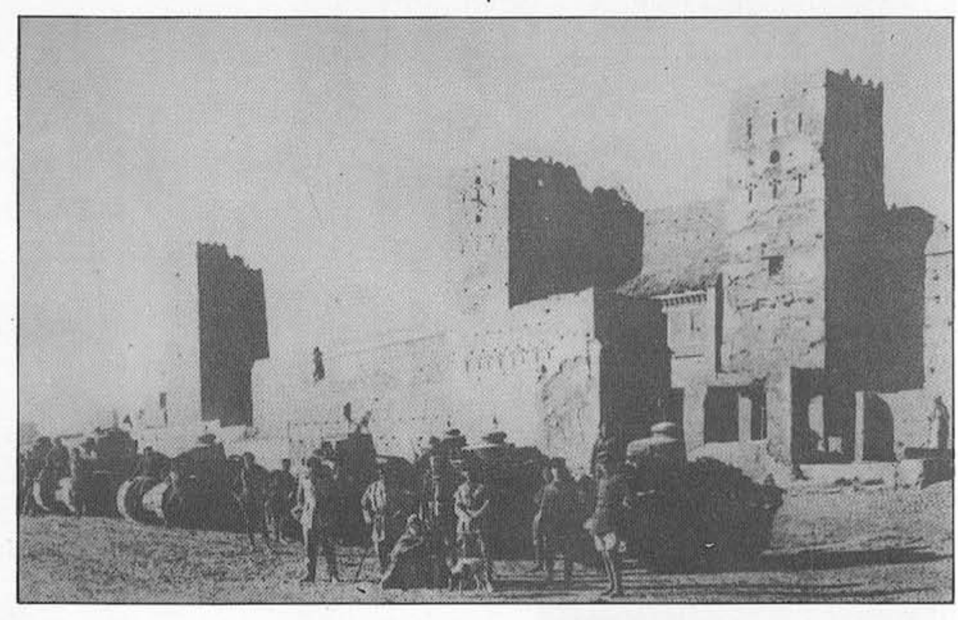
« ينبغي ، قبل النزول إلى درعة ، أن نعزز جناحنا الأيمن وأن ندرأ نهائيا كل ما قد يهدد الطريق التي تصل تازناخت بآكدز ، والتي يبلغ طولها مائة كلم . لذلك ينبغي أن نوجه جهودنا ، أول الأمر ، إلى وادي زكيد حيث تبنى طريق لمرور السيارات ، وذلك لتثبيت سلطتنا على قبيلة أولاد يحي الغربية ، وهي قبيلة لاتستقر على الطاعة ، وللاستعداد للاقامة في فم زكيد بجبل باني ، ولنكون مع سكان الناحية جبهة تتصل غربا بالنواحي التابعة لمكتب إيغرم ومكتب طاطا » .

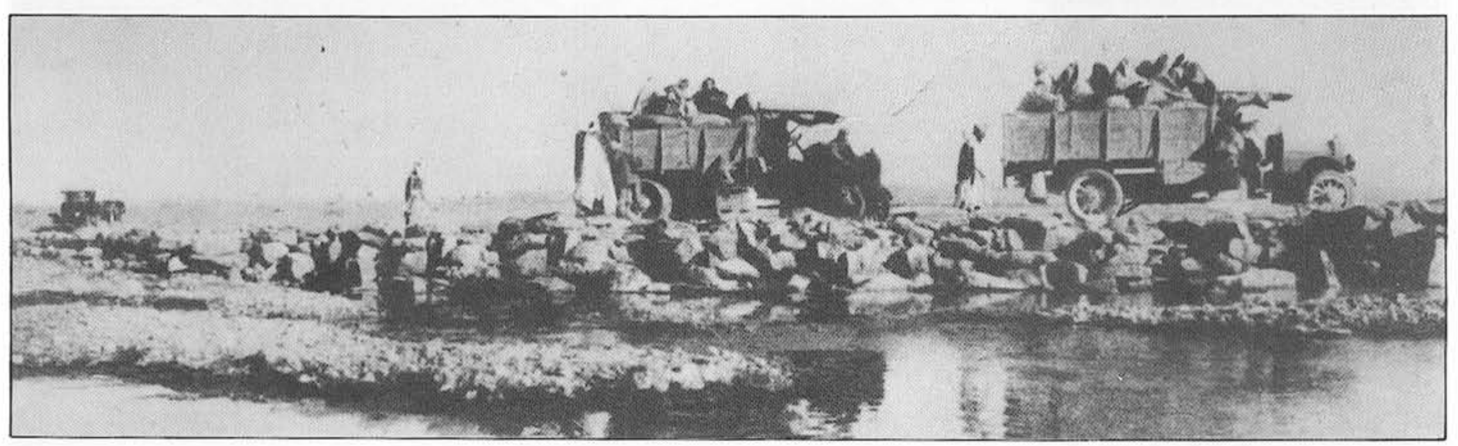
احتلال بلدة الريساني ، إذ تحصن بها بلقاسم .
Illustration, Février 1932.

الاستسلام بعد اليأس

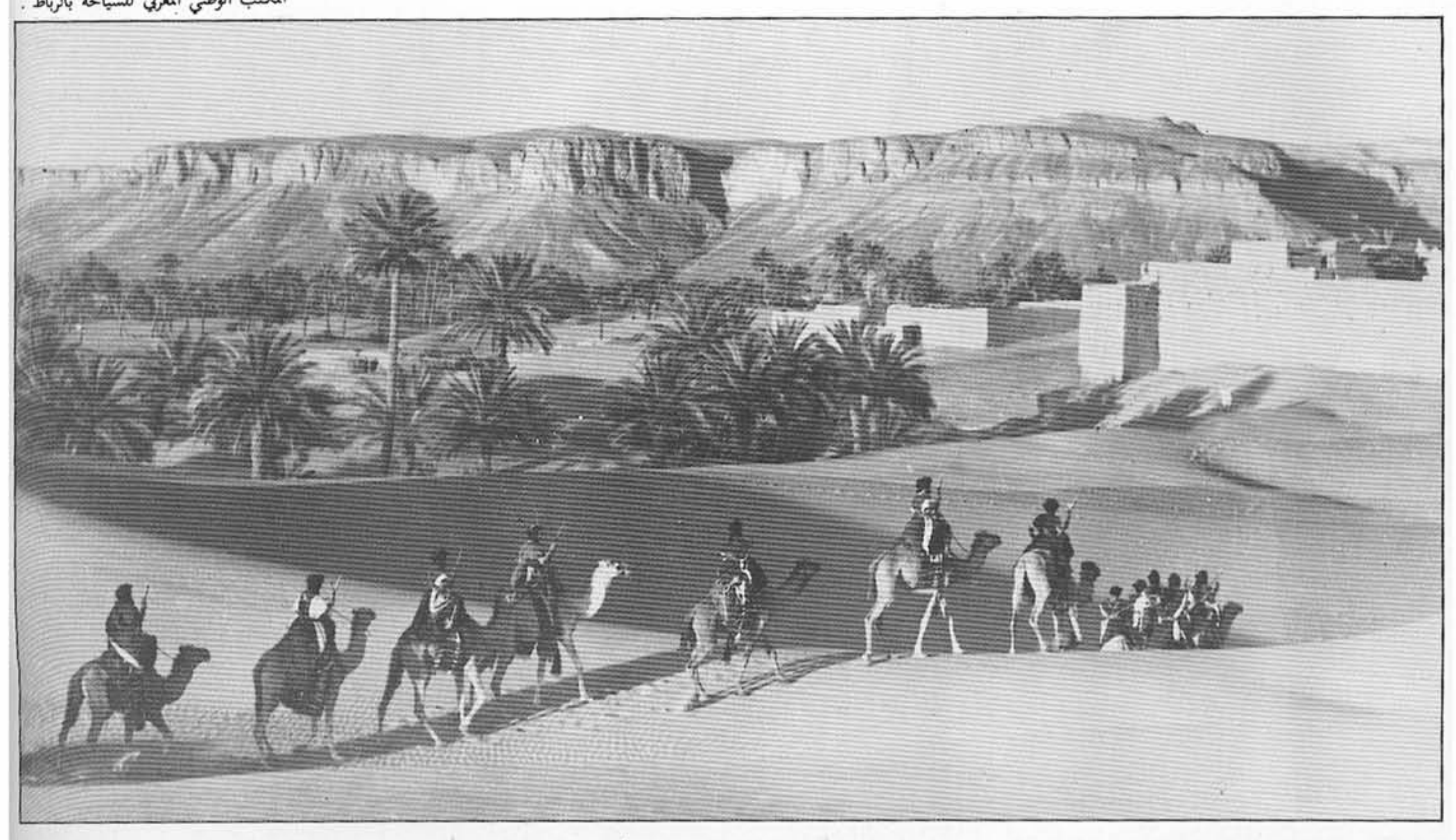
وجمع الغزاة وسائل ضخمة من الجنود والعتاد ، وأعدوا رجالا من الفرق المختلطة العاشرة والرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين من « الكوم » ، وكذلك مجموعة مستقلة من المشاة و 300 من الأنصار من قبيلة كلاوة وقبيلة أولاد يحى . ثم تعجّلوا في إعداد مدرج لسلاح الطيران ، بسرعة نزل فيه الجنرال هوري Huré يوم 6 مارس ، ومعه ست طائرات . وبادر الجيش إلى تنظيم الحملات على المقاومين الذين لم يكن لهم من السلاح إلا ما أكل عليه الدهر وشرب . لكن كان لهم سلاح الايمان ، ولم يكونوا يتوقعون جزاء ولا توسيما . وذاقت 2000 عائلة عار الاستسلام ، لكن بعد ما قاومت مقاومة الأبطال . قالقت بعض القبائل السلاح بعد ما يئست ، وأعلنت عن ولائها للمخزن . والواقع أنه كان ولاء لجيش الغزاة . واجتهد المستعمرون في طمأنتهم . وعرف ضباط الشؤون الأهلية كيف يهدئون من روعهم . فوعدوهم ، باسم المخزن ، باحترام تقاليدهم وعاداتهم وبعدم نقض ما أقرته قوة السلاح . وهكذا انتشرت سلطة المستعمرين انتشارا واسعا على طول وادي درعة . فاستطاعوا أن يقيموا مكتبا في زاكورة . لكن قبائل مسوفة وآيت عسو وآيت إيسفول وآيت خباش لم تستسلم بعد . فقد يكون من المجازفة احتلال جميع مناطق وادي درعة مرة واحدة . وقد يحول دون ذلك طول المسافة وصعوبة التموين وعداوة القبائل المذكورة أعلاه والمجتمعة في كتاوة . فاكتفت السلطات العسكرية بخطة قريبة المدى ، أي بالتخطيط لاحتلال جبل زاكورة على بعد مائة كلم بعد أكدز . ولذلك سارعت إلى بناء طريق يربط أكدز بزاكورة . ومنحت سلطات الحماية من أجل ذلك مليون فرنك من عملة ذلك الوقت . وأجبر على العمل ألف رجل من آيت مزكيتة وآيت سدرات وأولاد يحى وأهل ثينزولين ، ووزعوا على ورشين اثنين ، وكلفوا بترصيف الجزء

شاحنات تقطع نهر وادي زيز .
Illustration, Mars 1926.



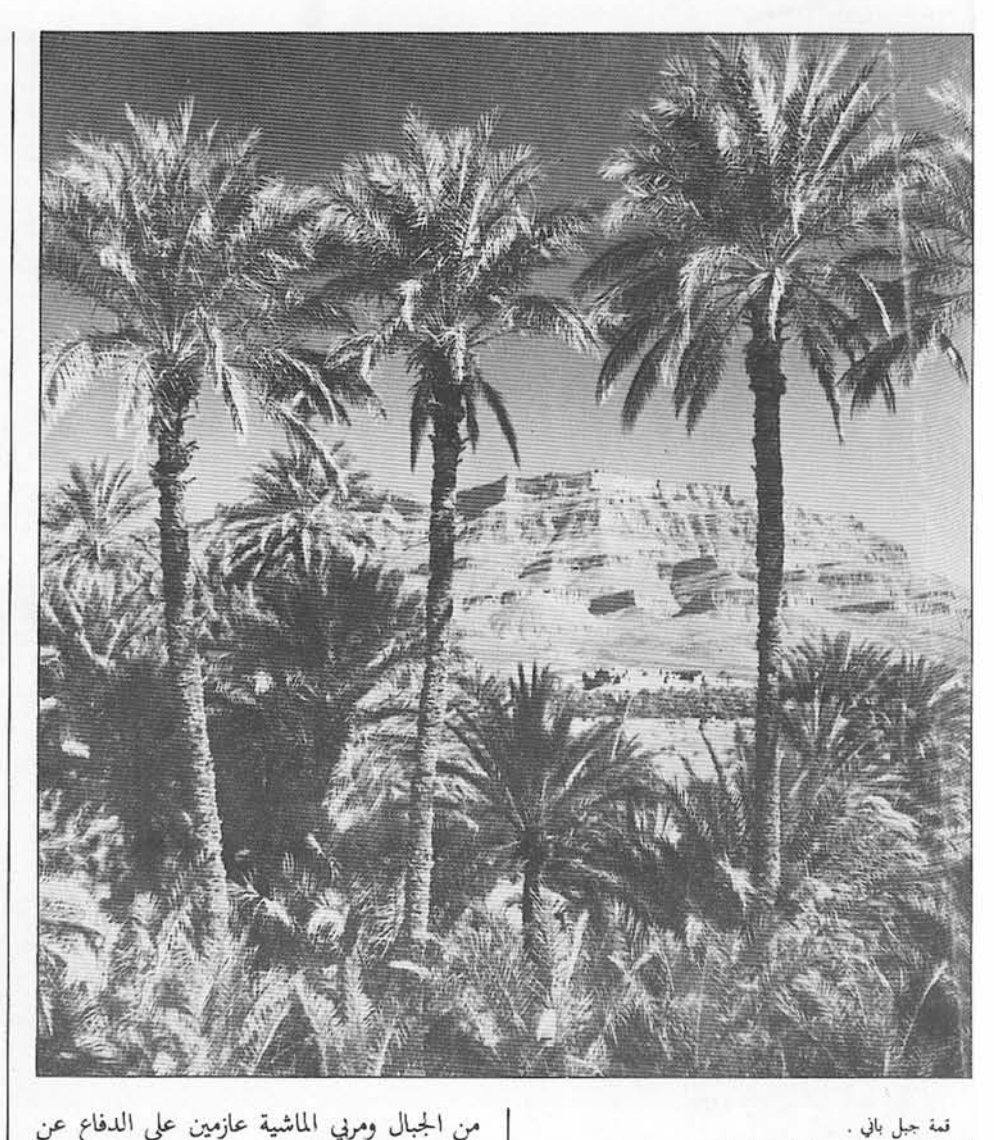


بلاد آيت إيسفول .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .





معسكر للطيران الفرنسي ببلدة تيسا .
ILLUSTRATION-AOUT 1925.

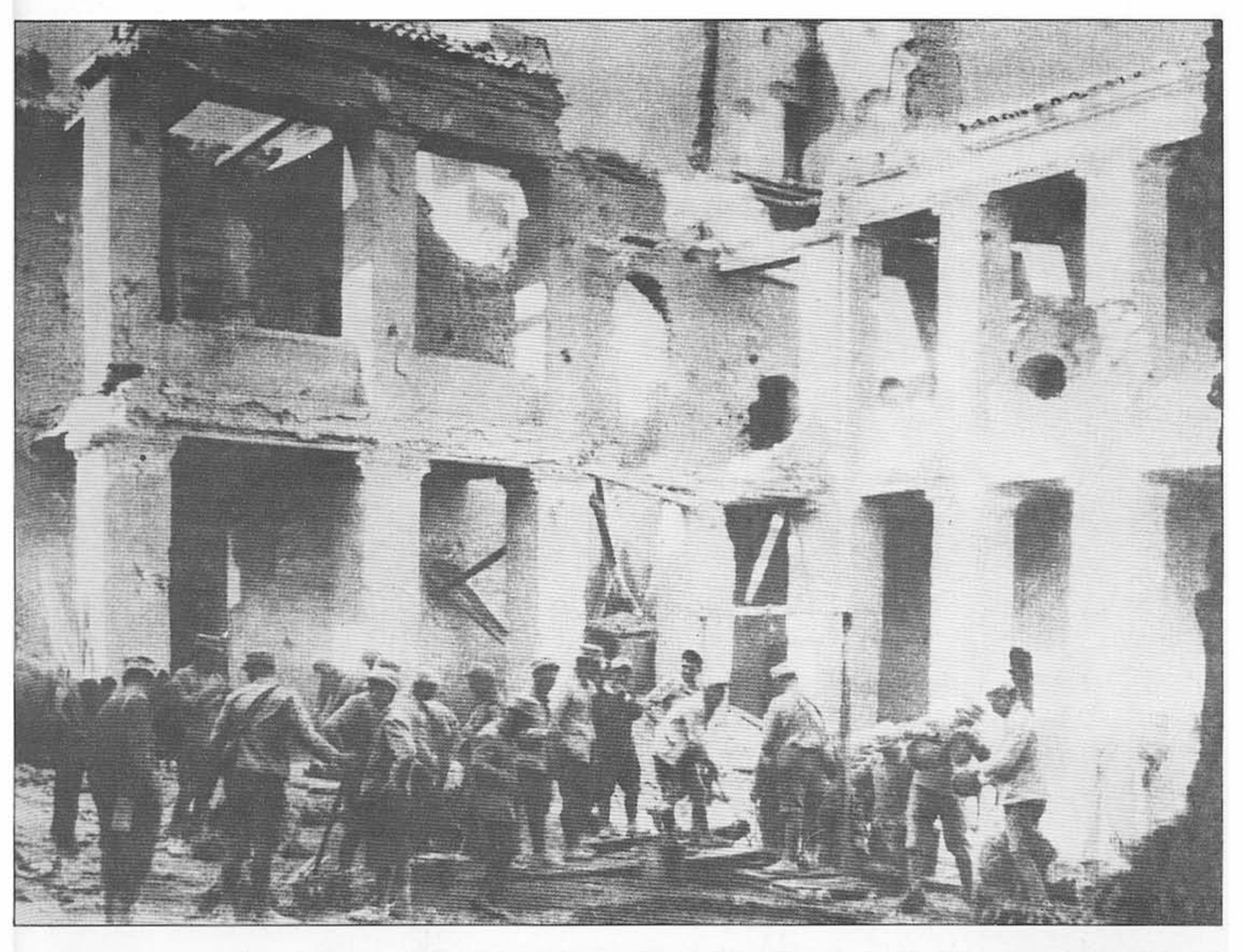


قمة جبل باني .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

الأسفل من الطريق . وندب لحراسة الورشين رجال الفرقة العشرين والفرقة الخامسة والعشرين من الكوم . وكلفت بحراسة مركز أكدز كتيبة من اللفيف الأجنبي والفرقة الرابعة والثلاثون من الكوم . أما الأطر التي أشرفت على العملية ، فقد اختيرت من فرقة الهندسة التابعة لفوج اللفيف الأجنبي . وابتدأت الأشغال في عجلة كبيرة . ذلك أن المصاعب لم تلبث أن ظهرت .فقد حدثت أحداث خطرة جنوبي درعة . فاستطاع بلقاسم النكادي وآيت خباش أن يتألفوا رجالا من الجبال ومربي الماشية عازمين على الدفاع عن استقلالهم . وأقام مئتان من مقاتلي آيت خباش وبني محمد باستمرار في كتاوة سنة 1931 . ووزع مكتب أكدز المعونة المالية والمؤونة للضغط على قبائل آيت إيسفول ، لكن بعضها رفضت موالاة الفرنسيين . واستمر جيش الاستعمار في استعداده لغزو زاكورة . فاجتمعت قوات الغزو في رباط تينكولين بقيادة الليوتنان-كولونيل شاردون Chardon . وخرجت من معسكرها يوم 8 يناير 1932 ، ودخلت بلدة زركان يوم 9 من نفس الشهر . وفي اليوم العاشر دخلت زاكورة . ولم يتوان بلقاسم عن المقاومة رغم اشتداد القتال ورغم ضعف الأمل في الانتصار على الغزاة . فبقي مع أنصاره في قمم جبل باني يستبسل في دفع زحف جيش الاحتلال . ثم أقام مع مائتين من المقاتلين في قبيلة بني علي . وتدخل الطيران ، فقنبل القصور وأهلك الزرع وخرب المنازل وقتل الرجال والنساء والأطفال والماشية . أما أعمال بناء الطريق ، فقد استمرت بحراسة رجال الكوم والرشاشات . ولجأ بلقاسم إلى المحاميد . واشتدت قنبلة المقاومين وتفاقم الدمار . ونقل بلقاسم وآيت خباش معسكرهم إلى الصحراء ، فوق الحمادة ، قبالة طاطا ، وذلك ليكفوا الخراب والآلام عن سكان القصور . لكن المقاومة مستمرة .

جنود مجهولون

لقد استشهد خلف الأدغال اليابسة وفي منخفضات الكثبان المليئة بالوزغ عدد من الرجال لم تكتب أسماؤهم على أي نصب تذكاري وعدد من الأبطال الذين نسيهم التاريخ . قد يظن البعض أن مقاومة القبائل انتهت باحتلال منعطف نهر درعة . لكن آيت خباش استمروا يقاتلون قتالا عنيفا . والواقع أن غزو تافيلالت قد كان سببا في كثير من المتاعب التي عاناها الغزاة . وعزم جيش الاستعمار على القضاء على مقاومة آيت يافلمان الذين كانوا يقيمون في الوادي الممتد بين نهر غريس وتافيلالت والأطلس الكبير . وبقي بلقاسم النكادي يشغل البال . وكان يقيم في الريساني لما أخذ الجيش الفرنسي يصب يوم 15 يناير على الساعة السابعة صباحا وابلا من الحديد والنار على المدينة . فاستيقظ الناس ، وطائرات خمسة أسراب تقنبل القرى . ودمرت الريساني تدميرا . ولم ير بلقاسم بدا من الفرار . وتعقبه الفرنسيون بدون شفقة . ولم يستسلم إلا في شهر أبريل سنة 1934 ، إذ حاصرت قوات الاستعمار قبائل آيت خباش الألدة وقبائل آيت



آثار قنبلة الطائرات الفرنسية لدار بلقاسم .
ILLUSTRATION. JANVIER 1932.

حمو ، فخضعوا لها . ونقل بلقاسم النكادي إلى عيون سيدي ملوك ، في ناحية وجدة . وأجبر على الاقامة بها إلى أن توفي .

لقد سميت هذه الأحداث بأسماء مثل « **دخول المغرب صلحا** » . وسميت كذلك « **معجزة ليوطي** » ، وسميت « **السلم الفرنسية** » . أما نحن ، فنفضل أن نرى في ذلك قضاء التاريخ ومظهرا من مظاهر الجنون الذي يصيب البشر ، فلا يقدر على صده . ذلك أن من الجنون أن يعمد الرجال إلى استعباد الرجال .

لن ينفك ضباط الشؤون الاهلية يجتهدون في استمالة القبائل . أما في الاطلس المتوسط ، فلم تلق تلك السياسة إلا معارضة ومقاومة عنيدة . وقد مهدت للعمل الحربي دون أن تمكن من تلافيه . لم تستسلم لنا أية قبيلة قبل أن نغلبها بقوة السلاح . ولم نقطع أية مرحلة من مراحل تقدمنا إلا بالقتال . وكنا ، عند كل وقفة ، نحصن حدود المناطق المحتلة بحصون اضطرت وحداتنا إلى حراستها سنين طويلة حراسة يكتنفها الخطر ، ولكن لا مجد فيها .

الجنرال كيوم

حرب الريف : محمد بن عبد الكريم

محمد زنيبر



في جبال الريف .
تصوير أدول .

الاستعمار والمجتمع التقليدي

لا يمكن للمؤرخ أن يدرك أهمية الثورة الريفية ومغزى العمل الذي قام به ابن عبد الكريم إذا لم يضع نفسه ، بادئ ذي بدء ، في سياق التاريخ العالمي . ذلك أن الثورة الريفية التي تلوح ، لأول وهلة ، كحدث محلى ، منعزل صادر عن شعب صغير منزو في جباله ، يمكن اعتبارها في إحدى الانفجارات المفاجئة التي يأتي بها سياق التاريخ العالمي كلما صادف في مكان ما المحرك القادر على دفع الشرارة الأولى . ولعل الكثير ما زالوا لايصدقون أن العالم أصبح واحدا منذ القرن التاسع عشر وأن منطق التاريخ العالمي أصبح يتحكم أكثر فأكثر في التاريخ المحلي . وتلك نظرة عفى عليها الزمان فيجب مراجعتها .

الطابع الغالب على القرن التاسع عشر هو أنه كان قرن التوسع الاستعماري الكبير الذي جرى ، بالخصوص ، في القارتين القديمتين : آسيا وافريقيا . ولطالما فوجئت شعوبهما بهجوم مباغث على يد قوات جبارة ، فتجندت لمقاومة مرتجلة



صورة لأحد سكان الريف . نماذج من الصناعة التقليدية الريفية .
متحف تطوان .



آنية ريفية من الفخار .
متحف تطوان .

لاتخلو من شجاعة ومن بطولات ، ولكن ذلك ما كان ليجنبها حتمية الاحتلال الأجنبي . والواقع أن تلك الشعوب انتزعت بكل عنف من سياق حياتها اليومية المطبوع بالتراخي والوداعة والذي نشأ عن قرون من الغفلة واللامبالاة ، انتزعتها من محيطها العتيق قوات صاعدة ومسلحة ومستندة إلى حضارة ناهضة ومتقدمة .

لذلك ، لم يكن في طوقهم أن يدركوا بين عشية وضحاها مغزى الأحداث الخطيرة الجارية حواليهم والتي كانت تمس بهم في لحمهم ودمهم . كما لم يكن في مستطاعهم أن يكتشفوا لأول وهلة أسلوب الكفاح المناسب للظرف والصالح لمواجهة خصوم جد أقوياء يتحركون باستراتيجية وخطط مدروسة . أي أنهم ، في الواقع ، وجدوا أنفسهم في حالة اندهاش وحيرة تجاه تقلبات تاريخية كبيرة لاتصح مقارنتها بالأحداث العادية . فهم ، بالجملة ، يمثلون عالم المجتمعات التقليدية التي بدأت تظهر هشاشته ومواطن ضعفه أمام العالم العصري ، عالم المادية والرأسمالية .

لاشك أن المغرب من آخر البلدان في العالم التي ستخضع للسيطرة الاستعمارية ، بعد أن قاوم بكل نجاح ألوانا من التهديد والضغط والعدوان طوال أربعة قرون . وما أن التحم في العراك مع جيش المستعمرين حتى أظهر شعبه ، في مرحلة أولى ، تلك الخصال التي تتميز بها المجتمعات التقليدية في ميدان الحرب من شجاعة وصمود وتضحية وبسالة ورجولة ، أي الخصال التي تنشأ عنها الملاحم وقصص الأبطال ، والتي بدأت تفقد فعاليتها شيئا فشيئا أمام الوسائل الجهنمية التي أخذت تتسلح بها الدول المتقدمة .

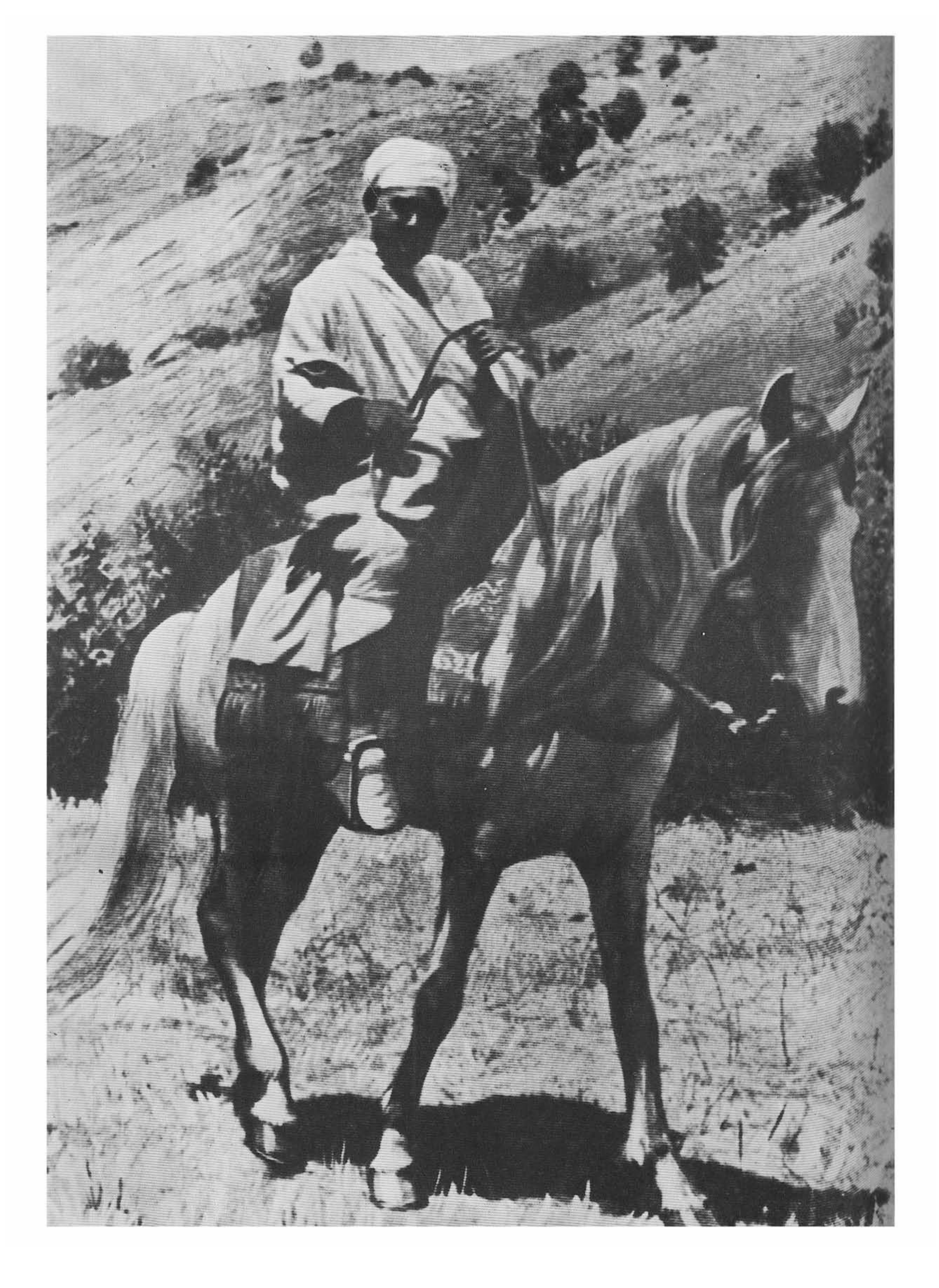
المغزى التاريخي لحرب الريف

كان على الشعب المغربي ، إذن ، أن يجتاز زمن امتحان عسير فرض عليه أن يخوض حربا يائسة لينقذ شرفه ويظل معتزا بنفسه . والواقع أن تلك الحرب ، ولو لم يكن له فيها أي أمل في الانتصار ، لم تقتصر على أن تكون باقة جميلة من البطولات . بل كانت لها فائدتها ، بشكل من الأشكال : إنها أنقذت المستقبل الذي كان مايزال مجهولا لأنها رسخت في نفس الشعب الذي خاض غمارها الادارة في رفض كل استسلام وخضوع عن طواعية وفي ترصد الوقت المناسب لاستئناف المعركة .

فيصح لنا أن نقول إن المغرب في تاريخه المعاصر تميز ، على وجه الخصوص ، بتجدد إرادته في الكفاح من فترة إلى أخرى . وهكذا فمن سنة 1907 إلى 1956 نجده يقوم بسلسلة من المعارك من كل نوع ضدا على السيطرة الاستعمارية .

ومن أبرز تلك المعارك وأكثرها إثارة للفضول والاعجاب **الثورة الريفية** التي اندلعت تحت قيادة محمد بن عبد الكريم . وفي التعبير المتداول بصحافة الوقت كان يكتفي بالاشارة إلى ثورة عبد الكريم . وهو اسم لابد للمؤرخ من تصحيحه . فالقائد الحقيقي للثورة هو محمد بن عبد الكريم الخطابي ، وإن كان والد الفقيه عبد الكريم وضع لبناتها الأولى ، على ما يظهر . ومن جهة أخرى ، لاتعني نسبة الثورة إلى محمد بن عبد الكريم أنها كانت عملا شخصيا . بل إن

البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي ، رائد من رواد الثورة الشعبية على المستعمر .
الخزانة العامة بتطوان .



الشعب الريفي كان في حالة ثورة على النظام الاستعماري حينما تسلم قيادتها في مراحل تالية . ولكن الشيء الذي يجب أن يثير انتباهنا في المقام الأول هو سياق تلك الحركة الثورية . بكل معنى الكلمة .

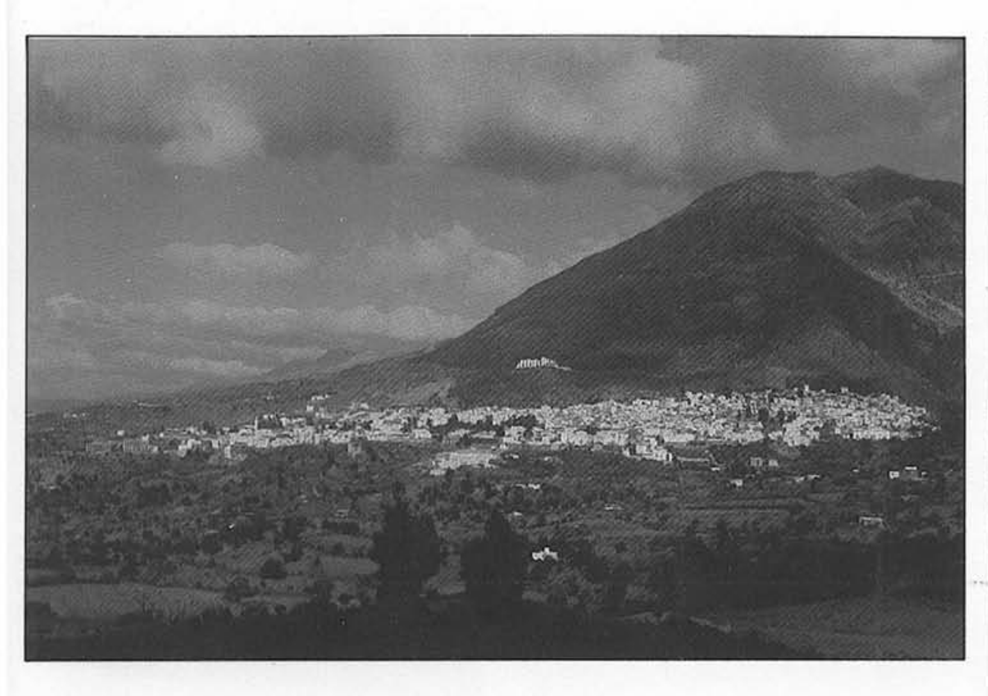
كانت الحماية قد أمضيت في سنة 1912 . وبعد مرور تسع سنوات نشاهد الريف ينتفض سنة 1921 ويعلن عن رفضه الجماعي للنظام الاستعماري الذي فرض على المغرب . وهو موقف كان من شأنه أن يثير اندهاش الملاحظين المتتبعين لأحداث المغرب في ذلك . وأن يغري فضول المؤرخين في يومنا هذا . وبرغم الندوات ، والدراسات ، والأبحاث التي خصصت لتلك الثورة ، فإنها مازالت تخفي عنا كثيرا من أسرارها . فَلِمَ ، ياتُرى ، هذا الاهتمام والفضول ؟

هنالك أسباب كثير نذكر منها :

– عنصر المفاجأة في الثورة كرد فعل جماعي لشعب بكامله ، في الوقت الذي باتت فيه قوى الاستعمار تعتقد أنها أحرزت نتائج ومكاسب نهائية لاتراجع فيها وأوجدت أسلوبا سحريا للحصول على « تهدئة » السكان وكسبهم لنظام الحماية

– جانب المفارقة في الحدث : كان المغرب هو آخر بلاد افريقيا الشمالية خضوعا للاستعمار وكان هو أول من يشن حرب تحرير وطني عليها ، حربا كادت تصل إلى الانتصار . وكل هذا وقع بعد إمضاء عقد الحماية بسنوات معدودة !

– الميزة التي عرفت بها ثورة الريف وجعلتها تأخذ مكانها البارز في التاريخ العالمي ، إذ بينت أن المغاربة اكتشفوا بمنطقة الريف الخطة الحربية أو التكيك ، حسب الاصطلاح العسكري ، الذي يضمن وحدة إمكانية الضغط على الاستعمار وجلبه إلى التنازل والتفاوض : ألا وهو حرب العصابات أو ما دعى فيما بعد الحرب الشعبية . ولنذكر بهاته المناسبة أن « هو شي مين » الزعيم الفتنامي هو الذي يقدم ابن عبد الكريم بوصفه « بطلا وطنيا ومبتكرا للحرب الشعبية » وكان



مدينة شفشاون .
تصوير أدول .

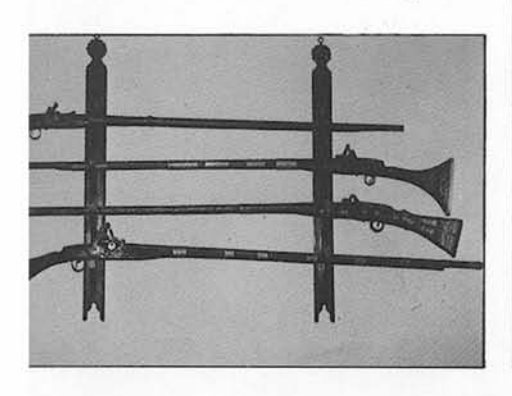
على حق في رأيه لأنه أخذ بنفس الخطة في حرب التحرير التي قادها بالهند الصينية . وما كان في الامكان أن نجد شاهدا خيرا منه على أهمية الخطة الحربية التي اتبعت في ثورة الريف . والواقع أنها خطة تعممت فيما بعد في كل حروب التحرير سواء بالجزائر أو بأنكولا أو بغيرهما .

– عنصر التحدي التي شكلته الثورة بالنسبة للمستعمرين وما جرّته عليهم من خيبة بعد أن باتوا يعتقدون أنهم كسروا كل إرادة في الرّفض والمقاومة لدى المغاربة وأخضعوا لسيطرتهم أهم أجزاء البلاد التي كان زعيم المريشال « ليوطي » يسميها **المغرب النافع** . إلّا أن عمل عبد الكريم أتى بالبرهان الساطع على أن القوة المعنوية لشعب جرح في كرامته وسلب من حريته من لدن سلطة بالغة في تعسفها تظل سلاحا خطيرا في يده يستطيع أن يجابه بها القوة المادية التي يتوفر عليها الخصم . وإذا اعتبرنا تاريخ الاستعمار في العالم ، يصحّ لنا القول بأن حرب الريف جاءت لتفْصِل بين عهدين ، عهد كانت فيه الدول الاستعمارية الكبرى تعمل وهي واثقة من عملها مطمئنة إلى مستقبلها ، وعهد بدأ يساورها الشك في مصير ممتلكاها وباتت تتخوف أكثر فأكثر على مكاسبها .

من أجل معرفة الريف والريفيين

لكن ، برغم الأهمية التي اكتسبتها الثورة الريفية ، فإن ذلك لايكفي وحده لتوضيح مغزاها في سائر أبعادها . فنحن إذا اعتبرنا الاقليم الصغير الذي كان مسرحا لها ، لانجد فيه أية

نماذج من الاسلحة .
متحف تطوان .



حرب الريف



من سكان الريف .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

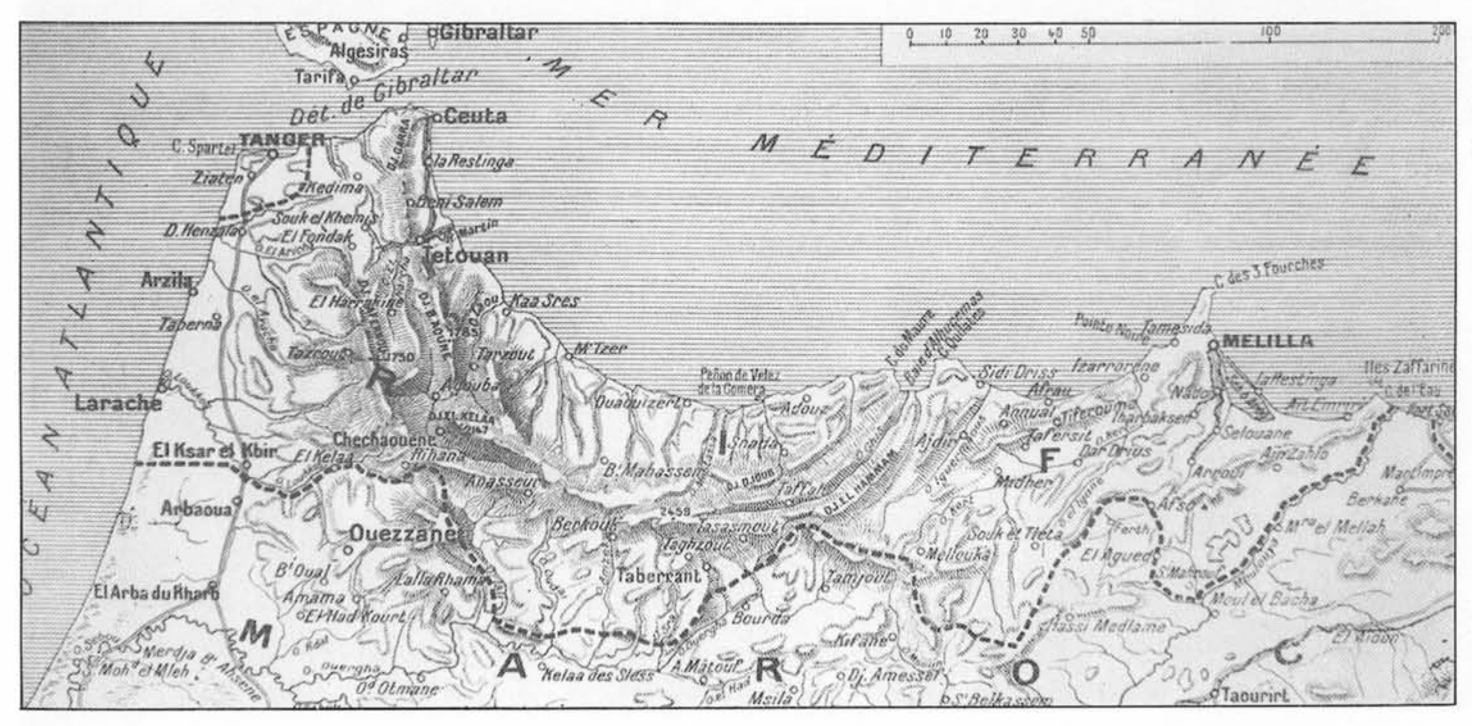
خاصية تؤهله ليحتل مركزا مرموقا في التاريخ . إنه ، بالعكس ، يدخل في عداد المناطق المغربية الفقيرة ، كله سلسلة من الجبال المتوسطة التي تخترقها وديان صغيرة صالحة لممارسة بعض الزراعات . ويزيد في الطن بلة ، أنه إقليم عرف بتكاثر سكانه وخصوبة مواليده مما يضعه في طليعة الأقاليم المغربية من حيث الكثافة السكانية . وهي ظاهرة نشأت عنها ظاهرة أخرى : فمنذ القرن الماضي اعتاد الريفيون أن يهاجروا بلادهم ويذهبوا إلى الخارج ، وبخاصة إلى الجزائر ، من أجل البحث عن عمل يقيموا به أودهم .

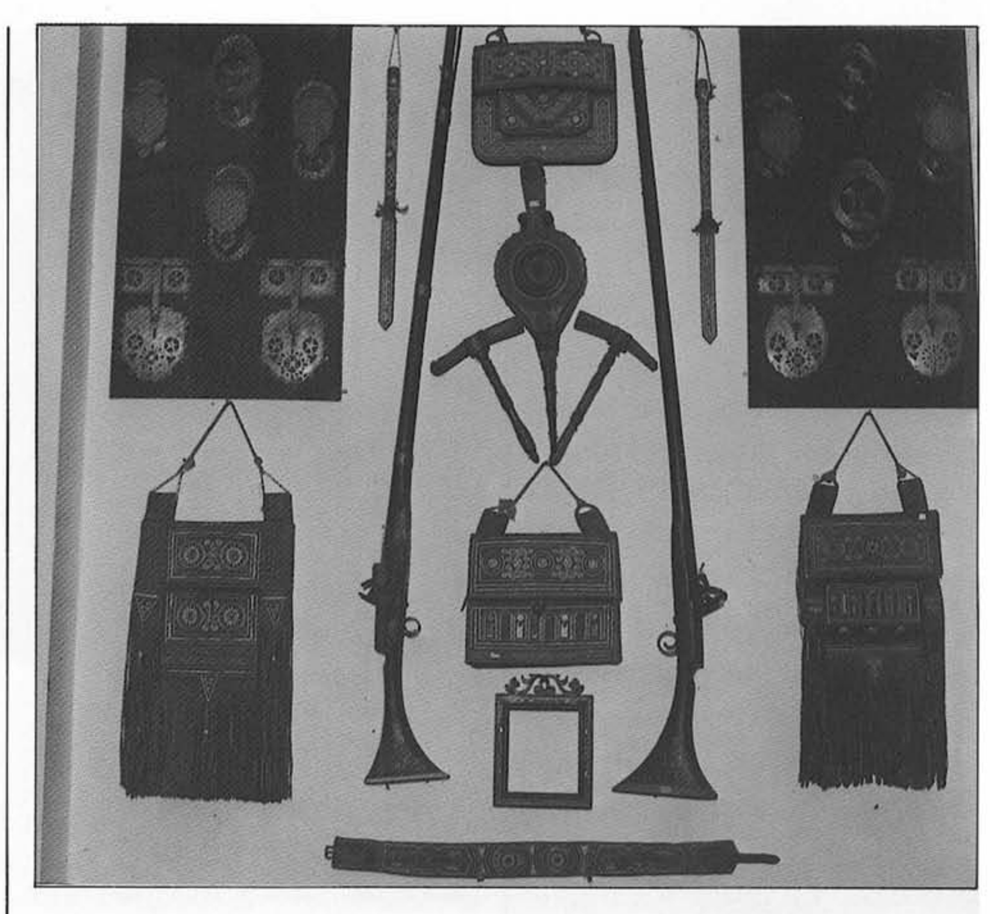
فهي ، بالجملة ، أرض لاتتوفر على أي مورد تغري به سكانها ولا يمكن مقارنتها ، مثلا ، ببعض الأقاليم المغربية الغنية ، مثل السايس والغرب والشاوية وتادلا . ولنشر ، في الختام ، إلى كوْن الريف لم يكن يعتمد على موارده الخاصة لضمان تموينه العادي بل كان يتكل أكثر على الوديان الواقعة في السفح الجنوبي ، وبالخصوص حول مجاري نهر ورغة ، مما يعني أنه كان يتكل على ناحية فاس .

إلا أن كل هاته المعطيات ، مهما بلغت من الأهمية ، غير كافية لتفسير وضعية الريف ودوره الحقيقي في تاريخ المغرب . فهي لاتدخل في الاعتبار بصورة ملموسة جملة من الخصوصيات الجوهرية التي أثرت على تاريخه المنطقة والتي مكّنت الخلفية الجغرافية والبشرية من تلاقي عواقب العجز الاقتصادي :

–فهناك موقع الريف بسواحل البحر المتوسط ، الأمر الذي لايصح التغافل عنه . صحيح أن التاريخ القديم لايعرض لهذا الموضوع بأي شكل من الأشكال ، اللهم إلا ما كان من بعض الاشارات الطفيفة في المصادر العتيقة . ولكن ، عندما نصل إلى العصر الوسيط ، فإن المصادر الخاصة به ، على الرغم من جنوحها إلى الاختصار ، تقدم لنا لوحة بليغة في دلالتها . إذ نشاهد فيها ساحلا ريفيا أكثر تحركا ونشاطا وأكثر ازدهارا مما صارت إليه الأحوال في العصور الحديثة . وهو أمر راجع إلى كون المغرب مارس ، في مرحلة أولى ، سيطرة كاملة على غرب البحر المتوسط ، واستطاع ، في مرحلة ثانية ، أن يفرض الاحترام على أساطيل الدول المسيحية . وتشير المصادر إلى الموانئ التي كانت بمثابة

المناطق التي جرت بها حرب الريف سنة 1922 .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1922.





أسلحة و« شكّارات » من الريف .
متحف تطوان .

محطات ربط وانتقال لاغنى عنها في القيام بالتجارة بين افريقيا وأوروبا .

وكانت تلك المدن الساحلية ، في الوقت ذاته ، مراكز حضارة ونشاط فكري وحياة روحية . وإذا أصابها التدهور فيما بعد ، وإذا كان حضور الريف أثناء العصور الحديثة ناله فتور كبير ، فالسبب يمكن ، من جهة ، في الحصار المتواصل الذي قامت به الدول الأوروبية ، وبخاصة الايبيرية على شواطئه ، ومن جهة أخرى إلى ضعف المغرب ، بوجه عام ، وانطوائه ، الذي لم يكن إلا انعكاسا لما أصاب العالم الاسلامي من انحطاط ، على الصعيد المحلي . والشيء الذي يجب أن لايغيب عن بالنا من هاته المراجعة التاريخية هو أن شعب الريف لم يكن ، كما تدعي معظم المصادر الأوروبية ، مجموعة من القبائل الهمجية الفظة ، في حكم لايخلو من تعسف وتحامل . بل أنه كان وريث تقاليد وحضارة وأخلاق ، إلا أن الفقر والتدهور العام الذي أصاب البلاد ، واضطراره لحمل السلاح من أجل الدفاع عن وجوده ، كل ذلك حال بينه وبين أن يظهر في صورته الحقيقية ، وسيكون من المفارقات التي تثير الاستغراب حقا قبول نظرية تنفي أي صبغة حضارية عن شعوب عاشت دهرا لايقدر على سواحل المتوسط ، ذلك الحوض الذي تلألأت حواليه حضارات عديدة منذ آلاف السنين . ومهما يكن ، فمن العسير على المؤرخ أن يجد حججا مقنعة لتفسير هاته النظرية .

والواقع أن الريف كان أشد وعيا بخطر التسلط الأجنبي من غيره من النواحي المغربية الأخرى ، وذلك منذ القرن الخامس عشر . فانتقام الدول المسيحية ، وبالخصوص الايبيرية منها ، من المغرب المسلم المجاهد اتجه ، قبل كل شيء ، إلى شواطئه المتوسطية . وبدأت المعارك البحرية في المراحل الأخيرة تنتهي لصالحها مما جعلها ، في خاتمة المطاف ، تمارس سيطرة كاملة على البحر . لكن هاته الظاهرة لم تبق دون أن تثير ردود فعل من المغاربة ، كان أبرزها قيام الريفيين باتخاذ خطة حربية ترتكز على أسلوب الغارات القرصانية المفاجئة ، كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر بكيفية عرضية ودون أي تفصيل . فنحن لانتوفر ، مع الأسف ، على كل المعلومات الكافية حول هذا الموضوع

دروس عريقة في الوطنية

لكن سرعان ما عمدت اسبانيا إلى الهجوم على الريف واحتلال مليلية في سنة 1497 وحجر باديس في 1564 وحجر نكور في 1673 . ونظرا لتفوقها العسكري الكبير ، فما كان أي شيء يمنعها عن مد سيطرتها إلى النواحي المحادية للشاطئ المتوسطي وعن الطمع في المزيد من احتلال الأراضي . ولقد حاولت بالفعل أن تسير في هذا الاتجاه . ولكنها كانت تصطدم في كل مرة بمقاومة السكان الشديدة وتتراجع إلى خط الانطلاق تاركة وراءها خسائر ثقيلة . كانت تلك المقاومة بمثابة سد منيع لايثبت له أي شيء . والفضل فيه يرجع إلى أهل الريف وصمودهم . ومما لايعرفه الكثير أن هاته الوضعية القائمة على الصراع المستمر وحصار المراكز الاسبانية دامت من أواخر القرن الخامس عشر إلى بداية القرن العشرين . ولكنها كانت ، في نفس الوقت ، وضعية جعلت الريفيين يعون بكيانهم الجماعي ويعمقون تجربتهم في الكفاح الوطني ويزدادون معرفة بالدول الاستعمارية الأوروبية ، وبخاصة اسبانيا . ومن تم نعرف السر في كونهم كانوا من بين المغاربة أول من استجاب لصريخ الأمير عبد القادر وساهم بكثافة في صفوف المجاهدين الذين كانوا يعملون تحت قيادته . وهو موقف

فيما يلي شهادات عن الاسلوب الذي كان يستعمله الريفيون في مناوشاتهم الحربية : يقول الكومندان برنارد متحدثا عن قبيلة أنجرة الريفية : « لقد أصبح لهم مظهر خاص بهم بسبب طبيعة أرضهم وعادتهم في التنقل بين عليق وعليق ومن وهلة إلى وهلة متعرضين في كل لحظة للخطر ، غير عارفين متى يصادفون عدوا مختبئا وراء صخرة . »

وورد في مذكرة صادرة عن الجيش الفرنسي ، في وقت حرب الريف ، وصف لبني ورياغل ، قبيلة الامير ، هذا نصه :

« وفي ذلك الحين بدأ ينزل سيل من منحدرات جبل حامة وجبال بني عروس . فكان عبارة عن حشد لا هم له إلا في القتال والنهب ، يلتقي فيه كل الشباب المرد مع شيوخ بلحاهم البيضاء ، تقوس ظهرهم بمفعول السن ، ولكنهم لم تضع منهم صحتهم ولا قدرتهم على التخريب . إنه جيش بدون قادة ، ولكن كل واحد من جنوده يعرف مكانه وهو يتقدم من ربوة إلى ربوة ومن وهدة إلى وهدة ، بانضباط لايصدقه العقل ، إنها موجة تغمر كل شيء ... ويتأثر الكل بجو مشحون باليأس مثل البلد ذاته ... هؤلاء الرجال والاشياء يظهرون وكأنهم خلقوا من أجل العراك ... »

« يلتقي فيه كل الشباب المرد مع شيوخ بلحاهم البيضاء ... إنه جيش بدون قادة ، ولكن كل واحد من جنوده يعرف مكانه » .
الخزانة العامة والأرشيف بتطوان .





جنود ريفيون : قائد تافرسيت والقائد حدو وقائد ميضار .
ILLUSTRATION-OCTOBRE 1922.

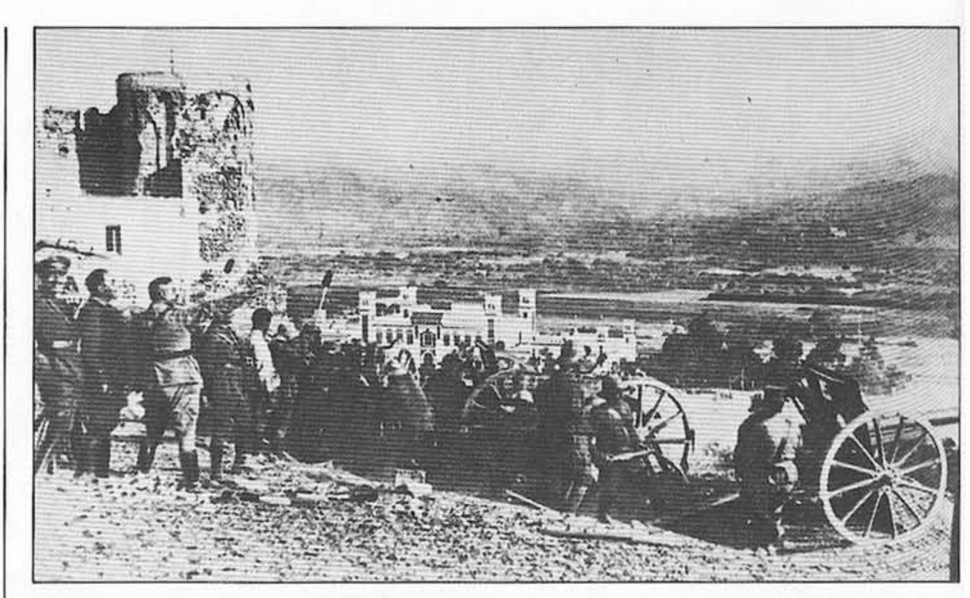
جددوه حديثا حينما اندلعت الثورة الجزائرية في 1954 .

وبالجملة ، فقد استقى الريفيون من تاريخهم المليء بالتقلبات والأحداث دروسا بليغة جعلتهم يكتسبون نضجا سياسيا ، وإدراكا وطنيا عصريا ، الشيء الذي لم يكن يوجد بنفس الدرجة في الأقاليم المغربية الأخرى ، حينما بدأت المؤامرة الاستعمارية تنتقل إلى المرحلة النشيطة من مخططها الهادف إلى احتلال البلاد . صحيح أن

تقسيم المغرب . حدود المنطقة الشمالية المسماة « المنطقة الاسبانية » حسب الاتفاقيتين الممضاتين بين فرنسا والمغرب سنة 1904 .
ILLUSTRATION-MARS 1912.

Etat actuel des négociations, entre la France et l'Espagne, pour les rectifications de la frontière de la zone espagnole au nord du Maroc.

Limite de la zone espagnole fixée par la convention de 1904.
Cours hypothétique de la Moulouya, tel qu'il figurait sur la carte annexée à la convention de 1904.
Nouvelle frontière demandée par la France.
Territoire que l'Espagne consent à nous céder sur la rive gauche de l'oued Ouargha.
Territoire que l'Espagne réclame dans la boucle de l'oued Msoun.



سلاح المدفعية الاسبانية في مواقعها بتطوان .
ILLUSTRATION-OCTOBRE 1924.

سكان المغرب من الشمال إلى الجنوب قاوموا التوغل الاستعماري بضراوة كلما توفرت لديهم الامكانات ، ولكن الريفيين تميزوا بدرجة عالية من الوعي والادراك السياسي التي لم تكن إلا من ثمار احتكاكهم الطويل مع العالم الخارجي ، وذلك بفضل نافذتهم الواسعة المطلة على البحر المتوسط والتي استفادوا منها معرفة وتجربة .

لقد اجتنبنا في تحليلنا الاستناد إلى بعض المناهج الاثنولوجية التي انتهت إلى صياغات من نوع النظرية الانقسامية التي كانت لها شهرة في عصرنا . وذلك راجع إلى كوننا نعتقد بأننا لانستطيع فهم المجتمع الريفي وتاريخه حق الفهم إلا إذا وضعنا في الحساب كل المعطيات ووضعنا كل شيء في مكانه داخل البنية الشمولية . فنحن لن نتوصل إلى الكشف عن كل الأسرار باللجوء ، مثلا ، إلى مفهوم القبيلة وإعطائها قدرة سحرية تجعل منها مفتاحا يفتح كل الأقفال وكل الأبواب .

إننا ، بالعكس ، إذا أخذنا بالمسلمات الناشئة عن منهاج من هذا النوع ، فكأننا وضعنا كل أبصارنا نظارات تحرّف الأشكال وتغيّر الصور ، في حين أننا إذا اكتفينا برؤية العين المجردة استطعنا أن نذهب بعيدا إلى عمق الأشياء . وهكذا كان أصحاب هذه النظريات برؤية غريبة عن سكان الريف فيتراءى لهم كشعب غريب ، وكظاهرة فريدة من نوعها . والواقع أن النظرة البسيطة إلى ماضي ذلك الشعب وإلى مجتمعه الحالي يقدمه لنا كجماعة إنسانية واضحة في سلوكها لاتختلف في شيء عن غيرها من الشعوب المتوسطية ، ذات إدراك للحقائق الكبرى ، متشبثة بالفضائل والقيم التي نجدها لدى كل جماعة مرتبطة بأرضها حريصة على حرياتها .

صعوبات أمام التوغّل الاستعماري

جاءت بداية القرن التاسع عشر لتضع من جديد وطنية الريفيين في امتحان كبير . ولابد لنا من تتبعهم في هاته المرحلة ولو بخطوات واسعة .

تمكنت فرنسا في سنة 1912 من وضع يدها على المغرب غداة إبرام عقد الحماية . وأما اسبانيا التي كانت تنتظر بتلهف حصتها من الوزيعة ، فقد اضطرت إلى أن تقنع بمنطقة نفوذ صغيرة تشتمل على بلاد الريف وجباله بعد مساعي دبلوماسية كثيرة وتدخلات ملحة لدى فرنسا . فأصبحت أشبه ما تكون بمستأجرة ثانية من المستأجر الأول الذي هو فرنسا ، حينما أمضت معها معاهدة 27 نوفمبر 1912 . وتلك وقائع يبيّنها **جيرمان عياش** بكل وضوح في كتابه « **حرب الريف** » ومنه نقتبس هاته الفقرة التي يقول فيها :

« لما كانت فرنسا قد احتفظت لنفسها بنصيب الأسد ، فإنها لم تترك لاسبانيا إلا قسمة ضيزي ، هي عبارة عن حاشية شاطئية تمتد على أزيد من ثلاثمائة كيلومترا طولا وستين عرضا تأخذ من المحيط ومن المضيق غربا لتصل إلى نهر ملوية . على مقربة من الجزائر شرقا . فهي أرض تبلغ مساحتها في المجموع ما يتجاوز 20.000 كيلومتر مربع بقليل . أي ما يعادل قسمة من خمس وعشرين من مساحة المغرب الحالي . وهاته الايالة الصغيرة تحتل معظمها كتلة الجبال الريفية مما يجعل الثلثين منها تتكون من الأوعار والأراضي التي لاتصلح للزراعة . وتنحصر الفلاحة في بعض الأراضي الخصبة الموجودة في سلسلة الربى الواقعة في السفح الجنوبي والتي تستفيد من غزارة الأمطار ، وفي الشريط الضيق الذي يحاذي الساحل الأطلسي وفي بعض الشعاب المنفتحة في السفح المطل على البحر المتوسط . نعم ، هناكل سهول أكثر اتساعا في شرق السلسلة ولكنها عبارة عن وهاد تتضرر من الجفاف سنة على اثنتين »

والحقيقة أن اسبانيا كانت في أشد الاحتياج إلى تعويض معنوي على إثر الهزيمة التي منيت بها في آخر القرن الماضي بكوبا . فهو تعويض رمزي ، لم يكن ليهمها قيمته ، بقدر ما كان يهمها أن ترفع من معنوية المجتمع الاسباني التي باتت منهارة في كل الأوساط ابتداء من الطبقة الحاكمة إلى الجماهير الشعبية ، التي كانت مستاءة ، أيضا ، من المصاعب الاقتصادية الظرفية وكانت انجلترا ، من جهتها ، جد قلقة من الأطماع الفرنسية في المغرب التي تشكل تهديدا لقاعدتها المهمة في جبل طارق ، ولذلك فإنّها لم تترك لفرنسا الحبل على الغارب

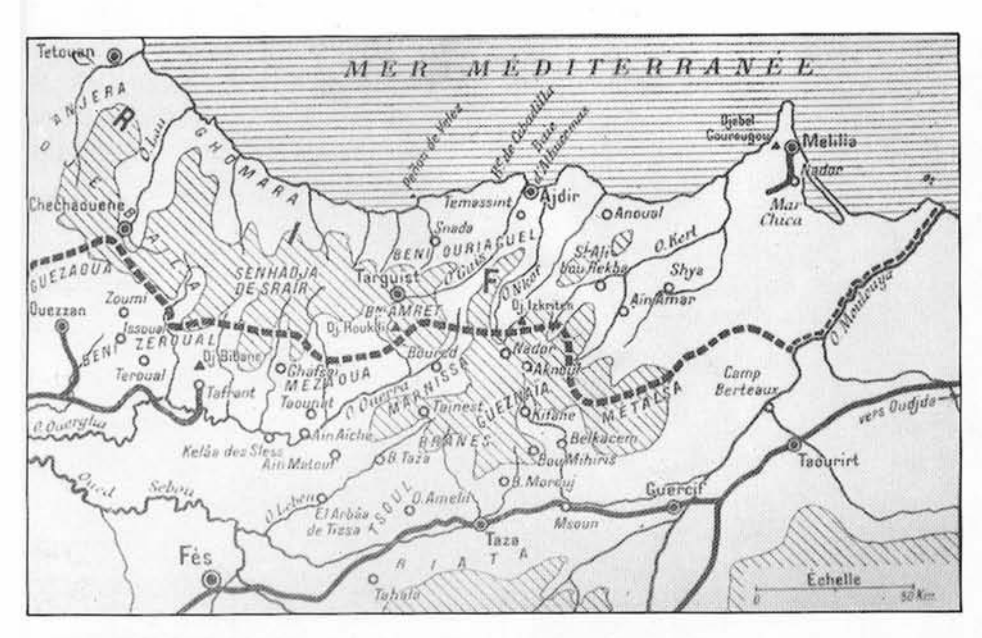
تتصرف بحرية إلا بعد أن انتزعت منها تعهدا صريحا بأنها ستتخلى لاسبانيا عن الشريط الساحلي المحاذي للبحر المتوسط . وبذلك ستصبح الدولة الايبيرية في الموقع الذي أسند لها وكأنها تقوم بدور الحارس للمصالح البريطانية .

ولم تظهر اسبانيا أي امتعاض من نصيبها الضئيل في الوزيعة وقنعت بأخذ المنطقة الصغيرة ، التي قبلت فرنسا ، لأي بعد وتردد ، أن تتنازل لها عنها . وبرغم كل ذلك ، فلم يكن يكفي إبرام اتفاقات بين هاته الدول الاستعمارية الكبرى لتذليل كل الصعاب . كان هنالك المهم وهو احتلال البلاد ، وليس هذا بالأمر الهين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما عرف عن المغرب من طاقة في الصمود والمقاومة . ومن المعلوم أن فرنسا قضت ثلاثين سنة وهي تحارب في المغرب للتوصل إلى ما كان دهاقنة الاستعمار يسمونه « التهدئة » في إيديلوجيتهم . ويجب أن نشير عرضا وحدت أمامها تسهيلات طبيعية ضاعفت حظوظها في التوصل إلى انتصارات محققة في عمليات الغزو داخل المنطقة المخصصة لها . ذلك أن معظم الأراضي المطلّة على المحيط الأطلسي تتكون من سهول وبسائط لايطرح النزول بها أية صعوبة .

أما المنطقة الممنوحة لاسبانيا فهي بخلاف ذلك ، إذ إن معظمها تغطيه الجبال والأوعار . صحيح أن اسبانيا استطاعت أن تنزل بعض الجنود في الغرب وتحقق تقدما محسوسا في جهة تطوان والعرائش ، نظرا لكونها ناحية منخفضة في معظمها ولا توجد بها أي حواجز طبيعية . لكن الصعوبات كانت تواجههم كلما أرادوا أن يخترقوا بلاد جبالة حيث كان الريسوني وغيره من الزعماء المحليين قادرين على أن يكبدوا الجيش الاسباني خسائر ويرجعوا به القهقرى ، ولم يكن الأمر يختلف عن ذلك في الشرق حيث برهنت المحاولات الأولى على أن تقدم الجيش الاسباني في الميدان انطلاقا من مليلية مرام أصعب ، مع العلم أن مليلية هي البوابة الكبيرة التي يدخل منها إلى الريف (أنظر الفصل المخصص للشريف أمزيان لأخذ فكرة مجملة عن الموضوع) .

إن غياب هذا البطل المغوار عن ساحة المقاومة الريفية في سنة 1912 لم يسمح مع ذلك للاسبان أن يغيروا الوضعية العسكرية لصالحهم بالمنطقة ولا أن يحققوا أي تقدم جدير بالذكر . ذلك أن القبائل الريفية ظلت بالمرصاد على طول خط الواجهة تبذل مجهودا فعالا في سبيل مقاومة المغيرين ، بحيث أن قسما كبيرا من الريف كان مايزال خارجا عن سيطرتهم .

ولاشك أن الاسبان كان يريدون إخضاع منطقتهم بأقل ما يمكن من التكاليف في الأموال



خريطة عمليات الجيش الفرنسي في الريف .
الخزانة العامة بالرباط .



جماعات من قبيلة بني ورياغل .
الخزانة العامة بتطوان .

والوسائل العسكرية ، مرتبين توغلهم على العمل السياسي بدل القوة . ولعلهم استفادوا من المثل الذي قدمه ليوطي في المنطقة الفرنسية فأرادوا أن يسيرا على نهجه الذي برهنت كل الظواهر على فعاليته . وهكذا بدأوا يجرون اتصالات مع الأعيان والوجهاء داخل القبائل الريفية ليستميلوهم ويحصلوا على مساندتهم في الخطة التي كانوا يدبرونها . ولم تبق مجهوداتهم في هذا الصدد دون نتيجة ، إذا حصلوا على جزء مما كانوا يسعون إليه .

ومن بين هؤلاء الأعيان كان رئيس أسرة الخطابي المنتمية لقبيلة بني ورياغل واسمه عبد الكريم . ولم تكن المنزلة التي يحتلها هذا الشخص بين ذويه راجعة لسمعة أسرته فقط ، بل كذلك إلى صفته كعالم وفقيه . فقد تولى منصب القضاء بتعيين من السلطان مولاي الحسن . ومن المعلوم أن منصب القضاء من أعلى ما يمكن أن يطمح إليه المسلم في المجتمع الاسلامي . ودفعه ذكاؤه وطموحه إلى المحافظة على منزلته الممتازة ، وذلك بمواصلة الاهتمام بقضايا الأمة والجماعة التي يعيش بين ظهرانيها . ونظرا لارتباطه بالمخزن كأحد الموظفين المنضبطين . فلم يكن له إلا أن يتخذ موقف الانقياد ويقبل نظام الحماية . ومن تم نشأت الاتصالات الودية التي أقامها مع الاسبان لكسبه إلى جانبهم . لكن القاضي عبد الكريم كان عليه في نفس الوقت أن يراعي شعور الريفيين الذين كانوا يرفضون الخضوع ويموتون وهم يحاربون في واجهة المقاومة . ونضيف إلى ذلك للتعريف بشخصيته أنه كان مسلما متفتح الذهن ، مطلعا على شؤون الوقت ، مائلا إلى الفكر السلفي الذي بدأ يعرف رواجا كبيرا بالشرق . فكان يعتقد أن المجتمع المغربي في مسيس الاحتياج إلى إصلاحات عميقة وأن عليه أن يتتلمذ على أوروبا إن هو أراد أن يحقق الخطوات الفعلية في طريق النهوض والتقدم .

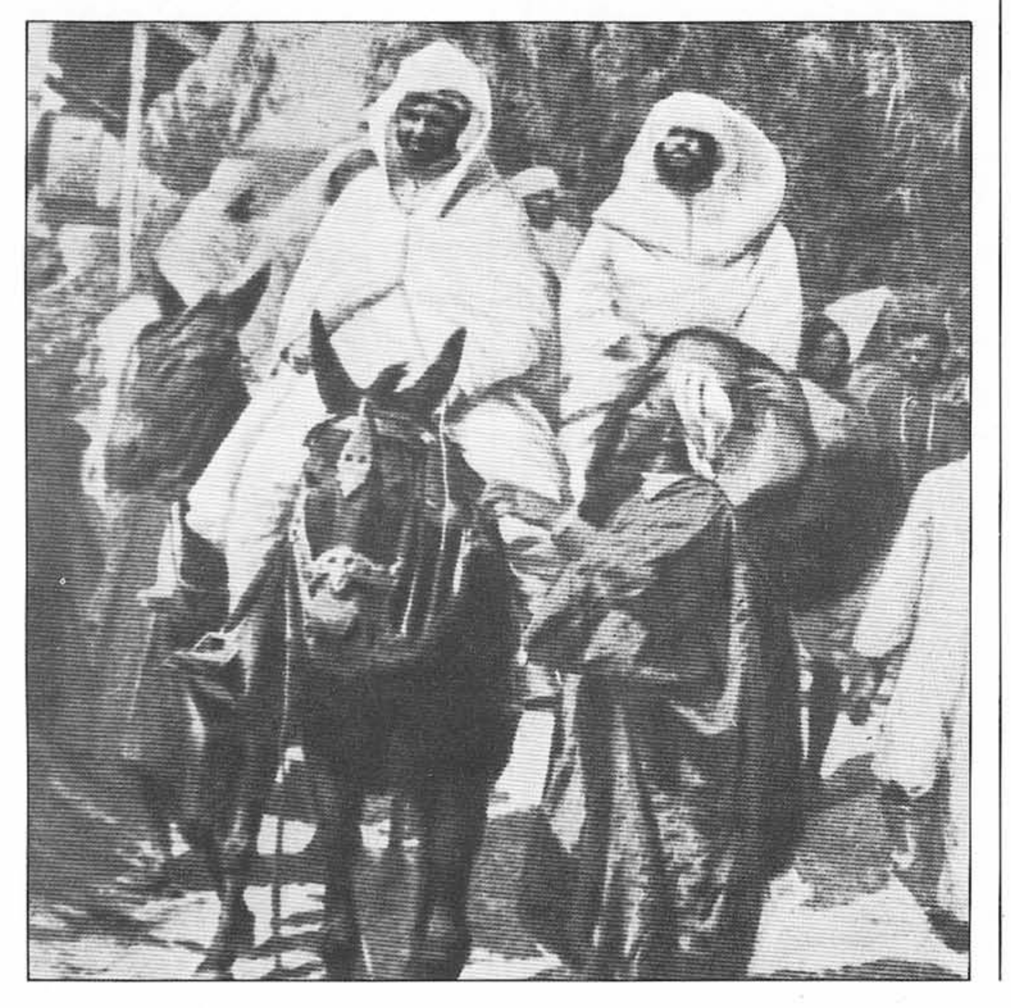
على هذا الأساس ، إذن ، بنى القاضي عبد الكريم على طريق سلوكه ، فاحتفظ بعلاقات طيبة مع الاسبان . وبفضل شخصيته ووجاهته لدى ذويه من بني ورياغل ، أمكنه أن يقوم بدور كبير في المنطقة إلى أن وافاه الأجل المحتوم في سنة 1920 .

لكن الشخص الذي قُدر له أن يرفع اسم الأسرة الخطابية عاليا كان هو ولده محمد أو **سي محاند** ، (حسب النطق الريفي) ، الذي ازداد في سنة 1883 . إنه بطل الثورة الريفية الذي شغل الناس طوال سنوات عديدة ، فاهتزت له الصحافة العالمية وكل وسائل الاعلام والمخابرات والمحافل الدبلوماسية ومجالس البرلمان والأحزاب السياسية بأوروبا . وبرغم الشهرة التي أدركها فلم يعرفه الناس إلا باسم أبيه ، إذ دعى لدى الخاص والعام باسم **عبد الكريم** في حين أن اسمه هو **محمد** .

من الصحافيين الأولين بالمغرب

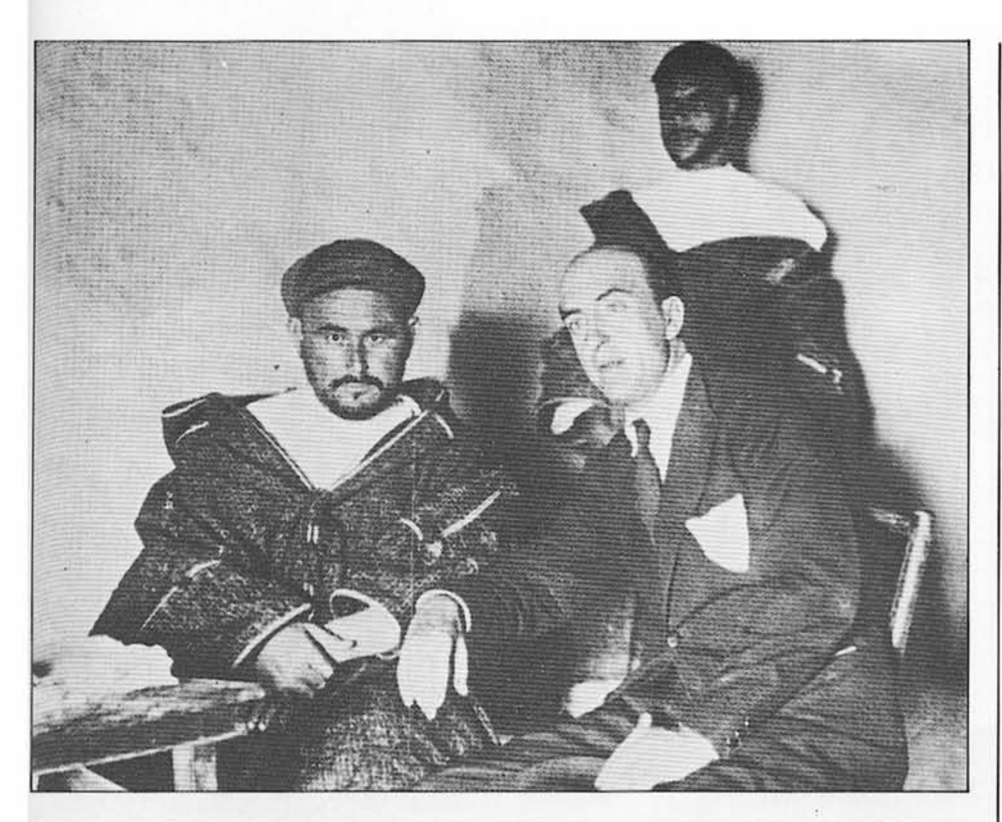
لقد عني والده بتربيته ، فاجتهد بتعليمه حسب المنهاج التقليدي ، الذي توج بالدراسة في جامعة القرويين ، التي كانت يومئذ أقدم معهد وأحسن مؤسسة جامعية لتلقي العلوم الاسلامية بالمغرب . وما أن عاد إلى الريف حتى انتدبه الاسبان للعمل كمعلم في إحدى المدارس الابتدائية التي أسسوها في مليلية سنة 1909 . وسرعان ما استقلت أنظار السلطات الاسبانية بشخصيته فعينوه في منصب كاتب بالادارة . ولما

الريسوني عن اليمين ومعه أحد القواد المحليين .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1908.



مذكرات من التراث المغربي

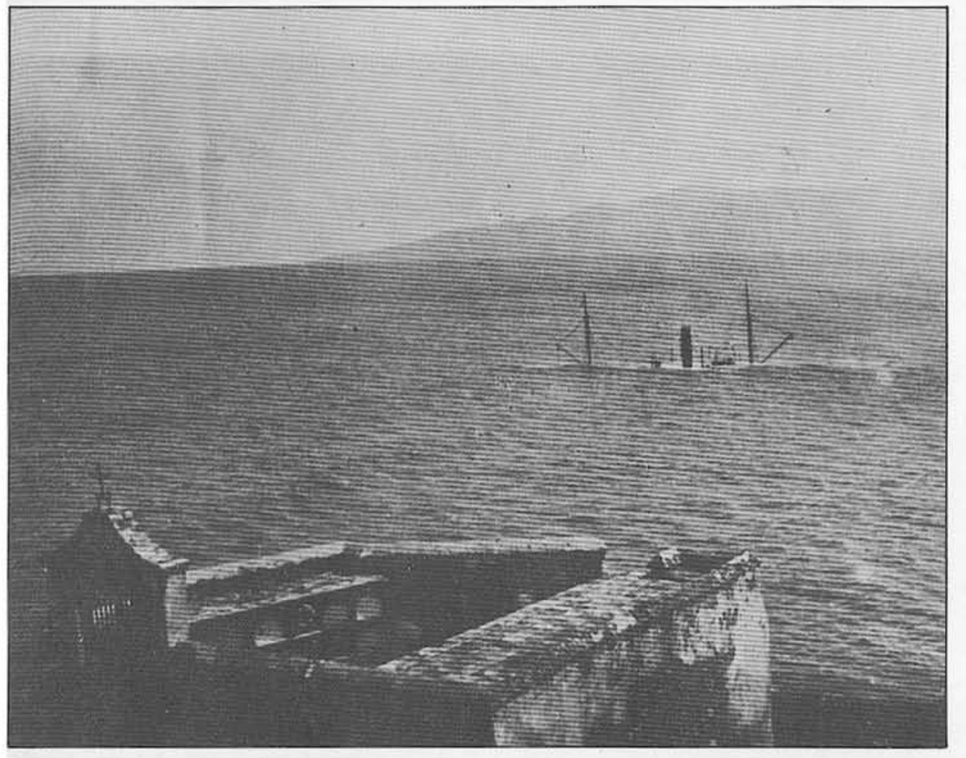
ابن عبد الكريم ، الصحافي الجندي ، ومعه دي أورطيزا . مدير « جريدة مدريد » (1922) – الخزانة العامة بالرباط .



أعلنت الحماية على المغرب ، رقوه في الوظيف مرة أخرى إذ عينوه قاضيا على فرخانة ورئيسا على محكمة الاستيناف الشرعي التي ترفع إليها أحكام القضاة في المنطقة المحتلة . وبرزت لديه اهتمامات أخرى تربطه بالعمل الصحافي . إذ حرر طوال سنوات ركنا من « جريدة الريف » باللغة العربية . وهي جريدة يومية كانت تصدر بالريف . وهكذا قدر لابن عبد الكريم أن يكون من أول الصحافيين الذين ظهروا بالمغرب في أوائل عهد الحماية . وعن طريق مزاولة المهنة الصحافية ، أتيحت له الفرصة ، باستمرار ، لفتح عينيه على العالم المعاصر والوعي بمدى تخلف بلاده عن قافلة الحضارة . ولننصت إليه يوجه الخطاب للمغاربة في أحد أعداد « برقية الريف » إذ يقول :

« إن أكثرنا يعيشون في الفقر . وما عليكم إلا أن تقتدوا بالأوروبيين لكي تنعم عليكم أرضكم بالخيرات والفوائد ... فهي غنية بالموارد . وما أطيبها وأجملها أرضا لو زرعت كما يزرع الأوروبيون أراضيهم ... وغير خاف عنكم أن أهل تلك البلاد يتدارسون شؤونهم ليقللوا من أتعابهم . فأمام صعوبة العمل الفلاحي . تصوروا وصنعوا الآلات الزراعية . أما أنتم ، فما زلتم ويا للأسف تشتغلون بالمحراث الخشبي والفاس وغيرها من الأشياء العتيقة »

وكما هو واضح ، فإن ابن عبد الكريم كان عارفا بأن التجديد أمر ضروري منذ بداية عهد الحماية ، مما دفع به إلى تعميق معارفه في ميدان السياسة ، الشيء الذي سيجني منه فوائد فيما بعد . لكن علاقته الجيدة مع المسؤولين الاسبان بمليلية لن يطول أمدها . فقد كانت له رؤيا مثالية عن الحماية ، لأول وهلة ، واعتقد أن اسبانيا ستعين المغرب على النهوض والتطور . لكنه سرعان ما تراءت له الحقائق كلها دون غشاوة . ومهما يكن ، فلم يدفع به العمل مع الاسبان إلى فقدان استقلاله الفكري والتخلي عن كرامته وقبول مواقف العبودية والتبعية . وبدأ الاسبان يدركون



الباخرة الاسبانية "JUAN DE JUANES" أصابتها مدافع ابن عبد الكريم قرب الحسيمة . الخزانة العامة بتطوان .



ابن عبد الكريم في المدرسة العربية بمليلية .
الخزانة العامة بتطوان .

بأنهم يتعاملون مع شخص خطير بالنسبة إليهم ، مما جعلهم ينتزعون ثقتهم منه ويودعونه بالسجن في سنة 1915 .

وانضاف سبب آخر جعلهم يحرصون على اعتقاله . ذلك أنهم أرادوا أن يحتفظوا به كرهينة لديهم لأن والده القاضي عبد الكريم اتخذ قرارا خطيرا أدى به إلى قطع العلاقات مع الاسبان والابتعاد عن كل مواطن الاتصال بهم . والواقع أن كلا من الأب والابن كانا يتابعان باهتمام وعطف كبير قضية الدولة العثمانية التي كانت تحارب إلى جانب المانيا في الحرب العالمية الأولى . ومن جملة ما ورد في تقرير سري اسباني أن ابن عبد الكريم يحلم بعظمة الشعب الاسلامي ويتمنى بكل حرارة استقلال الريف الذي مازال لم يحتل . وأنه يساند حزب تركيا الفتاة الذي يدافع عن العالم الاسلامي ضدا على الحلفاء وأن والده الفقيه السي عبد الكريم وهو قد اعتنق الفكرة بكل حماس وأصبحوا يتزعمونها ولاشيء يصرفهم عن مشروعهم .

حاول ابن عبد الكريم أن يفر من السجن ، لكنه وقع وانكسرت ساقه ووقع من جديد في قبضة الاسبان . وبرغم كل العلاجات التي تلقاها ، فلم ترجع ساقه لحالتها الأصلية . لكنه استرجع حريته بعد مرور أحد عشر شهرا على اعتقاله . كما أنه رجع إلى وظيفته في سنة 1917 ، ولكن دون ابتهاج ولا تحمس . واستأنفت اسبانيا في تلك الآونة هجوما على القبائل الرافضة للاستسلام ، وبالخصوص منها بني بوياحي والمطالسة . وخلافا لما واعدت به القاضي عبد الكريم ، فقد اختارت سياسة القوة . وفي أواخر 1918 ، عاد ابن عبد الكريم بصفة نهائية إلى أجدير استجابة لطلب والده . ورفض هو وأخوه محمد العودة إلى مليلية . وبذلك انتهت



منظر عام لبلدة أجدير .

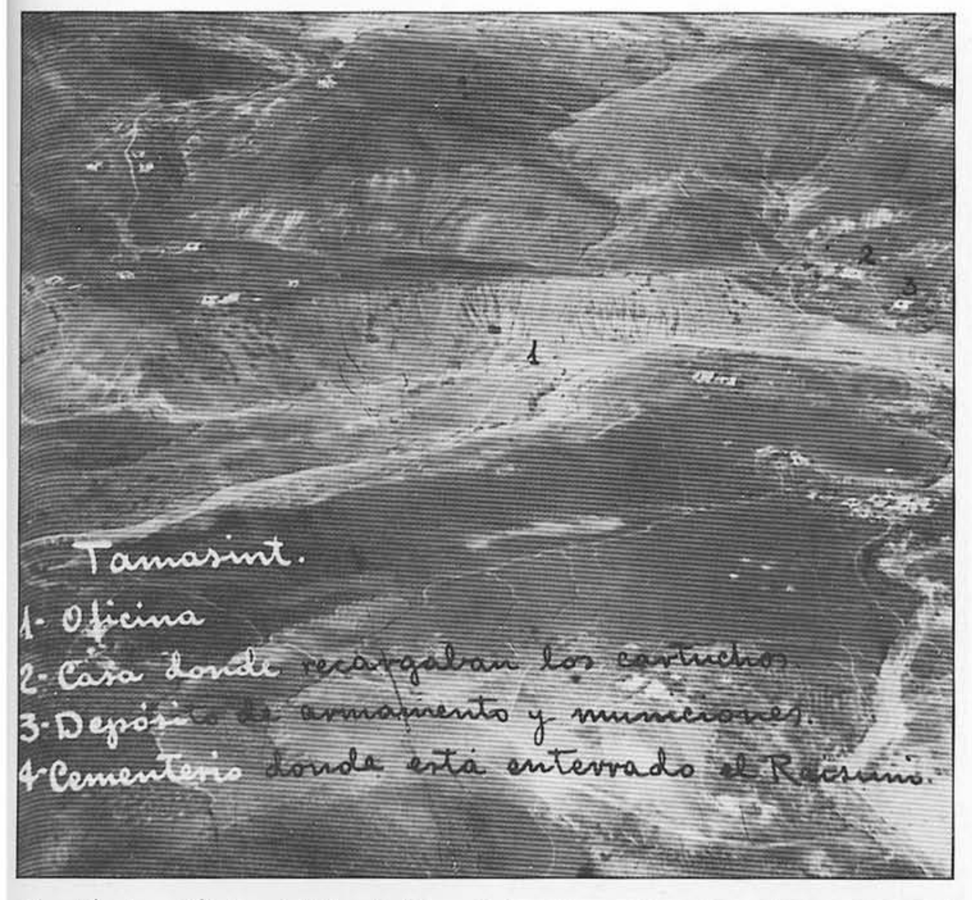
صفحة من تاريخ حياته الشخصية وتاريخ الريف وبدأت صفحة جديدة .

عرف الريف فيما بين **1918** و **1920** هيجانا كبيرا مبعثه المقاومة المتصاعدة التي كانت تقوم بها القبائل من وراء خط كرط ، وبالخصوص على ذرى جبال كركر في بلاد بني بوياحى حيث المقاومون الريفيون من كل الجهات . وانعقد اجتماع للرؤساء الريفيين في سوق جمعة كناو ، وكان الغرض منه دعوة القبائل لتوحيد كلمتها واستنكار كل خضوع لاسبانيا وتوجيه المتطوعين إلى كركر . وإنها لوقائع تبرهن على مدى الوعي السياسي الذي كان يتحلى به أهالي الريف ، وذلك قبل أن يشرع ابن عبد الكريم في ثورته الكبرى .

سياسة العصا

ومن بين الأحداث اللافتة للأنظار التغيير الكبير الذي طرأ على السياسة الاسبانية بالريف على إثر وفاة الجنرال « **خوردانا** » ، المقيم العام المعروف « بسياسته المرنة » ومراعاته « للشعور الشعبي » . وأما الأسلوب الجديد المترتب عن هذا التغيير فقد ارتبط باسم الجنرال **سلفستر** الذي عين قائدا عاما بمليلية تحت رقابة المقيم العام الجنرال **برنكيز** . ويرتكز ، قبل كل شيء ، على استعمال القوة وإفهام المغاربة أنهم شعب مغلوب وأن علاقاتهم مع الاسبان يجب أن تكتسي صبغة علاقات بين غالب ومغلوب .

فما أن تم تعيينه في يناير **1920** حتى بدأ يهاجم الأجزاء الخارجة عن سلطة الاسبان في الريف ، طبقا لتصميم كان قد سهر على وضعه بنفسه . كان يغلب عليه طموح قوي عززه اتصالات شخصية بالملك **ألفونسو الثالث عشر** ، ويفكر في انقاذ اسبانيا . ولما أخذ يباشر مهامه بالمغرب ، كان سلوكه إزاء المغاربة متسما



تاماسينت ، قاعدة ابن عبد الكريم ، وبها سكناه ومكتبه ومسلحته .
الخزانة العامة بتطوان .

مصرع جنرال اسباني

« فيما يخص الظروف التي مات فيها الجنرال سلفستر ، الذي سقط سريعا في معركة أنوال مع هيئة أركان حربه ، فلست أعرف عنها شيئا . وقد جاءني ولد ريفي ، فأخبرنا بأنه اكتشف جثة جنرال ميت وسط ضباطه وسلمني حمالته ونجومه . ولما تجولت بالميدان في نهاية المعركة ، أمكنني حسب إرشاداته أن أرى الجثة وأتعرف على الجنرال . وهذا كل ما يمكنني أن أقول لك »

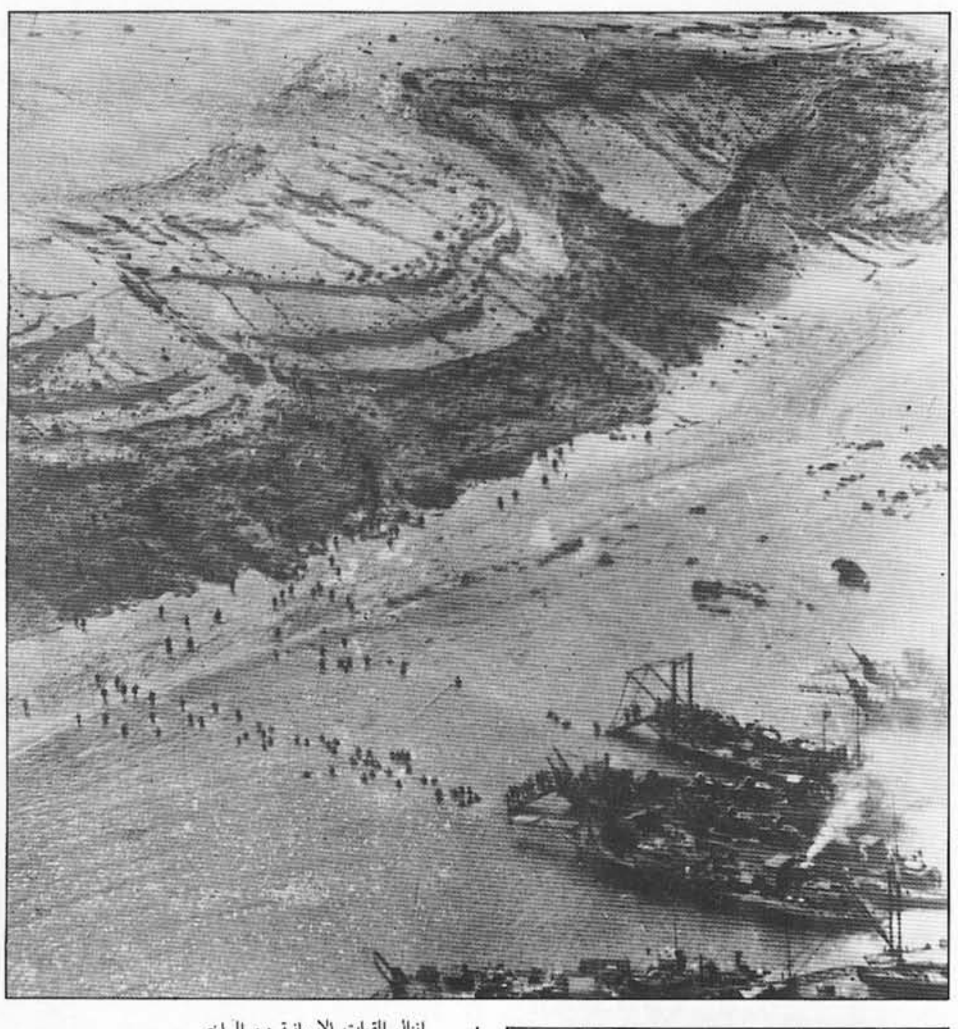
« مذكرات ابن عبد الكريم »

بالصلف والكبرياء ، لايعاملهم إلا بازدراء ، وبخاصة منهم أبناء الريف . وخلافا لما كان عليه رئيسه الرسمي **برنكير** المتسم بالرّزانة والتؤدة ، فقد كان لايخلوا من تهور واندفاع ويرى أن الحركة ، مهما كانت ظروفها ، خير من السكون .

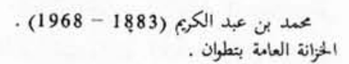
كان مخططه يهدف إلى إخضاع الريفيين بكسر قوتهم من الوسط ، أي بالقيام بهجوم مباغث على خليج الحسيمة في جوف أراضي بني ورياغل ، أهم قبائل الريف ومركز ثقلهم في كل عمل حربي أو سياسي . وكان **سلفستر** يعتقد أنه باستيلائه على مدينة اجدير ستنفتح أمامه طريق النصر النهائي . وبخضوع بني ورياغل واستسلامهم للسلطة الاسبانية ، لن يبقى أمام القبائل الأخرى إلا أن ينسجوا على منوالهم .

كانت لديه بمليلية قوة عسكرية قوامها 24.000 جندي وكان يعتمد في نفس الوقت على الحامية الموجودة بجزيرة نكور التي كان ينتظر منها أن تقدم له سندا مهما ، وذلك بأن تضرب المقاومين الريفيين من الخلف ، عندما يقترب بجيشه من الخليج . وكان لديه بالاضافة إلى كل ذلك فيلق جوي . وأما بنو ورياغل ، فلم تكن لديهم عدة جديرة بالذكر بالقياس إلى ما عند الاسبان ، ولم يكونوا يعتمدون في دفاعهم إلا على جبالهم . ومن تم فقد كان كل همّهم يمكن في الحيلولة دون توصل الأعداء إلى الاستقرار بها .

وشعر القاضي عبد الكريم بأن الأمر بات يعنيه أكثر من غيره ، فما كان منه إلا أن قام على رأس حركة المقاومة . ونظرا لحالة الاستعجال التي صار إليها الوضع العسكري ، فقد أصبح من الضروري الاسراع بوضع خطة دفاعية ، ذلك أن دخول جيش **سلفستر** إلى دار **دريوس** كَهْرب الجو بالنسبة لعدة قبائل التي باتت ترى أن مصيرها مهدد بصفة مباشرة . واستطاع القاضي عبد الكريم في أواسط يونيو أن يقيم حلفا بين تلك القبائل على اختلافها وأن يحصل منها على توجيه « حركة » مشتركة إلى **تافرسيت** . وهكذا سلم له الجميع بمنصب الرياسة فتولاها بصورة فعلية واتخذ من ولده محمد مساعدا أولا إذا كلفه بمهمة أساسية ألا وهي تنظيم وسائل الدفاع . لكن



انزال القوات الاسبانية من البواخر .
الخزانة العامة بتطوان .





محمد بن عبد الكريم (1883 – 1968) .
الخزانة العامة بتطوان .

الخطة الحربية

« لم يقم قط بمعركة منتظمة . وكانت خطته تقوم على حرب العصابات أي مضايقة العدو واستعمال الكمائن والهجوم الليلي وكان إلى جانبه طبيعة الارض والمجتمع القبلي برمته . فكان يتحرك في هذا الوسط كما يتحرك السمك في الماء ، حسب النظرية المفضلة عند ماو .

« ولم يستسلم في 29 مايو 1926 إلا بسبب تفوق العدو الساحق في الرجال والعتاد وعزلة الريف ، (7 في المائة من مجموع سكان المغرب) والخطأ الذي ارتكبه ابن عبد الكريم بعدم استيلائه على مليلية . فأخطأ خطأ الذين يحالفهم الصواب عند البداية » .



قافلة اسبانية في طريقها إلى الشاون يحرسها الجيش ليدرأ عنها هجمات الريفيين .
ILLUSTRATION-NOVEMBRE 1924.

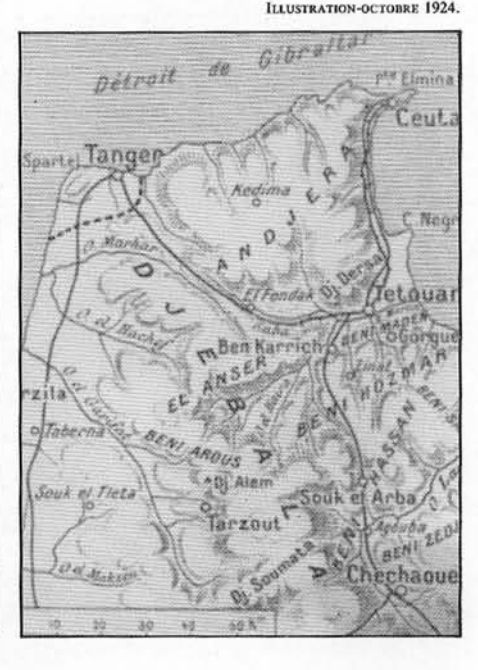
الأجل المحتوم لم يمهل القاضي الذي أختطفته يد المنون في 7 غشت 1920 .

ابن عبد الكريم وانقلاب الوضع

كان لوفاة القاضي أثرها السيء على « حركة » تافريست ، إلى الحد الذي جعلها تتفكك وتسمح لسلفستر باحتلال الموقع وبالسير قدما داخل أراضي بني أولشيك وكذلك أراضي بني سعيد وبرفع علمه على جبل مورو يوم 11 دجنبر . وبات المعسكر الاسباني متفائلا يحلم بالانتصار النهائي . ونظم احتفال شكرا لله بأناشيد النصر في كنيسة مليلية يوم 31 دجنبر 1920 . وفي أثناء ذلك جاء احتلال مدينة شفشاون ، بغرب الريف ، في تلك الآونة ، ليعزز الشعور بالتفاؤل لدى الاسبان .

كان الوضع يدعو إلى اليأس عند أهل الريف ونزلت المعنوية إلى أسفل لدى عدد من القبائل . وهكذا تقدمت قبيلة تمسمان ، جارة بني ورياغل ، بنفسها إلى الاسبان لعرض طاعتها عليهم . وأمام هذا الوضع المتردي ، برزت شخصية **محمد بن عبد الكريم** ، الذي خلف

المنطقة الشمالية الغربية من المغرب .
ILLUSTRATION-OCTOBRE 1924.



والده على رأس حركة المقاومة ، ففاجأ الجميع بشدة عزمه ومتانة إرادته . وأدت مبادراته الأولى إلى تغيير الأحوال لصالح الريفيين . فذهب على رأس جماعة من المتطوعين من قبيلة بني ورياغل واحتل جزءا من إيالة تمسمان كان يطل على خليج الحسيمة . وهنالك وضع خطه الدفاعي واستطاع أن يرفع المعنوية لدى تمسمان وغيرها من القبائل .

وحاولت اسبانيا ، في تلك الأثناء ، أن تستعين بنفوذ أصدقائها من أعيان بني ورياغل ، لكن هؤلاء الأخيرين كانوا منبهرين من الصدى الواسع الذي لقيه نداء ابن عبد الكريم ومن إجماع الريفيين على الالتفاف حوله ، فوجدوا أنفسهم معزولين وما كان منهم إلا أن اقتدوا بسلوك الجميع . وتجنبا لكل أنواع المنافسات التي يمكن أن تشتت الريفيين وتضر بالمقاومة ، أمكن لابن عبد الكريم أن ينصب نفسه رئيسا للمجاهدين

سيدي ابراهيم ، وبذلك أمكنه أن يقطع طريق الماء على الجند الاسباني المستقر في **إيغريبن** . ثم إن عبد الكريم وجه جهوده لهذا الموقع الأخير ، فاستولى عليه يوم 18 يوليو 1921 . ويسجل في مذكراته الشخصية أنه نصب كقائد أعلى قبيل معركة إيغريبن بيوم واحد . ومن المفيد أن ننقل هنا ما ذكره الأستاذ عياش في هذا الصدد :

« إن هذا يعني بكل بساطة أن القبائل وهي ترد الواحدة تلو الأخرى للمشاركة في المعركة ، اعترفت له جميعا وبالطرق المشروعة ، بأحقية السلطة التي كان يتولاها . بحكم الأمر الواقع على مجموع الواجهة ، منذ الأيام الأولى التي تلت موقعة أوبران ، والتي سبق لاخوانه بني ورياغل أن أسندوها إليه شرعيا منذ قسم القامة » .

في معركة أنوال تقابل 60.000 اسباني مع 3000 ريفي . السلاح الريفي كان يتكون في معظمه مما أخذ للاسبان بعد معركة أنوال التي جرت في 17 يوليو 1921 ، ويشمل : 20.000 بندقية ، 400 رشاشة . وفيه ، أيضا ، 200 مدفع من ثلاث عيارات مختلفة .

في آخر يونيو 1925 ، أخذ الريفيون من الاسبان 000 5بندقية ، 60.000 مفرقعة ، 200 رشاشة و 35 مهراسا . وكان لديهم ، بالاضافة إلى هذا السلاح مدفعية من 51 مدفعا و 16.000 قذيفة

وكانت لديهم 5 طائرات ، إثنان أخذا في أنوال وثلاثة اشتريت وسلمت من لدن طيارين فرنسيين . وكان لديهم ، أيضا ، تليفون ميداني .

نشأة الكتلة الريفية

« كنت أسجل يوما بعد يوم الآثار السيئة للدعاية الاسبانية ، إذ أصبحت سلطتنا مهددة . ولم يبق مجال للتردد إذا كنا نريد المحافظة على منزلتنا وتجنب الاستعباد لبلادنا ...

« ... وما لبث الاسبان أن أعطوني الفرصة لتصحيح الوضع . فقد احتلوا دار ابران في تمسمان وهي نقطة استيراتيجية وسياسية ذات أهمية قصوى . فعزمت في الحين على العراك معهم من أجل تلك النقطة ...

« ... وبعد معركة في منتهى الضراوة استعاد جيشي احتلال دار أبران

« ... وأما الغنائم ، فكانت مهمة بالنسبة لنا . شيء لم يكن في الحسبان : مدفعية جبلية من عيار 65 ، وبنادق « موزر » كلها جديدة ، و 60.000 خرطوشة ومتفجرات وأدوية وزاد عسكري !

«... والواقع أن كل هذا لم يكن بشيء بالقياس إلى الاثر المعنوي الذي خلفه هذا النصر ...

« ... لقد كان الاثر عظيما . وبينما كان السكان من وراء الخطوط الاسبانية يستعدون للثورة بعد أن شاهدوا هزيمة الجيش الاسباني ، انضمت إلينا تلقائيا كل أفخاد تمسمان . وحينئذ أخذت كتلة تمسمان في التكون »

« مذكرات ابن عبد الكريم »

الريفيين وذلك خلال حفلة عرفت منذ ذلك اليوم باسم **قسم القامة** . التي أقيمت في 10 مايو 1921 .

وكان هذا التنصيب ، في الحقيقة ، ناشئا عن قرار اتخذه مجلس مكون من خمسين مندوبا جاءوا يمثلون الأفخاد الخمس من قبيلة بني ورياغل وكذلك قبيلة بقيوة . وانعقد اجتماعهم في نفس المكان الذي كانت توجد به « حركة » جبل القامة . وبالاضافة إلى اختيارهم لابن عبد الكريم رئيسا للمجاهدين ، قام أولئك المندوبون بأداء القسم على أن يظلوا متحدين وأن لا ينكصوا في كفاحهم وقرروا تجنيد مائة رجل من كل فخد كمدد للمجاهدين .

حاول ابن عبد الكريم قبل الدخول في الحرب مع الاسبان أن يفتح معهم حوارا سلميا .

لكن **سلفستر** قابل عرْضه بالرفض وعمد إلى احتلال ظهر أبران يوم فاتح يونيو 1921 ، وبذلك جعل « الحركة » تحت التهديد المباشر لمدفعيته . مما جعل « الحركة » تقوم برد فعل مباشر وتتمكن من استرجاع ذلك الموقع الاستراتيجي المهم في نفس اليوم ، وذلك بالقضاء على الجند الاسباني المهاجم .

معركة أنوال

كان الحدث نذيرا ببداية المسلسل الذي سيؤدي إلى كارثة أنوال بالنسبة للاسبان . وكانت خطوة ابن عبد الكريم الأولى هي الاستلاء على

15.000 قتيل و 700 أسير في معركة أنوال

« ردت علينا هزيمة أنوال 200 مدفع ، سواء من عيار 75 أو 65 أو 77 ، وأزيد من 20.000 بندقية ، ومقادير لاتحصى من القذائف وملايين الخراطيش ، وسيارات وشاحنات ، وتموينا كثيرا يتجاوز الحاجة ، وأدوية ، وأجهزة للتخييم . وبالجملة ، تبرعت علينا اسبانيا ، بين عشية وضحاها ، بكل ما كان يعوزنا لنجهز جيشا ونشن حربا كبيرة . وأخذنا 700 أسير ، وفقد الاسبان 15.000 جندي ما بين قتيل وجريح »

« مذكرات ابن عبد الكريم »

بعد هزيمة الجيش الاسباني في معركة أنوال ، يلاحظ ليوطي :

« بوجه عام ، إذا أردنا أن نقوم بتكهنات ، اعتقد أنه ستمر علينا فترة استقرار لن يكون لها مضاعفات سيئة بالنسبة لنا ، مادام الريفيون ، على الاقل ، منشغلين جديا بالاسبان »

لكن لما انضمت قبائل ورغة العليا إلى ابن عبد الكريم في أوائل 1924 ، شعر ليوطي بالمشكل الريفي في أبعاده الحقيقية فكتب يقول :

« ... نجمت في واجهتنا الشمالية وضعية خطيرة ، وبوجه خاص ، كثيرة التعقيد » .

وكان ليوطي ينظر إلى الاستعمار الاسباني كعمل لايصح الاقتداء به . وكتب في هذا الصدد يقول :

« المغاربة ينظرون إلى الاسبان كعدوهم التقليدي . فيكرهونهم ويحتقرونهم إلى درجة لايمكن أن تتصوروها . ومازالت ذكريات الحروب القديمة وطرد الاندلسيين المسلمين من ديارهم ماثلا في الاذهان . إنهم ينظرون إليهم كعدو دسهم . »



قافلة تحمل الزاد والعتاد في ناحية تطوان .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1924.

الخطأ الكبير

تلقى ج . ر . ماتيو وهو صحافي من جريدة « ماتان » (الصباح) تصريحا من محمد بن عبد الكريم وهو على ظهر باخرة « عبدة » التي كانت تنقله هو وأسرته إلى المنفى في شتنبر 1926 . وهذه مقتطفات من تلك المقابلة الصحافية التي نشرت في الكتاب المعنون « مذكرات عبد الكريم »

« على إثر معركة جبل عروى ، وصلت أسرار مليلية . وتوقفت . وكان جهازي العسكري مايزال في طور النشوء . فكان لابد من السير بحكمة . وعلم ت أن الحكومة الاسبانية وجهت داء عاليا إلى مجموع البلاد وتستعد لان توجه إلى المغرب كل ما لديها من إمدادات . فاهتممت ، أنا ، من جهتي ، بمضاعفة قواي وإعادة تنظيمها ، فوجهت نداء إلى كل سكان الريف الغربي . وألححت على جنودي وعلى الكتائب الجديدة الواردة مؤخرا ، بكل قوة ، على أن لايسفكوا بالاسارى ولا يسيئوا معاملتهم . ولكني أوصيتهم في نفس الوقت وبنفس التوكيد ، على أن لايحتلوا مليلية ، اجتنابا لاثارات تعقيدات دولية . وأنا نادم على ذلك بمرارة . وكانت هذه غلطتي الكبرى »

صفحة من « مذكرات ابن عبد الكريم » .

واستولى المجاهدون الريفيون ، بعد ذلك ، على تافريست يوم 23 يوليو ، ثم على سيدي ادريس يوم 25 وانتهت العمليات بمعركة أنوال التي توجت بانتصار باهر لابن عبد الكريم والتي كانت ، بالمقابل ، كارثة عظيمة على اسبانيا كان من أبرز مظاهرها :

– خسائر دفاعية : 18.000 من الجنود ، أي مجموع الجيش الاسباني ، و19.504 بنادق ، و 352 رشاشة ، و 129 مدفعا ، و 1.100 أسير .

– تقدم كاسح لجيش ابن عبد الكريم في الريف الشرقي ، الذي استطاع أن يحتله برمته ، ولم يبق بيد الاسبان إلا مدينة مليلية التي تعفف القائد الريفي عن احتلالها لاعتبارات سياسية ، ولكنه اعتبر موقفه ذلك من أخطائه السياسية في مذكراته .

– ردود الفعل الناشئة عن الهزيمة باسبانيا ذاتها التي كانت منطلقا لمسلسل طويل ابتدأ بانقلاب دكتاتوري أدى فيها بعد إلى قيام الجمهورية الثانية في نطاق صراع سياسي داخلي انفجر أخيرا في حرب مدنية هزت البلاد من أقصاها إلى أدناها .

وأما بالنسبة للمغرب ، فإن أنوال يشكل حدثا تاريخيا على جانب كبير من الأهمية لأنه أعاد على المغاربة شيئا من الأمل والاعتزاز والثقة

تصريح

صرح بمجلس النواب الفرنسي إلى النائب دوريو يوم 4 فبراير 1925 :

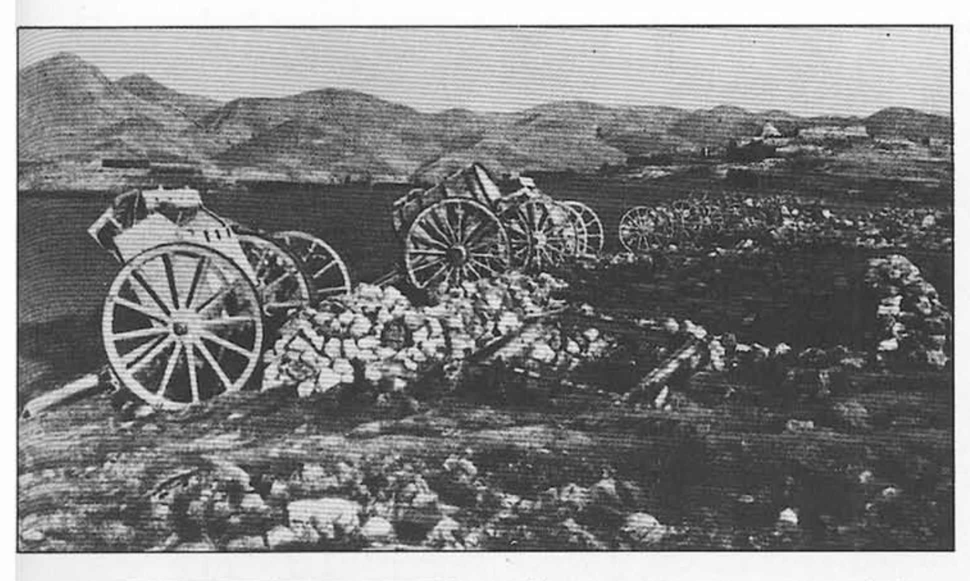
« شاهدنا منذ قليل انتصار شعب ، يعتبره الكثير من خوارق العادة . وهو شعب عانى من السيطرة العسكرية الاسبانية . وقد طرد الاسبان من المنطقة التي خولت لهم . وأصبح توازن القوى بالمغرب متغيرا لغير صالح الامبرياليين الذين كانوا يحتلونه .

« ولم نعد نواجه حربا تحريريا صغيرة لثلاثة ملايين من الرجال . بل أصبحنا نواجه الشعوب الاسلامية ، الذين يعدون بعشرات الملايين » .

بالنفس ، بعد عقود طويلة من الكوارث والمآسي التي عانوها في تاريخهم القومي . ومن تم جاء إعجابهم بشخص ابن عبد الكريم وتقديرهم له ، لكن البطل الريفي لم يبهرهم بأعماله الحربية فحسب ، بل أنه استجاب لتطلعاتهم بأعمال أخرى تدخل في تنظيم حياة المجتمع ، بعض النظر عن الشؤون العسكرية .

« ... تطوير المجتمع ... »

أدرك ابن عبد الكريم بسرعة أن المرض العضال الذي كان المغرب يعاني منه والذي مكن الاستعمار من الطمع فيه واحتلاله ، يكمن ،



معسكر أنوال الاسباني وقد استولت عليه قوات ابن عبد الكريم يوم 23 يوليوز 1921 .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1921.

قبل كل شيء ، في المسافة الخطيرة التي كانت تفصله حضاريا ، في كل شيء ، عن البلاد المتقدمة والتي كانت تجمد شعبه في وضعيته كمجتمع بعيد عن الركب ران عليه التقادم . وبهدى من ثقافته وتجربته كان مقتنعا بضرورة تطوير المجتمع المغربي وتوجيهه بسرعة في طريق التجدد .

فكان أول ما أثار اهتمامه التفكير في تزويد النظام الذي أقامته الثورة الريفية بمؤسسات تجمع بين الطابع العصري والوفاء لتعاليم الاسلام . وهكذا قام بوضع الأسس الأولى لدولة ديموقراطية وتم تحرير دستور يشتمل على أربعين مادة . وكان المجلس الوطني هو قمة هاته المؤسسات ، إذ يضم ممثلي القبائل ويباشر السلطة التشريعية والتنفيذية . وفي ظروف الحرب الاستثنائية أسندت لرئيس السلطة التنفيذية رياسة الاجتماعات التي كان يعقدها المجلس . ومنح ابن عبد الكريم لقب أمير ، لكنه ، حسب نص القرار الذي اتخذ لتنصيبه ، فإنه لايمارس الحكم إلا بتفويض من الأشياخ . وأما الحكومة ، فقد كانت تشتمل على وزراء أو نظار ينتخبهم المجلس وكان ابن عبد الكريم يترأس اجتماعاتها . وإلى

« إذا بقينا في الاطار المغربي ، يثير انتباهنا الاقتران بين نهاية حرب الريف (1926) وبداية الحركة الوطنية (1927) ، ونعطي معنى خاصا لتاريخ 1934 الذي انتهت فيه التهدئة والذي قدم فيه « برنامج الاصلاحات » . وكل المؤرخين يشددون على هذه الاقترانات . ومع ذلك ، أليس الامر مجرد وهم ، فنحن إذا وسعنا منظورنا إلى عموم المغرب الكبير ، فإن الريف يبتعد نحو الماضي ليرتبط بمختلف الانتقادات في البادية والجبل ؟ ومن المعلوم أن الريف كان يوجد في غليان منذ 1860 ضدا على الاسبان . هذا في حين أن النشاط السياسي مرتبط بالحركة الوطنية العامة بالمغرب وبالشرق الاوسط . فالقطيعة بين المقاومة الاولى والوطنية السياسية تتسع لاكثر من السنتين المعترف بهما » .

عبد الله العروي
(تاريخ المغرب)

لمحة عن المؤسسات بالريف في 1925

الحكومة يرأسها محمد بن عبد الكريم ، بطل أنوال ، الاساس التي تقوم عليه المؤسسات الريفية هو الجمعية الوطنية المكونة من ممثلين عن أفخاد القبائل . رئيسها المنتخب (الامير) هو رئيس الجهاز التنفيذي . وهو المسؤول عن المحافظة على الامن وعن تسيير الحرب . والحكومة الريفية كانت مؤلفة ، بالاضافة إلى رئيسها ، من الوزارات التالية : المندوب العام عن الامير ، المالية ، العدل والتعليم ، الشؤون الخارجية ، الداخلية والحرب . وحسب إحصاء تقليدي أجري أثناء حرب الريف ، وعليه يعتمد محمد أزرقان ، فإن الريف كان يحتضن 18 قبيلة ويضم ثلاث ملايين من السكان .

وعلى رأس كل قبيلة قائد ، والقواد كانوا تابعين للداخلية . وكانت المراسيم وأوراق الاعتماد ووثائق الحكومة الرسمية يمضيها إما الامير وإما أخوه كمندوب عام .

وكان الجيش الريفي يتألف من رجال يتراوح سنهم ما بين 16 و 50 سنة . وكان يجند من نصف كل قبيلة بينما يظل النصف الاخر يباشر الاشغال . وكانت القيادة منظمة على الشكل التالي : مجموعات من 1000 و 500 و 100 و 50 و 25 و 12 جنديا على رأسها قواد .

أثناء حرب الريف ، وهذا ما يعترف به الاسبان في تقاريرهم الرسمية ، منع الامير بصورة باتة جنوده من القيام بالنهب والانتقام وصدرت عنه بلاغات تأمر باحترام الجنود الذين وضعوا السلاح . وإلا سيكون العقاب هو الموت .



بودارع ، وزير في الحرب ...
... لابن عبد الكريم .
الخزانة العامة بتطوان .



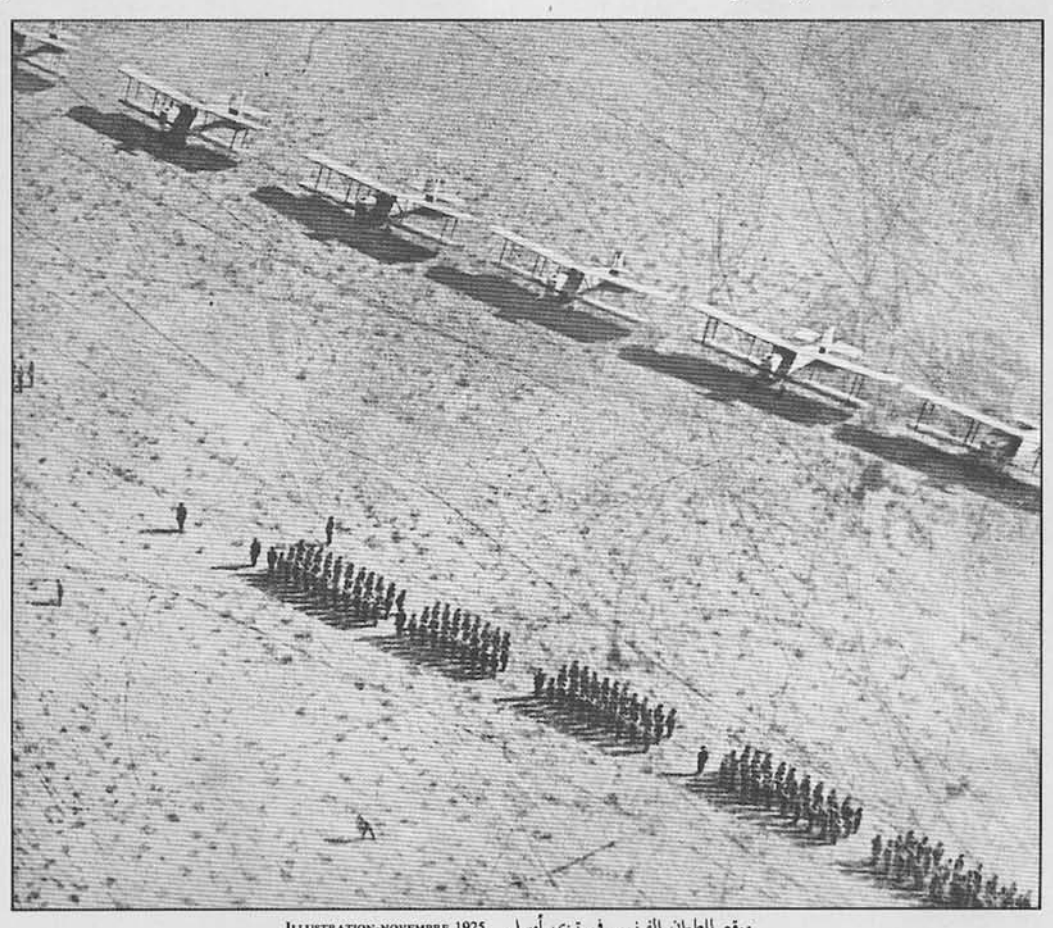
أرقام عن حرب الريف

فيما يخص عدد الجنود المحاربين من سنة 1921 إلى 1926 ، ورد في وثائق المصلحة التاريخية للجيش الفرنسي ، أن عبد الكريم كان يتوفر على 75.000 من الجنود غير النظاميين ، ولكنه لم يدخل في المعارك أكثر من 2000 إلى 3000 بندقية . وكان الجنود يوطرهم 2000 إلى 2500 من الجيش النظامي المنضبط والمحصل على تدريب قوي .

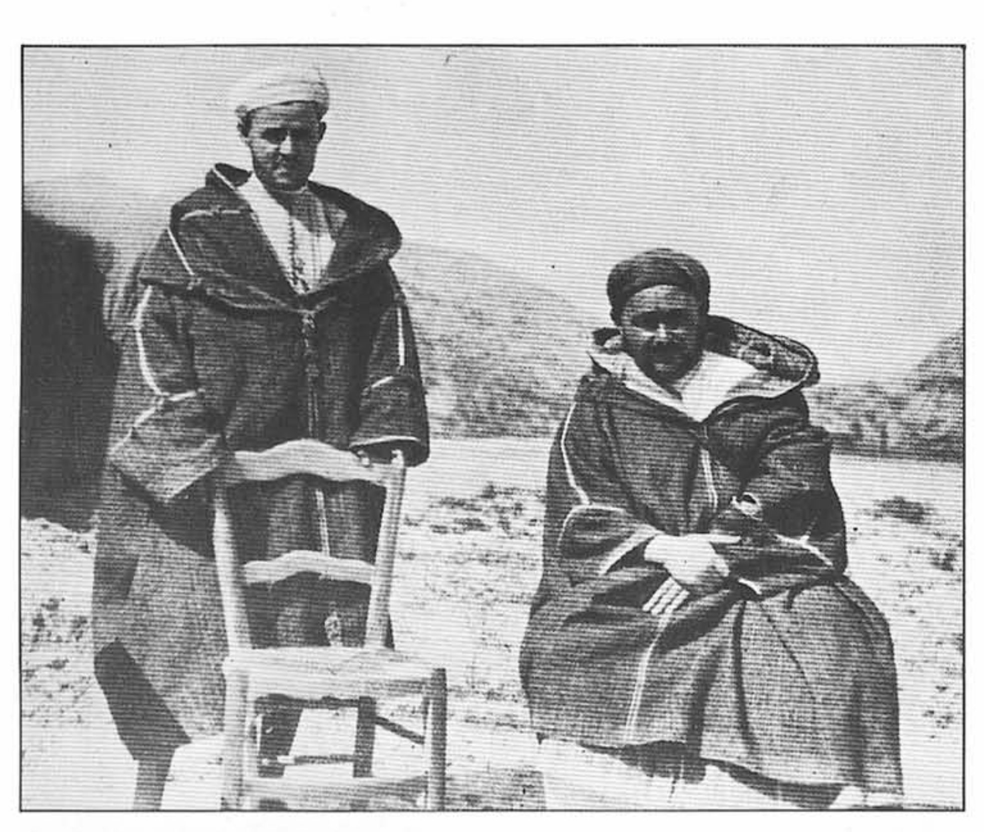
فيما يخص عدد الجنود الاسبان : 100.000 رجل منهم 40.000 نظاميون وقد مروا من محنة شاقة بعد معركة أنوال

الجنود الفرنسيون : في البداية 100.000 ثم 160.000 من الرجال . ثم أوتي بإحدى عشرة فرقة (مع استعمال المغاربة غير النظاميين) و 42 جنرالا ، وفي 1925 كان الجند الفرنسي في الجبهة يشمل 325.000 رجلا من النظاميين و 400.000 من غير النظاميين أي 32 فرقة مع 60 جنرالا والماريشال بيتان . وكانت هنالك مدفعية كبيرة و 44 سربا من الطائرات . كل هاته الارقام قدمت يوم فاتح جوان 1926 بمنصة مجلس النواب ولم يقع تكذيبها .

فانسان مونتيل



موقع للطيران الفرنسي في تيزي أوسلي. ILLUSTRATION-NOVEMBRE 1925.



ابن عبد الكريم ومعه السيد بوجيبار ، مبعوثه الخاص إلى الحكومة الفرنسية سنة 1922 .
ILLUSTRATION-MAI 1924.

جانب الحكومة ، أقيم مجلس حربي مهمته الأساسية متابعة سير العمليات العسكرية وتزويد جيش المجاهدين بكل ما يتوقف عليه من عدة وعتاد .

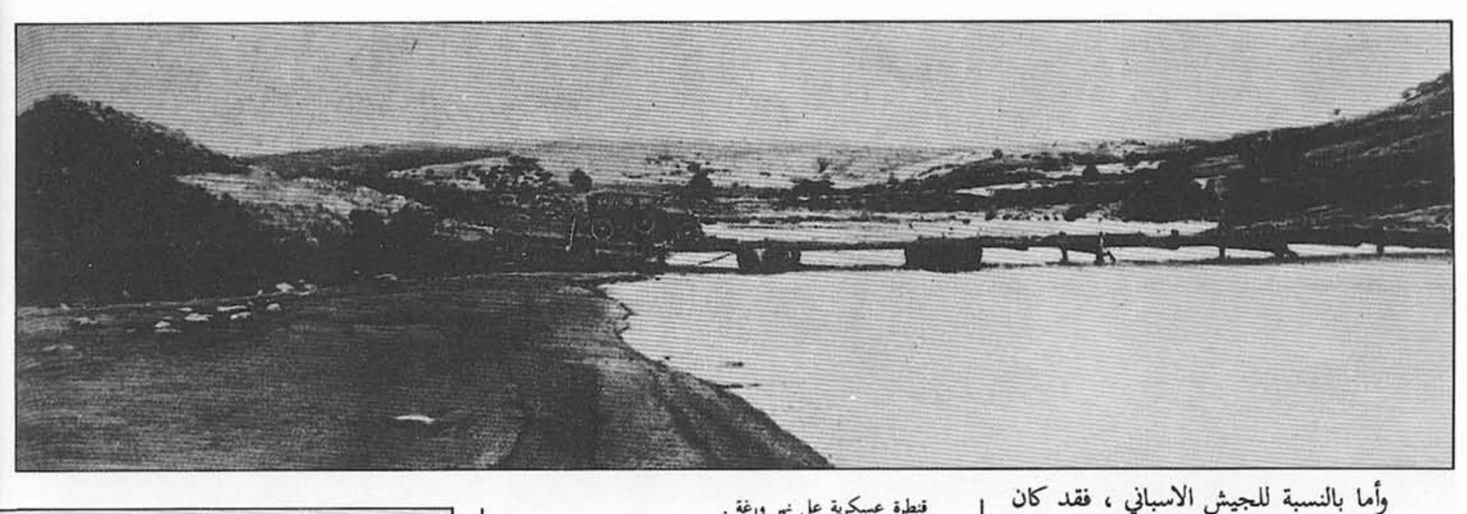
وفي تلك الأثناء ، أعاد ابن عبد الكريم النظر في استراتيجيته بكاملها ، اعتبارا للضرورات العسكرية الناشئة . فحاول أن يوسع قاعدته الجغرافية والبشرية ، فلم يبق محصورا في منطقة الريف وحدها ، فاتجه نحو الجنوب ونحو الغرب في بلاد جبالة . حيث بعث أخاه محمد لاجراء الاتصالات الضرورية مع السكان . وقام في نفس الوقت بنشاط دبلوماسي إذ وجه مبعوثين إلى فرنسا وانجلترا . وهكذا برهنت الدولة الفتية على مبلغ حزمها وشعورها بمسؤولياتها الوطنية والدولية ، على غرار أية دولة عصرية .

تدخل فرنسا

ظلت فرنسا ترقب الأحداث وهي غير راضية عن التطورات التي دخلت فيها ثورة الريف والتي أدت إلى تدعيم سلطة ابن عبد الكريم وإلى توسيع الأراضي التابعة لسيطرته ، بصورة مستمرة . فإذا كان قائد الثورة يقوم بمدافعة الاسبان المنطلقين من مليلية وحصرهم في حدود ضيقة حول قاعدتهم ، فإنه كان في نفس الوقت يتقدم بسرعة غربا داخل أراضي جبالة مما جعله يصل إلى مشارف مدينة تطوان ويتمكن من احتلال الشاون . والأدهى من ذلك ، أنه كان يحضى بتأييد السكان المحليين الذين نزعوا ثقتهم من الريسوني لما لاحظوا أن اتصالاته بالاسبان أصبحت مريبة يوما بعد يوم .



وثيقة من وثائق مصالح الجاسوسية الاسبانية : تاماسينت ، مكتب ابن عبد الكريم والسجن الذي مات فيه الريسوني . الخزانة العامة بتطوان .



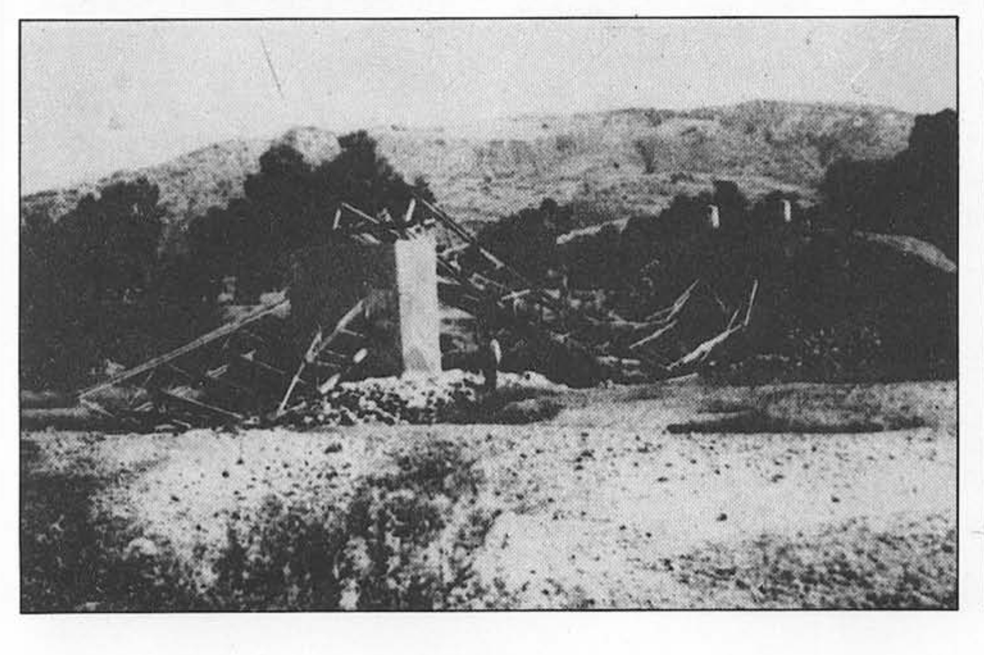
قنطرة عسكرية على نهر ورغة .
ILLUSTRATION-DÉCEMBRE 1924.



من مناظر حرب الريف : كتيبة اسبانية تقطع نهر ورغة في أحد مخاضاته .
ILLUSTRATION-AOUT 1925.

وأما بالنسبة للجيش الاسباني ، فقد كان الوضع الذي يواجهه في الميدان على جانب كبير من الخطورة . وقد اضطر الجنرال بريمودي ريفيرا ، زعيم انقلاب 12 شتنبر 1923 ، أن يأتي بنفسه إلى تطوان ليتولى شخصيا مهام المندوب السامي . فقرر سحب الجنود الاسبانيين إلى مواقع أكثر أمنا بالنسبة لهم . وكان الديكتاتور الاسباني ، في الواقع ، يضع في حسابه الاعتماد على مساعدة فرنسا للقضاء على ابن عبد الكريم . ولذلك نراه يقوم بمساعي في هذا الصدد منذ 1923 . لكن أمنيته لم تحقق إلا في يوم 8 يوليو 1925 عند إمضاء الاتفاقية الفرنسية الاسبانية التي تخطط للتعاون بين الدولتين الاستعماريتين من أجل سحق الثورة الريفية .

ولم تنتظر فرنسا هذا التاريخ لتدخل في نزاع مع ابن عبد الكريم . بل إنها سعت في الأسباب المؤدية إلى ذلك منذ أواخر سنة 1923 ، حيث ان ليوطي قام بمهاجمة ناحية ورغة العليا التي كان يرغب في إلحاقها بمنطقة الحماية الفرنسية . وقد أدى ذلك إلى هجوم مضاد من لدن الريفيين المستقرين بالمكان ، لأن تلك الأراضي مهمة بالنسبة لهم بما تضمن لهم من تزويد بالمواد الغذائية نظرا لخصوبتها . وحاول ابن عبد الكريم أن يقضي على الخلاف وهو مايزال في المهد . لكنه اصطدم برفض فرنسا المتعنت ، لأن تلك الدولة لم تكن تفكر فقط في قطع طريق التموين عن الجنود الريفيين وعن مجموع أهالي الريف ، بل إنها كانت تريد احتلال أراضي بني زروال ، وهي القبيلة التي كانت تساند ابن عبد الكريم وتحارب إلى جانبه . ولذلك ، فإن بني زروال حينما شعروا بالتهديد الفرنسي ورأوا



قنطرة حديدية ، وقد حطمها الريفيون قطعة قطعة .
ILLUSTRATION-AOÛT 1925.

مهاجمة الريف من كل النواحي : قنبلة سهل أريال من لدن الطيران الاسباني .
الخزانة العامة بتطوان .

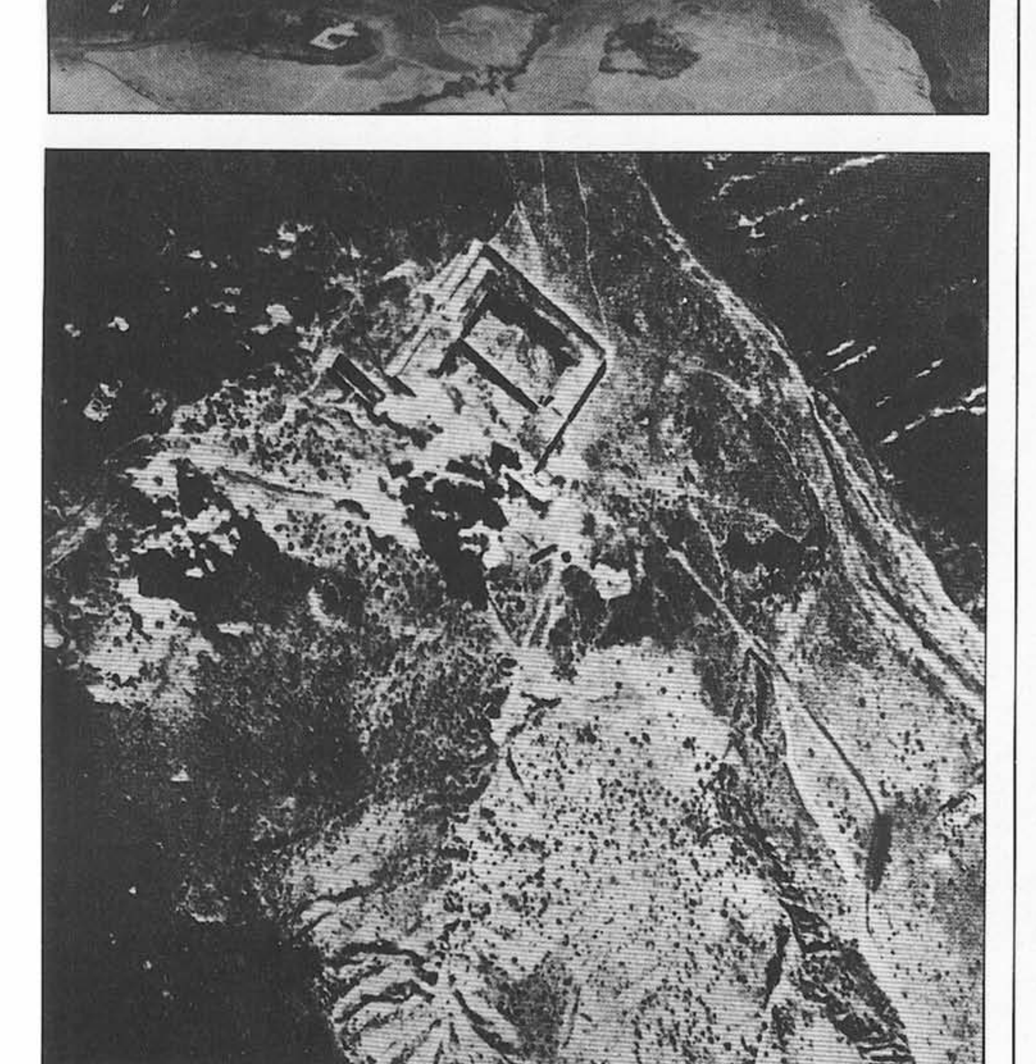
رأي أدلى به ليوطي

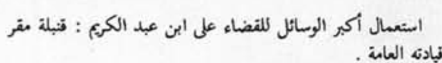
كتب ليوطي يوم 13 يناير 1925 إلى وزير الحربية يقول :

« من المقطوع به أنه تتوفر لديه خلال الرئيس ، وأنه أدرك فوائد جيش منظم حسب الطريقة العصرية ... صحيح أنه مازال بعيدا جدا عن امتلاك جيش في مستوى الجيش التركي ، مثلا ، ولكنه يحلم بأن يصل إلى ذلك في يوم من الايام » .

تحرشات الجيش الفرنسي تصل إلى أراضيهم ، طلبوا الاغاثة من الزعيم الريفي .

لم يبق أمام ابن عبد الكريم أي مجال للتردد والتريث ، ولذلك فإنه قام بمهاجمة المراكز العسكرية الفرنسية ابتداء من أبريل 1925 ، وتمكن في ظرف وجيز من احتلال ستة منها وإلزام الجيش الفرنسي بإخلاء خمسة وعشرين أخرى . وشعر الفرنسيون بخطورة الوضع في واجهة حدودهم ، حيث تبين لهم أن الحظ كان في جانب الثورة الريفية . ففي التقدم الذي حققه الجيش الريفي لم يبق بينه وبين فاس إلا سبعة وعشرون كيلومترا . وكانت تازة هي ، أيضا ، مهددة في جهة الشرق . وكبر على فرنسا ، وهي





استعمال أكبر الوسائل للقضاء على ابن عبد الكريم : قنبلة مقر قيادته العامة .
Illustration-novembre 1924.

تصريح

تصريح أدلى به ماوتسي تونغ لوفد فتح من منظمة التحرير الفلسطيني سنة 1971 .

« رفقائي الاعزاء ، أتيتم تزورونني لكي أحدثكم عن حرب التحرير الشعبية ، في حين أن في تاريخكم العصري يوجد ابن عبد الكريم الخطابي ، الذي هو من المصادر الرئيسية الذي تعلمت عنها حرب التحرير الشعبية »

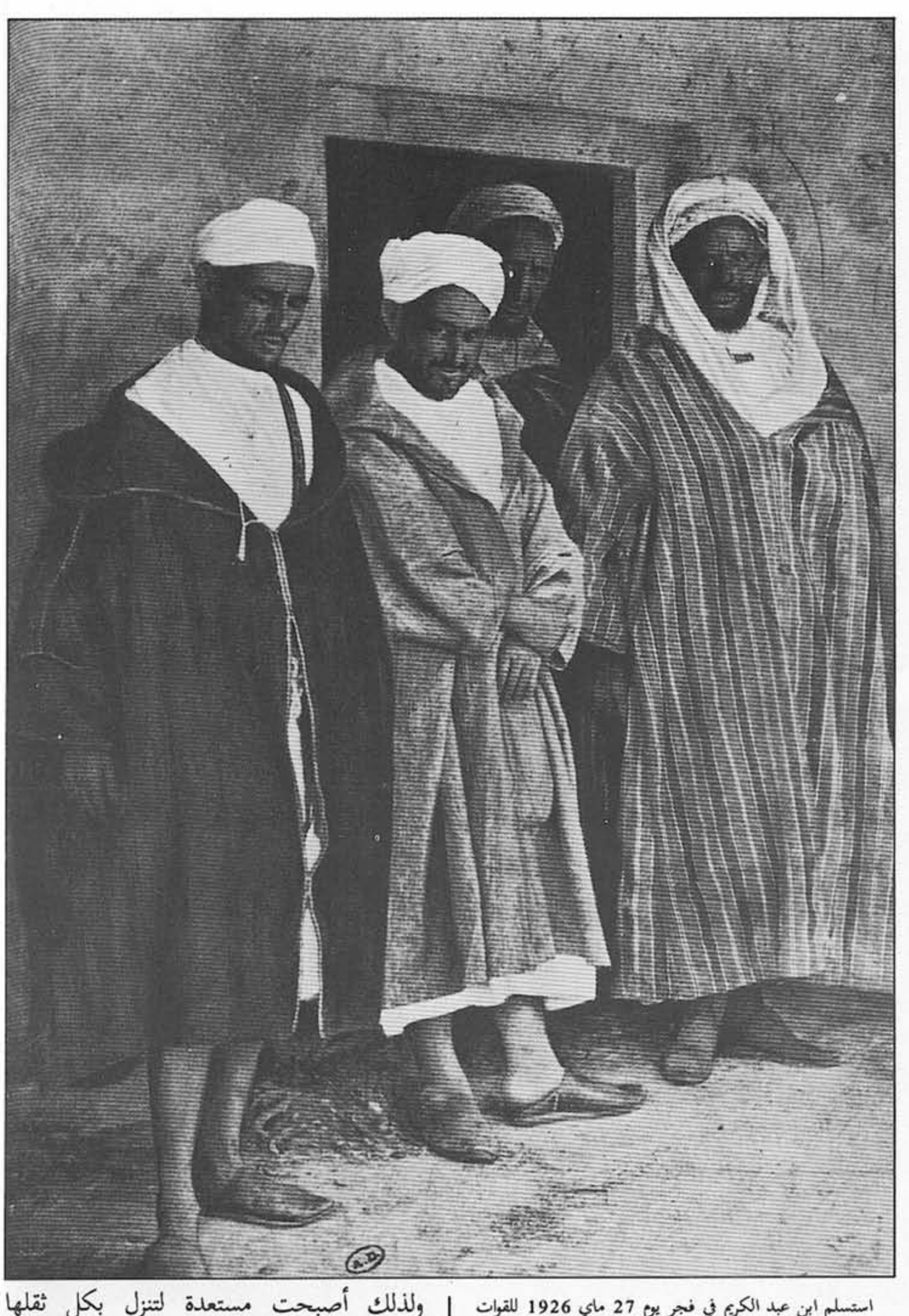
تقييد للمكتب الثاني الفرنسي

« ليس عبد الكريم « روگى » (متمردا) يسعى للملك ، وليس مهديا يعمل لتجديد الاسلام . إنه وطني يقوم بتحرير الارض ، وطني يناهض السيطرة الاجنبية .

« كتب مونتاني يقول :

« برزت قوات اجتماعية جديدة وأنجزت ثورة ... تتميز بالمجهود القوي المبذول من أجل التسوية المجتمعية وتوحيد البلاد وتركيز السلطة فيها وجعلها عصرية ووطنية ومعادية لاوروبا ، طبقا لما يريده لها رؤساءها بكل قوة » .

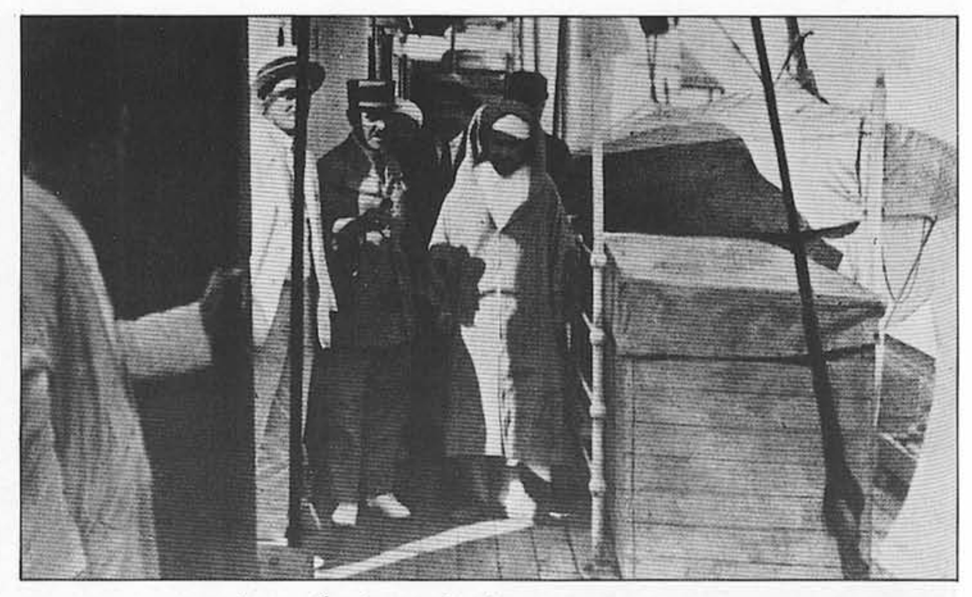
تقديم رقم 5087 بـ 5 هيئة أركان الحرب ، باريس 25 غشت 1925



استسلم ابن عبد الكريم في فجر يوم 27 ماي 1926 للقوات الفرنسية . أخذت له هذه الصورة في تاركيست ومعه بوجيبار عن يمينه والبشير قائد التسول عن يساره .

Tour du Monde 1926.

إحدى الدول العظمى في العالم ، أن يتكبد جيشها هزائم على يد زعيم مغربي صغير في منطقة محدودة . وأصبح الأمر يمس بسمعتها في العالم . ولذلك أصبحت مستعدة لتتنزل بكل ثقلها للقضاء على عدو يبلغ هاته الدرجة من الخطورة . وكانت أوساط اليمين والجهات العسكرية بفرنسا تدعو إلى استعمال القوة ونفذ كل حل سياسي . ولا أدل على ذلك من المناقشات الطويلة والحادة التي جرت بالبرلمان الفرنسي في جلسات متعددة . وعن خطورة تلك الأحداث ، إن على



ابن عبد الكريم على ظهر الباخرة « عبدة » ، في طريقه إلى المنفى ، ومعه الصحافي **ماتيو** بزي مدني (عن الشمال) والكوماندان **ساني** بزي عسكري وهو ترجمان مصالح الجاسوسية الفرنسية .

ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1926.

المستوى العسكري والسياسي ، ترتبت عدة نتائج ، نذكر منها بالخصوص :

– التقارب بين اسبانيا وفرنسا من أجل عمل مشترك للقضاء على ثورة الريف .

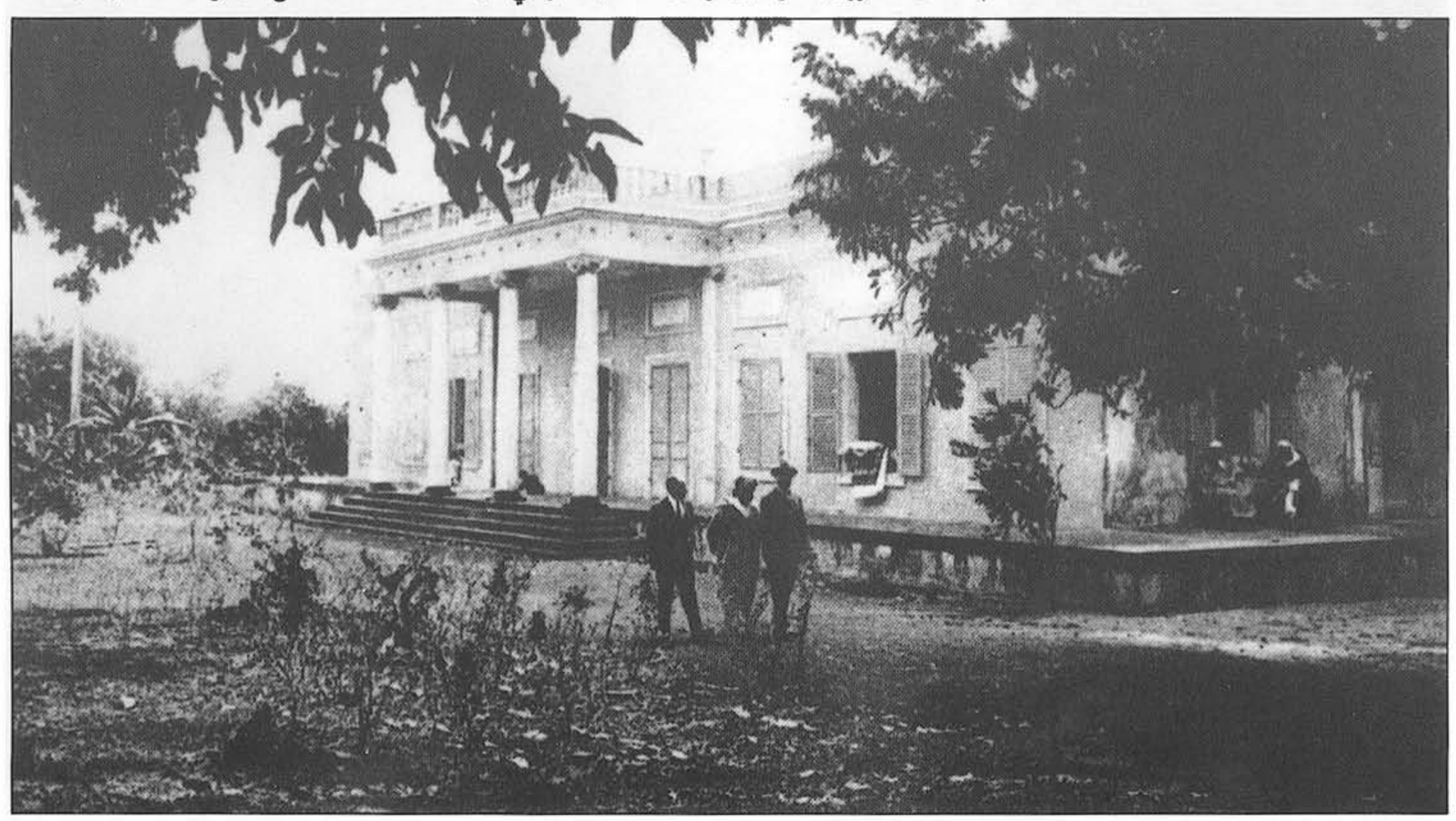
– تقلّص السمعة الكبيرة التي أحرزها ليوطي لدى المسؤولين الفرنسيين ولدى الشعب الفرنسي كرجل الساعة في المغرب وكضامن للحماية الفرنسية الناشئة .

– قرار فرنسا بتجنيد وسائل ضخمة لسحق الثورة الريفية .

وهكذا حشدت فرنسا جيشا كبيرا قوامه مئات الآلاف من الجنود المسلحين بأحدث

رسالة إلى علماء فاس

« إننا معتمدون عليكم لمساندة الجهاد الذي ندعو إليه وإياكم أن تنسوا ، إن كنتم من الاسرى ، أن لدينا القوات اللازمة لطرد الكفار من البلاد »



ابن عبد الكريم في جزيرة لاريونيون حيث قضى عشرين سنة في عزة نفس وكرامة .

ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1926.

أوروبا ... خائفة

كتبت جريدة « الشعب » فيما بعد وجد الوزراء الحلفاء أنفسهم متفقين على تسجيل الارتباط القائم بين ثورة الريف وبعض الاوساط التونسية والمصرية وفي جزيرة العرب والهند نفسها ، وعلى الاعتراف بضرورة التضامن الاوروبي .



ابن عبد الكريم في القاهرة ، يحضر أحد الاعياد السنوية التي تحتفل بها الجامعة العربية .
الخزانة العامة بتطوان .

وسائل القتال من طائرات ودبابات ومدافع ورشاشات ، ووجهته إلى جبهة الريف تحت قيادة الماريشال بيتان ، الذي سبق له أن أحرز نصرا كبيرا في معركة فردان أثناء الحرب العالمية الأولى ، كل ذلك لمحاربة بضعة آلاف من المجاهدين الريفيين . وقامت اسبانيا ، من جهتها ، بتجنيد قوات ضخمة لنفس الغاية . وبذلك ظهر أمام العالم بأسره هذا التضامن الغريب من نوعه بين دولتين استعماريتين !

«الريف المطوق من كل جهة ... »

أظهر الجيش الريفي ، تحت قيادة ابن عبد الكريم ، أنه مازال قادرا على تحقيق الانتصارات ومضايقة العدو بمهاجمته . لكن الزمان لم يعد يخدم له ونهاية الحرب أصبحت واضحة باعتبار توازن القوة المتعاركة في ميدان الحرب . وما أن تسلق ابن عبد الكريم قمة البطولة والمجد حتى بدأ يرى يوما بعد يوم مضطرا إلى الحوار مع العدو ومن أجل الحصول على صلح شريف .

أراد الزعيم الريفي ، في هذا المنعطف الجديد من تطور الثورة ، أن يدخل في المفاوضات على أساس أنه يتكلم باسم كيان سياسي يجب على الطرف الآخر أن يعترف به ، بادئ ذي بدء ، فينقذ بذلك ما يمكن إنقاذه من مكاسب الثورة . لكن العدو المتمثل في دولتين كبيرتين فرنسا واسبانيا ، أصر على أن لايعترف للمفاوض الريفي بصفة الدولة ذات السيادة . بل إنه اشترط استسلام ابن عبد الكريم بدون قيد ولا شرط وإدماج الريف في كيان الحماية الاستعمارية المفروضة على عموم المغرب .

كانت النهاية ، إذن ، محتومة على النحو الذي أراده المستعمر مستندا إلى قوة الحديد والنار . ولم يجد ابن عبد الكريم ، بعد أن استنفد كل ما لديه من قوة وحيلة ، بدا من الاستسلام للجيش الفرنسي في فجر 27 مايو 1926 . ونقل في نفس السنة إلى منفاه الطويل بجزيرة « لاريونيون » وباتت فرنسا واسبانيا تعتقدان أنهما طوتا صفحة المصاعب والمشاكل من تاريخهما بصورة نهائية ، وأنهما أزاحا للأبد كل خطر على وجودهما بالمغرب . وما خطر ببالهما أن الملحمة الريفية ستظل حية في ضمير المغاربة كدرس عال في الوطنية والبطولة وكنموذج لعمل التقت فيه الشجاعة مع الذكاء .

تحمّل ابن عبد الكريم بكل شجاعة ووقار نفيا دام أزيد من عشرين سنة بصحبة أسرته بكاملها . وكان معه ، في هذا المنفى البعيد شقيقه محمد وخاله عبد السلام اللذان قاما كلاهما بأدوار مهمة في الثورة الريفية . وبعد مرور هذا الزمن الطويل ، وبعد أن باتت فرنسا تعتقد أن ابن عبد الكريم المجاهد قد انتهى ، وأنه مستعد للتعاون معها مقابل استرجاع حريته وعودته إلى فرنسا ، بين في الوقت المناسب أنه لم ينس أي شيء وأن روح الاباء والنضال مازالت كامنة في نفسه .

نعم ، إنه لم ينس أنه كان ، قبل كل شيء ، رجلا وطنيا وأن مصيره الشخصي مرتبط مدى الحياة بهاته الصفة . وبرغم الوعود المغربية التي لوّحت له بها فرنسا ، فإنه ما سنحت له الفرصة حتى اختار الحرية . وهكذا ففي الوقت الذي رست فيه الباخرة التي كانت تنقله إلى فرنسا بقنال السويس ، نزل هو وأسرته إلى مصر حيث جرى له استقبال حافل بوصفه أحد أبطال العالم العربي .



ابن عبد الكريم في القاهرة ، حيث ترأس لجنة المغرب العربي . من اليسار إلى اليمين : عبد الخالق الطريس وعلال الفاسي وابن عبد الكريم والحبيب بورقيبة - الخزانة العامة بتطوان .

ودون أن ينتظر طويلا استأنف بمصر ذاتها نضاله ضد الاستعمار وربط الماضي بالحاضر بعد صمت مرت عليه سنين عديدة . فترأس طوال عوام لجنة تحرير المغرب العربي وأشرف على مختلف نشطتها ، متتبعا تطور الأحداث في بلاد المغرب على اختلافها . وصدرت عنه تصريحات ومواقف كان له أثرها في إذكاء روح النضال والمقاومة لدى بناء المغرب . وأصبح مقصدا لكل المناضلين الوطنيين القادمين من بلاد المغرب يسترشدون برأيه ويستمعون بمنتهى التقدير والتبجيل .

ولم ينته نشاطه بعد حصول المغرب على ستقلاله ، بل ظل مهتما بأحوال المغرب وهو يخطو خطواته الأولى في عهد الاستقلال . فكان ه رأيه في كل القضايا المهمة يعبر عنه بكامل لصراحة والشجاعة . وحرص المرحوم محمد لخامس على زيارته بالقاهرة ليُعرب له عن التقدير لذي يكنّ له وليدعوه للرجوع إلى بلاد المغرب .

ولكن الأقدار أبت إلا أن يقضيَ هذا لوطني الكبير نحبه في مدينة القاهرة يوم 14 وفمبر 1962 .



محمد الخامس أثناء زيارته ابن عبد الكريم في القاهرة سنة 1959 - الخزانة العامة بتطوان .

« كان عمري لايتجاوز سنة واحدة حين رافقت أبي إلى جزيرة لارويـنيون ، البعيدة بمسافة 700 كيلومتر عن مدغشقر .

نزل ابن عبد الكريم وأسرته من باخرة « أميرال بيير » إلى مينا « لا بوانت دي كالي » . وازداد في ذلك اليوم أخي الصغير إدريس . ولكن المحيط الذي كنا نعيش فيه ، كان منذ البداية غير عادي .

فمن سنة 1926 إلى 1936 كان البيت المخصص لنا والمحاط بأرض مساحتها 14 هكتارا تحت حراسة الجندرمة الفرنسيين ليلا ونهارا . وكان هؤلاء الجندرمة تحت قيادة الكومندان فيرينيس . ولم يكن لنا الحق في استقبال أي زائر . ولم يكن والدي يستطيع أن يغادر البيت إلا بعد أن يطلب الاذن .

وكنا نحن الاخوة والاخوات وأبناء الاعمام وأنا ، مقبولين في المدرسة الابتدائية حيث أثرنا فضولا كان يضايقنا . ولكن الامور رجعت إلى طبيعتها فيما بعد . فكنا أطفالا وسط آخرين ، الآخرون ! مازلت أذكر منهم رفقاء المدرسة الذين كانوا يحملون اسم « ريمون بار » و « فرجيس » الذي أصبح المحامي المشهور والمعروف فيما بعد .

وكانت علاقاتنا بوالدنا تتميز بصرامة في مبادىء تربيتنا . فكان يقوم بتكويننا من الناحية الاسلامية ويمنعنا من التحدث بالفرنسية في البيت وفيما بيننا حتى يحافظ على هويتنا . وكان ، أيضا ، متحليا بالتسامح والمحبة في معاملتنا .

ولم يخفف نظام المنفى عنا إلا ابتداء من 1936 مع وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم . واستطاع أبي وعمي وكل أسرتي التي ازداد فيها أولاد جدد أن يعرفوا حياة أقل قساوة .

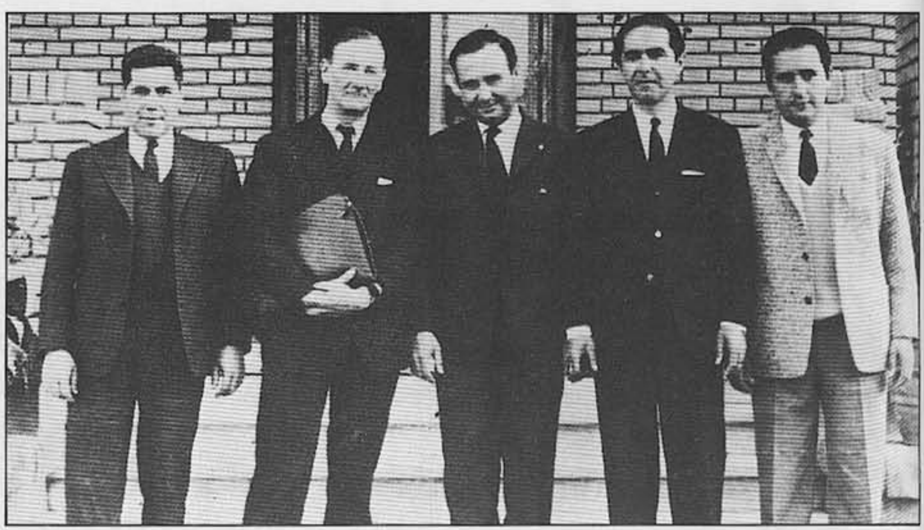
وكانت جزيرة لاروينيون ، التي تبلغ مساحتها ألفي كيلومتر مربع ، تحتوي على

ابن عبد الكريم في جزيرة لاريونيون . من اليمين إلى اليسار : محمد بن زيان ومحمد (فتحا) بن عبد الكريم أخو الزعيم ومحمد بن عبد الكريم وعمه عبد السلام . الخزانة العامة بالرباط .



15.000 من السكان من بينهم طائفة كبيرة من المسلمين من أصل هندي أو من جزر القمر. وكانت هاته الطائفة تتكون من مسلمين شيعيين وسنيين كانوا كلهم يكنون لابي احتراما كبيرا. وقد وفق ابن عبد الكريم للتقرب فيما بينهم وبفضله قبل السنيون في مسجدهم إماما شيعيا هو محمد علي كونانكي في بداية المنفى، مازال عالقا بذهني حنق الفرنسيين على والدي، إذ كانوا يرون فيه متسببا في قتل عدد من الفرنسيين. لكنه استطاع بعد ذلك، بفضل شخصيته القوية أن يفرض احترامه على الجميع وأن يربط صداقات متينة.

وبفضل تلك العلاقات الودية، وصلت إلينا برقية سرية لم تمر عن طريق السلطات. وكان يحمل إمضاء أحد أعضاء الحكومة الجمهورية السابقة بإسبانيا اسمه أزانيا ومصدر البرقية اوستراليا. ورغم أن البرقية كانت بمثابة أكذوبة، فإنها انعشت الامل في نفوسنا. ذلك أن غياب الاخبار عنا ووفاة جدتنا التي دفنت بجزيرة لارويينيون تركت في نفسنا الاعتقاد بأننا سنختتم حياتنا في تلك الجزيرة. لكن بعد مرور ستة أشهر أخبرتنا السلطات الفرنسية بالجزيرة



أبناء محمد بن عبد الكريم الخطابي، من اليمين إلى اليسار: سعيد وسلام، وعبد الكريم ومنعم، ومعهم فورنو سنة 1965 بالقاهرة.
عن R. FURNEAU "ABDELKRIM, EMIR OF THE RIF" (1967).

بقرار باريس القاضي بنقلنا إلى فيلونات لوبي قرب مدينة «كان» ولعلك تتصور كم كان سرورنا عظيما.

وكان المقرر في البداية نقل والدي بالطائرة، وباقي الاسرة في الباخرة. ولكن أخبرنا فيما بعد أن الكل سينقل بالباخرة عن طريق رأس الرجاء الصالح. وأخيرا، أبحرنا يوم فاتح مايو على ظهر الباخرة «كاتومبا» تحت مراقبة الحرس الفرنسي. وكانت الباخرة أوسترالية ويعمل بها طاقم إغريقي. وتوقفنا أول وقفة في عدن التي كانت تحت الانتداب البريطاني آنذاك. وسمح لنا بالنزول. وبقينا طول ثلاثة أيام في ضيافة الوطنيين اليمنيين. وبادروا بإخبار الملك عبد العزيز آل سعود بوجودنا على ظهر الباخرة الاوسترالية حتى يقوم، من جهته، بإعلام الملك فاروق بقرب مرورنا من قنال السويس.

وعند وصولنا إلى السويس صعد وطنيون مغاربة إلى الباخرة واختلوا بوالدي وعمي محمد وعم والدي عبد السلام أزيد من ست ساعات، أي الوقت الكافي للوصول إلى بور سعيد. وأذكر أن الوفد كان يضم ممثلا عن الجامعة العربية والمغاربة محمد بن عبود، الذي سيختطفه الموت فيما بعد في حادثة طائرة بالباكستان. وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب وعبد الكريم بن ثابت. وكان من بين التونسيين الحبيب بورقيبة والدكتور ثامر ومنجى سليم وعليويطة، ومن بين الجزائريين خيضر والشاذلي مكي والدكتور حمامة وحضرت كذلك صحافية بريطانيا اسمها ميس بوب.

لما كانت الساعة الرابعة صباحا يوم الاربعاء فاتح يونيو 1947، نزلنا في بور سعيد. ولم أحضر لا أنا ولا أخوتي للمفاوضات التي جرت في الباخرة، مما حملنا على الاعتقاد أن نزولنا كان مجرد وقفة موقتة كما حدث في عدن. وبرغم الساعة المبكرة، فقد حضر جمهور كبير حوالي الميناء أخذ يهتف «يحيى عبد الكريم».

واستقبلنا بعد ذلك والي المدينة. وفي الساعة السادسة صباحا ذهبنا إلى القاهرة. وكنت إلى حد ذلك الوقت أظن أن الامر يتعلق بجولة سياحية. ولكن، عندما وصلنا في العاشرة صباحا إلى العاصمة المصرية، أخذنا توا إلى مكتب المغرب العربي، حيث كان الوطنيون المغاربة في انتظارنا. وما زلت أذكر كيف أن عبد الخالق الطريس و ... أخذا الكلمة للتنويه بتحرير ابن عبد الكريم. والباقي تعرفونه ...»

عبد السلام الخطابي
تصريح التقطه العربي الصقلي
الرباط 2 نوفمبر 1983

جبل صاغرو

أحمد رشيد

قال الراوي : « إن ذاكرة البشر قصيرة قصر حياتهم أو قصر ظل شجر البلوط في جبال الأطلس في فصل الصيف . لكن الشيوخ الجاثمين هناك ، حول نار المدفأة ، مازالوا يذكرون تلك السنة وذلك الشهر وتلك الأيام . أنصت إلى الجبل وهو يزمجر احتجاجا عل ما نسيه الناس . أنصت إلى زئير الريح في ممرات الأودية . أنصت إلى نشيش المطر ، فسيستحيل هذا المساء إلى ثلج يقع على الأرض في صوت خافت . أنصت إلى خرير الجداول التي ستستحيل إلى أنهار . أنصت إلى حفيف الطبيعة وأنغامها ، إذ تذكرك بأن ما في أعالي جبل صاغرو وفي منحدراته ، وفي كل طية من طياته ، وكل حرف من حروفه ، وكل سلسلة من سلاسله الضخمة المشوشة ، وفي كل شجرة من شجره وكل قطعة من نباته مازال يذكر قصف السلاح ومازال يذكر ليالي الدماء والحديد » .

كان ذلك في شهر فبراير من سنة 1933 .

لقد همس الشيخ الحكيم ، وهو يختفي في سلهامه الصوفي :

« لقد أصيب العالم بالجنون . وهاجت قوى الشر في العالم ، ولم يكن أحد بمنجى عن ذلك الشر . إن رجالا ذوي عيون مغولية ووجنات ناتئة ، أعني جنودا يابانيين ، بعد ما بلغوا منتهى المجد والقوة ، هاجموا جبلا مثل جبل صاغرو ، ألا وهو جبل جيهول JEHOL الذي وهبه الله ما وهب جبل صاغرو من الهول والعظمة . كان ذلك في ماندشوريا والسور العظيم الصيني ، على بعد آلاف الكيلومترات من جبل صاغرو نفسه . وقد حوصرت القوات الصينية من كل جهة . وأنذرها الجنرال أراكي ARAKI من طوكيو بالجلاء عن جيهول . أكان ذلك صدفة من صدف التاريخ ؟ لاحولة ولا قوة إلا بالله ! في نفس اليوم الذي تحاصر فيه قوات الاستعمار جبل بوكافر في عقر إيمسادن ، هنا ، في الأطلس الكبير ، يستجيب الدم للدم ، وتهوي المقاومة الصينية ويفسح المجال للجيش الياباني العاتي » . ثم مضى الشيخ الحكيم قائلا : « وفي أوروبا ، قريبا منا ، حيث أرغم عمي الحسن على خوض الحرب العظمى ، كان أحد الصباغين المغمورين في ألمانيا يخطط سياسة الابادة والدمار »

ومضى هزيع من الليل . وقد أعيا كل الحاضرين ونهك ثم نعس . أما الراوي ، فقد اختلجت الذكريات في نفسه . ثم أخذ يستعرض الملاحم الخالدة التي خاضتها قبائل آيت عطا وزعيمها عسو أو باسلام ...

كان ذلك سنة 1933 ، وهي سنة حاسمة في العلاقات الدولية . فقد أوشك « الغزو السلمي » على الانتهاء في المغرب . ولم

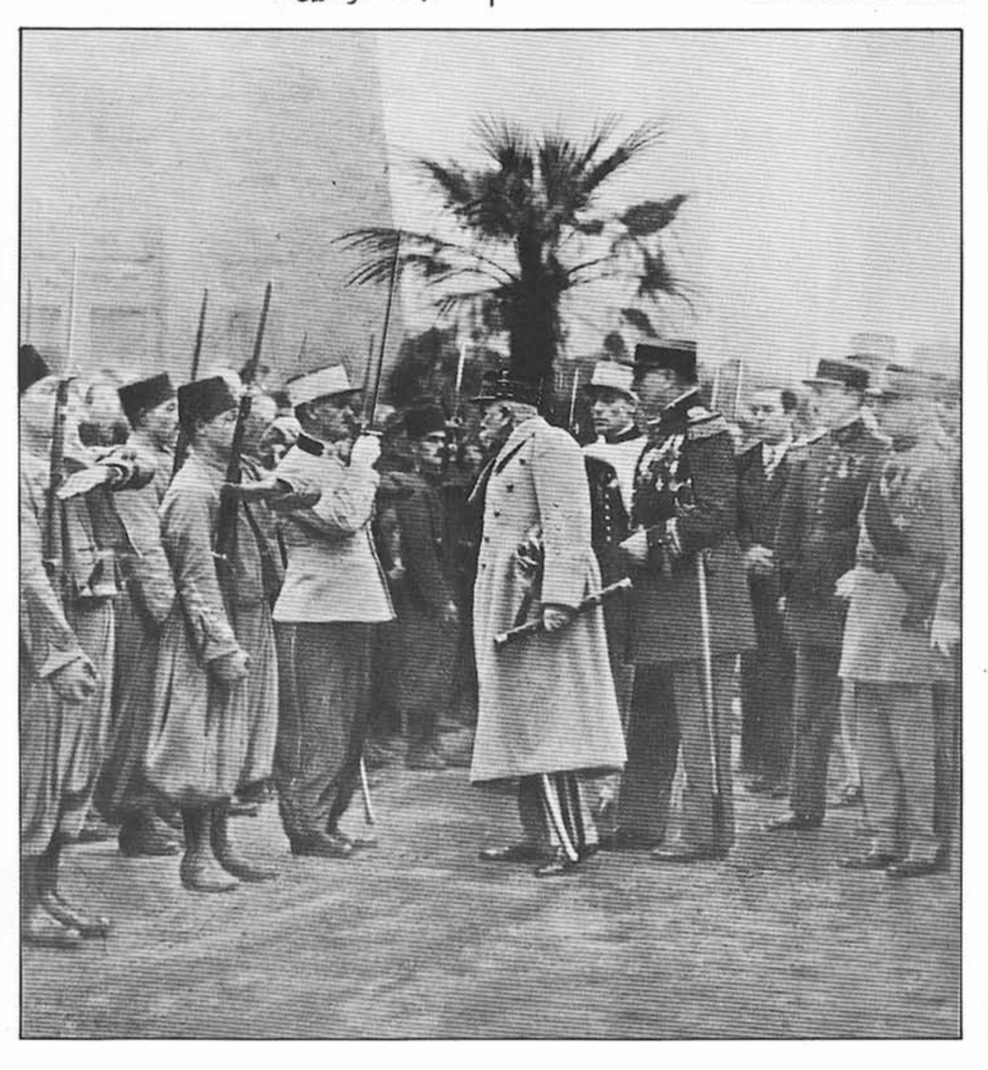
مناطق الثوار في جبل صاغرو .
ILLUSTRATION. 1933.

تبق إلا بعض المناطق الثائرة مثل جبل صاغرو . وكان الغزو الاستعماري قد ابتدأ سنة 1903 باحتلال فيكيك وبشار . وهاهو ينتهي ، في هذه الجبال بعد ثلاثين سنة ، الانتهاء الحتمي الذي أراده الاستعمار ، أي انتهاء العنف . وقد أحجم عن ذكر ذلك دعاة « **الغزو السلمي** » . فقد بسطت سلطات الحماية نفوذها على مناطق السهول وعلى المدن ، ثم احتلت الأطلس المتوسط والريف ، ثم بلاد تافيلالت والأطلس الكبير ، الأوسط والشرقي . وهاهم يحاصرون جبل صاغرو والأطلس الصغير . وتحرك الجيش بعدته وعديده ، لا يلوى على شيء ، كأنه المحدلة تأتي على كل ما في طريقها من الرجال والنساء والأطفال ، وتطمس الدين والتقاليد والثقافات . ثم نهب الجيش قطعان الماشية وأحرق الزرع . وتقدم في سعر لا يضاهيه إلا حقد الضباط على هؤلاء الجبليين ، خيرة جنود المنطقة . إن هؤلاء الرجال يأبون ما سمي « **غزو النفوس** » ، إذ إن لهم قانونا أقوى من غريزة الملك أو غريزة الحياة . إن لهم قانونا يفرض عليهم الدفاع عن حريتهم حتى آخر رمق من الحياة .

عملية « التنظيف » الكبرى

إن « **جيش افريقيا** » لا يتضرر من أمجاد اللفيف الأجنبي التي ما فتئ أنصاره يتغنون بها . لقد كان جيش افريقيا أداة ضرورية لاحتلال البلاد . وقد عُقد عليه لقواد تكونوا وتدربوا في بلاد الطونكان LE TONKIN ، وخاصة في الجزائر . وتولى المقيم العام ليوطي القيادة العامة على هذا الجيش حتى سنة 1925 . ثم أحدث بعض التغيير في مراتب القيادة . فأصبح الجنرال القائد العام لجيوش الاحتلال تابعا للمقيم العام ولوزير الحرب في باريس ، إذ تولى تسيير ميزانية جيش الغزو برجاله وأمواله . وأحدث بعض التعديل لتخفيف أعباء القيادة العامة إذ كانت متشعبة . وأسندت قيادة النواحي إلى الضباط السامين الذين تميزوا أكثر من غيرهم بالتجربة في ميدان الحرب و«**تمرسوا بالأهالي وبالأرض**» . وأسندت إليهم كذلك مهمة إعداد العمليات ومباشرتها وقيادة الفرق المتحركة وتنظيم البلاد المحتلة تنظيما سياسيا وإداريا . وكانوا يرون أنهم مستقرون في البلاد بصفة نهائية . لذلك كان عليهم أن يسارعوا إلى التنظيم والبناء . لكن كان عليهم أن يفكروا ، أولا ، في حصار البلاد . إن القوات « النظامية » تتألف من عناصر غير متجانسة من اللفيف الأجنبي والمشاة الجزائريين والسينغاليين والمغاربة الموالين قهرا للجيش الفرنسي ، ومن الفرسان وجنود المدفعية من نفس الجنسية . أما الوحدات الفرنسية المرابطة بشمالي افريقيا ، والتي كانت تسمى فرقة زواوة (إذ أحدثت فرقة مشاة من هذا النوع بالجزائر سنة 1831) ، فلا تشارك في عملية احتلال الأطلس . ذلك أن أجسام جنود الاحتلال أضعف من أن تقوى على مقاومة الخصوم الثلاثة التي وصفها أومرير من آيت عطا وصفا دقيقا ، وهي « **أوسميض** » أي البرد القارس ، و« **إيزران** » أي الصخور والنحاس أي رصاص الأسلحة النارية ... وعلى أي حال ، فَفيم الاهتمام بقضية الجنود ؟ إن الجزائريين والمغاربة والسينغاليين ووحدات الأهالي صالحون لهذه الحرب ، بقيادة المتطوعين من الضباط الفرنسيين .

ILLUSTRATION. NOVEMBRE 1931.



ولم يكن الجند وحده كافيا لخوض المعركة . ذلك أن أهمية العدة لم تعد تنكر منذ الحرب العالمية الأولى . فقد جربت في جميع أنحاء العالم الرشاشات التي صنعها السوفياتي طوكاريف TOKAREV أو الألماني هوجو شيميسير HUGO SCHEMESSEIR، فثبتت فائدتها ... أما في المغرب ، فقد جهزت قوات الاحتلال بالبنادق الرشاشة . وظهر كذلك أن الأسلحة من نوع 65 م و 75 م 105 م شنيدر SCHNEIDER صالحة ، إذ لا تثقل جيش المشاة ، وخاصة جيش المدفعية في تلك المنطقة الوعرة . ثم قوي دور الطيران في القنبلة وفي معرفة المواقع ومحاصرتها . وهناك أداة هامة لالتقاط الأخبار ، وهي « **مكاتب الشؤون الأهلية** » . وكان اختصاصها يشمل الميادين الادارية والسياسية والعسكرية .فقد قال أحد ضباط هذه المكاتب ، إذ عمل فيها مدة طويلة :

« **إن اختصاصات المكتب متنوعة جدا . فله أن يقود فرقة المخزن وأن يندب فرسانا مغاربة لحفظ الأمن والقيام بمرافق كثيرة . وله أن يشرف على سير مكتب إداري يشتغل بالقوانين وإقامة القضاء ، وبالفلاحة وحفظ الصحة ... وله كذلك أن يمثل الفكر الفرنسي بين القبائل . وللمسؤولين عليه أن يظهروا للعيان في الأسواق وفي القبائل وفي كل مكان . إن سياسة الأهالي أمر يعتمد عى شخصية المسؤول ، وعلى حصافة الرأي والفطنة والمهارة والتربية** » . وتعللت مكاتب الشؤون الأهلية بهذه العلل المذكورة أعلاه ، فتكررت صلة المسؤولين بالسكان ، فجاسوا الأخبار وارتادوا البلاد ورقبوا منها ما كان قريبا من المناطق غير المحتلة . وكثرت التقارير والاقتراحات المبعوثة إلى الرؤساء . فأشار مسؤولو المكاتب بما يرونه مناسبا من وسائل الاحتلال لكل قبيلة . أما مبادئ الجنرال ليوطي مثل « **إظهار القوة لتلافي استعمالها** » أو « **الورش يساوي كتيبة من الجنود** » ، فلم تعد مجدية حسب اعتراف الجنرال كيوم GUILLAUME نفسه إذ كان يقود المعمعة . فقد قال : « **لايمكن تطبيق مثل هذه القواعد تطبيقا تاما على قوم شديدي الحرص على التضحية بكل ما لديهم في سبيل استقلالهم ... فلما خاب سعينا السياسي – أو كاد – اضطررنا إلى العمل العسكري لتحطيم مقاومة القبائل وعنادها . فإذا تيسر لنا ، في كثير من الأحيان ، الاستيلاء على موقع معين لقاء تضحيات قد تكون جسيمة ، فقد كان من الصعب ، أحيانا أخرى ، الانتصار بصفة حاسمة – مهما كان تفوّق وسائلنا – على عدو لا تجده حيث تريده . فلا تستطيع محاصرته ولا مطاردته لسرعة**

رشاشات سريعة من نوع شنيدر .
ILLUSTRATION, MARS 1911.

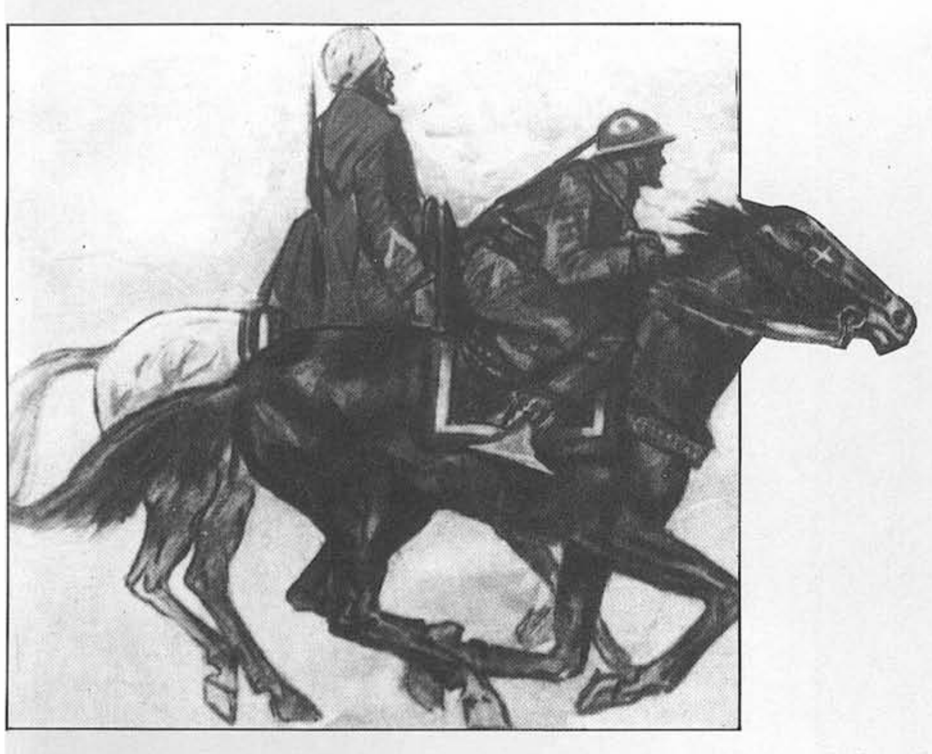


القوات « **النظامية** » مكونة من عناصر غير متجانسة .
ILLUSTRATION-MARS 1940.



فارس من الجيش المغربي .
ILLUSTRATION-MAI 1940.

فارس من الجيش الجزائري .
ILLUSTRATION-MAI 1940.

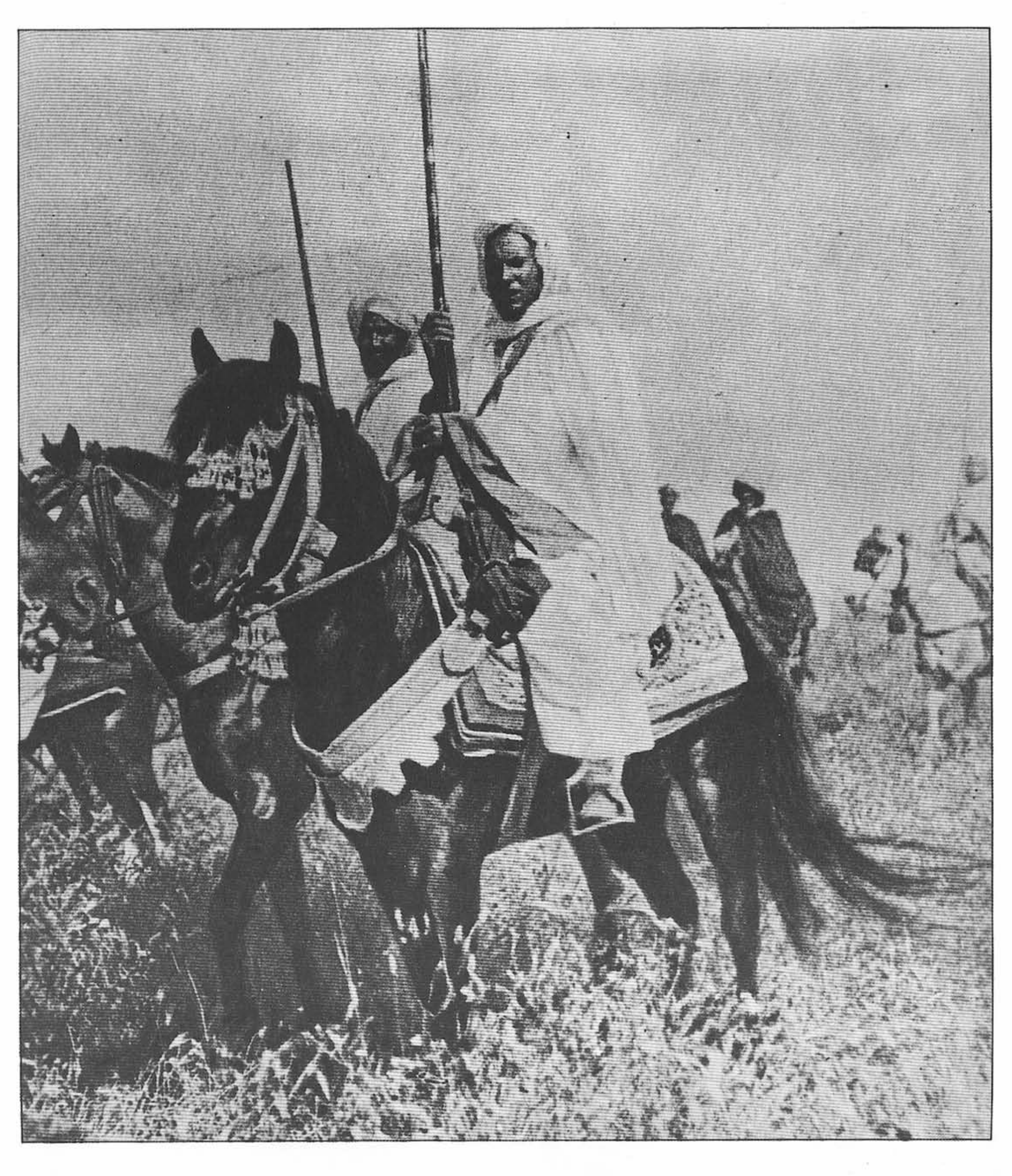


جندي من الرماة المغربية .
ILLUSTRATION-MAI 1940.

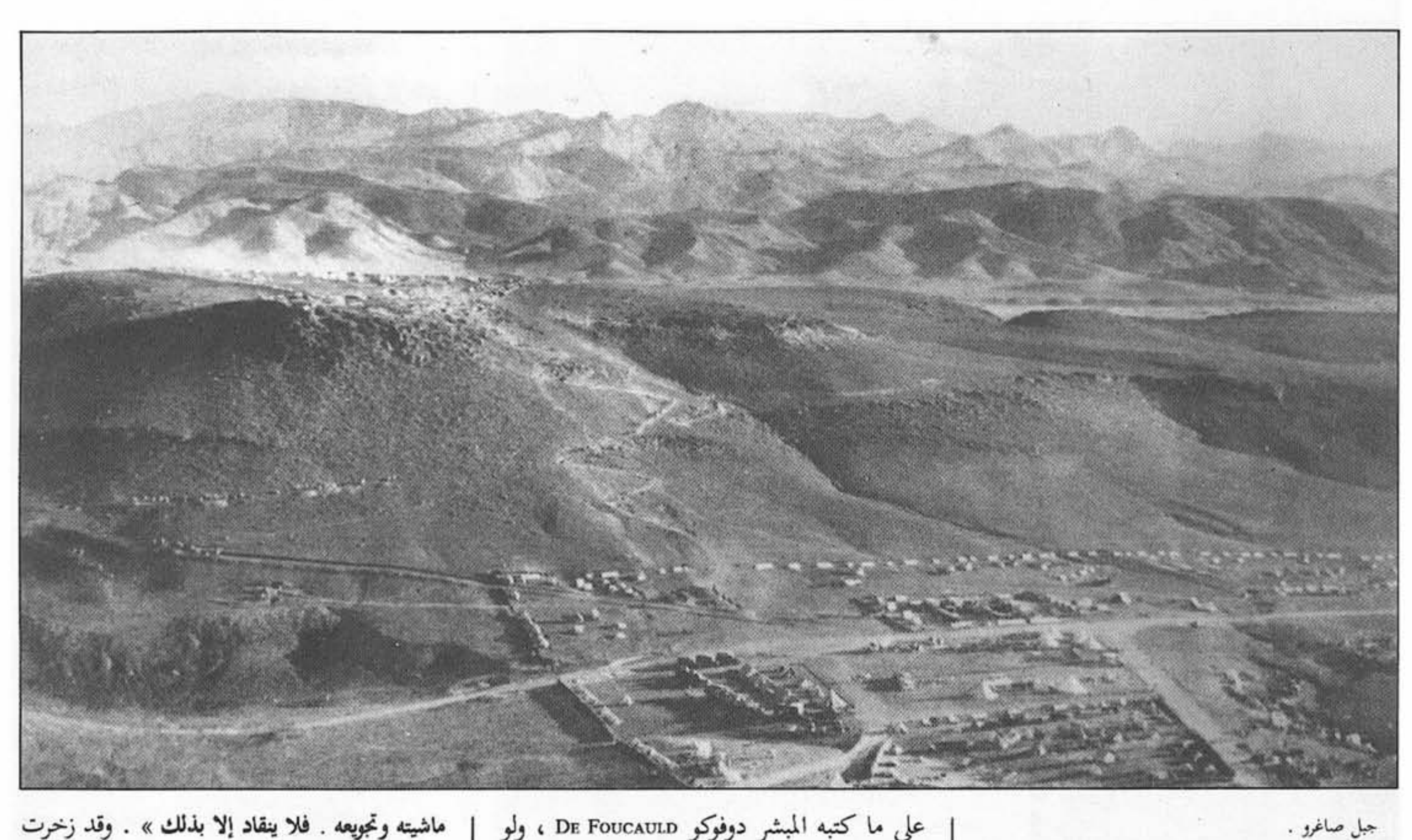


رماة سينغاليون من الجيش الفرنسي .
ILLUSTRATION-JUIN 1913.





جبل صاغرو



جبل صاغرو .
ILLUSTRATION MAI 1933.

حركته . وكثيرا ما كنا نكتفي – بعد ما ضحينا كثيرا في سبيل تقدمنا – بالاستلاء على بلاد خلاء ، جلا عنها سكانها ، فننتظر طويلا قبل أن يقدموا علينا للمفاوضة ، وقد قهرهم الجوع أكثر مما قهرهم السلاح . فقد كنا نظن أول الأمر – وقد استولينا على السهول – أن القبائل التي تسكن الجبال والتي اضطرت بذلك إلى المقام بالمناطق التي تنتجعها في فصل الشتاء قد تعدل عن المقاومة قبل أن يهلك ماشيتها معمعان الشتاء . على أن مساعينا خابت كل الخيبة . فقد دلتنا التجربة على أن القبائل لاتستسلم إلا بعد أن نستولي استيلاء فعليا وكاملا على بلادها ، وبعد أجل قد يقصر وقد يطول » .

وقد عمدت قوات الاحتلال إلى العمل السياسي قبل أن تعمد إلى العنف . واعتمدت

ما السر في مقاومتهم لنا تلك المدة الطويلة .
عن THOMASSET (1949)
الخزانة العامة بالرباط .

على ما كتبه المبشر دوفوكو DE FOUCAULD ، ولو كان ذلك قليل الفائدة . فأضافت إليه بعض الخرائط الدقيقة الكاملة لاطلاع الضباط على حياة قبائل المنطقة من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلى ما بينها من نزاع يمكن استغلاله لحفزها على الاستسلام بوسائل فعالة . وتبين أن سياسة « **كبار قواد الأطلس** » مثل المتوكي والكندافي وخاصة الكلاوي سياسة مفيدة للغزاة . ذلك أن « **حركات** » هؤلاء القواد – الذين كان طغيانهم يماثل طغيان أوليائهم الاستعماريين – مكنت من حقن الدماء الفرنسية . فكانت الكتائب المتحركة تجوب البلاد طوال الأيام طبقا لما وصى به بوجو ولوستال BUGEAUD ET LOUSTAL وطبقا لمبادئ « **الغزو السلمي** » التي وصفها القبطان سيكالدي CECCALDI سنة 1914 ، إذ قال : « **يجب أن نصيب ذلك العدو العنيد في ما لايستطيع الاستغناء عنه ، وأن نشتد في ذلك إلى أبعد الحدود وذلك لاخضاعه . يجب إحراق زرعه بدون شفقة ونهب ماشيته وتجويعه . فلا ينقاد إلا بذلك** » . وقد زخرت مذكرات الضباط بالأخبار عن الوسائل المستعملة ، مثل اختطاف النساء وحجزهن كرهائن وشحن قوالب السكر بالمفرقعات التي تمزق الأجساد البشرية ولا تنال من صمود الرجال ومقاومتهم . فقد تستسلم بعض القبائل أمام هذه الوسائل الشيطانية ريثما تتقوى وتستأنف مقاومتها بعد بضع سنين . فكيف أخطأ هؤلاء الضباط – وهم من هم في إحكام أمورهم والولوع بعلم النفس – فظنوا أن عملية « **تأمين البلاد** » قد انتهت ؟ وكيف قل اهتمامهم بذلك الحافز القوي العظيم الذي يحفز المقاومين وسكان الجبال ، ألا وهو الاسلام الذي يوطد صفوف الأمة ويوحد بين ألد الأعداء لينقلبوا على المعتدين ، مثلهم في ذلك مثل رأس الرمح ؟ كيف القضاء على هذا الايمان ؟ إن هؤلاء الرجال وهؤلاء النسوة مثل الجبال التي يكسنونها منذ قرون عديدة . فهم شم مثل قممها ، حرش مثل الصخر والحصى ، صلب مثل الشعاب والأودية ، ثابتون صامدون

إلى النهاية . وقد تساءل الجنرال كيوم قائلا :

« ما السحر الذي اصطنعه برابرة الأطلس حتى قاومونا طوال هذه المدة كلها ، وقد حاصرناهم من كل جهة ؟ »

ولم تلبث شبكة الاشراك المنصوبة للمقاومين تمتد وتنتشر سنة 1932 . ولم تنم الوسائل المستعملة مثلما نمت منذ حرب المقاومة . وصادق البرلمان الفرنسي على اعتمادات هامة لانهاء عملية « **تأمين البلاد** » إذ يجب القضاء على المناطق التي لاذ بها المقاومون بعد احتلال المنطقة الوسطى من الأطلس الكبير ، وذلك لتحصين المغرب « **النافع** » ومحاصرة المناطق التي لما تخضع ... وكان جبل صاغرو هو الهدف . واشتد الحصار حول هذا المعقل الذي تحصن به المقاومون . وبذلك سهل على جيش الاحتلال إعداد برنامج العمل ... لكن تبين أن العمليات شاقة جدا .

إن جبل صاغرو جبل هائل وضخم ورهيب بشعابه العميقة ومنحدراته الوعرة . إنه يتألف من عدة سلاسل جبال متصدعة يبلغ علوها 3000 م . وقد وصف القبطان دوبورنازيل De Bournazel هذه الجبال في آخر رسالة لأمه قبل وفاته في هذه الغزوة . فقال : **« إن هذا الجبل يتألف من صخور بركانية سوداء ، يشبه ظهره ظهر قنفذ غير متساوي الابر ، وتتخلله شعاب عميقة جدا ، ضيقة ملتوية حجرة ، يكاد عمقها يسبب الدوار ... »**

إن شجاعة المقاومين تضاهي هول هذه الجبال . إن هؤلاء الرجال هم آيت خباش وآيت حديدو وآيت مرغاد وآيت حمو وآيت عطا . وقد كتب عنهم الطبيب ماجور فيال Vial في مذكراته : **« لقد عزموا أشد العزم على الدفاع عن كل قمة من هذه القلعة المنيعة ، وعزموا كذلك أشد العزم ، وخاصة نساءهم ، على الاستشهاد أو على إحباط أعمال جنودنا »** . وكان عزم آيت عطا أقوى وأشد ، إذ تخيلوا في أذهانهم صورة ثابتة ، وهي صورة فرس مربوطا إلى جبل صاغرو بِحبْل طويل



رجال من آيت عطا .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

يشده إلى الجبل مهما بعد به الجولان . ذلك هو وثاقهم ببلدهم ، بلد السعتر وبلد الشهامة .

هنالك ، في سنة 1890 ، وعلى بعد 20 كيلومترا من تنغير ، في مقاطعة تافراوت ، ولد عسو أو باسلام ، من سلالة تاغيا نيليمسان . وكانت الأحوال قد تغيرت ، قبل عقدين أو ثلاثة . وكان جد عسو ، كدأب قومه منذ القدم ، ينتجع الكلأ لماشيته ، فيقضي فصل الشتاء في الوداي ، ثم يسوق غنمه إلى الجبال في فصل الربيع . وكانت قبائل آيت عطا ترحل كذلك إلى واحات درعة على بعد مئات الكيلومترات ، وحتى إلى بلاد تافيلالت ، إذ احتلها الاستعمار نهائيا سنة 1933 . وكان أبو عسو قد عدل عن الرحلة ، فاستقر وعُين « **امغار نتمازيرت** » أي شيخ البلد . وكان نصيرا لمولاي الحسن في هذه النواحي أثناء « حرْكته » في تافيلالت ، حسب المؤرخ داوود هارت David Hart .

وتسلم عسو زمام القيادة ، وهو في الثلاثين من عمره تقريبا . وقد استطاع أن يجمع كمية من الأسلحة ، مستفيدا في ذلك من عملية تهريب السلاح والذخيرة التي كانت تجري في الناحية ، وخاصة عن طريق مراكش ، رغم مراقبة قوات الاحتلال . ولم تكن الأسلحة البعيدة المرمى ضرورية في مثل هذه الجبال وهذه الشعاب وهذه القمم . وكثيرا ما كمن أصحاب عسو للخصم ، فاستولوا ، تارة بدون قتال على الذخيرة . وكان القتال أعنف وأشد تارة أخرى .



سيارة للمعدات في ممر صعب .
Aout 1925.

ولنستمع إلى ما قاله الجنرال كيوم في ذلك ، وهو من الذين شاركوا في مثل هذه المعارك : « **كنا ، كلما هزمنا ، سواء في معارك ضارية ، أو في مناوشات غير ذات بال ، نفقد عددا من الجنود ، وكذلك كميات من السلاح والذخيرة** » . وكانت الأسلحة ترد على عسو من مصادر أخرى . فقد كانت قوات الاحتلال توزع الأسلحة على القبائل التي سبق لها أن استسلمت . بعد ذلك تنتقل هذه الأسلحة إلى أيدي « **الثوار** » ، وذلك رغم تشديد المراقبة ورغم العقوبات التي كانت تقاس بقياس « **الجريمة** » . وفي ذلك دليل على أن القبائل التي أخضعت بالقوة مازالت تقاوم وتقاتل بطرق أخرى . وكان بعض رجال آيت عطا يصنعون القذائف الرصاصية منذ قديم الزمن . فكانوا يذيبون الرصاص ويحرقونه في بوتقات عتيقة . وقد تفننوا في ذلك . وكانوا يتمنون من صميم قلوبهم أن يحرقوا في هذه البوتقات أفئدة ألد أعدائهم ، مثل باشا مراكش ، الذي كان مواليا للفرنسيين والذي ترك أسوأ الذكريات بعد الحملة التي أرسلت سنة 1919 على المنطقة الوسطى عن الأطلس الكبير .

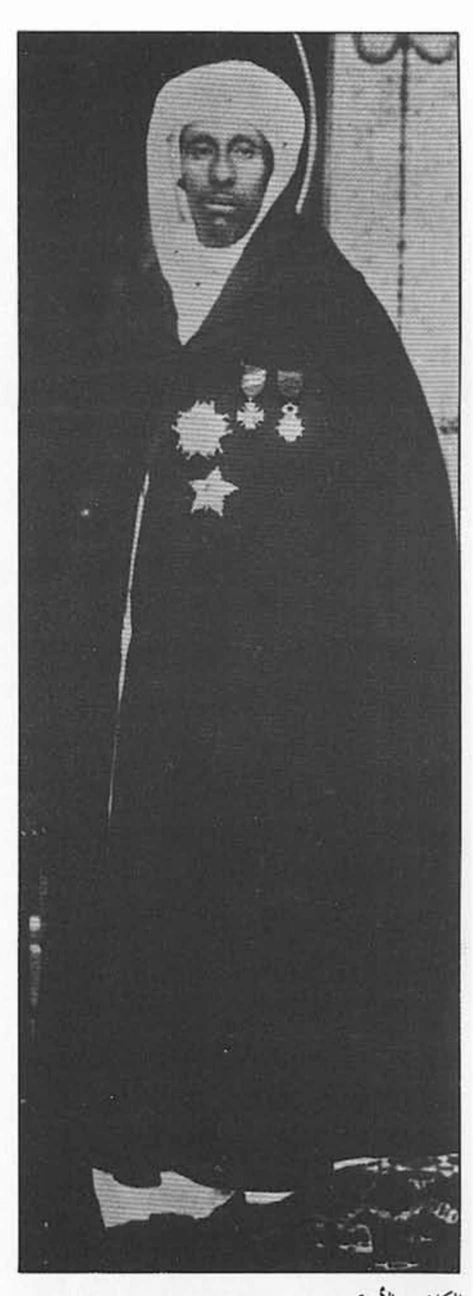
وكان التهامي الكلاوي عدوا خطيرا بثروته الضخمة . وقد نال وسام الصليب الأكبر من جوقة الشرف والوسام العسكري وصليب الحرب عن الحرب العالمية الأولى . وقد قاد سنة 1919 « حرْكة » من 15 000 جندي في وادي دادس الأعلى ليظاهر القوات الفرنسية ضد بلقاسم النكادي . وفي أثناء ذلك قاتل آيت عطا وآيت يافلمان قتالا شديدا . وبعد بضعة أشهر عاد إلى بلاد تودغة بنفس الناحية ليطمئن على رجاله .

وكانت الحقبة بين 1920 و 1930 حقبة تعلم فيها عسو أو باسلام فنون الحرب . وأزعجت حملات آيت عطا الجنرال ليوطي . فقرر أن يخصص مالا كثيرا سنة 1920 لتمويل غزوات الكلاوي في بلاد دادس وتودغة . ثم نظمت المقاومة . لكن الكلاوي كان خبيرا بتقاليد سكان المنطقة وعاداتهم . فاستغل أسباب النزاع الموجود بين مختلف العشائر وبث الفرقة بين المجاهدين . فكانت العاقبة سيئة جدا ، إذ اغتيل الزعيم عدي أوخيي من آيت إيسفول .

وقد غلا صغار القواد والخلفاء في تصرفاتهم . وكانوا أحيانا أشد قسوة وطغيانا من رؤسائهم . فقد ألقي بكثير من المقاومين في غيابات السجون ، وتركوا بها إلى أن ماتوا . وكانت هذه العقوبات بمثابة إنذار ، ولم تكن لتؤثر على آيت عطا . على أن حبائل العنف والخيانة لم تلبث أن انقلبت على الطغاة . فازداد اختلال المواصلات وكثرت المكامن . وكان المقاومون يكرون على العدو ، ثم يعتصمون بجبل صاغرو . وقد كتب الجنرال كيوم :

« **إن اللاجئين يعرفون حق المعرفة البلاد التي جلوا عنها لنا . ولذلك كانوا خير دليل لهؤلاء الجيوش الذين يفسدون علينا الأمن في جبهتنا ومؤخرتنا . وعندما تنتهي حملتنا ، يستمر القتال ليل نهار بدون هوادة وبجميع الوسائل ، كالمكامن والغارات على بعض الفرق والقوافل ، وعلى العاملين ببعض المراكز ، وبالغارات على القبائل الموالية لنا لنهب ماشيتها والاعتداء ليلا على الحراس . فلا ينتهي القتال بانتهاء حملاتنا ، بل يستمر دون مهادنة ولا هوادة ضد عدو حريص على إيذائنا ، لكننا لانقدر على امساكه . وكان الدفاع في بعض المناطق يستغرق ، على مر الأيام ، وقتا أقصر مما تستغرقه الهجمات العنيفة** » .

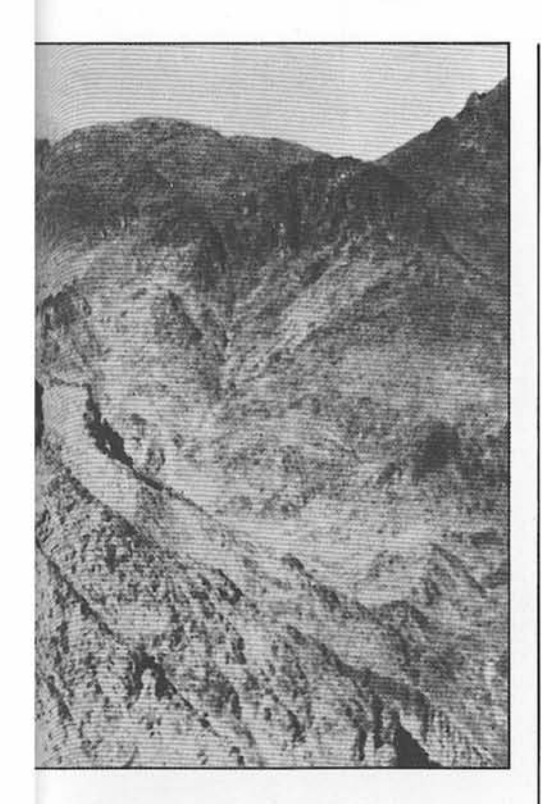
وكان عسو أوباسلام يعلم ضراوة القتال علم اليقين . وكان قد جرح فوق ركبته



الكلاوي بالأوسمة .

برصاصات في إحدى المعارك بتاغية ضد رجال عدوه اللدود . وكان يشعر بألم مبرح تارة ، وتارة بألم يخزه وخزا متواليا . لذلك لم يكن يطيل الركوب . ولم يمنعه ذلك من شن غارات موفقة أعجب بها سكان القرية ، كتلك التي أوقع فيها بعدد من الكتائب المتحركة الفرنسية بتيزي نداتات ، شرقي ورزازات ، إذ قتل 18 رجلا ، منهم قبطان فرنسي ، وغنم عددا من البندقيات ومن الخيل أهديت إلى آيت خباش وآيت سغروشن لمساعدتها والاستمرار في توحيد الصف . وأصبحت تاغيا ، حيث جرح عسو لأول مرة ، مركزا يجتمع فيه المجاهدون وتدرس فيه وتقرر خطط الغارات قبل الاعتصام بجبل صاغرو الذي اعتبره حكماء الناحية منطقة حراما . وقد وجد المقاومون في دينهم ما حفزهم على تحرير البلاد من ربقة المعمرين الفرنسيين . وكانوا قد أقروا بأن جبل بوكافر جبل منيع .

ولم يكن للمقاومين سلاح متطور . لكنهم كانوا يعرفون حق المعرفة كل مخابئ الناحية . فعرفوا كيف يستغلون المنحدرات والصخور والملاجئ الطبيعية ، ولا يجدون أية صعوبة في التقلب فيها . ثم أخذوا يخفون ماشيتهم وغنمهم ومعزهم للاستعداد للاعتصام بالجبل . وكان وجود الأطفال ، وخاصة النساء ، هو الذي يدرأ عن الرجال خوفهم مما هم مقبلون عليه من شدة . وكانت النساء يحملن السلاح ، في بعض الغارات ، للقتال عوض الرجال الذين استشهدوا ، ويباشرن كل ما شق من الأعمال ، مثل الاستسقاء وإعداد الزاد . وكان من شأن كل هذه العوامل أن توحد صفوف المجاهدين . غير أن المستعمر كان يحاول تقويضها باستغلال النزاع الذي كان بين القبائل . وكان من أهم عوامل توحيد الصفوف انتخاب عسو أوباسلام « **أمغار نوفلا** » أي قائدا عاما . وقد قال عنه هنري بوردو Henry Bordeaux في كتابه هنري دوبورنازيل Henri de Bournazel : « **كان رجلا وسيم الطلعة ، وقورا ، نحيف الجسم ، عضله . إذا رأيته حسبته هادئ الأعصاب ، خلي البال . لكنه أنوف كريم النفس ، تطمئن إليه القلوب . وكان من حسن طالع القبائل أن اختارته زعيما يدين له الجميع ، وذلك ما زاد في قوتهم . ولولا وجوده لدب الضعف إلى جسم المقاومة ، فتفتت . وكان ، بالنسبة للقبائل المحاصرة ، قلبها النابض ومحركها** » . أما القبطان دومون دو سافاس de Monts de Savasse الذي عرف عسو حق المعرفة ، فقد وصفه قائلا : « **كان رجلا قوي العزم ، طاهر الذيل ، نزيها ، وفيا ، شديد التمسك بدينه ، بل ومتصوفا ، حريصا على سلطته ، متمسكا بالعدل . وكانت زعامته زعامة طبيعية . وكانت قبائل آيت عطا من صاغرو تطيعه طاعة تامة . وكان جل رفاقه ، خارج قبيلته ، يحترمونه احتراما . ولم يضعف نفوذه قط طوال السنوات التي تزعم فيها القبائل** » .

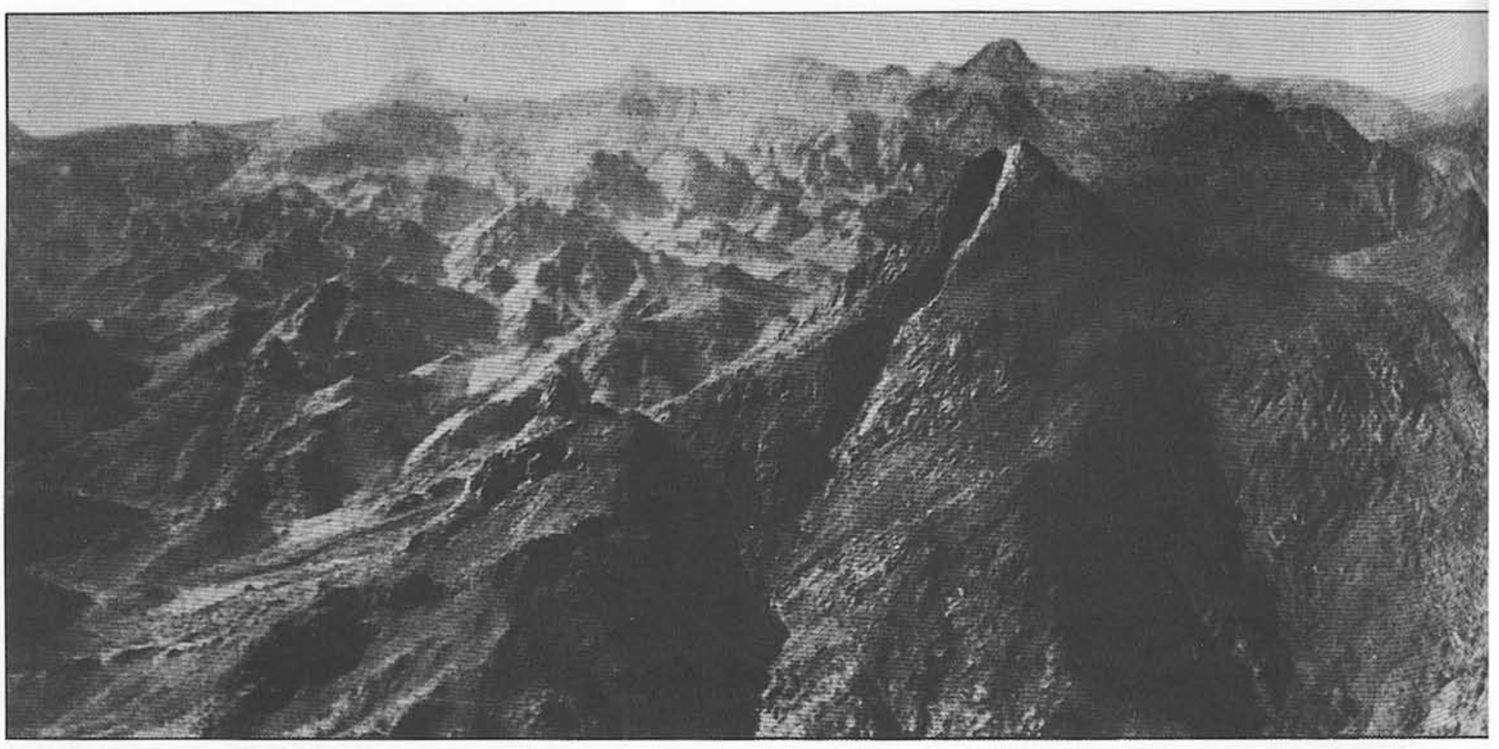


وكان هذا القائد ، ومن معه من الرجال والنساء والأطفال ، حريصين على المقاومة حتى آخر رمق إزاء جيش يقوده قواد مهرة في فنون الحرب ، ومعهم من السلاح ما لم يستعمل مثله في القوة . وهكذا بدت عناصر ملحمة بوكافر الكبرى . وكانت هذه المعركة من أضرى المعارك التي دارت في هذه الحقبة ، ومن أقساها .

ملحمة آيت عطا الكبرى

وكان الجنرال كاترو Catroux حاكما على منطقة جبل صاغرو . ولم تكن قواته المتنقلة كافية

جبل صاغرو



جبل بوكافر ، وقد صرّح حكماء الناحية بأنه جبل منيع .
Illustration mai 1933.

لمحاصرة الجبل . لذا استعان بقوات الجنرال جيرو Giraud التي كانت ترابط في الحدود المغربية الجزائرية . وقد حضر القبطان سبيلمان Spillman هذه الحرب وقال عنها : « **لقد قاتل هؤلاء الأبطال قتالا شديدا ، وبعزم وشجاعة ، وكابدنا ، نحن ، خسارات جسيمة** » . وكانت الحرب فعلا ضارية .

وأرسل الجنرال كاترو حملاته في شكل حركات دائرية محكمة التنسيق على بلاد دادس وتودغة . لكن رجاله سُحقوا سحقا في منخفض إيمسادن . وبلغت الضربات درجة من العنف جعلت الرعب يشتد في صفوف العدو . وأدرك الجنرال هوري Huré قائد القوات الفرنسية بالمغرب أهمية بوكافر الحربية وقيمته الرمزية . وقرر أن يتولى قيادة بومالن . وكان قراره هذا حاسما بالنسبة لما يلي من الأحداث ، إذ باءت الغزوة الفرنسية بالفشل . ثم قرر الفرنسيون الشروع يوم 13 فبراير في إنجاز المخطط الذي أعدوه من قبل . وكان على القوات القادمة من مراكش والقوات القادمة من الحدود أن تشرع في هجومها وتتقدم شيئا فشيئا . وتقرر أن تعطى إشارة الانطلاق بواسطة الصواريخ . وقد استحسنت الفكرة ، لكن كانت غير ذات جدوى . ذلك أن الصواريخ بطل عملها ، فلم ترتفع إلى السماء ، وأجلت الحملة . وقد قال القبطان دوبورنازيل في تقرير له إلى الكولونيل ديسباس Despas عن فشل مهمته مايلي : « **لقد وجدنا ، في طريقنا إلى موارد الماء ، مقاومة ضارية منعتني من إتمام مهمتي . ولم أر أية فائدة في تعريض الفرسان ووسائل النقل إلى الهلاك ، لا سيما أن المورد كان أبعد مما كنا نتصوره ... الطريق شديدة الوعورة** » . وظنت القيادة الفرنسية أن المقاومين قد يعتصمون ببسيط إيمسادن . فبذلوا كل جهودهم لحصار هذه البقعة . وأنشأ الجنرال جيرو ، كدأبه في كل خططه ، قاعدة تموين ومصلحة صحية لضمان سير العمليات . وبذلك استعد الفرنسيون استعدادا تاما للهجوم على بوكافر حيث اعتصم عسو أوباسلام ورجاله . ولم يذكر أحد أن الفرنسيين أعدوا لهذه المعركة مثلما أعدوه من جند وعدة : 83.000 جندي و 44 طائرة تقلع من قاعدة ورزازات . وكان بإزائهم 1200 مجاهد ، ومن جميع عشائر آيت عطا ،تساندهم النساء والأطفال . وباءت الهجمة الأولى بالفشل . فقد قال سبيلمان في مذكراته :

« **لقد أغرنا مرارا على هذه القلعة الطبيعية من جهة الشرق ومن جهة الغرب . ورجعنا في كل مرة على أعقابنا بعد ما سالت منا الدماء . وقتل من ضباطنا أربعة من رجال مراكش وستة من الذين قدموا من الحدود المغربية الجزائرية** » .

وقاسى القبطان دوبورنازيل الشهير نفس المشاق . ووردت في مذكراته هذه الجمل : « **أنجز التقدم ... بخسائر كبيرة . أحاول أن أصمد هذه الليلة في المكان الذي نزلت فيه . ولا أستطيع أن أتقدم بتاتا . الأعداء كثيرون ، أشداء ... أطلب المدد لهذه الليلة ...** »

وأخذ عسو أوباسلام يستعد وراء الهضاب والصخور العالية لمقاومة طويلة الأمد . فقد نفعه نفوذه وذكاؤه ، إلى ذلك الوقت ، نفعا كبيرا . وعرقلت غاراته تقدم العدو . لكنه ، في قرارة

نفسه ، جزع أشد الجزع . ذلك أن وسائل العدو هائلة ، إذ يبلغ عددهم ثمانية أضعاف رجاله . وبدا له أن المعركة قد تكون ضارية . وكان الأطفال والنساء يدعون لذويهم في كل مساء . وفي يوم 24 فبراير ، أي بعد الفشل الذريع الذي أصيب به الفرنسيون ، بعثت القيادة رسولا سياسيا ليحاول لقاء عسو أوباسلام . لكن عسو رفض لقياه . عندئذ دفعت القيادة بجميع الوسائل . وقد روى سبيلمان عن هذه المعركة ما يلي :

« ثم أرسل وابل من النار ليل نهار على بوكافر ... وكنت أنظر إلى هذا الجبل المشؤوم نظرة الرجل المحزون . أنظر إليه وهو آخر ملجأ اعتصم به أولئك الجنود الكرام الذين فضلوا أن يسحقوا سحقا على أن يستسلموا . وكان معهم نساؤهم وأطفالهم ودوابهم . فكيف السبيل إلى وقف هذه المذبحة ؟ لقد كنا نفكر ، فعلا ، في وسائل وقفها . لكنهم كانوا مثل المجانين . وقد قتلوا كثيرا من رسلنا ، ومن ضمنهم أحد المرابطين . وكانوا يسبوننا ليلا من أعلى الجبال ، مثلهم في ذلك كمثل أبطال هوميروس . وكانوا يقولون : « يانصارى ، ياكلاب ، اخرجوا من وراء الصخور ، وقابلونا إن كنتم رجالا . فلولا مدافعكم وطياراتكم لكنتم نساء » .

وقد روى الطبيب ماجور فيال Vial روايته كذلك فيما يلي : **« إنه حصار حقيقي ، حصار القلعة الضخمة التي تظلنا بظلها الوخيم طرفا طويلا من النهار وتلقي علينا وابلا من النار كلما تهورنا وحاولنا الخروج من وراء أسوارنا القصيرة . ولم تكن هذه**

« .. وكان بالنسبة للقبائل المحاصرة ، قلبها النابض... »

المفاوضة على الهدنة لحقن دماء 3000 نسمة .
Illustration, avril 1912.

الأسوار كافية لحفظنا . فحفرنا الخنادق فيما صلب ولان من الصخر . وأخذت المدفعية تقذف ليل نهار ، على غير عادتها ، لازعاج المقاومين عن المغارات التي لجؤوا إليها ولطرد الماشية ، فتنزل إلى الآبار وتشوى لحومها للجيش . وسددت الرشاشات صوب الموارد لمنع الثوار من التزود بالماء ، لكن بدون جدوى ، إذ كانت النساء يستمتن هناك ولا ينقلبن » . وكانت عملية « **تأمين البلاد** » مذبحة تثير رعبا لا رعب بعده .

وأسند إلى القبطان دوبورنازيل والقبطان فوري Fourré قيادة فرقتين . فقاد أولهما فصيلة برانكلير Brinckler وفصيلة فوشو Faucheux وفرق الكوم السادسة عشرة والواحدة والعشرين والثامنة والعشرين ، وكذلك 200 من الأهالي



جبل صاغرو



الموالين لجيش الاحتلال . وقد كلف دو بورنازيل بمحاصرة المنطقة الجنوبية من بوكافر . أما فرقة فوري – التي كادت تكون مثل الأولى في قوتها – فقد كلفت بحصار الجهة الشمالية . وأعد الجنرال هوري من الآلات النارية ما لم يسبق له مثيل : كوكبة بالانكور Ballincourt ، وجميع رشاشات وحدات الهجوم والآلات التي تتبعها . وكانت الغارة غارة شاملة استعمل فيها جميع سلاح المدفعية . وباكرت المقاومين قنابل الطيارات والمدافع ، في الوقت الذي مازال فيه الصبيان المحاصرون وراء الصخور يقاومون النعاس . فامتزج دخان القنابل بضباب الصباح . وها هو الطبيب ماجور فيال يتحدث عن هذه الغارة :

« **انطلقت الغارة عظيمة رهيبة . وقاوم الثوار بكل ما لديهم من قوة ، وقد تستروا وراء الصخور وفي المغارات . فلا يرى المنظار منهم إلا العين والبندقية وقد ثبتوا موقعها . وأخذوا يطلقون الرصاص بدون انقطاع ، فلا يخطئون الأهداف . ويسقط جنودنا . أما نساؤهم ، فكن يحرصن على جمع الرماة المنعزلين ويوزعن الذخيرة ويحللن محل الموتى ، ويرسلن على المغيرين صخورا عظاما تقتل الناس ، إلى أن تنتهي إلى الوادي . لكن المدافع كانت قصيرة المرمى . ولم يعد دوبورنازيل يجول في المقدمة بفستانه المشهور ، بل يتبعه مباشرة سلهام أحمر . بعد قليل وقع على الأرض ، وقد جرح بطنه ... إنها جرحة قاتلة ، إذ نتأ من الجرح جزء عظيم من مصرانه وصفاق معدته . فمات من هذه الاصابة . وكان لا بد لهذا البطل أن يموت ميتة تسمو به إلى سماء المجد في هذه الحرب التي يعترك فيها العمالقة . وستحتفظ بذكراه قمم صاغرو الشامخة** » .

وقاتل عسو أوباسلام ذلك الصباح قتال الأبطال ، قتالا خليقا بأن يخلد في المآثر . وكان على هؤلاء الرجال المختفين في المغارات ، وقد أهزلهم الجوع والعطش ، أن يهلكوا القيادة الفرنسية . فلم يكونوا يحقدون على رجال الكوم ولا على رجال القبائل الموالية لقوات الاحتلال ، بل كانوا يحقدون على قادتهم . وقد قتل في هذه المعركة اليوتنان بيني Binet من مكاتب الشؤون الأهلية واليوتنان برانكلير Brinckler ، رئيس فرقة في القوات الآلية ، وضباط آخرون من نفس الرتبة ، وعناصر من اللفيف الأجنبي ومن الكوم ، ومئات آخرون . وتبين أن عسو أوباسلام كان بمثابة القلب النابض والعنصر الهام في هذه الملحمة العظيمة . لكن كل واحد من رجاله ساهم فيها بحظه .

ملحمة عسو أوباسلام

ثم انطفأ ما بقي من النار في المدفأة . ولم يعد الشيخ الحكيم يضبط خلجات جسمه ، وهو ملتف في سلهامه . فقد استعرض طوال الليل كل هذه الأحداث المؤلمة : نار السلاح ، والموت ، والجوع ، ووباء التيفوس الذي أهلك كل أولئك الذين حرصوا على المحافظة على الشرف والاستقلال . وقد تخاذل عن آيت عطا كثير من عشيرتهم ، إذ اغتروا بكلام القواد الفرنسيين . لكن ذلك الخذلان لم يزد بعض المقاومين إلا شجاعة ، وخاصة النساء ، إذ ازددن ثباتا وإقداما . وثبت رجال عسو أوباسلام مدة شهر تقريبا بعد غارة 28 فبراير . ولم يكن لعزمهم من مثيل سوى حرص العدو على القتال . واستمر العدو يقنبل ليل نهار ، وبدون انقطاع . وشدد الحصار . وكان يلقى وابلا من النار عند أدنى حركة للمجاهدين . وقد انتشر التيفوس في صفوفهم ، نقلته إليهم جثث الحيوانات والأطفال . واشتد خوفهم من المرض . لكن النساء أردن المقاومة حتى النهاية . وقد زار هنري بوردو ، عضو الأكاديمية الفرنسية هذه المنطقة بعد مرور سنة على هذه الأحداث ، وكتب عنها ما يلي :

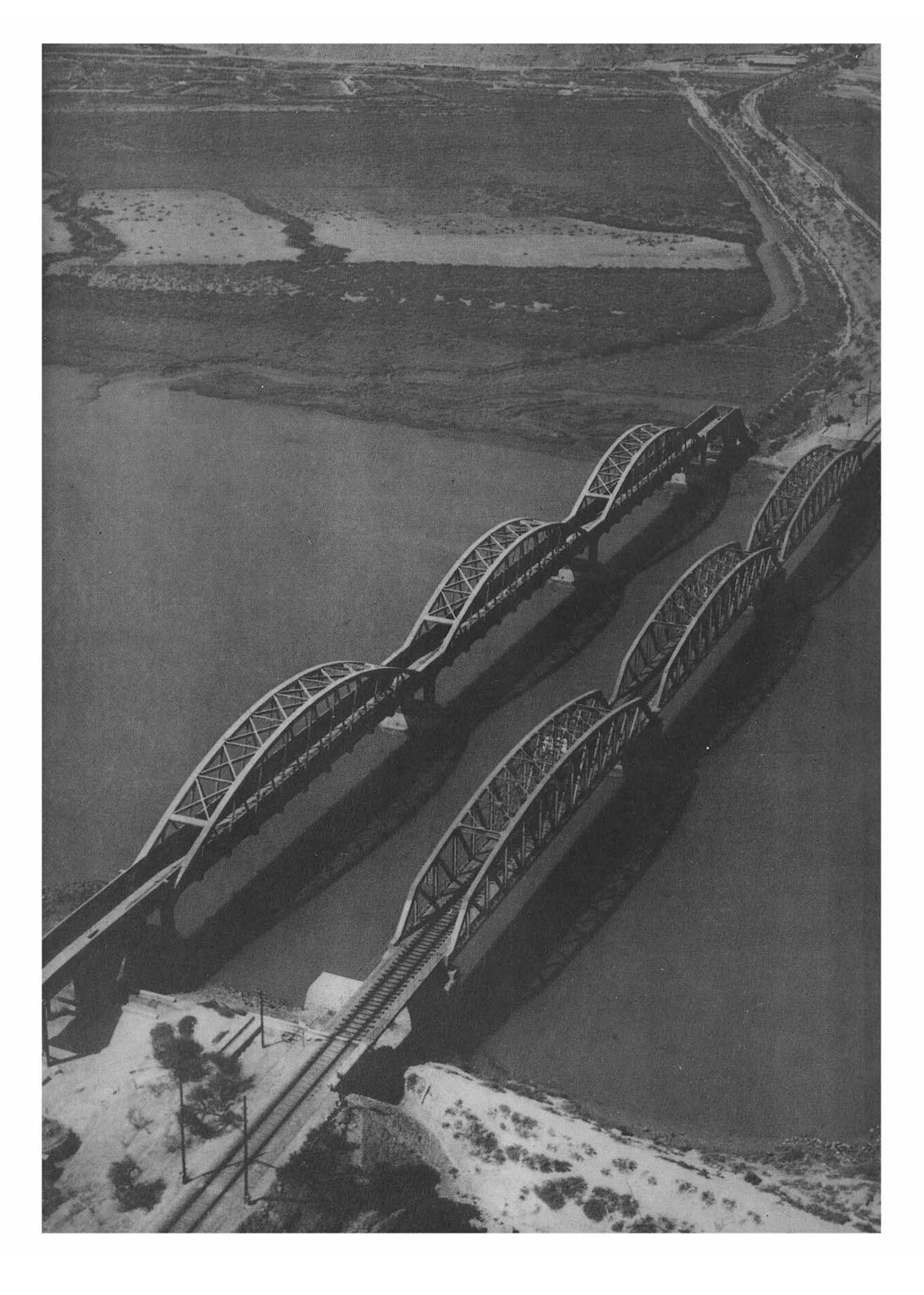
« **لقد أرسلت عليهم القنابل ليل نهار من السماء ومن الأرض مدة 42 يوما ! اثنان وأربعون يوما من الحرمان والأرق والعطش ! اثنان وأربعون يوما قضوها مع الحيوانات وقد جنت وأخذت تصرخ حتى الموت ، وقضوها مع الجثث المتعفنة ! وتعذر عليهم إيراد كل هذه الدواب التي أصابها الهلع . فلنقس بذلك قدرتهم على تحمل ما قاسوه من المحن تحملا يسمو بهم إلى أعلى الدرجات . وليت أحد أولئك البربر الذين دافعوا دفاع الأبطال عن بوكافر كان شاعرا ، فيخلد مفاخر ذويه في هذه الجبال التي احتضنت الشهداء ، ويخلد مراحل هذه الملحمة الفظيعة التي كانت معجزة من المعجزات ! ولو وقف أحد الرواة في ساحة جامع الفناء بمراكش بين المغنين والراقصين والحواة ينشد ملحمة جبل صاغرو البربرية لالتف أفواج الناس حوله التفافا !** » .

بعد 42 يوما من المقاومة أخذ عسو أوباسلام يندب الأطفال الذين بدأت أجسامهم تتعفن . ثم حمد الله ، ونزل من الجبل ، لا ليستسلم ، ولكن ليفاوض على الهدنة . وأخذت النساء يستنحن و يَلْعَنّ عسو ، وذلك لأنهن كن يردن المقاومة حتى الموت .

ونزل عسو أوباسلام يوم 25 مارس 1933 . وبذلك حقن دماء ثلاثة آلاف ممن نجوا من أصحابه . وقد روي أن الفرنسيين فقدوا 3.500 رجل ، في حين أنه لم يمت من آيت عطا إلا 1.300 رجل .

« **رحم الله المجاهدين وغفر لهم . لقد خلقنا من تراب وإليه نعود .** » هكذا استمر الشيخ الحكيم في حديثه بعد ما قرأ بعض الآيات القرآنية وعاد إليه هدوؤه . وكان يشير إلى تراب جبل صاغرو الذي مازال ممتزجا ببقايا أجساد المجاهدين والذي ارتوى بدماء الأعداء . ثم قال : « **نرجو الله أن يحيي هذه الذكرى في قلوب أطفالنا** » . ثم أخذت أنوار الصبح تضيء نواحي الجبال شيئا فشيئا . ولم يكن يظهر من خلال الضباب إلا خيال ذلك الجبل الضخم الذي كانت حروفه تتعالى في السماء ، ألا وهو جبل صاغرو . ثم وصل إلى سمع الراوي صوت أجش ، قادما من بعيد ، وهو صوت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر « **الله أكبر ... السلام على البشر وعلى الأرض** » .

الجزء الثالث



المغرب النافع والعمل السياسي

بينما كانت سلطات الحماية تشرع في سلوك سياسة الاستثمار وتشجع على استعمار الاراضي الفلاحية واستغلال ما على وجه الارض وما في باطنها ، وبينما كانت تفكر في سياسة التفرقة كان المواطنون يشرعون من جهتهم في عمل سياسي يستهدف الشرعية ويستعملون فيه نفس الاسلحة التي يستعملها الخصوم .

وبذلك استطاعت حركة السلفية ولجنة العمل المغربي وحركة معارضة الظهير البربري وبرنامج الاصلاحات المغربية زعزعة أسس نظام الحماية .


MAROC
50
POSTE FRANÇAISE


35
35
MAROC


MAROC 70c
المغرب
A. VAUR
H. CHEFFER


30
Cs
ZONA DE PROTECTORADO ESPAÑOL EN
MARRUECOS
LARACHE


MAROC
50c
بريد المغرب
50c
RABAT



طوابع صادرة عن الحماية الاسبانية والفرنسية من 1909 حتى 1935 .
متحف الرباط – تصوير أدول .









الإستثمارات في عهد

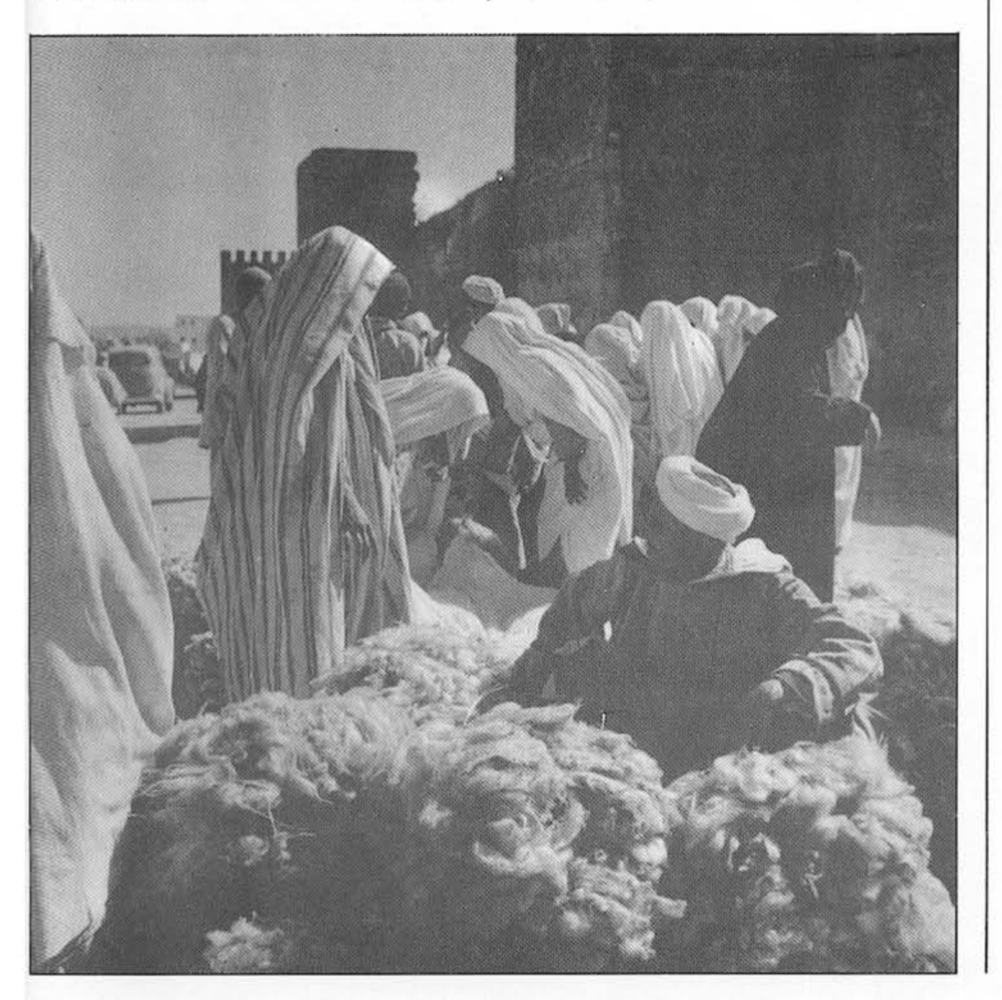
الحسن الصقلي

كان معظم النشاط الاقتصادي المغربي حتى سنة 1912 يقتصر على التبادل التجاري ، مثل استيراد السكر والشاي ونسيج القطن والمواد المصنوعة وبعض الآلات والأدوات ، وتصدير بعض المنتجات الفلاحية كالحبوب وزيت الزيتون والصوف .

وقد شرع في هذا التبادل مع أوروبا في بداية القرن التاسع عشر ، ثم دعم بإبرام معاهدة سنة 1856 بين المغرب وانجلترا . ثم كانت معاهدة الجزيرة الخضراء المبرمة سنة 1906 والتي أقرت « **مبدأ الحرية الاقتصادية بدون تمييز** » بين الدول المتعاهدة . وبذلك أصبحت أوروبا بمثابة الوصي على المغرب . ولما كانت الرسوم الجمركية ضعيفة وموحدة لا تفاوت فيها بين أنواع البضاعة ، فقد استغلت كبار الدور التجارية هذه الوضعية ، فازداد حرصها على المضاربات وتسبيق الأموال والقروض المضمونة بالرهون العقارية . وأدى هذا التلاعب التجاري إلى الربا المتفاحش .

ثم أخذ النشاط التجاري يتجمع في الموانئ أكثر من ذي قبل . فأصبحت مدينة طنجة ، ثم مدينة الدار البيضاء أهم المراكز التجارية . وكانت الدار البيضاء تحتل سنة 1908 المرتبة الأولى – عوضا عن طنجة – إذ كانت تجارتها تبلغ 20 % من تجارة جميع الموانئ المغربية . وأخذت مجموعات الشركات توجه نشاطها بدون صعوبة إلى هذه المنطقة من المغرب ، حيث أخذ الاستعمار يستقر . وقد أنشأ شنيدر SCHNEIDER وبنك الوحدة الباريسية BANQUE DE L'UNION PARISIENNE الشركة المغربية LA COMPAGNIE MAROCAINE منذ سنة 1902 . أما بنك باريس والبلاد الوطيئة BANQUE DE PARIS ET DES PAYS-BAS الذي كان زعيم مجموعة من الأبناك الفرنسية ، فقد أنشأ الشركة العامة المغربية LA COMPAGNIE GÉNÉRALE DU MAROC سنة 1912 ، وذلك بعد ما تمكن من مراقبة رأس مال البنك المخزني المغربي . ثم أنشأ سنة 1919 أومنيوم شمال افريقيا OMNIUM NORD-AFRICAIN ، وهي مؤسسة قوية كلفت أول الأمر بالتنقيب عن المعادن . ثم امتد نشاطها بعد ذلك إلى النقل والصناعة والفلاحة وإلى الميدان العقاري .

فلم تكن هناك كبير صعوبة في إيجاد رؤوس الأموال . ولذلك تمكن ليوطي من إنجاز



سوق الصوف بمكناس .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

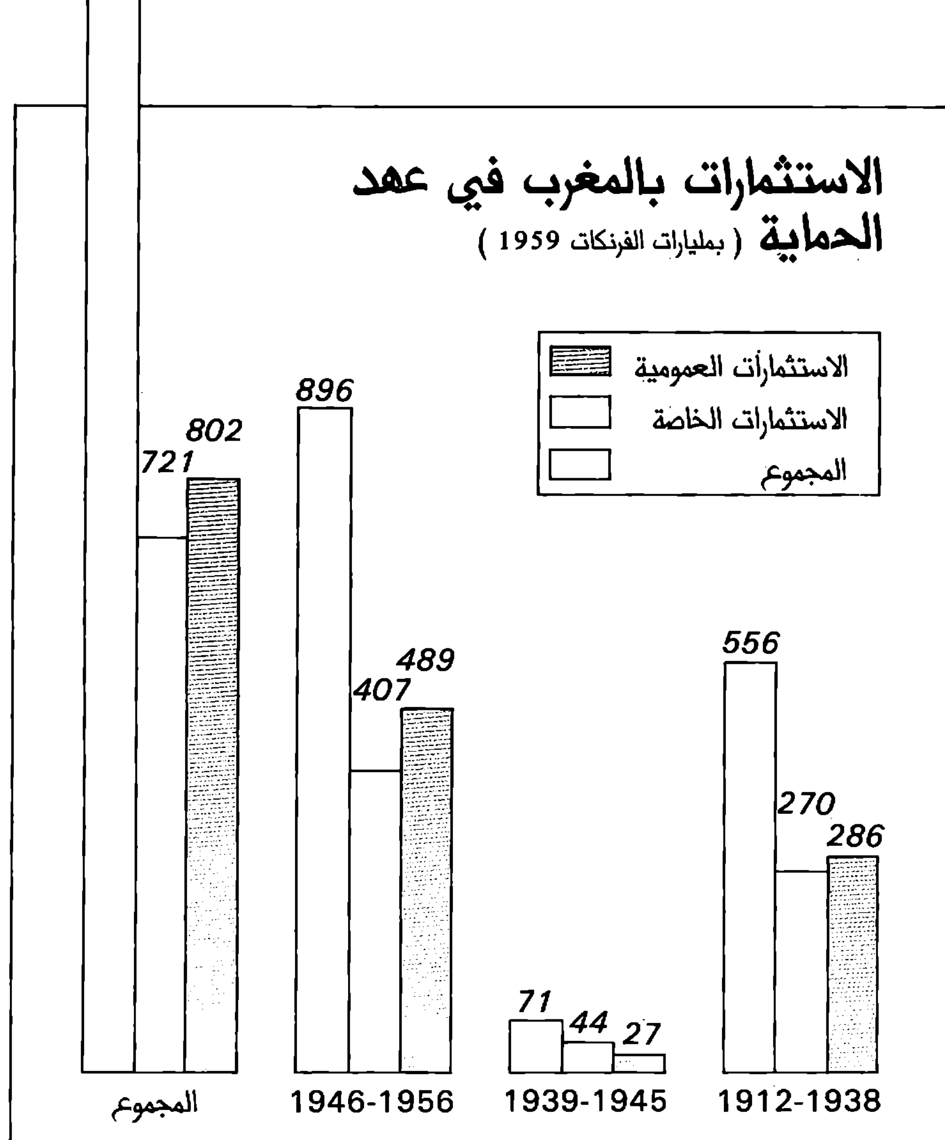
الحماية

« الاصلاحات » التي من شأنها أن تحقق التنمية الاقتصادية في البلاد (أنظر معاهدة فاس سنة 1912) ، مثل بناء ميناء الدار البيضاء وتوسيع شبكة السكة الحديدية وشبكة الطرق وبناء مختلف المنشآت والسدود (أنظر النصوص طيه) وكثير من المشاريع التي كان ليوطي حريصا على إنجازها .

وشتان ما بين وضعية المغرب في بداية القرن العشرين ووضعيته في عهد مولاي الحسن ، إذ كان السلطان يقاوم دخول رأس المال الأجنبي مقاومة شديدة ويرفض كل العروض المتعلقة بإنجاز أشغال عمومية من لدن المقاولات الأوروبية .

تكافل رؤوس الأموال العمومية والخاصة

وكانت سلطات الحماية واعية ، منذ البداية ، بما قد يراه السكان من فائدة في إنجاز بعض المنجزات الهامة . لكن أهم غاية كانت تهدف إليها هذه السلطات هي جلب أكثر ما يمكن من رؤوس الأموال الخاصة من أجل الاستثمار في هذا البلد « الجديد » الذي لم يدخله أحد من قبل ، كما كانت ترمي إلى عدم تثبيط أصحاب مجموعات رؤوس الأموال الذين سبق لهم أن استقروا في البلاد . لذلك رأت الدولة أن تعطي المثل ، فبادرت إلى بناء الأسيس الضروري لأي نشاط اقتصادي . وأنجزت هذه الأعمال التمهيدية



بنجاح إلى أن شرع في بناء ميناء الدار البيضاء . ثم ظهرت الأفران العالية بمعامل الأسمنت Ciments La Farge سنة 1913 . وامتدت شبكة الطرق حول كبريات المدن والمناطق الفلاحية ، ومُدّت السكك الحديدية وشرع في تنظيم المواصلات السلكية واللاسلكية ، بينما أخذت الصناعة ترتكز في الدار البيضاء .

ثم أسست معامل Les Brasseries du Maroc ومعامل Schwartz-Houmont سنة 1919 وسنة 1922 بجانب الميناء . بعدئذ ظهرت معامل أخرى تمثل مختلف الفروع الصناعية كإنتاج الأسمدة والمواد الكيماوية في شركة Compagnie des Superphosphates ومعامل Carnaud لصنع العلب المعدنية سنة 1928 ومعامل لتصبير المواد الغذائية والعجائن الغذائية والبسكويت والصابون والدباغة وتذويب المعادن ، ومعادن ميكانيكية ألخ ... أما الشركات المسماة « **الشريفة** » التي تشجع هذه الأنشطة ، فأسست مقارها المركزية بالمغرب ، ثم أخذت تتزود من فرنسا وتغمر الأسواق المغربية بمنتجاتها ، وتصدر إلى أوروبا عند الحاجة . وساندتها في نشاطها شبكة بنكية واسعة توجد على رأسها الأبناك الآتية Parisbas و Banque de l'Union Parisienne و Banque Gradis de Bordeaux

وحرم المغاربة من دخول ميدان التصدير والاستيراد . واختص الفرنسيون بتجارة التسقيط



ميناء الدار البيضاء

لقد أخذ الماريشال ليوطي يفكر في إنشا ميناء كبير ، وذلك بمجرد إمضاء عقد الحماية . ولم يختر موقع الدار البيضاء لكونه أصلح ، من الناحية التقنية ، لكن « لائتلاف عدد من العادات والمصالح حول ذلك الموقع » حسب جان سيليري Jean Célérier وقد فازت في المناقصة ، الشركة la Compagnie Marocaine التي كانت تمثل شنيدر Schneider .

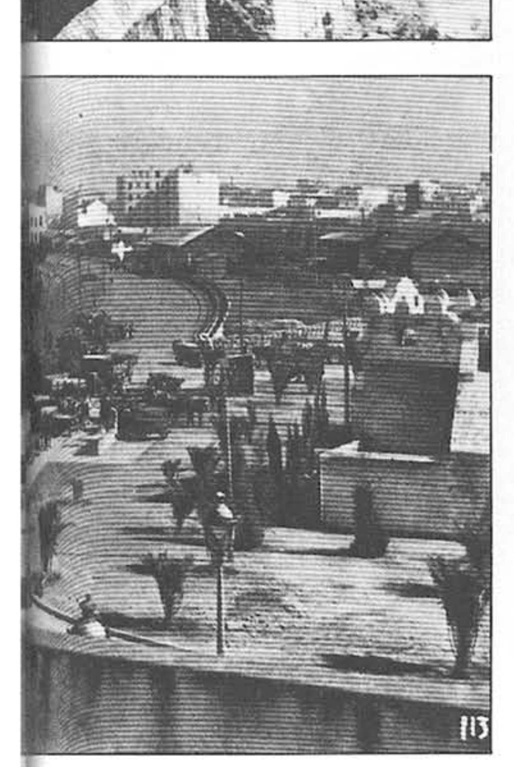
وقد دشن الميناء سنة 1921 ، وبني على مساحة 140 هكتارا ، وبه رصيفان ، طول الاول 1900 م ، وطول الثاني 1550 م . ويبدو أن نفقات البناء بلغت بين 16 و 17 مليار فرنك (1950)

ويتبين من خلال الجدول جانبه أن حركة ميناء الدار البيضاء تميزت بمرحلتين اثنتين :

– من سنة 1912 إلى سنة 1924 : كانت الواردات أكثر من الصادرات قيمة وحجما ، إذ لم يكن المغرب يصدر حينئذ إلا المنتجات التقليدية . وكانت البواخر الفرنسية التي ترسى بميناء الدار البيضاء تنقل % 52 من مجموع المنقولات سنة 1912 .

– من سنة 1925 إلى سنة 1955 انقلب الوضع . ونتج ذلك عن تصدير المواد الثقيلة الوزن مثل الفوسفاط (في الدرجة الاولى) والحديد والمنغنيز والكوبالط والفواكه والخضر . أما أهم الواردات ، فكانت المنتجات التامة الصنع وغير التامة الصنع والمحروقات السائلة والحبوب .

وتدل الاحصائيات على أن ميناء الدار البيضاء كان يتبوأ سنة 1924 الدرجة الاولى في المنطقة التجارية الفرنسية ب % 70 من حيث الوزن و 60% من حيث القيمة .



الخليج وضريح أبي الليوث ، ولي الدار البيضاء (سنة 1907) .
نشر فلاندارن (1928) – الخزانة العامة بالرباط .

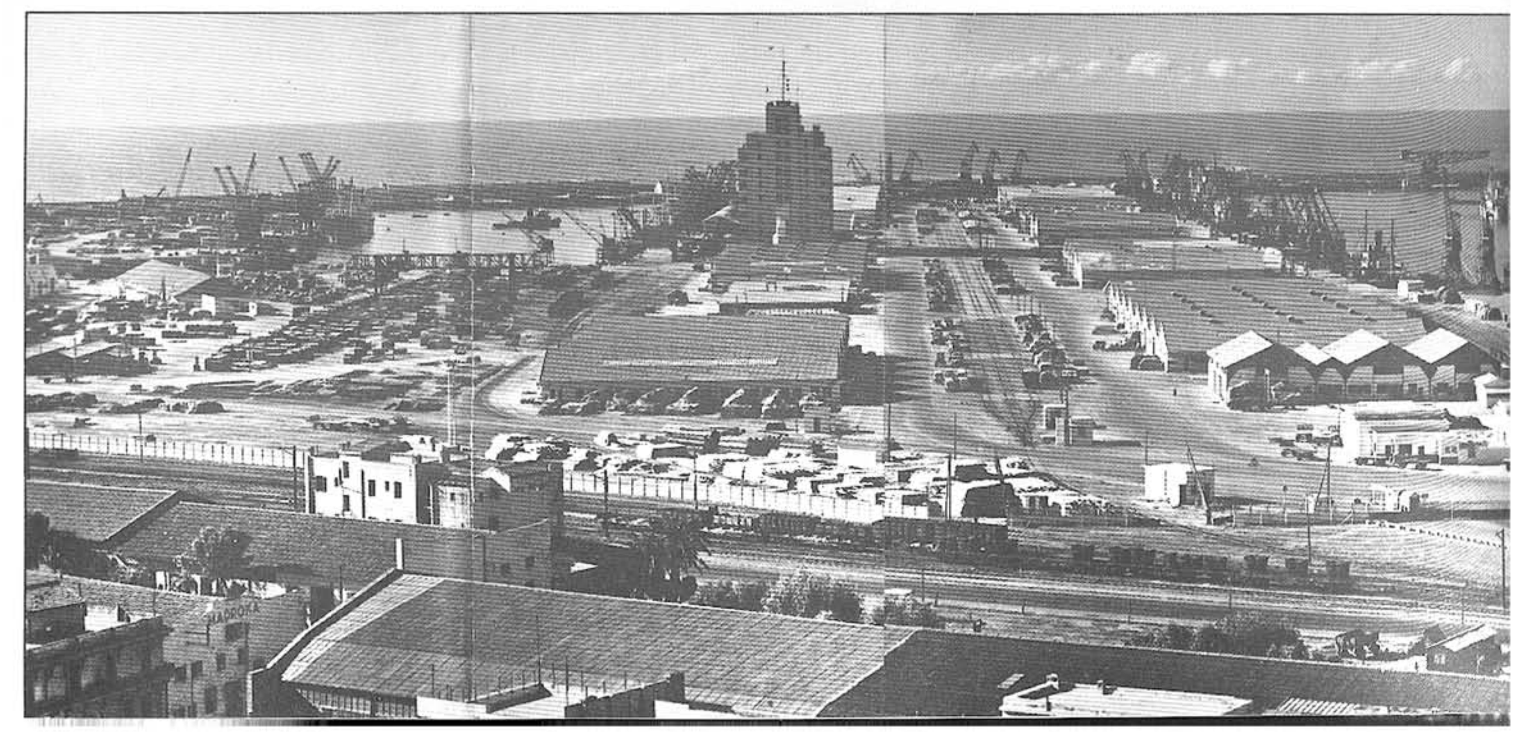
نفس المكان ونفس الضريح ، بعد مرور 20 سنة .
نشر فلاندران (1928) – الخزانة العامة بالرباط .



ميناء الدار البيضاء سنة 1951 .
المكتب الوطني المغربي للساحة بالرباط .

السنوات	الواردات	الصادرات	المجموع
1912	119 000	109 000	228 000
1915	126 000	109 800	235 800
1920	274 100	158 300	434 400
1925	436 600	1 001 900	1 438 500
1930	748 900	2 227 700	2 976 600
1935	559 300	1 670 700	2 270 000
1940	757 800	1 570 500	2 328 300
1945	1 440 400	1 689 200	3 129 600
1950	1 578 000	4 423 000	6 001 000
1955	2 911 947	5 809 539	8 721 486

المصدر : أندري آدم André Adam





ميناء الدار البيضاء سنة 1927 .
نشر فلاندران – الخزانة العامة بالرباط .

نفسها ، فتركزت في أيدي شخصيات أو شركات فرنسية . وقد ظهر من إحصاء أنجز سنة 1931 أن عدد التجار المسجلين في الدار البيضاء كان يبلغ 4360 ، منهم 3906 من الأجانب ، من ضمنهم 2563 فرنسيا .

وأصبحت الدار البيضاء ، قبيل الحرب العالمية الثانية المركز الذي يستقطب النشاط الصناعي والتجاري والمالي في المغرب بدون منازع . ومع ذلك ، فلم تهمل بعض المدن مثل مكناس وفاس ومراكش ووجدة . وتدفق على المغرب كثير من رؤوس الأموال (ومن الرجال) من فرنسا . ونفذت هذه الحركة إلى أبعد المناطق حيث اكتشفت المناجم واستغلت وحيث استصلحت الأراضي واستنزفت ، واستعمل العمال من ورش إلى ورش . وقد بلغت الاستثمارات الخاصة في المغرب 240 مليار فرنك (1959) بين سنة 1912 وسنة 1932 . وتدل أهمية هذا الرقم على ما كان للخواص من حرص على مضاعفة حجم الأعمال في هذا البلد . ولم تكن مساهمة القطاعين العام وشبه العام أقل أهمية ، إذ سجلا معا استثمار 286 مليار فرنك (1959) بين سنة 1912 وسنة 1938 .

وكان من شأن تكافل رؤوس الأموال العمومية والخاصة أن مكن فرنسا من أن تبلغ ، في ظرف عقدين اثنين ، الأهداف التي كانت رسمتها سنة 1912 ، وهي :

– إنشاء الأسيسة الضرورية « **إذ لولاها لما استطاع أصحاب رؤوس الأموال الخاصة القيام بأي عمل** » (A. Adam) .

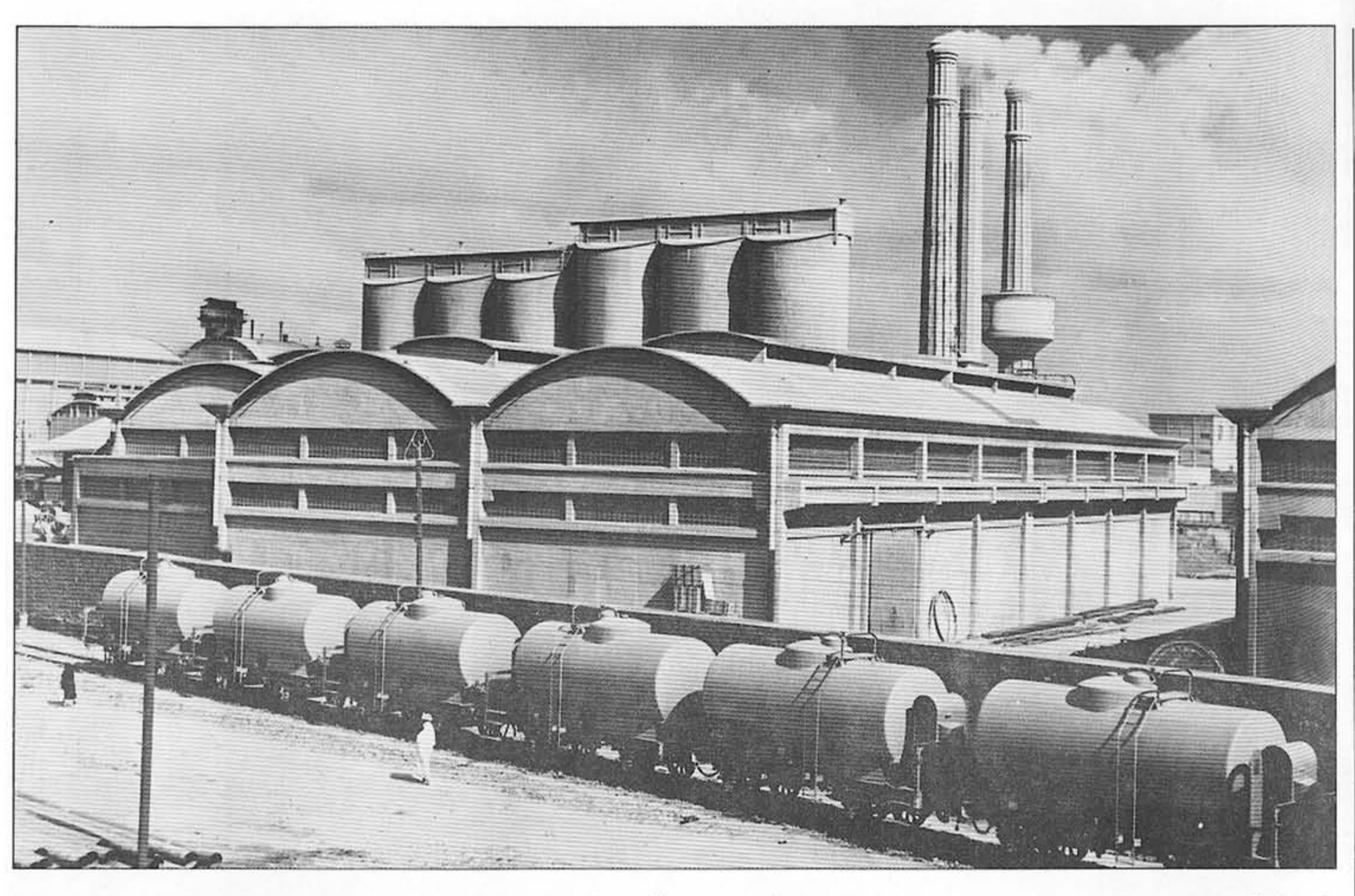
– استغلال الأراضي من لدن المعمرين ، إذ بلغت المساحة التي استولوا عليها 800.000 هكتار سنة 1932 .

– تنمية زراعة الخضر والحوامض والكرم لتزويد الأسواق الفرنسية .

– استخراج المعادن الضرورية للصناعات الفرنسية وتصديرها إلى فرنسا .

– تلبية حاجة الجالية الأجنبية إلى المواد ذات الاستهلاك العادي .

ثم قلت حركة الاستثمارات العامة والخاصة في أزمة السنوات الثلاثين ، وفي غضون الحرب العالمية . وبذلك لم تبلغ الاستثمارت الخاصة إلا 74 مليار فرنك (1959) بين سنة 1933 وسنة 1945 . ولم يحدث ذلك النمو الاقتصادي الهائل المعروف في أيام الحماية إلا بعد ما وضعت الحرب أوزارها .



معمل لافارج للاسمنت بالدار البيضاء .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

النمو الاقتصادي الهائل ومغزاه

وقد حدث ذلك النمو الضخم فيما بين سنة 1945 وسنة 1955 . فبلغت الاستثمارات العامة وشبه العامة 475 مليار فرنك (1959) ، وبلغت الاستثمارات الخاصة 407 ملايير . وكان مجموع هذه الاستثمارات 882 مليار مقابل 556 التي استثمرت من سنة 1912 إلى سنة 1938 .

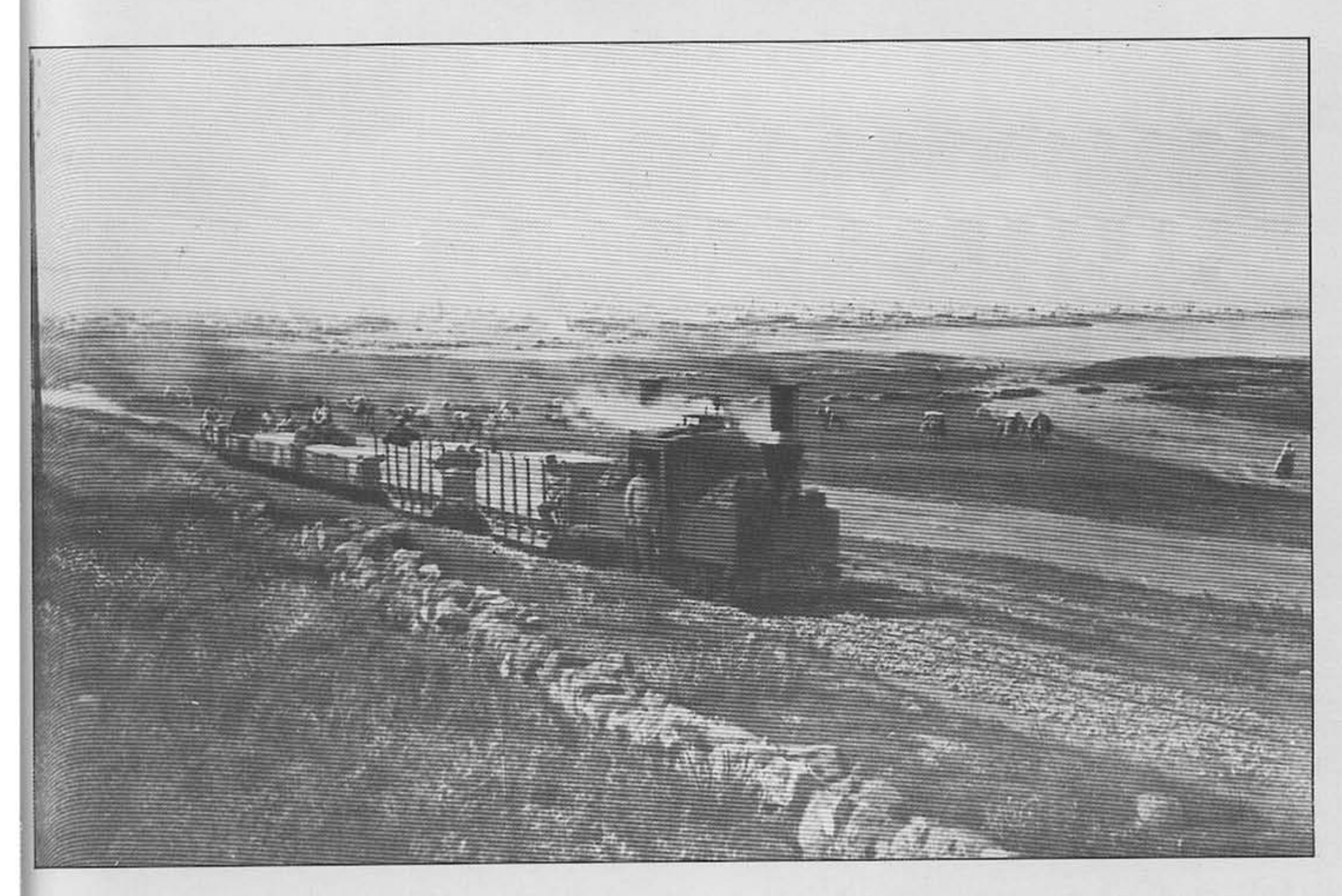
وكان سبب ارتفاع رؤوس أموال القطاع العام تنفيذ مخطط التجهيز ذي المدى الطويل ، والذي أعدته السلطات الفرنسية سنة 1949 . وقد سجلت اعتماداته في ميزانية فرنسا . ومول جزء من هذه الميزانية نفسها ضمن مخطط مارشال PLAN MARSHALL

وكان الهدف من مخطط 1949 مضاعفة الجهود لتجهيز البلاد بالأسيسة الضرورية التي شرع في إنجازها في غضون الحقبة السابقة . وبذلك استفادت الأسيسة المادية من 33 % من مجموع الاستثمارات التي أنجزت في المغرب بين سنة 1949 وسنة 1956 (ع . بلال) . وقد كان نصيب المياه في هذه الاستثمارات هاما جدا ، إذ بلغ 20 % من الاستثمارات العامة المنجزة في نفس المرحلة وأكثر من 10 % من مجموع النفقات العامة التي أنفقتها سلطات الحماية في ميدان التجهيز (نفس المصدر) . وكانت هذه الجهود تبذل لبلوغ نفس الأهداف التي ذكرناها من قبل ، وهي تتلخص في دعم الدولة مبادرات القطاع الخاص .

ولم تخيب مبادرات القطاع الخاص ما كان يؤمل فيه ، إذ بلغت رؤوس الأموال التي استثمرها بين سنة 1945 وسنة 1956 ضعف ما استثمر فيها بين سنة 1912 وسنة 1932 . ولا يعزب عن البال أن هذه الأموال الخاصة لم تكن تتدفق على المغرب لأسباب إنسانية ، بل اتفق الجميع على أن ذلك كان رغبة في الربح ، إذ كان الناس يتصورون أن المغرب كان حينئذ من البلاد التي خفت ضرائبها إلى حد بعيد ، ويضمن فيها الربح السريع . وكانت هناك أسباب أخرى كثيرة تستهوي المستثمرين ، وهي اليد العاملة الرخيصة الوافرة وسهولة الاقتراض وإمكانات التزود ووجود الأسواق .

يضاف إلى ذلك أن التوتر الدولي الذي أحدثته حرب كوريا كان سببا في تحسين سمعة المغرب ، فاعتبر ملجأ لرؤوس الأموال .

السكك الحديدية

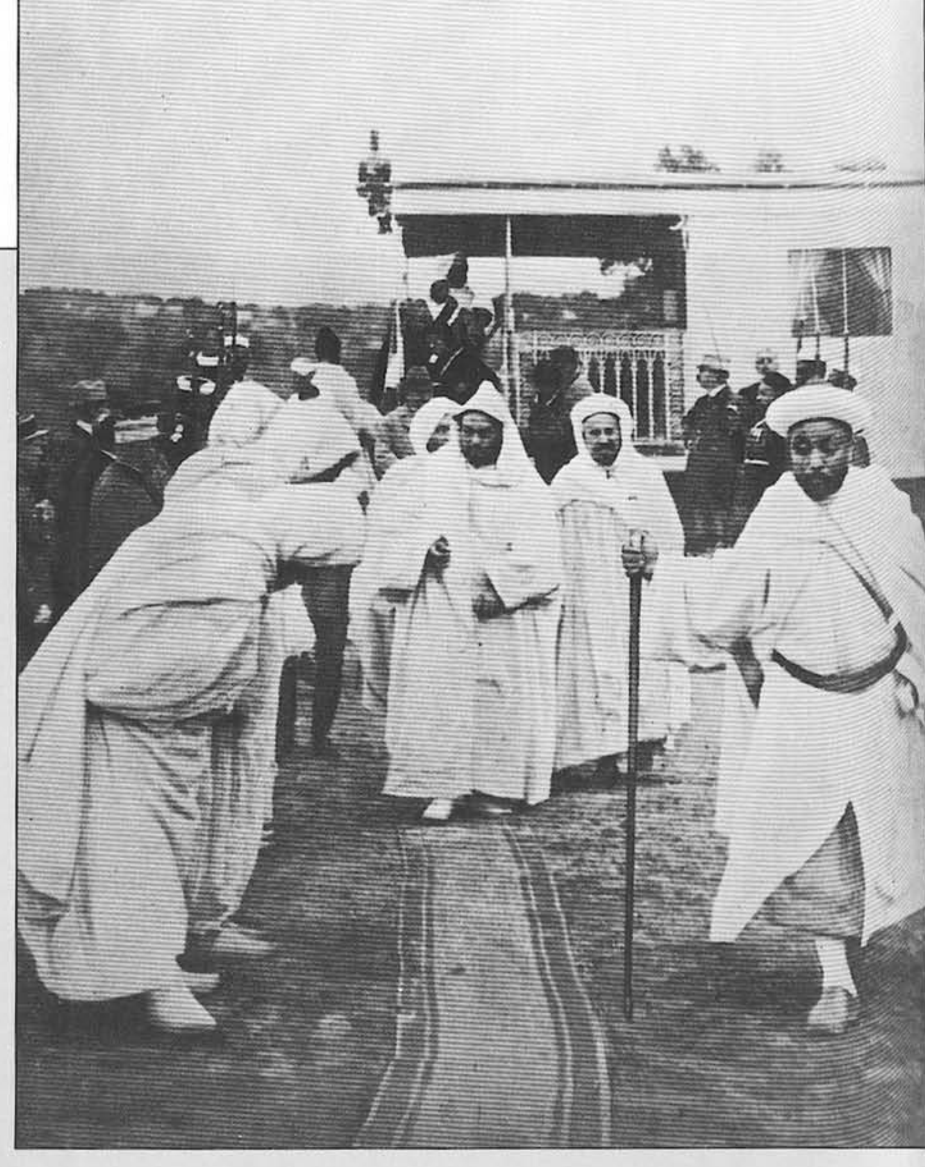


لقد أنشئت السكك الحديدية على نطاق واسع بين سنة 1914 وسنة 1927 لغرضين اثنين : أولهما نقل المعادن إلى الشواطىء وخاصة الفوسفاط . وثانيهما ربط المغرب بالجزائر لاسباب عسكرية .

وهكذا بني 2000 كلم من السكك العادية على محور فاس – وجدة – مكناس – الرباط – الدار البيضاء – مراكش ، ومحور طنجة – فاس . وبنيت كذلك سكك لنقل المعادن بين القنادسة وبوعرفة

أول خط حديدي بالمغرب (الدار البيضاء) .
ILLUSTRATION AVRIL 1912.

... تم القطار السريع ، فيما بعد ..
تصوير بولان .



تم تدشين السكة الحديدية على يد السلطان مولاي حفيظ .
ILLUSTRATION-14 AVRIL 1923.

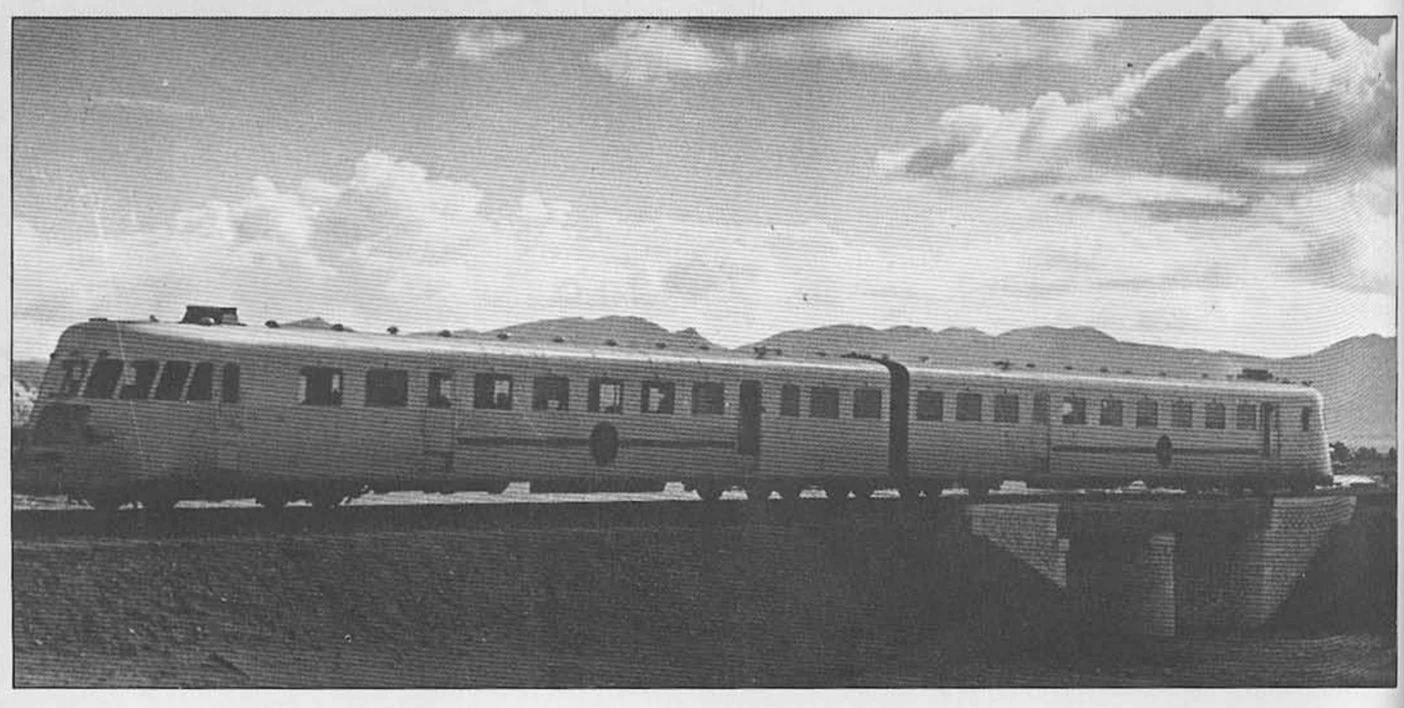
ووجدة ، وبين خريبكة والدار البيضاء ، وبين اليوسفية وآسفي .

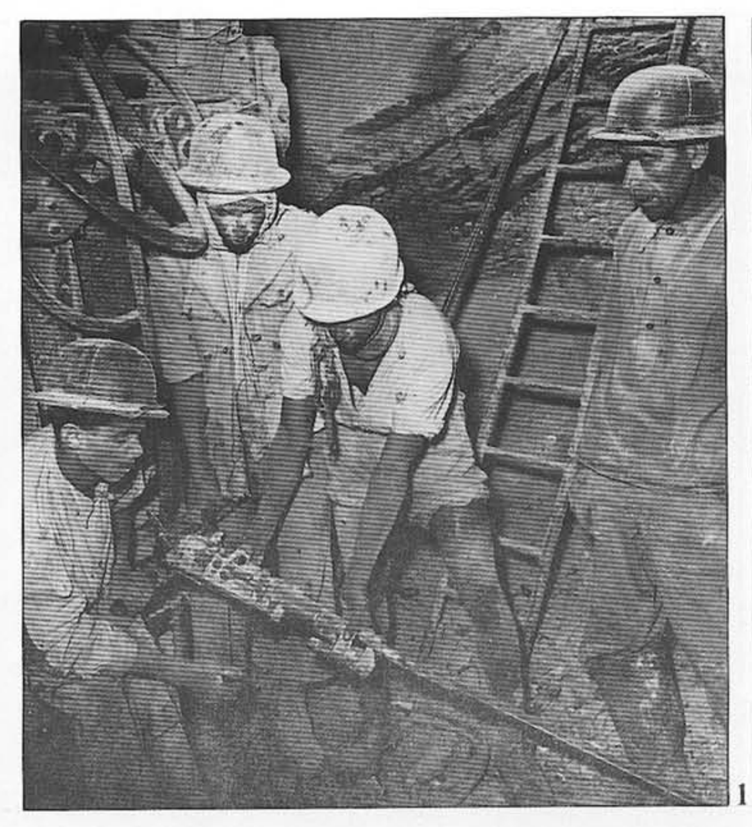
وقد أسند استغلال هذه الشبكة إلى ثلاث شركات :

– شركة سكة طنجة – فاس الحديدية Compagnie du Chemin de Fer de Tanger-Fes ، ذات رؤوس الاموال الفرنسية والاسبانية

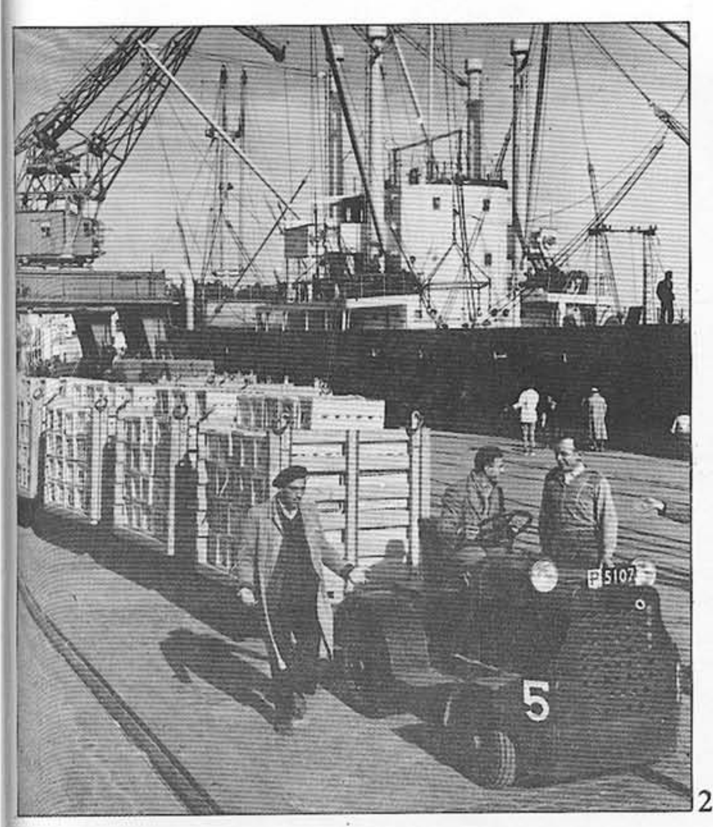
– وشركة السكك الحديدية بالمغرب Compagnie Marocaine des Chemins de Fer ، وأغلب رؤوس أموالها فرنسية .

– وشركة السكك الحديدية بشرقي المغرب Compagnie du Chemin de Fer du Maroc Oriental ، التي استغلت سنة 1927 لنقل المعادن المستخرجة على طول الحدود المغربية الجزائرية .

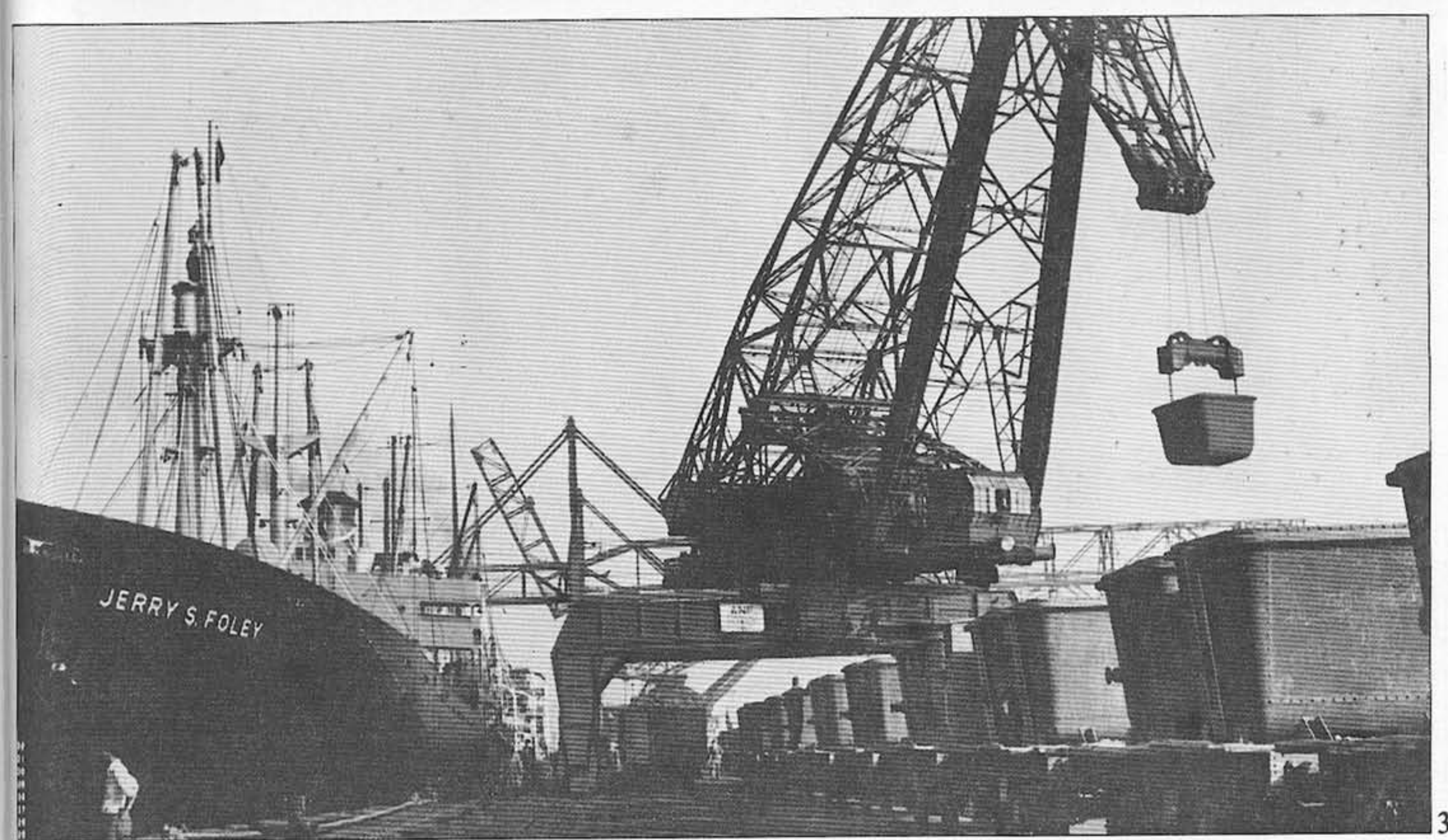




1



2



3

الاستثمارات

1

بناء سدّ بين الويدان . « يد عاملة وافرة ورخيصة » . تصوير بولان .

2

شحن الحوامض بواسطة الرافعات لتصديرها إلى فرنسا . المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

3

تصدير معدن الحديد المستخرج من وادي زم . المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

وقد أنجز سنة 1950 تحقيق حول رؤوس الأموال الخاصة المستثمرة بالمغرب سنة 1949 . وبذلك أمكن أن نستخلص أن 55 % من رؤوس الأموال واردة من فرنسا ، وأن 35 % استثمرها أوروبيون مستقرون بالمغرب ، و 5 % واردة من بلاد أجنبية غير فرنسا و 5 % استثمرها مغاربة قاطنون بالمغرب .

وقد استثمرت معظم هذه الأموال في القطاع العصري ، وهو القطاع الأوروبي الذي تهيمن عليه الشركات المسماة « **الشريفة** » ، إذ كان عددها يبلغ 645 12 سنة 1955 . وكان مجموع الشركات بالمغرب 14108 .

يضاف إلى ذلك أن رؤوس الأموال كانت تستثمر غالبا في الميادين العاجلة الربح (مثل التصدير والصناعات الخفيفة والتجارة وفي الميدان العقاري) ، لا في الصناعات الأساسية ولا في صناعة المنافع والمرافق التي قد تساهم في تصنيع البلاد . وكانت هذه الصناعات تمثل من 15 % إلى 20 % من مجموع الانتاج المغربي قبيل الاستقلال ، بينما كانت صناعة المنتجات المستهلكة كالمنتجات الغذائية والنسيج والجلد ألخ ... 80 % .

أما القطاع التقليدي ، أي قطاع الفلاحة التي لا يقتات منها إلا أصحابها ، وقطاع الصناعة التقليدية ، فقد أهمل إهمالا ، كما تدل على ذلك أدلة كثيرة مثل ضآلة الاعتمادات التي خصصت من ميزانية الدولة . فلم يخصص لذلك القطاع الفلاحي الذي كان يعيش منه 85 % من السكان المغاربة إلا 4.629.000.000 فرنك من سنة 1949 إلى سنة 1953 . أما القروض التي منحت للصناع التقليديين من سنة 1950 إلى سنة 1955 ، فلم تبلغ إلا 155 مليون فرنك . أما قطاع التعليم العام والتكوين المهني والتقني ، فلم ينل إلا القليل من اعتمادات نظام الحماية .

وخلاصة القول ، إن رؤوس الأموال المستثمرة في عهد الحماية كانت ضخمة من حيث الكم (بين 1500 و 1550 مليار فرنك 1959) . غير أنها لم توجه إلا إلى القطاعات التي أرادت السلطات تفضيلها على غيرها . فنتج عن ذلك ازدواج عميق بين القطاعات ، وعلى الصعيد الاقليمي . وتلك إحدى مميزات التخلف الذي كان على المغرب أن يواجهه بعد الاستقلال .

إسقاط الزيتون .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

السدود

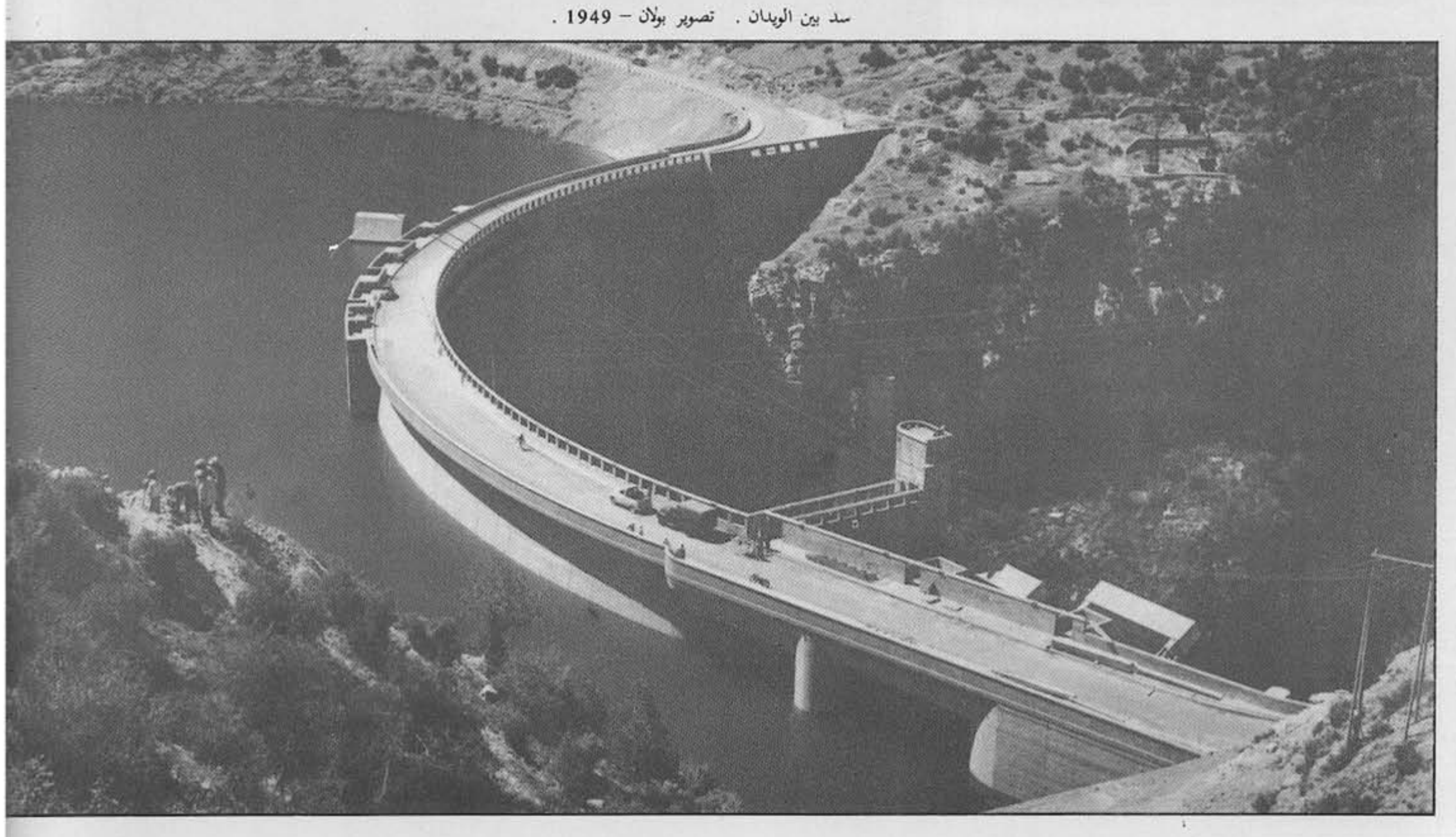
لقد شيدت السدود الكبرى لانتاج الطاقة الكهربائية وللسقي .

وقد بنيت ثلاثة سدود قبل الحرب العالمية الثانية ، أحدهما على الوادي المالح ، والثاني على وادي نفيس والثالث على أم الربيع . وبني بعد ذلك على هذا النهر أربعة سدود أخرى ، منها سد الداورات وسد ايمفوت لسقي سهول دكالة . أما سد بين الويدان الذي بني على وادي العبيد ، فقد كان الهدف منه سقي سهول تادلة . وبني سد آخر في شرقي المغرب على نهر ملوية .

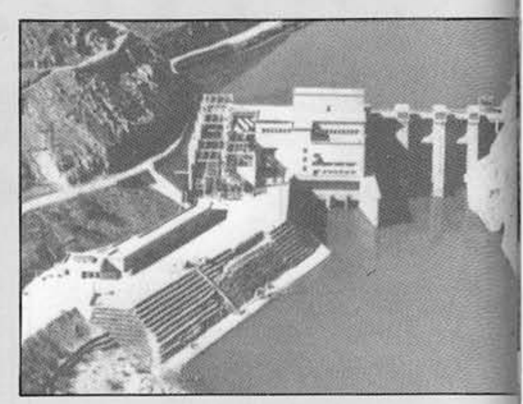
وقد قومت نفقات تجهيز هذه المنشآت بستين مليار فرنك (1959) على الاقل . ولربما بلغت هذه النفقات نسبة 10% من مجموع نفقات التجهيزات التي انجزتها إدارة الحماية . غير أنه يجب التنبه إلى أن أعمال تجهيز المناطق المسقية لم تشمل إلا مساحات ضئيلة (500 36 هكتار فقط سنة 1956) ، وإلى أنه لم يستفد منها إلا المعمرون .

أما الكهرباء ، فكان ينتجها اثنا عشر معملا مائيا ، بلغ إنتاجها 000 000 000 2 KWH ، ومعملان حراريان عظيمان ، شيد أحدها في الدار البيضاء سنة 1924 ، وثانيهما في وجدة سنة 1929 . وقد انتقل مجموع انتاج الطاقة الكهربائية من 000 000 25 KWH سنة 1930 إلى 000 000 250 KWH سنة 1942 و 1943 .

سد بين الويدان . تصوير بولان – 1949 .





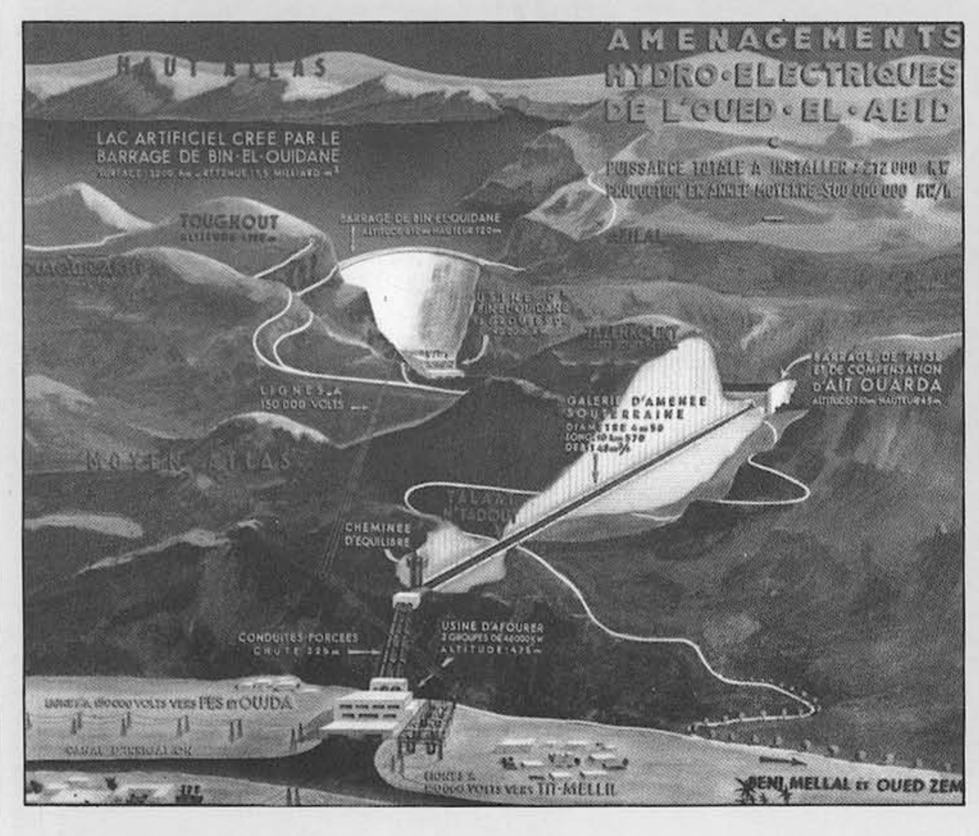


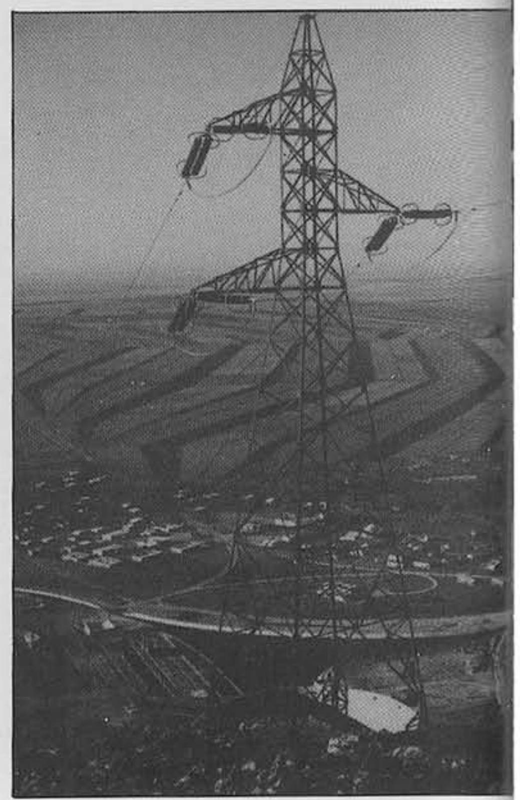
سد الداورات .
عن المعادن المغربية – مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية 1953 .

سد إيمفوت .
تصوير بولان .

معمل توليد الكهرباء بأفورير ، وخلفه سهل بني موسى الذي يسقى بماء سد بين الويدان .
تصوير بولان .

التجهيزات الكهربائية على وادي العبيد .
تصوير بولان .





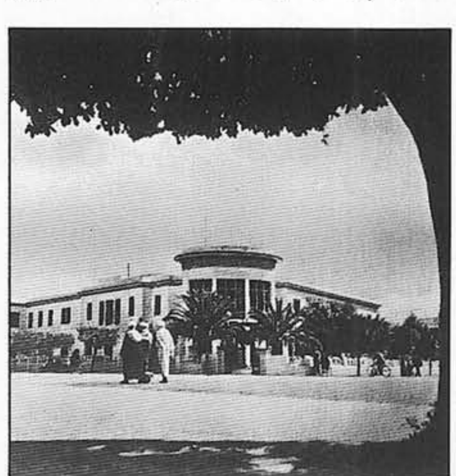
إنشاء المكتب الش

الحسن الصقلي

لقد اعترف بأهمية الفوسفاط المغربي وجودته منذ سنة 1912 . على أن سلطات الحماية لم تعمد إلى التنقيب عنه تنقيبا منظما إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وذلك في بلاد أولاد عبدون ، وخاصة في مناطق خريبكة ووادي زم والبروج . وكان فوسفاط المغرب أجود من فوسفاط تونس ومن فوسفاط الجزائر من حيث المحتوى : 74% مقابل 65% و 63% في ذينك البلدين .

وقد قررت فرنسا سنة 1920 أن تختص الدولة المغربية وحدها « **بالتنقيب عن الفوسفاط بالمغرب وبالقيام بالتجهيز والاستغلال** » ، وبذلك خرقت العادة التي كانت تتبعها في تشجيع مبادرات الخواص في ميدان المعادن (طريقة المناقصة) ، كما خرقت مقتضيات معاهدة الجزيرة الخضراء الممضاة سنة 1906 . ماذا كانت تهدف إليه إدارة الحماية بإنشائها المكتب الشريف للفوسفاط يوم 7 غشت 1920 ؟

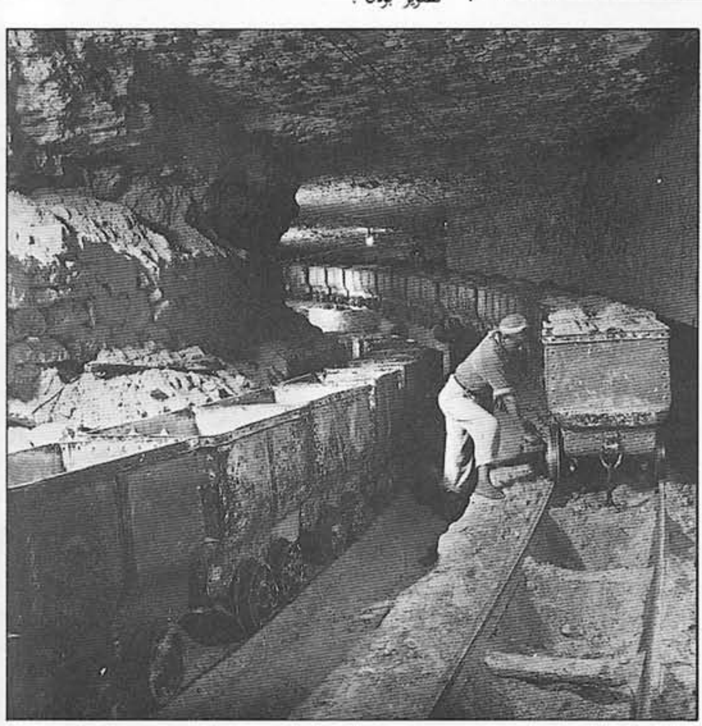
لقد قصر استغلال الثروات الفوسفاطية على مؤسسة عمومية ذات الشخصية المدنية والاستقلال المالي . وبذلك وفرت هذه المؤسسة للدولة الوسائل المالية الضرورية لتحقيق استثمار ثروات البلاد . وتلك هي السياسة التي كان المارشال ليوطي يحرص عليها في الميدان الداخلي . وكان ليوطي ومستشاره لانتونوا LANTENOIS ، كبير



أول مركز للمكتب الشريف للفوسفاط .
عن REVUE O.C.P. (1921-1926)



استخراج الفوسفاط من فوق الارض (خريبكة) .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



استخراج الفوسفاط من باطن الارض (خريبكة) سنة 1933
تصوير بولان .

ريف للفوسفاط

مهندسي مصلحة المعادن آنذاك ، يرفضان أن تستفيد المؤسسات التي قد تفوز بالمناقصات من أرباح استغلال الفوسفاط ، لاسيما وأن هذه المؤسسات لم تكن تبدو مستعدة لتحمل النفقات الباهظة التي تقتضيها أعمال التجهيز الضرورية لاستغلال المناجم ونقل الفوسفاط وبناء ميناء للتصدير .

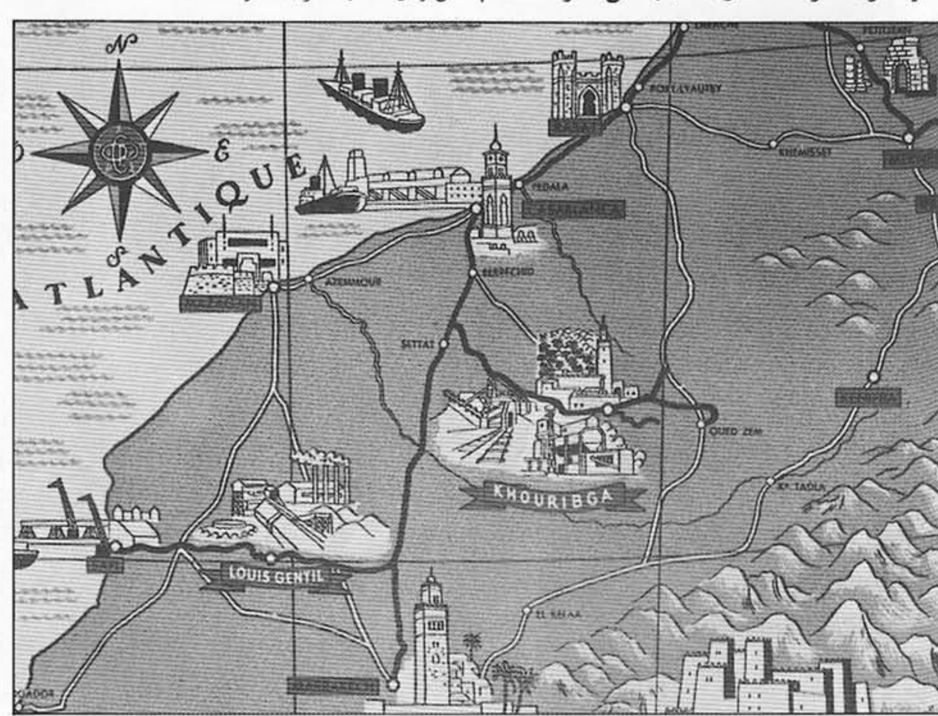
وتقرر أن تضاف الأرباح الناتجة عن بيع الفوسفاط إلى فصل التسيير في ميزانية الدولة . ولذا كان على الدولة أن تحتكر ميدان الفوسفاط وأن تنشئ من أجل ذلك أداة تراقبها كامل المراقبة . وذلك ما يظهر من الديباجة التي تتعرض لأسباب إصدار ظهير 27 يناير 1920 الذي يخول الدولة احتكار التنقيب عن الفوسفاط واستغلاله : « **نظرا للأهمية التي يكتسيها استغلال المناجم بالنسبة لتنمية الفلاحة والتجارة بالمغرب ... كان من الضروري تنظيمه بطريقة تمكن من ضمان المصلحة العامة ، وتختص الدولة وحدها بالنظر فيها وتقديرها . . .** » .

أما في الميدان الخارجي . فكانت فرنسا تهدف خاصة إلى إقصاء الولايات المتحدة عن أمور الفوسفاط . ذلك أن هذا البلد كان أول منتج لهذه المادة في العالم . فخافت فرنسا من عواقب تدخل الشركات الفوسفاطية الأمريكية اعتمادا على مبدأ « **الباب المفتوح** » المنصوص عليه في معاهدة الجزيرة الخضراء ، إذ كان في إمكانها المساهمة في المناقصات والفوز على غيرها بالصفقات ، نظرا لوسائلها المالية الهائلة التي تفوق وسائل المقاولات الفرنسية .

وكانت فرنسا ملزمة باحترام معاهدة الجزيرة ، شأنها في ذلك شأن جميع الدول التي أمضت المعاهدة . لكنها لم تر بأسا في خرقها ، ولو كان ذلك سببا في بعض المشاكل الدبلوماسية . فكان في اقرار احتكار الدولة وسيلة تذرعت بها فرنسا لتجنب هذا المانع القانوني ولقطع الطرق على جميع المقاولات كيفما كانت ، إذ كانت فرنسا تعلم أن المقاولات تريد بذل القليل لربح الكثير . فلم يكن هناك ما يمنع المقاولات التي قد تفوز بالصفقات من تقليل الانتاج ، بل حتى من وقفه أو تأجيله حسب الظروف الاقتصادية .

وكان للشركات الفوسفاطية مطامع في فوسفاط المغرب ، إذ كانت مخزوناته وجودته تحفز على كثير من المضاربات والمشاريع : منها مشروع اتفاق الشركات التونسية والجزائرية للفوز بصفقات استغلال مناجم خريبكة ؛ ومنها مشروع أمريكي كان يهدف إلى أبعد من ذلك وإلى مراقبة سوق الفوسفاط في العالم . ويتبين من ذلك أن الفوسفاط كان يعتبر ثروة عظيمة ، وأنه كان لابد من حفظ هذه الثروة بجميع الوسائل ، إذ كانت الدولة تنوي الاعتماد عليها لبناء اقتصاد المغرب الجديد .

وما لبثت النتائج أن ظهرت . فقد شرع في العمل في مركز خريبكة سنة 1921 ، واستخرج 33.000 طن من الفوسفاط . وبلغ انتاج هذا المركز 1.828.431 طن سنة



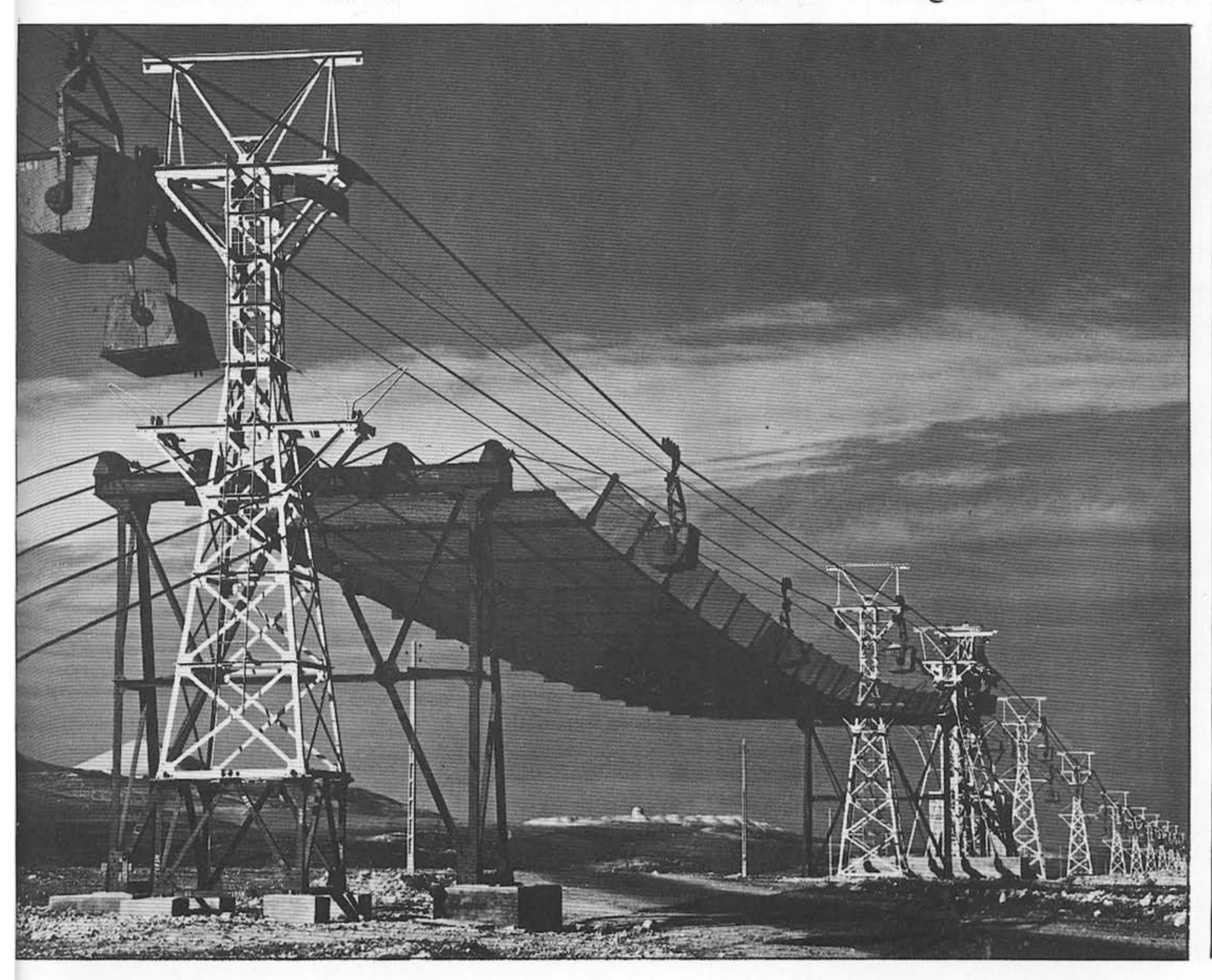
المراكز المعدنية بالمغرب .
من وثائق المكتب الشريف للفوسفاط .

1930 . وفتح مركز اليوسفية سنة 1932 ، واستخرج منه 6.960 طن . وارتفع هذا الانتاج إلى 980.000 طن سنة 1950 . وبلغ انتاج المركزين معا قبيل الاستقلال 5.328.855 طن . (انظر الجدول) . وكان المغرب قد تبوأ سنة 1939 الدرجة الخامسة من بين الدول المنتجة للفوسفاط ، إذ كان انتاجه حينذاك 1.500.000 طن .

وكانت الأرباح الصافية تدفع ، منذ البداية ، إلى خزينة الدولة بعد خصم قيمة القروض والاحتياطيات . فقد دفع للدولة سبعة ملايير فرنك سنة 1955 ، رصدت لميزانية التسيير ، أي 10% من مجموع دخل الميزانية . لكن المكتب الشريف للفوسفاط كان يسير مثل ما تسير المقاولات ذات القانون الخاص ، رغم كونه مؤسسة عمومية . ولذلك كان خاضعا لما تخضع له المقاولات الخاصة من أداء مختلف الضرائب والرسوم . وهكذا استعملت موارد المكتب الشريف للفوسفاط لتحقيق بعض المشاريع الهامة لتجهيز البلاد . ولم يكن ذلك ممكنا حينئذ لو كانت هذه المؤسسة في أيدي رؤوس الأموال الخاصة .

وهكذا ، فقد مول المكتب الشريف للفوسفاط أعمالا هامة في ميدان التجهيز في عهد الحماية ، ولو لم يكن له فيها فائدة مباشرة . من ذلك أنه أنشأ ابتداء من سنة 1925 الخط الحديدي بين الدار البيضاء وخريبكة والخط بين الدار البيضاء وابن كرير ومراكش ، ومول إقامة المركز الحراري لتوليد الكهرباء بالدار البيضاء ومركز سيدي سعيد معاشو ، وإقامة خطوط الكهرباء التي تزود مدينة خريبكة . وفي نفس

نقل الفوسفاط بواسطة « **التيليفيريك** » **باليوسفية** .
تصوير بولان .



انتاج الفوسفاط بالمغرب

خريبكة

اليوسفية

(بآلاف الاطنان)

5000 4000 3000 2000 1000 500

السنة	اليوسفية	خريبكة	المجموع
1921		33,000	33,000
1925		715,643	715,643
1930		1 828,431	1 828,341
1932	6,960	1 011,422	1 018,382
1935	137,941		1 359,338
1940	111,306	628,509	739,815
1945	403,122	1 219,973	1 623,095
1950	980,504	2 891,737	3 872,241
1955	1 251,839	4 077,016	5 328,855

بيع الفوسفاط

الصادرات المجموع إلى فرنسا

(بآلاف الاطنان)

4000 3000 2000 1000 500

السنة	إلى فرنسا	المجموع
1921	3,825	8,190
1925	145,807	711,864
1930	314,078	1 760,812
1935	120,326	1 296,812
1939	174,569	1 465,673
1944		1 436,854
1950	531,974	4 032,712
1951	540,017	4 418,609

للمغرب

(بآلاف الاطنان)

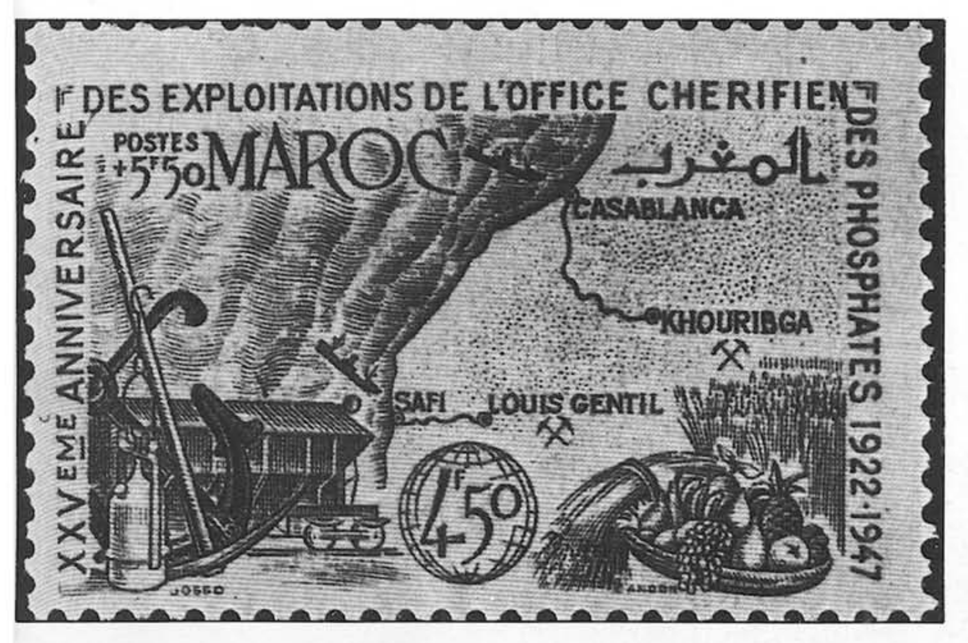
100 50 25

سنة	للمغرب
1921	0,042
1925	9,367
1930	18,196
1935	7,130
1939	26,081
1944	27,007
1950	58,881
1951	113,854

الحقبة وسع ميناء الدار البيضاء ، وأضيفت إليه أرصفة أخرى وتجهيزات لشحن المعادن .

وفي سنة 1932 ، ساهم المكتب الشريف للفوسفاط بأوفر نصيب في بناء ميناء مدينة آسفي وتجهيزه ، وذلك لتصدير فوسفاط اليوسفية . فأصبح ، في نفس الوقت ، أول ميناء لصيد السمك في المغرب .

وكانت إدارة الحماية قد تعمدت توجيه هذه الأسيسة إلى شواطئ المحيط . ذلك أن



الذكرى الخامسة والعشرون لاستثمار المكتب الشريف للفوسفاط . 1922 – 1947 .

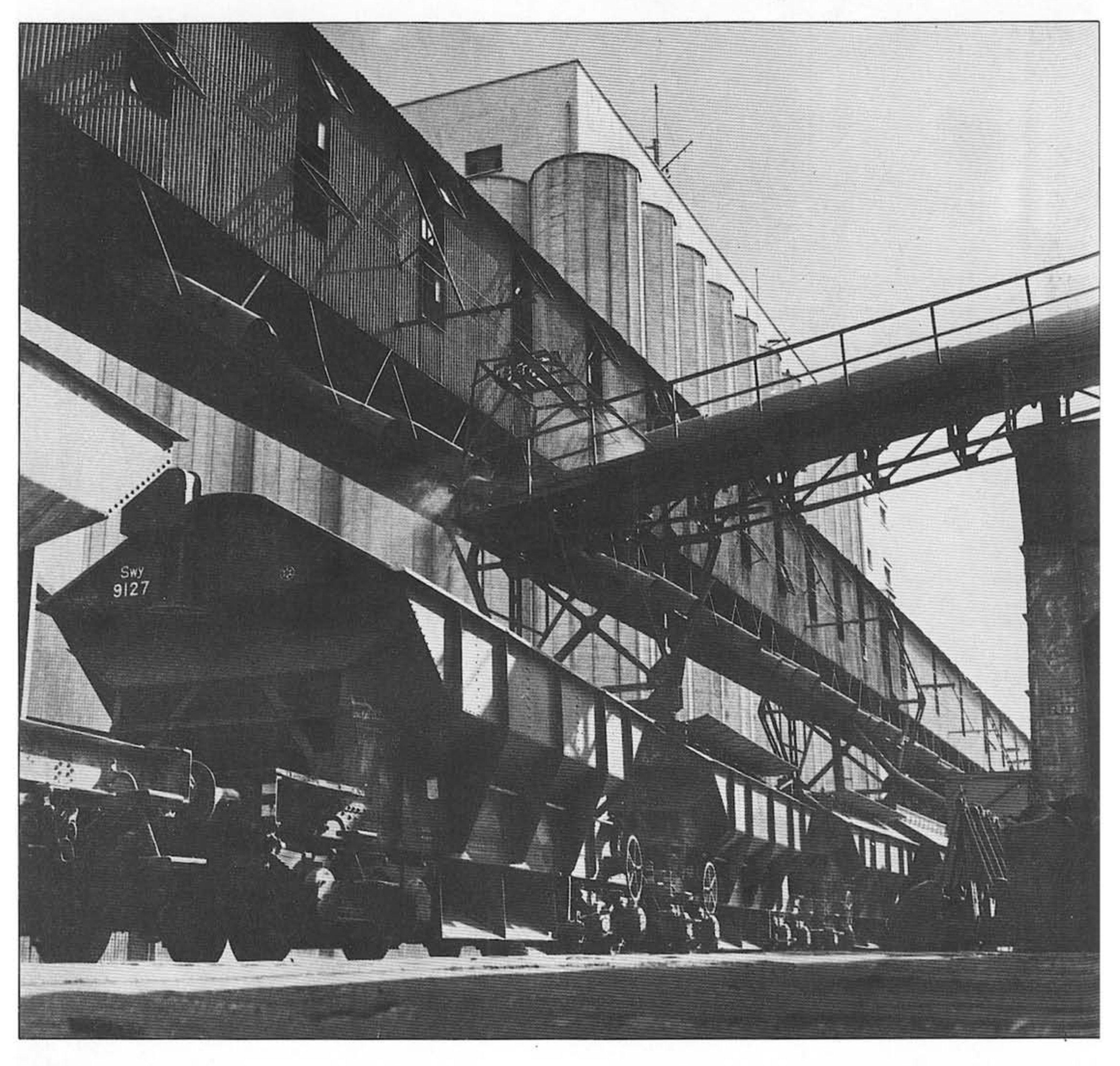
منشآت المكتب الشريف للفوسفاط بميناء الدار البيضاء ماي 1948 .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

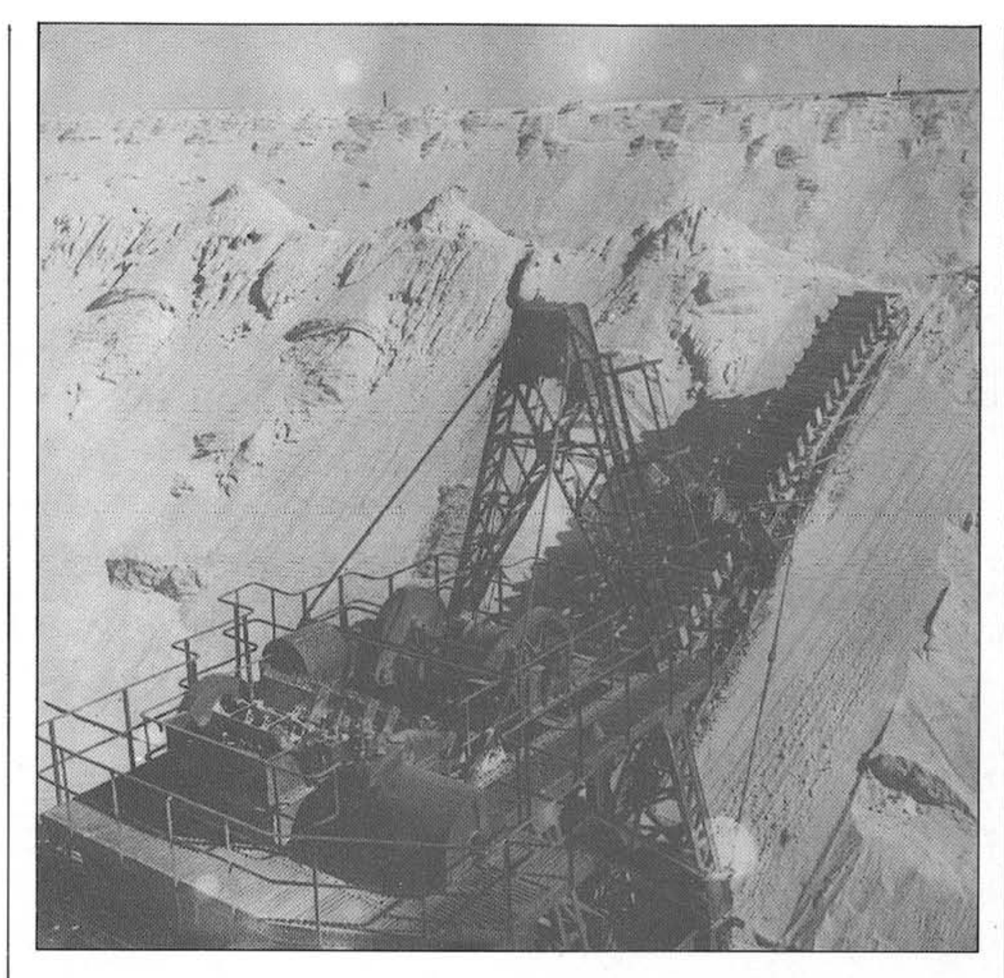
المكتب الشريف للفوسفاط

معظم إنتاج فوسفاط مركز خريبكة ومركز اليوسفية كان يصدر إلى الخارج : 1.760.812 طن سنة 1930 (من مجموع انتاج بلغ 1.828.431 طن) و 4.418.609 طن (من مجموع انتاج بلغ 4.716.905 طن) سنة 1951 . وقد بلغ الفوسفاط المصدر 80% من مصدرات جميع المعادن ، وثلثي هذه المصدرات تقريبا من حيث القيمة .

خزائن ميناء الفوسفاط .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

وقد تنوعت الأسواق التي كان الفوسفاط يصدر إليها تنوعا نسبيا ، خلافا لما كان عليه باقي المعادن . غير أنه لم يكد يصدر إلا إلى الأسواق الأوروبية : 91% سنة 1951 ، منها 13% إلى السوق الفرنسية . أما الكميات المسوقة في داخل المغرب ، فقد بقيت ، بطبيعة الحال ،



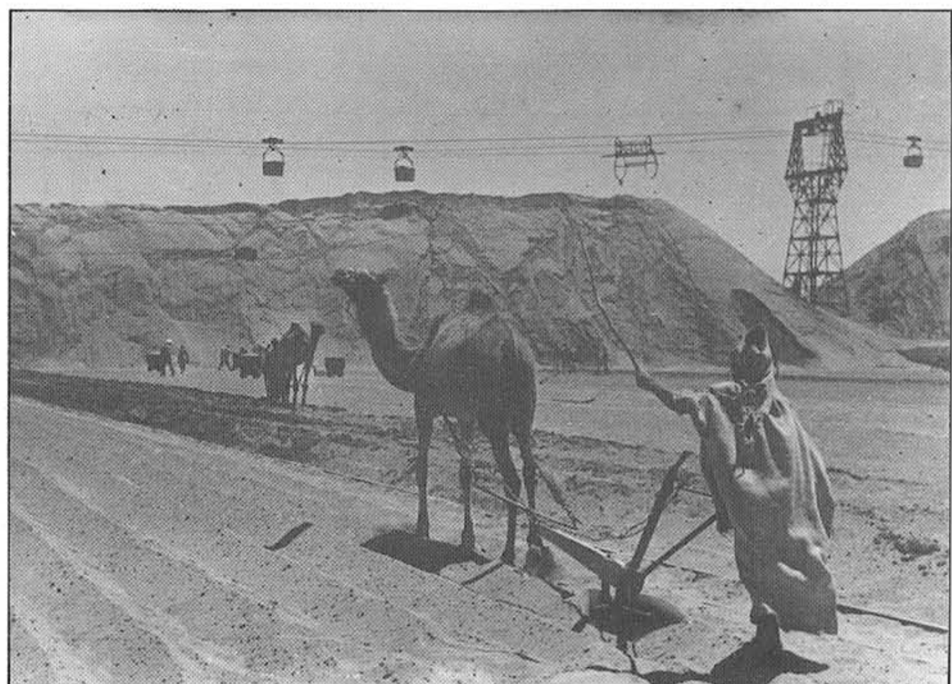


منطقة تجفيف الفوسفاط بخريبكة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

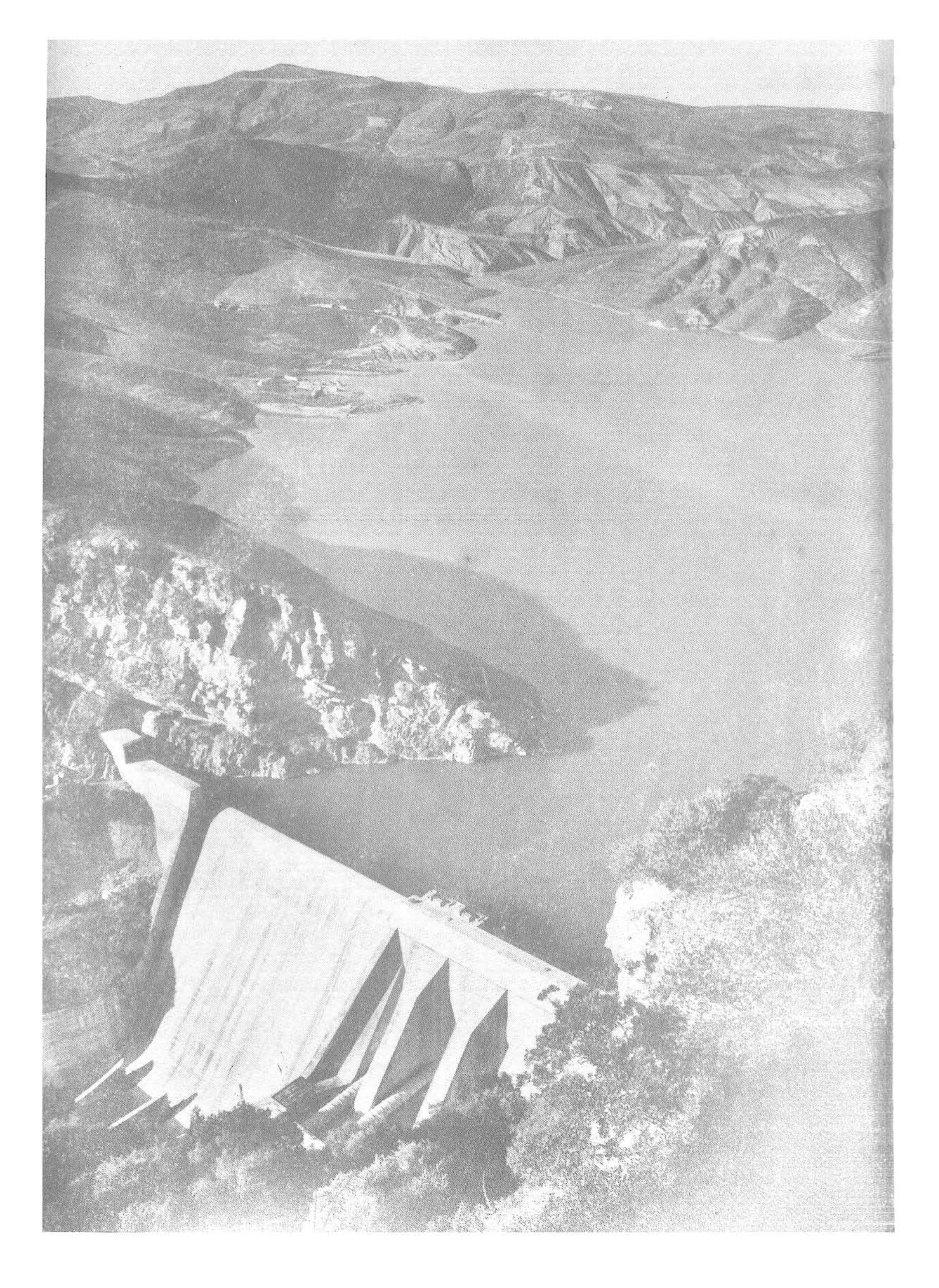
ضئيلة : 26.081 طن سنة 1939(أي 1،75% من مجموع المبيعات – انظر الجدول) و 27.007 طن سنة 1944 (1،84%) و 58.881 طن سنة 1950 (1،43%) . وكانت الشركة Société Chérifienne d'Engrais هي التي تستعمل هذا الفوسفاط لصنع الفوسفاط الممتاز البسيط Superphosphate Simple في معمل أنشئ سنة 1925 بالدار البيضاء بمبادرة من مؤسسة Kuhlmann . وكان انتاج هذا المعمل ضئيلا جدا بالقياس إلى الكميات التي تستخرج كل سنة : فقد انتج 9.900 طن من الأسمدة سنة 1925 و 28.600 طن سنة 1932 ، ثم 50.000 طن سنة 1950 . ثم استقر الانتاج في 100.000 طن قبيل الاستعمار .

ولا شك أن الهدف من إنشاء الشركة المغربية للأسمدة المنضوحة Société Marocaine des Engrais Pulvérisés سنة 1944 كان هو استقصاء عمليات تحويل الفوسفاط لانتاج أسمدة مركبة انطلاقا من نوع الهيبيرفوسفاط Hyperphosphate . لكن تزويد معامل القنيطرة وبرشيد وآسفي بالفوسفاط لم يبلغ المستوى المطلوب لانتاج كميات كبيرة .

وكانت سياسة إدارة الحماية تقتصر في الواقع على عمليات استخراج الفوسفاط الخام وعلى تصديره وعلى استرجاع مواد ثانوية ، وهي مادة Kourifos في خريبكة ومادة Calcofos في اليوسفية . ولم تعمد سلطات الحماية إلى رفع قيمة المادة الخام بتحويلها إلى مادة كاملة الصنع ومواد أخرى غير تامة الصنع . ولم يشرع في ذلك إلا بعد الاستقلال .



طريقة أخرى للتجفيف .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



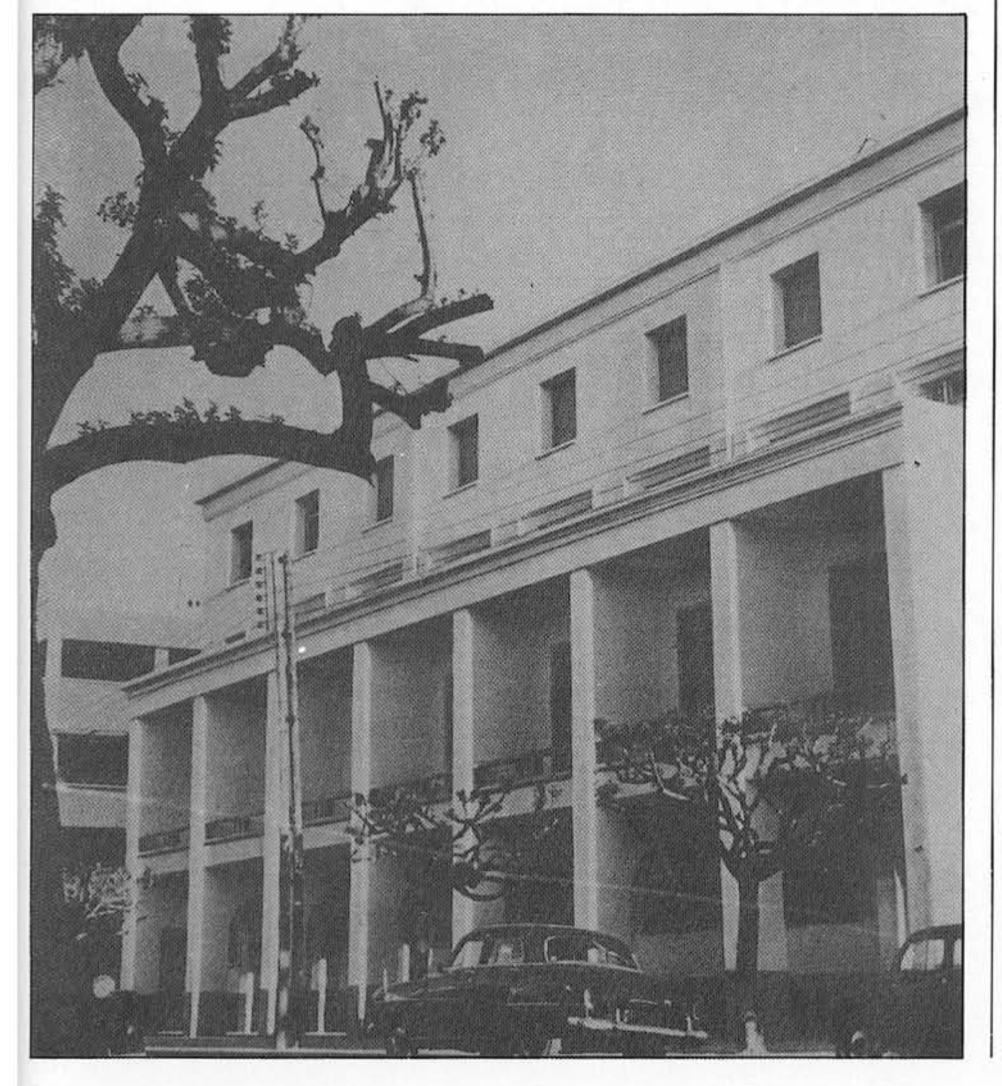
إنشاء مكتب الأبحاث

الحسن الصقلي

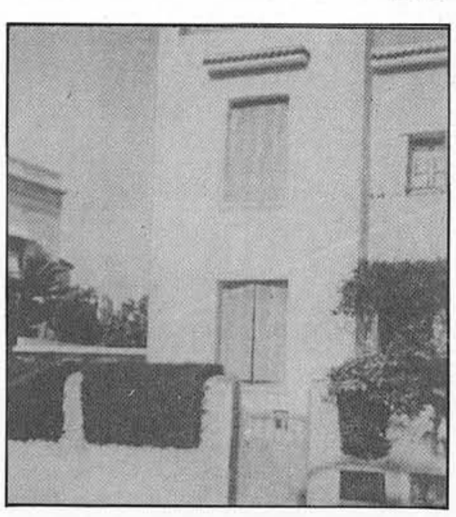
لقد أنشئ مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية سنة 1928 « **لتنشيط الأبحاث المعدنية وتمكين الدولة من بذل جهود في هذا الميدان ، موازية لجهود الخواص في الصناعة ، أو بمشاركة الخواص أنفسهم ، وبنفس الحقوق ونفس الواجبات** » . هذه هي الطريقة التي كان إيريك لابون Erick Labonne ، وهو يومئذ الأمين العام للحماية يوصي بها ، إذ مكنت الدولة الفرنسية من المساهمة في التنقيب عن المعادن واستثمارها دون المس بمصالح الخواص ، وكان هؤلاء يحذرون من احتكار الدولة لكل النشاط المعدني في البلاد . فلم ينسوا مثال المكتب الشريف للفوسفاط ، إذ مكنت الدولة المكتب من احتكار التنقيب عن الفوسفاط واستغلاله .

والواقع أن سلطات الحماية حاولت ، بانشاء مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية أن تضمن تزويدها تزويدا منتظما بالمواد الخام الضرورية . فقد كتب في ذلك ف . بييتري F. Piétri ، المدير العام للمالية سنة 1930 : « إن **من أهداف إنشاء المكتب استخراج المواد الخام التي من شأنها أن تسد عجز فرنسا ... لهذا ، فإن المكتب**

العمارة التي توجد فيها حاليا مكاتب الشركة الشريفة للبترول ومكتب الابحاث والمساهمات المعدنية .
عن "Les mines Marocaines" لمكتب الابحاث والمساهمات المعدنية 1953 .



أول مركز لمكتب الابحاث والمساهمات المعدنية بالرباط سنة 1929 .
عن "Les mines Marocaines" لمكتب الابحاث والمساهمات المعدنية 1953 .



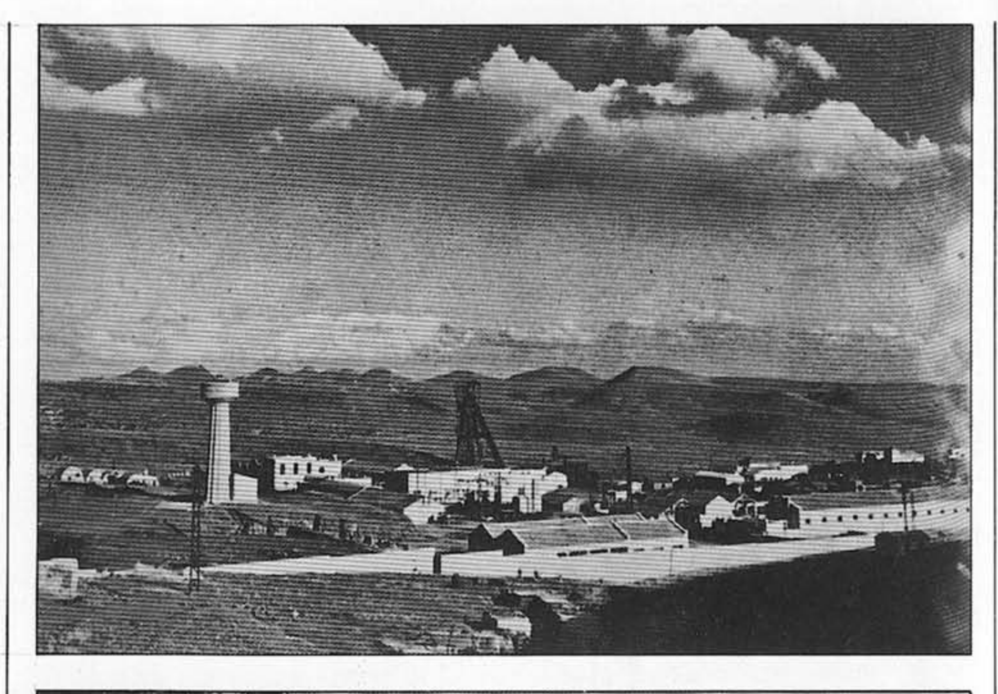
والمسَاهمات المعدنيَة

يكتفي بتمويل انتاج المعادن بحيث يكون ذلك الانتاج مكملا للانتاج الفرنسي ، لا منافسا له » . ولم يكن هذا الهدف ليتحقق لو كانت مبادرة الاستغلال بيد الشركات الخاصة وحدها . وبذلك استطاعت الدولة الفرنسية ، عن طريق هذه المؤسسة العمومية ، الاسهام بحظ وافر في استغلال المعادن والطاقة الضرورية لتنمية اقتصادها .

اقتناء الأسهم في الشركات

إن الظهير المؤسس لمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية قد قصر نشاط هذه المؤسسة على البحث عن مناجم المحروقات المعدنية السائلة والصلبة وعلى استغلالها . ثم خول المكتب سنة 1939 حق المساهمة في المقاولات التي من أهدافها انتاج المواد المعدنية أو تحويلها . ثم وسعت اختصاصاته سنة 1946 . فخول حق المساهمة في مقاولات النقل واستعمال المواد المعدنية .

وكان المكتب قد أنشئ ، أول الأمر ، للاهتمام بقطاع الطاقة . فاقتنى ثلث رأس مال الشركة التي وكل إليها أمر استثمار منجم الفحم الحجري بجرادة . وقد حلت محل هذه الشركة





ورش للتنقيب فتحه مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية ببلدة تامجوط في مارس 1953 .
المكتب الوطني المغربي للساحة بالرباط .

مركز جرادة القديم .
عن "Les mines Marocaines" مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية 1953 .

احتكار الشركات الاجنبية استخراج المعادن

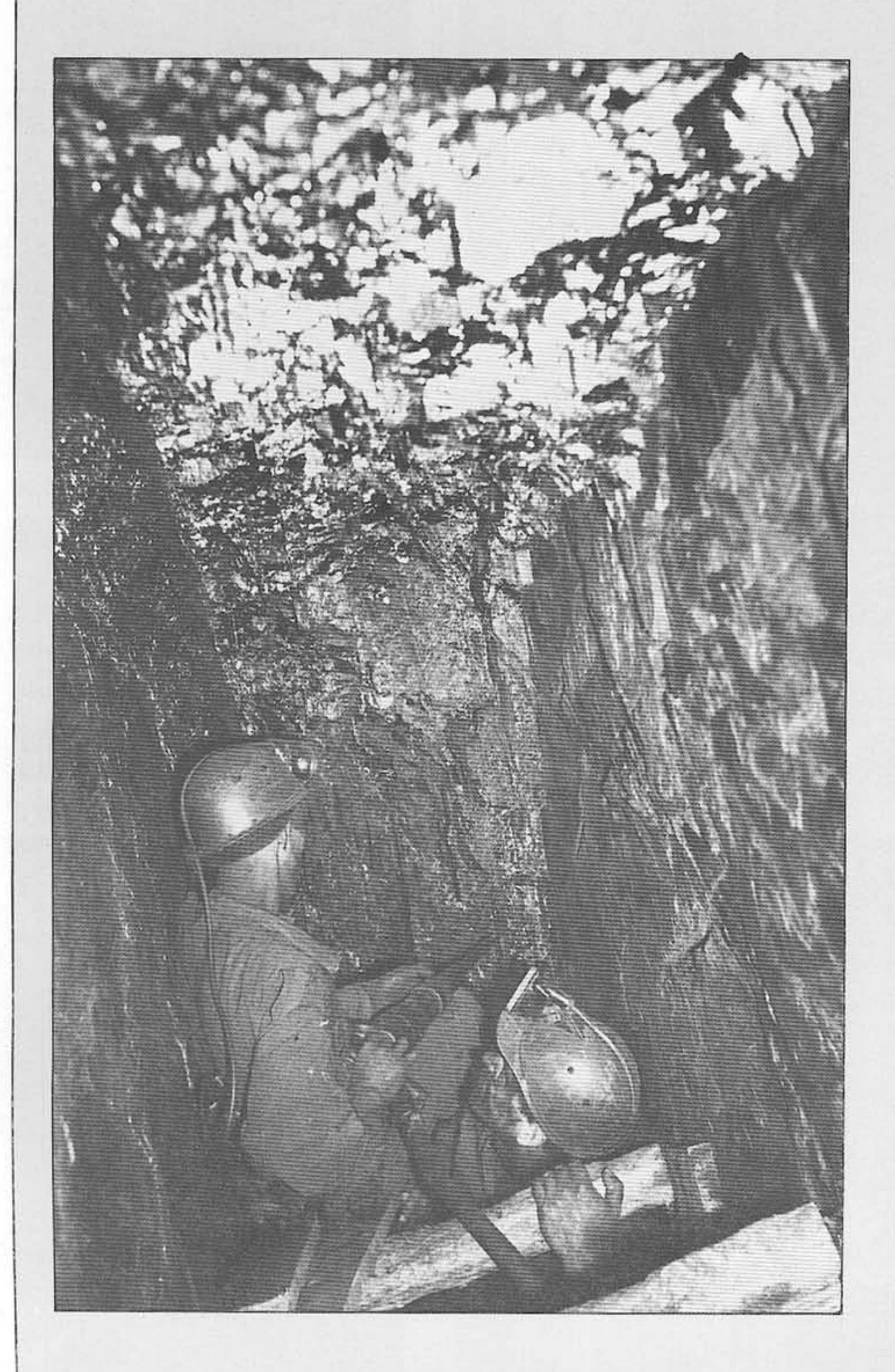
لقد احتكرت عدة شركات عملية التنقيب عن المعادن واستخراجها في عهد الحماية . وكانت هذه الشركات متفرعة عن مجموعات صناعية ومالية أوروبية قوية . وكان الهدف الذي تعترف به هو مراقبة السوق العالمية في جميع المراحل ، منذ استخراج المعدن إلى آخر مرحلة من مراحل تحويله .

ولم تتدخل هذه الشركات ، في البلاد المنتجة للمعادن ، إلا في مرحلة الاستخراج والنقل . أما عمليات التحويل ، فكانت كلها تكاد تباشر في الخارج . وبذلك استطاعت هذه الشركات أن تضاعف مواردها في مراحل الاستخراج والتحويل ، فسيطرت سيطرة تامة على الثروات المعدنية في البلاد المحتلة ، دون أن يشاركها في ذلك غيرها .

ولم يفلت المغرب من هذه السيطرة ، إذ ثبت وجود ثرواته المعدنية مدة طويلة قبل عقد الحماية . وقد اجتهدت الشركات في استخراج كل أنواع المعادن وبأقل تكلفة ، مستعملة في ذلك يدا عاملة وافرة ورخيصة . وإليك جانبه جدولا بأهم المعادن المستثمرة في عهد الحماية على يد الشركات المتفرعة عن مجموعات صناعية وبنكية دولية .

المعادن	أهم المناجم	الشركات
المنغنيز	ايميني (ورزازات)	afienne d'Etudes Minières (SACEM)
	بوعرفة	Société des Mines de Bouarfa
	تيوين (ورزازات)	Compagnie de Tifnout-Tiranimine
الحديد	ويشن (الناضور)	pagnie Espagnole des Mines du Rif
	إيركانت بقوية (الناضور)	Setolazar
	آيت عمرو (وادي زم)	es Mines et des Produits Chimiques
	قطارة (مراكش–آسفي)	ompagnie Minière et Métallurgique
الرصاص والزنک	بوبكر (وجدة)	Société des Mines de Zellija
	تويسيت	agnie Royale Asturienne des Mines
	أحولي وميبلاضن (ملوية)	Société des Mines d'Aouli
	جبل عوام (أزرو–خنيفرة)	Société Minière du Jbel Aouam
	بني تادجيت–قصر موغال	Société Minière du Haut Guir
	(الراشيدية)	té Minière Métalirgique de Pennaroga
	أردوز (مراكش)	Union Minière de l'Atlas Occidental
الفحم الحجري	حاسى بلال–جرادة	Charbonnages Nord. Africains
المحروقات السائلة	مناجم صغيرة في الغرب	Société Chérifienne des Pétroles
الكوبالت	نازناخت آكدز	Société Minière de Bou Azzer
النحاس	أزكور (مراكش)	Société le Molybdène
	جبل الكلخ (بوعرفة)	iété Marocaine d'Exploitation Minière
القصدير	الكريت (أولماس)	ociété des Minnes d'Etain d'Oulmès
الباريتين	جبل إيغود–وادي تاساوت	e des Mines et de Produits Chimiques
الذهب والفضة	جبل صاغرو	l Mansour-Westfield Minerals Limited

مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية



منجم الفحم بجرادة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

تاريخ بداية استخراج المعادن	لمدرة
1929	Société Anonyme (
1929	
1938	
بداية القرن	Gr
بداية القرن	
1937	Société Marocain
1938	
حوالي 1930	
حوالي 1930	Cr
1936–1926	
1955	
1950	
1955	Soci
1949	
1930	
1934	
1932	
حوالي 1932	
1952	Sc
1934	S
	Société Marocain
1950	Compagnie Minière du Jb

شركة أخرى سنة 1946 اسمها Charbonnages Nord-Africains . وفي سنة 1947 ، زيد في رأس المال ، فاقتنى مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية % 49،16 من الاسهم والشركة البلجيكية Cofinindus% 22،61 . أما باقي الاسهم ، فقد وزع على فروع البنك Banque de Paris et des Pays-Bas بنسبة % 8،45 والدولة الفرنسية بنسبة % 19،76 .

وقد استفاد من هذا التوزيع الشركاء العموميون للشركة Charbonnages Nord-Africains, أي مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية والدولة الفرنسية ، إذ استحوذا معا على % 68،92 من الأسهم ، فأمكنهما مراقبة الانتاج والتسويق في المنجم الوحيد الذي ينتج الفحم الحجري بالمغرب .

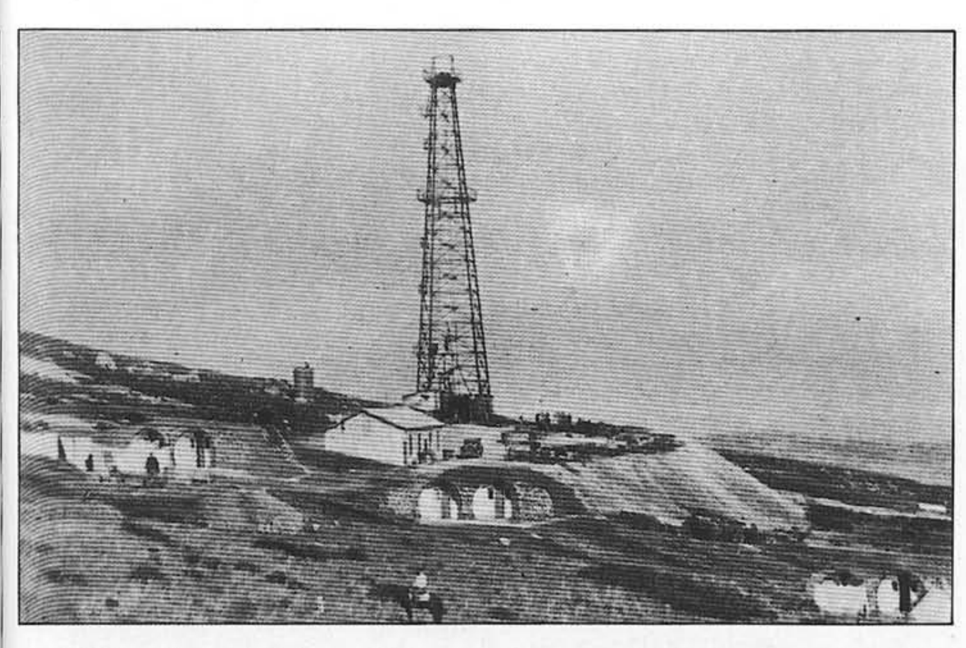
وأنشئت الشركة الشريفة للبترول Société Chérifienne des Pétroles لنفس الغاية سنة واحدة بعد إقامة مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية . وقد كانت الشركة Société Financière Franco-Belge de Colonisation (Financo) حينئذ تدير المصالح الفرنسية والبلجيكية الخاصة في الجمعية Syndicat des Pétroles au Maroc . فاقتنت الشركة Financo نصف أسهم الشركة الشريفة للبترول ، واقتنى النصف الآخر مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية . فأصبح هذا المكتب يمثل المصالح العمومية وشبه العمومية المغربية والفرنسية في الشركة الشريفة للبترول . وأصبح ينسق عملية التنقيب والاستغلال التي تقوم بها هذه الشركة .

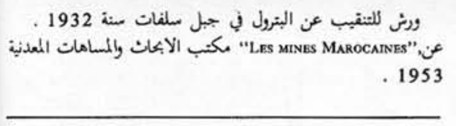
ويدلنا مثل شركة Charbonnages Nord-Africains ومثل الشركة الشريفة للبترول على حرص فرنسا على مراقبة قطاع كانت لها فيه آمال عريضة . فقد ابتدأ استغلال مناجم جرادة سنة 1930 ، فأنتجت في تلك السنة 930 طن من الفحم الحجري المسوّق ، ثم ارتفع الانتاج إلى 123.000 طن سنة 1938 ، ثم إلى 243.500 طن سنة 1940 . ولما فتح المنجم الجنوبي بحاسي بلال ارتفع الانتاج إلى 565.000 طن سنة 1953 .

أما الشركة الشريفة للبترول ، فقد جمعت سنة 1929 أفيد رخص التنقيب التي كانت مبعثرة بين أيدي عدة شركات ، وبذلك احتكرت منطقة كاملة للبحث والاستغلال . فكان أول منجم اكتشفته في مارس 1934 في جبل سلفات في ناحية سيدي قاسم ، ثم في جبل بودرع سنة 1953 في نفس الناحية . وبعد الحرب العالمية الثانية اكتشفت مناجم صغيرة منذ 1947 . وأنشئت مصفاة بسيدي قاسم سنة 1939 لمعالجة ما تنتجه مناجم الغرب .

وكانت كمية البترول المستخرج (100.000 طن سنة 1954 – 1955) تافهة إذا قيست بما كانت تنتجه الحقول الجزائرية والتونسية . لكنها تعتبر البادرة الأولى في ميدان إنتاج البترول ، وحتى سنة 1956 على الأقل . وعلى أي حال ، فقد استطاعت فرنسا ، بذلك الانتاج ، أن تسد حاجات منشآتها الصناعية بالمغرب إلى الطاقة .

وكانت السلطات الفرنسية تحرص ، بالاضافة إلى ميدان الطاقة ، على أن يساهم مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية ، ولو مساهمة بسيطة ، في رأس مال الشركات المعدنية التي كانت تستغل المواد الضرورية لصناعات فرنسا نفسها . من ذلك معدن المنغنيز ومعدن

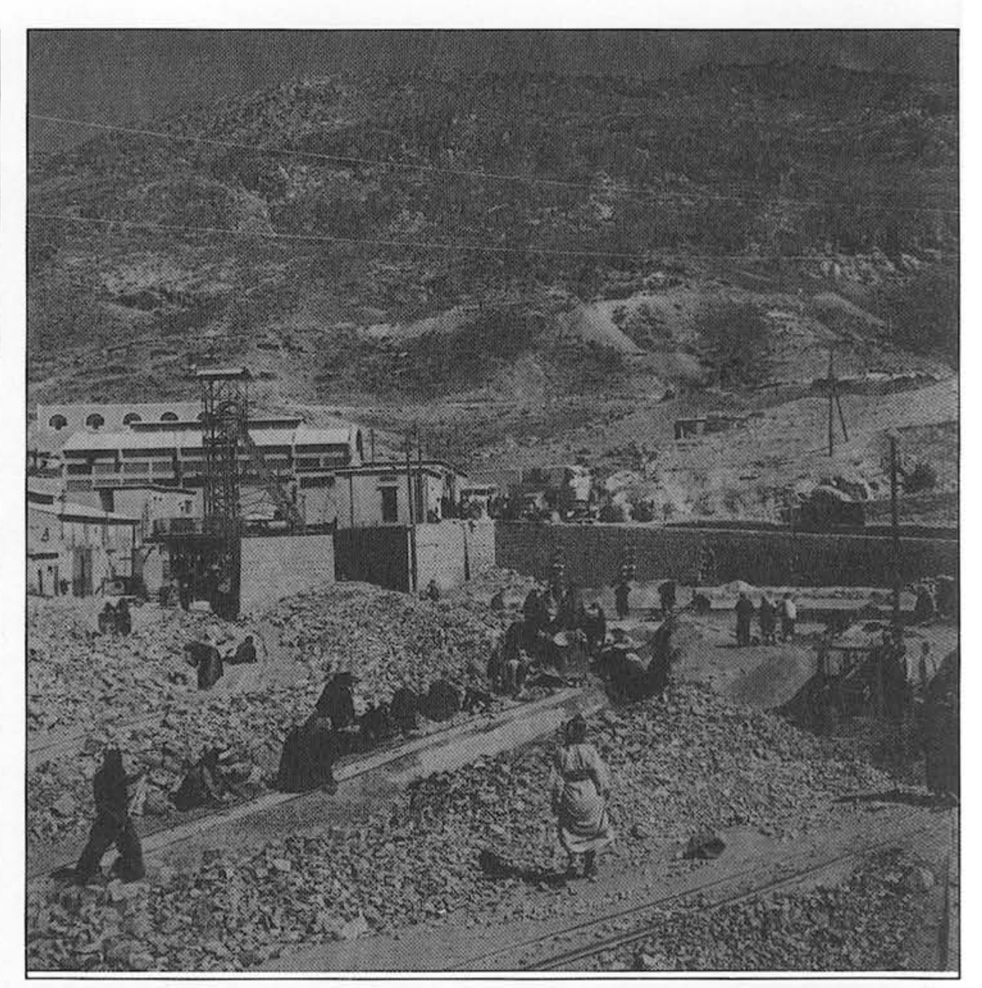




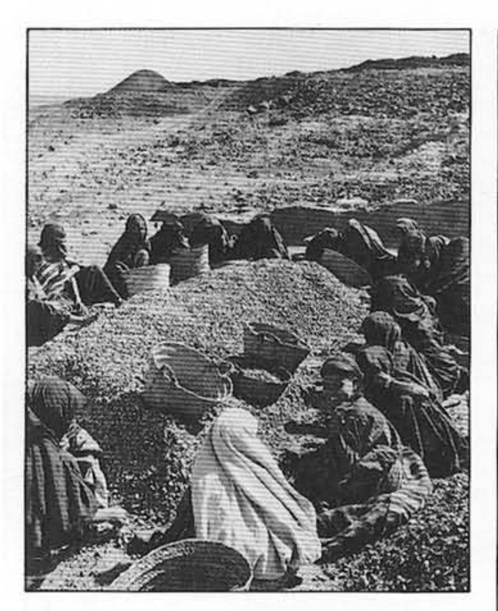
ورش للتنقيب عن البترول في جبل سلفات سنة 1932 . عن"Les mines Marocaines" مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية 1953 .

انفجار أحد آبار البترول بجبل سلفات . Illustration 1934.

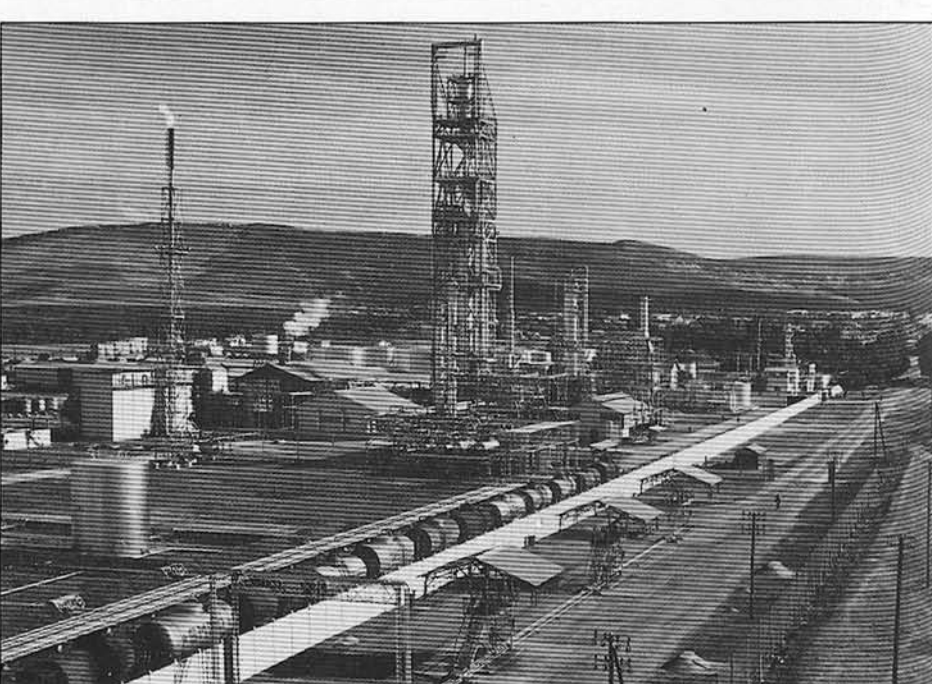
مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية



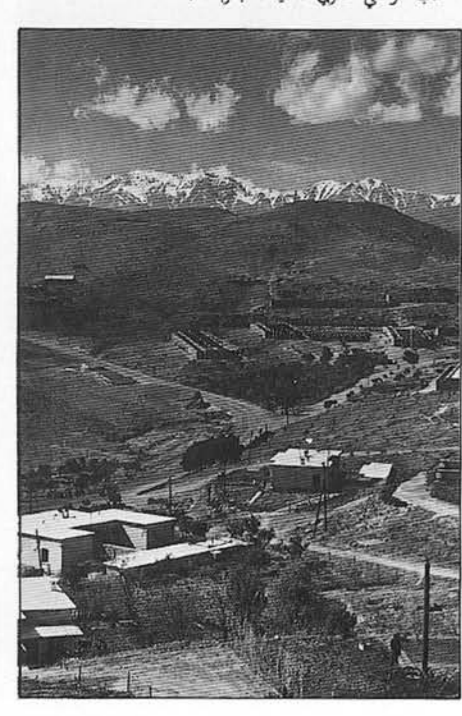
بوعازر . منجم الكوبالط . 12 مارس 1952 .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



عملية الفرز في منجم الرصاص بنفيس (تافيلالت) .
تصوير بولان .



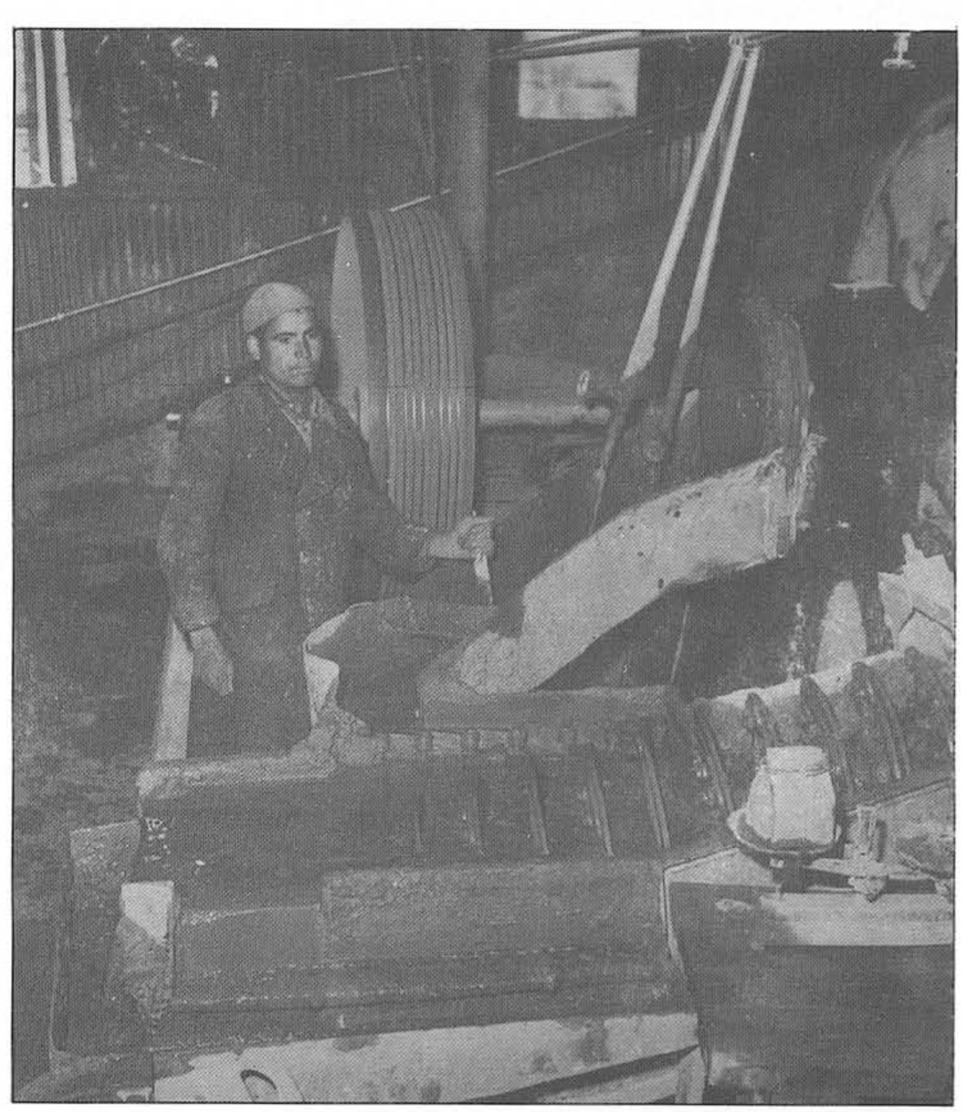
منظر عام لمعمل تكرير البترول بسيدي قاسم – نفمبر 1954 .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



منجم المنغنيز ببلدة ايميني (11 مارس 1952) .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

الموليبدين اللذان يستعملان في صناعة أنواع الصلب الخاص واللذان كانت فرنسا مضطرة إلى استيرادهما .

وكان مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية قد اقتنى ثلث رأس مال الشركة Société Anonyme Chérifienne d'Etudes Minières التي كانت تستغل منجم المنغنيز ببلدة إيميني والتي كانت تراقبها منذ نشأتها شركة Mokta El Hadid ، تلك الشركة القوية التي كانت تستغل معدن الحديد الممغنط . واقتنى المكتب كذلك 16،65 % من رأس مال الشركة Société des Mines d'Aouli و 8،10 % من رأس مال الشركة Le Molybdène . واستطاع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية أن يساهم ، قبيل استقلال المغرب ، في ما يقرب من 30 شركة معدنية . وحاز في ست عشرة من هذه الشركات ما بين 34% و 50% من رأس المال . **« لكن هذه المساهمات لم تكن تضمن للمكتب ، حسب بعض الكتاب ، إلا ما يضمن في جميع الأحوال ، لأي مساهم من القطاع الخاص ، ساهم بنفس المبالغ وبنفس الشروط »** . فلم تكن سلطات الحماية تريد ، بصفة عامة أن يحوز المكتب أغلبية رأس المال ، ولا أن يستولي على وظيف الرئيس أو المدير المنتدب ، إذ كان المكتب يكتفي بتشجيع المبادرة الخاصة من غير أن ينافسها ، وبمراقبة التسيير مراقبة جزئية ، بصفة سلبية لمعارضة بعض القرارات . ذلك أن إمكان التعرض الذي يملكه المكتب بصفته صاحب 34 % من الأسهم يجعله قادرا على بلوغ ذلك الهدف .



مغسل منجم الذهب ببلدة تيويت (13 مارس 1952) .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

تشجيع المبادرة الخاصة

وكان مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية يساعد المقاولات الخاصة بطرق متنوعة . ولما تباطأت حركة التنقيب عن المعادن في غضون الأزمة الاقتصادية التي حدثت في السنوات 1930 ، كان لذلك أثره على سوق المعادن حينذاك . فعامل المكتب المقاولات الخاصة العاجزة كما تعاملها الأبناك ، فبذل لها مساعدات مالية كانت ، في كثير من الأحوال ، في شكل إسهام في رأس المال . لكنها كانت ، في الواقع ، تعتبر مساعدة بالأموال العمومية .

وكان المكتب يساهم في بعض الشركات ، أو يقرضها قروضا لا تردّ ، إذ لاتستطيع تلك الشركات إنجاز كل برامجها . وكانت بعضها تقطع نشاطها قطعا ، رغم تلك المساعدات . ولم يشرع المكتب في إبرام اتفاقيات مع المقاولات الصغيرة والمتوسطة إلا بعد الحرب العالمية الثانية . وبذل لها مساعدات تقنية قيمة تمكينها من انجاز برامج التنقيب إلى نهايتها

وعندما تعوز الوسائل التقنية والمالية الضرورية صاحب رخصة التنقيب ، فإن المكتب ينجز ، نيابة عنه ، الأعمال الجيولوجية التمهيدية ، بناء على مقتضيات الاتفاقية . ويمول المكتب هذه الأعمال في حدود المقادير المنصوص عليها في

مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية



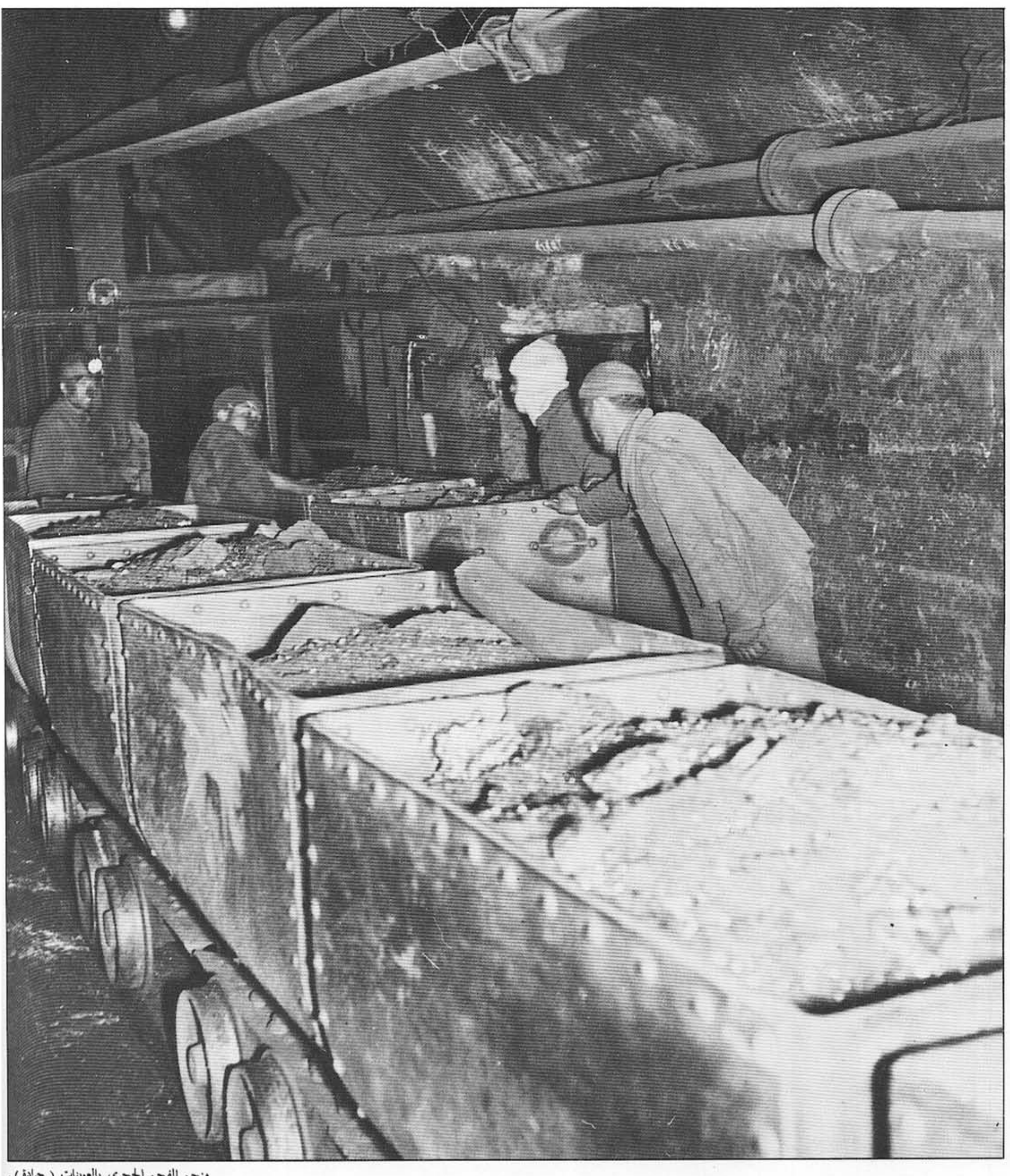
العقد. ويمكن صاحب الرخصة المساهمة في ذلك . وإذا كانت نتائج التنقيب سلبية فسخت الاتفاقية ، وتحمل المكتب وحده المصاريف . وإذا كانت إيجابية أنشئت شركة مجهولة الاسم ، إما لمتابعة التنقيب ، وإما لاستغلال المنجم . وتختلف نسبة أسهم كل مساهم باختلاف عناصر متعددة ، منها النفقات التي يتحملها المكتب ، وصاحب الرخصة عند الاقتضاء ، وقيمة استغلال المنجم كما تحدد عند امضاء اتفاقية التنقيب ، وقيمة رؤوس الأموال التي يسهم بها الغير . وإذا كانت لصاحب الرخصة شركة للتنقيب أنشئت من قبل ، زيد في رأس مالها ومنح المكتب أسهما لتعويضه عن الأعمال التي انجزها .

يبدو من هذه البيانات أن الدولة هي التي كانت تبذل هذه الأموال لمساعدة المبادرات الخاصة . وكان يمكن أن تكون العملية ذات نفع لو كان القطاع الخاص الوطني هو المستفيد منها .

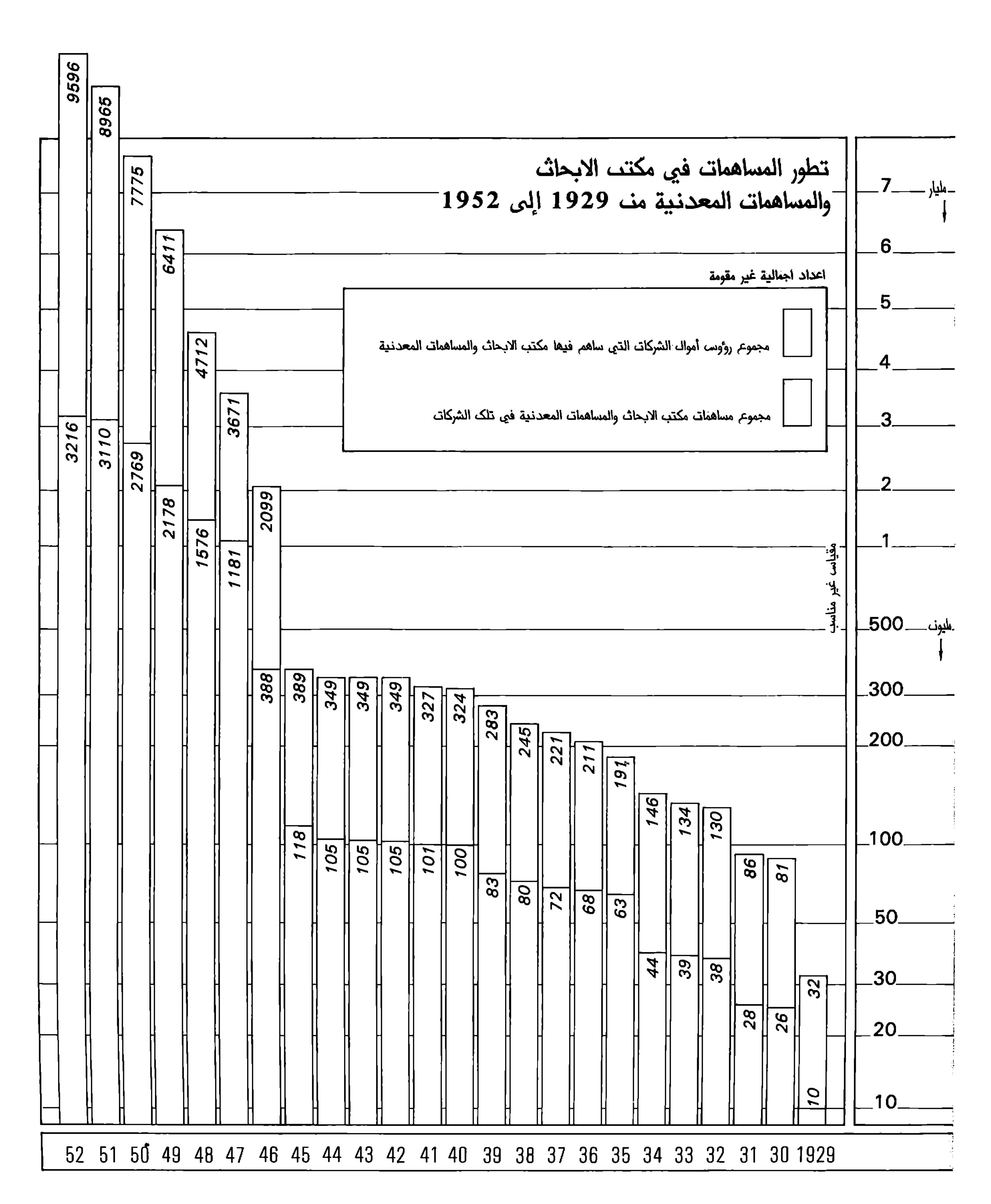
التنقيب عن البترول بين الخميسات وسيدي سليمان ، (20 مارس 1949) .
ILLUSTRATION SEPTEMBRE 1921.

لكن كيف نتصور وجود مقاولات غير أجنبية في عهد الحماية ؟

غير أن المكتب استمر ، بعد الاستقلال ، في سلوك نفس السياسة ، لكن في إطار جديد ، ولفائدة شركات مناصفة ، بحيث تحفظ للمغاربة مصالحهم .



منجم الفحم الحجري بالعوينات (جرادة) .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .



تطور المساهمات في مكتب الابحاث
والمساهمات المعدنية من 1929 إلى 1952
اعداد اجمالية غير مقومة
مجموع رؤوس أموال الشركات التي ساهم فيها مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية
مجموع مساهمات مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية في تلك الشركات
مليار
مليون
مقياس غير مناسب
7
6
5
4
3
2
1
500
300
200
100
50
30
20
10
9596
3216
8965
3110
7775
2769
6411
2178
4712
1576
3671
1181
2099
388
389
118
349
105
349
105
349
105
327
101
324
100
283
83
245
80
221
72
211
68
191
63
146
44
134
39
130
38
86
28
81
26
32
10
52 51 50 49 48 47 46 45 44 43 42 41 40 39 38 37 36 35 34 33 32 31 30 1929

السلفية

محمد زنيبر

تفيد **السلفية**، إذا أخذنا لفظها بمعناه الأصلي، العودة إلى الأجداد، إلى السلف، إلى أخلاقهم، إلى منظورهم الروحي، إلى تصورهم للكون والوجود. لكن الكلمة اكتست في المجتمع الاسلامي دلالة تقييمية، لأنها لاتعني أجدادا عاديين، بل أجدادا اختارتهم الأقدار ليعيشوا في عصر النبي ﷺ، ومن بينهم يتميز أولئك الذين أسعدهم الحظ بالعيش في جواره، والذين احتكوا به وكانوا، في آن واحد، تلاميذه وصحابته. وفي هذا المحيط النبوي وبين أحضان هذا الجيل الاوّل من المؤمنين بالرسالة المحمدية، نشأ **العلم الشريف**. واكتسى صورته الكاملة والمثالية.

وبعبارة أخرى، السلفية هي عودة للينابيع الأولى ونظرة إلى الماضي تهدف إلى اكتشاف المثل الأعلى الاسلامي الصحيح. ولطالما اشتكى المسلمون، في كل العصور وخاصة العلماء والفقهاء والنخبة المتنورة. من الانحرافات والبدع والأضاليل التي تسربت إلى عقول العامة، وأكثرهم من البسطاء والأمّيين، فأثرت على عقائدهم وأثرت على طريقهم في التّدين والتعبّد. فحفزت هاته الظاهرة عددا من علماء المسلمين عبر القرون المتعاقبة إلى كتابة عدة مؤلفات، إما للتنديد بالبدع المتنافية مع الدين، وإما للتعريف بالسُنة، في مفهومها الدقيق، الذي يعني التراث النبوي الذي لايتطرق إليه أدنى شك وإذا نظرنا إلى العديد من الزوايا الصوفية، نجد أنها، في البداية، لم تكن تطمح لأي شيء غير إحياء السنة بين عامة المسلمين. فكان ذلك مثلا، هو شأن الزوايا الناصرية والدرقاوية والسنوسية إلخ ... ولربّما طرأت عليه انحرافات فيما بعد، فتسربت إليها أنواع من الشعوذة والتدجيل. ويمكننا، أيضا، أن نستحضر هنا مثال الوهابية كتوكيد لما نقول، ولو لم تكن هاته الحركة الدينية تدخل في صنف الزاوية.

إلا أن هاته التيارات، على اختلافها، إذا تدبرناها من قريب، تلوح لنا كصياغات فكرية همها العودة إلى الماضي لا أكثر ولا أقل، ولم يكن يعنيها أن تلتفت إلى العالم المعاصر فتنظر إلى التطورات التي طرأت عليه منذ النهضة الأوروبية، ولا أن تهتم بحقيقة الوضع التاريخي الذي أصبح يعيش فيه العالم الاسلامي أمام العالم الغربي السائر في سبيل النمو والتقدم بخطى حثيثة والذي أصبحت قوته تشكّل تهديدا متصاعدا. فهي، إذن، تعبر عن سلفية محافظة، غير قادرة على أن تتخلص من تقادمها لتضع نفسها في مستوى القرن التاسع عشر، ولا أن تنفع المسلمين في محنتهم وهم يواجهون الغزو الاستعماري الأوروبي لبلدانهم في الشرق والغرب على السواء. على أن هذا الاحتكاك التي دخلت فيه تلك البلاد مع العالم الخارجي، على ما فيه من مرارة، كان هو الذي جعل المسلمين يشعرون بالواقع الذي كان غائبا عن إدراكهم.

وأول المسلمين الذين دخلوا في هذه اليقظة المفاجئة أدركوا بسرعة أن المصائب التي كانت تعاني منها أمة الاسلام لم يكن سببها دينيا، كما كان يتردد على الألسنة دون ترو ولا تفكير، بل إنها ترجع، قبل كل شيء، للتفاوت الحضاري الكبير الذي كان يفصل بين العالم الاسلامي وأوروبا. ولطالما تحدث المفكر الاسلامي الكبير ابن خلدون عن ظاهرة **الانحطاط** وأثار انتباه المسلمين المعاصرين له إلى التقدم الذي أحرزته دول أوروربا المسيحية. ولكن ما أكثرت أحد لمقاله من بين المسلمين، سواء منهم القادة والمسؤولون أو عامة الناس. فكانت الدول الاسلامية، من جهة، وهي تكابد أزمة مزمنة ومستعصية، لاتفكر بتاتا في إصلاح منهاجها السياسي وتترك نفسها توحد يوما بعد يوم داخل دولاب يدور في حلقة مفرغة. وكانت الشعوب، من جهة أخرى، قد فقدت حيويتها وقدرتها على رد الفعل وأصبحت راكنة إلى لون من التقاعس والخمول جعلها تتحلل من مسؤوليتها التاريخية وتأخذ بالاتكالية.

انفتح القرن التاسع عشر على حملة بونابرت في مصر. وكان الحدث نذيرا بنهاية وضعية دامت عدة قرون وظهور وبمعنى جديد أخذ يتعمم شيئا فشيئا داخل العالم الاسلامي ويدفع بالمسلمين إلى تصحيح نظرتهم للواقع. فكان ذلك بداية عصر جديد دعي تارة عصر الانبعاث وأخرى عصر **النهضة**. ولم يعد من الممكن منذ تلك الآونة التغافل عما يجري في العالم الغربي. بل أصبح الشغل الشاغل هو المزيد من التعرّف عليه والاتصال الوثيق بحضارته وثقافته.

في هذا السياق التاريخي المغاير، نشأت سلفية جديدة تختلف روحا وأهدافا عن السلفية القديمة. وظهرت أول بوادرها في المشرق، وبخاصة في مصر على يد روادها الأولين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمان الكواكبي وهاته السلفية الجديدة، إذ تدعو إلى التشبث القوي بالسنة وإلى الرجوع إلى الأصول، ترباً

بنفسها أن تكون مجرّد دعوة ماضوية وتتجه بأنظارها إلى حاضر الشعوب الاسلامية ومستقبلها . وتتفتح على الحضارة العصرية ، متبنّية النظرية التي نشأت عنها والتطبيق الذي آلت إليه ، رافضة منها ، بالطبع كل ما يتنافى بصورة بينة مع تعاليم الاسلام . فهي ، بهذا ، المعنى ، ترحب ، مثلا ، بالديموقراطية العصرية ، وبالعلم الوضعي ، والتنمية الاقتصادية ، وتجتهد في إقامة الدليل على أن الاسلام دين أساسه العقل وصلاح البشر وتقدمهم ، من جهة ، وضمان الحرية للانسان كركيزة لكرامته ، من جهة أخرى .

وبديهي أن الاتجاه الذي سارت فيه السلفية الجديدة كانت له ارتباطات بالمشاكل السياسية التي كانت مطروحة على أقطار الشرق الاسلامي . فكانت أول أرضية إيديولوجية قام عليها كفاح الشعوب الاسلامية ضدا على السيطرة الاستعمارية المتفاحشة في العالم و في نفس الوقت ، ضدا على الامبراطورية العثمانية التي أصبحت تعسّفاتها وأوضاعها المتردية تبرهن على تقادم لاشك فيه .

والمغرب ، هو أيضا ، كان له نصيبه في هذه السلفية الواردة من المشرق . لكن من الخطأ أن نعتبرو مجرد مقلد في هذا الصدد . ذلك أن السلفية كانت لها جذور عميقة في هذا البلد ، وبدون أن ندخل في تحليل تاريخي مسهب ، لنذكر كيف أن السلطان المولى سليمان في بداية القرن 19 كانت له مواقف سلفية صميمة في محاربته للبدع وفي مواجهته لعدد من الزوايا السائرة في طريق المغالات . كما أن الاصطدامات التي دخل فيها المغرب مع الدول الاستعمارية في نفس القرن كان من شأنها أن تثير ردود فعل قوية في أوساط العلماء والمثقفين ، دافعة إلى بداية من الوعي واليقظة ، عاملة على توجيه الأفكار نحو البحث عن سبل الاصلاح والتقويم . فكان من جملة ما أوحت به العودة إلى الدين الصحيح أي إلى موقف سلفي .

ولما أسست أول المطابع بالمغرب في الربع الأخير من القرن وظهرت أول الصحف المغربية في بداية القرن العشرين ، ظهر أول جيل من المثقفين المتشبعين بالأفكار السلفية مثل الفقيه **محمد كنون** الذي كان من المكافحين في ذلك السبيل . فكان يعمل في دروسه على التشهير بالانحرافات الطرقية وتعسفات الحكام . وكذلك هو الشأن بالنسبة للمؤرخ **أحمد بن خالد الناصري السلاوي** ، مؤلف **الاستقصا** . الكتاب الذي طبقت شهرته الآفاق . فنراه في الجزء الأخير من كتابه يعرض غير ما مرّة للوضع الحرج الذي كان يتخبط فيه المغرب في عصره فيبدي ملاحظات وتعاليق وينبه إلى الأخطاء والانحرافات ويقترح إصلاحات مرتكزا على العودة الصادقة إلى السنة النبوية .

جمال الدين الافغاني .
عن مجلة « الهلال » المصرية .



عبد الرحمان الكواكبي .
عن « زعماء الاصلاح » .



الشيخ محمد عبده .
عن « زعماء الاصلاح » .



مذكرات من التراث المغربي

الجيل الجديد

وبعد ذلك بوقت قصير ، ظهر في أوائل هذا القرن جيل ثان من رجال السلفية يتميز بكونه كان أكثر التزاما على المستوى المذهبي والسياسي وأقوى اطلاعا على تطور الأفكار بالشرق الاسلامي . وكان همّ هذا الجيل الجديد لاينقضي للأوضاع السيئة التي تردى فيها المغرب وانعكس أثرها على أحواله في الداخل والخارج ، إذ أصبحت سيادته مرهونة غداة مؤتمر الجزيرة . وقد أصبح لهؤلاء السلفيين زعامة ونفوذ في البلاد ، الشيء الذي مكّنهم من مراقبة الحكم والضغط عليه من أجل سلوك سبيل الاصلاح . وبفضل تحركهم ونشاطهم ، أمكنهم أن يطرحوا على بساط المناقشة والتطبيق ، ضرورة تطوير النظام السياسي بالمغرب من حكم استبدادي إلى ملكية دستورية وحصلوا على نتائج إيجابية .

ومن بين أفراد هذا الجيل ، يجب التنويه بعدد من الأشخاص نقتصر على ذكر ثلاثة منهم :

– الشيخ **محمد بن عبد الكبير الكتاني** (المتوفى في 1910) الذي تميز بحرارة موقفه الوطني وبمساهمته الفعالة في الحركة الدستورية ، والذي كانت له زعامة روحية كشيخ للطريقة الكتانية .

– **الحاج علي زنيبر** ، الذي عاش طويلا بمصر . فاستفاد من تجربتها في الاصلاح والسياسة وخلف بعض الآثار المكتوبة تتعلق بقضايا الاصلاح والدستور .

– **أحمد بن المواز** ، الذي كان أديبا معروفا بين معاصريه والذي حرر هو بنفسه البيعة الحفيظية المشهورة . وهي البيعة التي كان الجديد فيها هو ما اشتملت عليه ، ولأول مرة في تاريخ المغرب ، من شروط ذات طابع دستوري .

ولكن الحركة السلفية لم تعط عطاءها الكامل ولم تنتشر في أوساط الشعب إلا بعد أن أضاعت البلاد استقلالها وفرضت عليها الحماية الأجنبية . وفي هاته المرحلة سيظهر التأثير المشرقي بأجلى مظهرة ، إذ سيتخذ هذا الجيل الثالث من **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا** ، على الخصوص أساتذة له . فكان يتتبع نشاطهم ويطلع على أفكارهم من خلال ما يكتبونه وما ينشرونه ، وخاصة من خلال جريدة « **المنار** » . وكان عمله ينمو ويتقدم بالتدريج مع اشتداد السيطرة الاستعمارية وظهورها بوجهها الحقيقي . فسار في عدة اتجاهات :

– إنعاش المعنوية المغربية بعد المصائب التي عانت منها البلاد وقذفت بها إلى مهاوي اليأس والجمود . وإعادة الثقة إلى النفوس كانت تتوقف على دفع المغاربة إلى التفكير في وضعهم ومصيرهم حتى يعرفوا أسباب محنتهم ويتحملوا مسؤوليتهم التاريخية . وفي هذا الاطار ، كان عمل السلفيين هو أن بينوا . أن الاعتماد كل الاعتماد في التحرر من قبضة الغاصب هو الاسلام . الذي يظل محط أمل الجميع . لكن الاسلام الذي كانوا يتحدثون عنه هو الدين الخالي من كل الشوائب والانحرافات وكل ألوان التدجيل والشعوذة .

– نقد تصرفات بعض الجهات الدينية مثل فئة من الزوايا التي قبلت منذ يوم التعاون مع المستعمر فساعدته في إنجاز مخططه ، كما ساهمت في نشر الروح الخرافية والتواكل والاستسلام في أوساط الجماهير الشعبية .

– الحفاظ على الهوية الجماعية وبثّ الروح الوطنية في أوساط الأجيال الصاعدة التي نشأت وترعرعت في حضن الحماية الأجنبية ، والتي كان يخشى عليها من الوقوع في سحر الثقافة الغربية فتنجذب إليها وتبتعد كثيرا عن الينابيع الروحية التي ترجع إليها الأمة المغربية . ومن ثم تجندت الجماعة السلفية لتوضيح الدعوة الاسلامية وتفسير مقاصدها في اتجاه عقلاني وعصري .

ولا يتسع المقام لإيراد أسماء كل الأساتذة الذين ساهموا في هاته الحركة لأنهم عديدون . ولابد من الاشارة في البداية إلى شخصيتين كان لهما الأثر الكبير في بناء الأرضية السلفية بالمغرب ، نظرا لمنزلتهما الاجتماعية وعلمهما وذكائهما . وهما :

– **أبو شعيب الدكالي** (المتوفى سنة 1937) الذي عرف بالذكاء وقوة الحفظ . لم يقتصر على الدراسة بالمغرب ، بل ذهب إلى الشرق للمزيد من التعلم ، وتتلمذ على يد عدد من شيوخ الوهابية المعروفين بتشدّدهم في تطبيق أحكام السُنة . وبفضل ذاكرته القويّة ، كان يستظهر عددا من النصوص الأساسيةّ المتعلّقة بالعقيدة والشريعة والحديث والأدب إلخ ... وأما الدروس التي كان يلقيها بالمساجد الكبرى ، فإنها كانت تصادف إقبالا كبيرا من الجمهور . ووقع عليه الاختيار في بداية عهد الحماية ليكون وزيرا للعدل ، فكانت لديه فرصة لاستعمال سلطته المعنوية في التأثير على عدد كبير من فقهاء المغرب والاشعاع الفكري لدى جيل من الشباب المتنور في عصره . وهذا التجاوب الذي حصل بينه وبين نخبة المثقفين جعلته يحمل اللواء ضد الطرقية . وكان لذلك الصراع بين الاتجاهين ، الاتجاه السلفي والاتجاه الطرقي ، أصداؤه في الصحافة العربية التي كانت تصدر بتونس والجزائر ، لأن المغرب لم تكن لديه آنذاك صحافة في المستوى المطلوب ، متوفرة على الحرية في القول والرأي .

ومهما يكن ، فإن هذا الموقف كان بمثابة تمهيد للاعتراض الذي أبداه الوطنيون فيما بعد على الطرق ، بوجه عام ، وعلى الزوايا التي دخلت بصورة مكشوفة في مسلسل التعاون مع الاستعمار ، على وجه الخصوص . وهكذا كان الشيخ أبو شعيب أستاذا نال الشيء الكثير من تقدير الجمهور وإعجابه . إلا أنه ، بكل أسف ، لم يترك أي أثر مكتوب . ومازال تلامذته إلى اليوم أو بالأحرى ، من بقي منهم على قيد الحياة يذكرون بمنتهى الاكبار فصاحته وقوة عارضته وموهبته في الجدل إلى جانب ما كان

يثيره من اهتمام كبير لدى جمهور المستمعين إلى محاضراته ودروسه .

– **محمد بن العربي العلوي** (المتوفى سنة 1964) الذي ازداد بتافيلالت وظهرت فيه مخايل الشجاعة والوطنية منذ فتوته ، حيث كان يفكر في الالتحاق بالمجاهدين الذين كانوا يقفون في وجه الجيش الاستعماري الهاجم . وبعد أن نال تعليمه الأول بمسقط رأسه ، وجهه والده إلى فاس لاتمام دراسته في المستوى العالي بجامعة القرويين . وشاعت له نباهته وذكاؤه أن يستلفت الأنظار . فتم تعيينه وزيرا للعدل . ولم يثنه المنصب العالي عن الاشتغال بالتدريس وإفادة الغير . ولعله كان يشعر بأن لديه رسالة نحو مواطنيه لابد من تأديتها . فتشمر للعمل بحزم ومواظبة وصار يلقي دروسا مشبعة بروح سلفية وثيقة ، مما جعل الجمهور يقبل عليه ويلتف حول حلقته في المساجد . وكان موقفه السياسي أكثر صراحة ووضوحا . وظهر ذلك ، بالخصوص ، في سنة **1944** ، إذ ساند بكل قواه عريضة الاستقلال في المجلس الذي عقده محمد الخامس لهذا الغرض وفي غيره من المحافل والمجالس . مما جعله يقاطع سلطات الحماية ويتخلى عن منصبه الوزاري ليلتحق بصفوف الأحرار الوطنيين .

نال منتهى التبجيل من الشعب ، بفضل موقفه الشجاع وجهاده الوطني ومساهمته الفعّالة في معركة التحرير ، برغم تقدم السن . وما فتىء ، إلى قرب وفاته يكافح من أجل استقلال المغرب وعودة محمد الخامس إلى عرشه وإقرار ديموقراطية حقيقية في البلاد . كان فقيهها مشبعا بالعلم التقليدي ، ولكنه كان ، في نفس الوقت متفتحا على العالم المعاصر ومدركا لتطلعات المغرب الجديد الذي طوى صفحة من تاريخه وبدأ في أخرى مع بزوغ عهد الاستقلال .

حظيت هاتان الشخصيتان بقصب السبق في الميدان . لكن ظهر إلى جانبهما أعلام آخرون عملوا في نفس الاتجاه وساهموا في إثراء التيار السلفي بدروسهم وأبحاثهم وتآليفهم . ومن بينهم وجوه كانت لهم مواقف مشهودة ونفوذ معنوي كبير لدى مواطنيهم . ومن جملتهم . العالم الكبير والزعيم الوطني المعروف **المختار السوسي** ، مؤرخ سوس ، والذي عرف ، أيضا ، كأستاذ وأديب وشاعر . وانعكست في تآليفه أصداء السلفية ، برغم ارتباطه بالزاوية الدرقاوية وحساسيته الصوفية ، لأنه كان رجلا متزنا يدرك مقتضيات التطور والحدود التي لايمكن فيها تجاوز الواقع . ومن بينهم أيضا **محمد السايح** ، الذي كان عالما وقاضيا وترك عدّة تآليف لم ينشر منها إلا القليل . وكذلك كان **أبو بكر زنيبر** الذي شغل هو ، أيضا ، منصب القضاء وكان عالما تخرّج على يده عدة تلاميذ واشتهر كمفتي سلا . وكانت له مواقف في مقاومة الاستعمار والوطنية . وبالاضافة إلى المقالات التي نشرت له في عدّة



الشيخ ابو شعيب الدكالي .
عن مجموعة خاصة .



محمد بن العربي العلوي .
عن مجموعة خاصة .

مذكرات من التراث المغربي

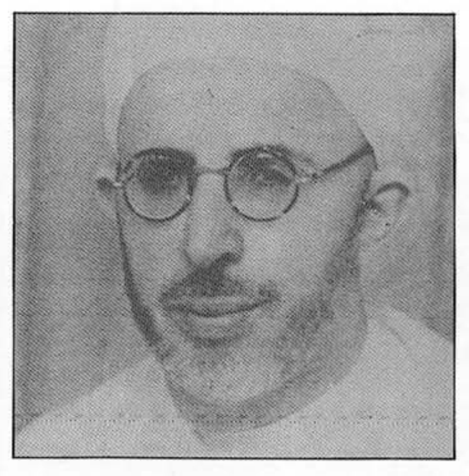
مجلات ، فقد ترك جملة من التآليف التي ما تزال كلّها مخطوطة من بينها تفسير للقرآن الكريم ، حسب المنهاج السلفي . ولا ننس ذكر عدد من رجال الوطنية مثل الزعيم **علال الفاسي** الذي كانت له مساهمة فعالة في ميدان السلفية إلى جانب نضاله السياسي . والتآليف التي نشرها ، وهي كثيرة ، تنم عن سلفية متفتحة وواعية بضرورة الربط بين الاسلام والتقدم الحديث . ومن الواجب أن نذكر ، أيضا ، **محمد غازي ومحمد بن إدريس واحمد المذكوري وبوشتى عبد العزيز الجامعي** إلخ . في قائمة العاملين في حقل السلفية . ولاننس أن نقف وقفة قصيرة مع **عبد الله كنون** ، الذي واصل ، باعتدال ، الخطو في هذا السبيل بما يلقيه من دروس وينشره من أبحاث وكتب .

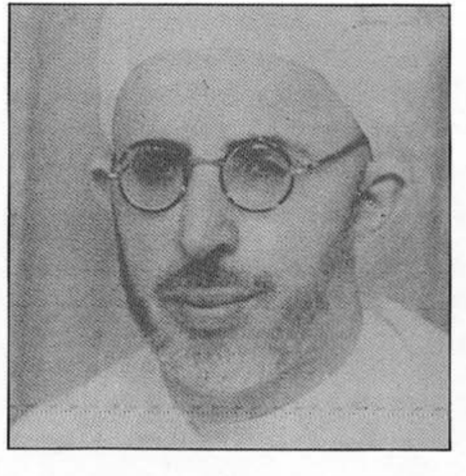
تمثل السلفية ، إذن ، بفكرها النظري ونضالها الميداني مرحلة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية . ذلك أن مساهمتها كانت فعالة ، إلى أقصى حد ، في إيقاظ المغاربة ، وبالخصوص فيما بين سنتي **1915** و **1940** ، أي في عِزّ أيام الحماية ، وفي توعيتهم ، وفي إيجاد أول صورة للعقيدة الوطنية المغربية . وهي الصورة التي ستتناولها فيما بعد منظمات ذات طابع سياسي لتدخل عليها كل الاضافات والتحويرات الضرورية .

كانت سلطات الحماية تتخوف من السلفية أكثر مما تتخوف من العمل السياسي لأنها تشكل أساسا ومضمونا نضاليا للهوية الجماعية ، فتقف سدا منيعا دون الأهداف التي كانت تتوخاها مخطّطات الحماية السياسية على المدى البعيد من إدماج وسيادة مشتركة ودخول في الوحدة الفرنسية إلخ . فكان عطاؤها ، على المستوى الاديولوجي والفكري يتجاوز الظرفيات ليتصل بالبنيات .

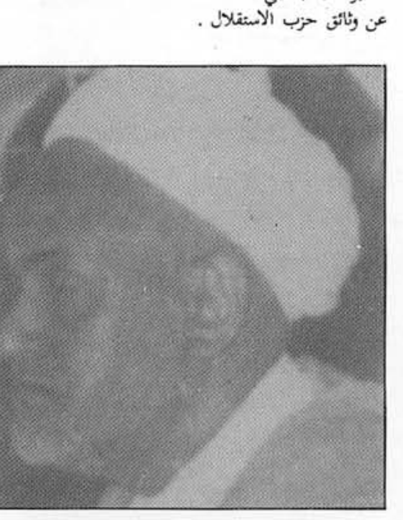
عبد الله كنون .
الخزانة العامة بالرباط .

المختار السوسي .
عن « رجال عرفتهم » لأبي بكر القادري 1983 .

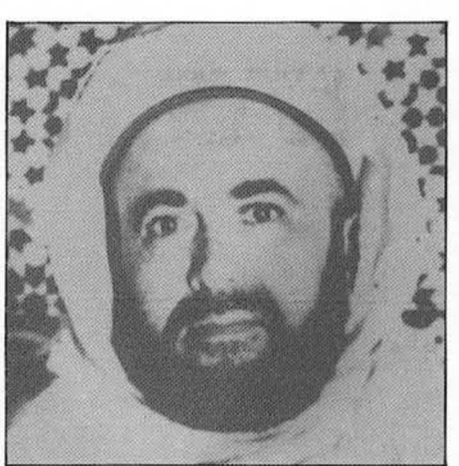




بوشتاء الجامعي .
عن وثائق حزب الاستقلال .



محمد السائح .
عن مجموعة خاصة .





أبو بكر زنيبر يلقي محاضرة بسلا سنة 1934 .
عن مجموعة خاصة .

الظهير البربري

أحمد رشيد

النظرة ... لاشيء يكشف عن الخبايا مثل النظرات ، إذ هي مرآة النفس ومرآة العواطف . إنها نداءات أحيانا ، وأشكال من أشكال النضال في غالب الأحيان . لقد كتب الكثير عن النظرات في الأيام الأولى من عهد الحماية . ويكشف ذلك ، لا عن نظرات المستعمر ، بل عما يدرك من نظرات « **الأهالي** » . فيرى أحدهم « **أن الحدقتين تشبهان نقرتين سوداوين فتحتا في قناع لا يبين ، تستطيع النفس أن تتجلى من خلاله في شكل رشقات من اللهيب** » . ويرى آخر « **أن هذه العيون يظهر عليها الرعب واللطف ، والكآبة والوهج معا ، وأنها تنظر إلى داخل ، ومع ذلك تخترقك اختراقا** »

فأصبحت نظرات « **الأهالي** » بمثابة قاذفات اللهب ، وبمثابة البنادق والخناجر ، كأنها تريد اتقاء نظرات الآخر ، نظرات المستعمر ، وهي أعنف وأقدر على التحطيم . هي نظرات المستعمر ، مزعجة كاشفة ، تشرح النفس تشريحا وتفحص الهوية التي صينت منذ قرون . ولا يختلف بعضها عن بعض ، سواء أكانت نظرات الجندي أو الموظف أو المؤرخ أو عالم السلالات أو الاجتماع أو القانون . إن نظرات الآخر – إذ يريدها مطلقة – مثل نظرات الذي يجد المتعة في تعريتك ، في حين يزعجك ذلك إزعاجا .

وقد كتب الشاعر المتيم : « **إن النظر إليك يسيل الدموع ويؤلم . إنك القوة التي تفوق الحق . لست المصباح ، لكنك النار تمحق كل ما مسست** » . فستمحقنا نظرات الآخر وتمحق حتى حركاتنا وتقاليدنا وعاداتنا وملابسنا ودعواتنا . ذلك أنها تنفذ إلى الأعماق ، فتتقصى وتغمر وتعوج وتمحو وتقهر . إنها تلاحق ضحيتها باسم حضارة ، يقال عنها إنها متفوقة ، كما يلاحق قابلٌ ضميرهُ حتى اللحد .

قال بول ماري دولاكورس Paul Marie de la Gorse في كتابه l'Etat de Jungle : « **إن الايمان بقدرة الاقتصاد الرأسمالي على التمثل والادماج كان عاما وقويا . وكانت تلك القدرة تتشخص في الدول الاستعمارية . ولم يكن هناك أحد يجادل في قدرة الحضارة التقنية الغربية على إذابة أية حضارة أخرى ومحوها بمجرد اتصالهما** » . إن الادماج والتمثل والمحو والمسخ هي العناصر الهامة التي تعتمد عليها مخططات الاستعمار . ولم يكن مشروع المستعمرين سهل التنفيذ . فقد اعترف ليوطي سنة 1916 بأنه « **وجد في المغرب دولة عريقة مستقلة شديدة الحرص على استقلالها ، تظهر بمظهر الدولة ذات الكيان الكامل بأسلاك موظفيها وتمثيلها في الخارج ومؤسساتها الاجتماعية** » .

إن تغيير الطبيعة وتغيير الاطار الاقتصادي ببناء السكك الحديدية والموانئ والمعامل والطرق وتنظيم الأبناك والمشاريع الاحتكارية لاتكفي لضمان استمرار الوجود الفرنسي . بل ينبغي غزو النفوس . لذلك عين العدد العديد من المبشرين والمؤرخين وعلماء السلالات ، فعكفوا مدة عقود على تاريخنا ينقبون ويعيدون النظر فيه بدعوى بحوث علمية مريبة . فكانت نتيجة ذلك إعداد مشروع الظهير البربري الذي أثار حركة المقاومة وحثها على السرعة ، وحفز كثيرا من بلاد دار الاسلام على الوعي بخطورة القضية . وكانت إدارة الحماية وكل قياداتها قد أعدت ، قبل نشر الظهير ، بسنين عديدة ، نص المشروع والنص الذي يحلله . لكن ليست العبرة بتحليل الظهير تحليلا قانونيا ، بل العبرة في التذكير بالظروف « **العلمية** » واستغلال بعض الدراسات المبسطة التي تكشف كشفا بينا عن نوايا الاستعمار ووسائله . وقد ورد في مذكرات نابليون الأول قوله : « **إن التاريخ كذاب كبير** » . ويشتد شك الانسان إذ يطالع الطبعة الثامنة عشرة من الكتاب Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie ، فيجد فيه : « **إن الحشود المتوحشة والأسود والثعابين الضخمة تعيث في الصحراء وإن الرمال تغشّى القوافل** » . وكيف لا يخامرنا الشك ، في اتجاه آخر ، عند قراءة المؤلفات المتعددة التي أنتجها الاستعمار في مستهل هذا القرن والتي يزعم أنها مؤلفات علمية . وكانت الفكرة العامة عند « **علماء السياسة** » واضحة ، رغم اختلاط المؤلفات وتنوعها . فكانوا يرون أن الاسلام واللغة العربية لم يتمكنا من نفوس سكان بلاد شمالي افريقيا ، إذ سموها la Berbérie . ورأوا أنه ينبغي تحويلها تحويلا تستفيد منه فرنسا حتى « **يرفرف العلم المزنبق في كل مكان** » .

وكان الاستعمار ينوي صد الكتلة البربرية عن الاسلام وتسخيرها تسخيرا سياسيا ضد العنصر العربي وللضغط على المخزن . وقد لخص كودفروا دومومبين Gaudefroy Demombynes ، وهو القانوني العارف باللغة البربرية ، هذه السياسة بقوله : « **إن من الخطر أن نغض الطرف عن تكوين كتلة متراصة من الأهالي تكون لغتهم**

ومؤسساتهم واحدة . ولابد أن نعمل بالمثل القديم « فرق تسد » . تلك هي الفكرة التي كانت محور السياسة الاستعمارية ، الفكرة التي أُلبست المحسنات والقيم الموحَّدة ، مثل احترام المؤسسات وغيرها . لكن لم ينخدع بها أحد .

« .... تقريبهم إلى السلطات الاستعمارية ... »

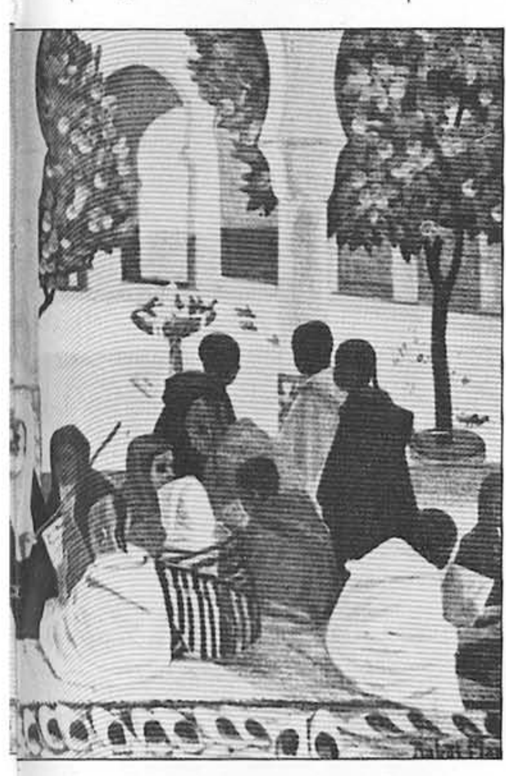
إن على من يسن أية سياسة أن يشرحها ويبررها . وكان دعاة العنصرية البربرية غير قليلين . وكان قد مضى زهاء قرن على اكتشاف الضابط بورمون Pourmont « **المجموعة القبايلية الكبرى** » . وحصل بعد ذلك تأخر كبير . وقد نشر بروسلار Brosselard أول قاموس بربري سنة 1944 . بعد ذلك ببضعة أشهر نُشر مؤلف في النحو البربري ، ونشر قاموس آخر على يد فانتور دو بارادي Venture de Paradis . وكان ذلك تمهيدا لهذه الحركة . ثم وضع الجنرال هانوتو Hanoteau أول خريطة لغوية . وأمر الماريشال نييل Niel ، وزير الحرب بالقيام بدراسات أكثر تقصيًا عن « **العنصر القبايلي » ، إذ سيكون نفعه أكبر من نفع العنصر الآخر** . »ثم أنجزت البحوث بعد البحوث ؛ بحث هانوتو ولوتورنو Letourneux ، ثم بحوث دوتي Doutté وكاتيي Guatier سنة 1913 .

وكانت بلاد القبايل هي المجال الذي أجريت فيه التجارب قبل أن يكتشف ضباط « **المكاتب العربية** » تشابه قبائل بربر شمالي افريقيا وعاداتهم . وقد بدأ الاستعمار يتحسس الأمور في بلاد القبايل وفي بلاد الشاوية في جبال الاوراس ، وذلك منذ 1869 . وأسند إلى قاضي السدد الفرنسي تطبيق الأعراف البربرية في بلاد القبايل ، بينما حوفظ على الشريعة في بلاد الاوراس لمدة مساوية ، وذلك حتى تستخلص النتائج .

أما في المغرب ، فقد أخذ الضباط يلاحظون ما كان من تشابه وتقارب بين قبائل الأطلس وبين عناصر الجيش الفرنسي ، وخاصة الجنود الجزائريين القبايليين ؛ كما أخذوا يلاحظون الفروق بينهم وبين سكان السهول . واستمرت المعارك العنيفة ضد بني مطير زهاء سنتين . وتضاربت ، طوال هذه الحقبة ، آراء مختلفة حول طرق إخضاع البلاد . فكان بعضهم يرون أنه لا بد ، لإخضاع السكان ، من تقتيل عناصر كل المناطق الثائرة ، إذ كانت المقاومة عنيفة في الجبال . وطبقت هذه النظرية إلى أن « **هذب** » ليوطي أساليبه بناء على تقرير الجنرال هنريس Henrys . فأصبح الجيش يسلك سياسة « **التسرب** » أي إخضاع القبائل بعضها تلو الأخرى ، وذلك إثر بث دعاية سياسية كثيفة . وتلك المرحلة الأولى . ثم تلا ذلك عمليةُ دراسة تقاليد هذه المجموعة وأعرافها دراسة دقيقة تيسر معها وضع مخطط طويل الأمد مكّن السلطات الاستعمارية من إرساء قواعدها وبسط سلطتها لمدة طويلة . ذلك هو موضوع المذكرة التي أصدرها ليوطي بالرقم 1667 بتاريخ 13 يوليوز 1913 ، إذ طلب إلى مساعديه « **أن يقبلوا على بحث يمكنهم من تحديد الأسلوب الذي يناسب هؤلاء السكان** » . واستنتج الجنرال هنريس في أول تقرير له في الموضوع « **ضرورة دراسة البربر دراسة تمكن من المحافظة على تقاليدهم العريقة ، وذلك لتقريبهم إلى السلطات الاستعمارية** » .

ثم أُحدثت لجنة للدراسات البربرية في مستهل يناير 1915 بقرار رقم 2 /DR 31 يديرها كايار Gaillard ولوت بياني Loth Biarnay والكولونيل سيمون Simon والكومندان بريو Berriau والأستاذان نهليل Nehlil وبيل Bel . وكلفت اللجنةُ بتجميع الأبحاث المنجزة في النواحي وتحليلها واستنباط السياسة الملائمة لتنظيم القبائل وإدارتها . وجمع الأعمال الأولى ضباط المكاتب العربية وخليات الشؤون الأهلية التي كانت أهم أداة لتنفيذ السياسة الاستعمارية . ثم





« ... كان لابد من دراستهم وتشريح تقاليدهم وعاداتهم ، لتقريبهم من لسلطات الاستعمارية ... »
Illustration-25 juillet 1933

« ... وجمع الاعمال الأولى ضباط المكاتب العربية وخليات الشؤون الأهلية ... » ILLUSTRATION-4 JUILLET 1925.



قسم المغرب إلى ست نواح كبرى . وأسندت القيادة إلى الضباط والمراقبين المدنيين . وسرت الأخبار والارشادات بطريقة الأواني المستطرقة . ولم تكن مهمة الضباط حكم البلاد فحسب ، بل وملاحظة ما يجري حولهم والاكثار من التقارير حول المناطق التي يراقبونها . وقد درست هذه التقارير واستخلصت منها دروس في سياسة الأهالي وكراسات وزعت على الضباط .

وقد سبق أن أنجزت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين دراسات في علم السلالات وتطور الجنس البشري ساعدت على تكييف بعض الآراء وتوجيهها . وكانت هذه الدراسات التي أنجزت حول البلاد التي سموها بلاد البربر LA BERBÉRIE تعتمد على نظرية أساسية ، وهي « **فرق تسد** » ، وذلك لضمان الوجود الفرنسي . وكان هدف المستعرين التفرقة بين العرب والبربر ، إيمانا منهم بأنه يمكن تألف هؤلاء وإدماجهم أكثر من غيرهم .

« شمالي افريقيا ، بلاد البربر وبلاد الغرب »

ذلك هو عنوان مقال نشرته « **أكاديمية العلوم الاستعمارية** » ACADÉMIE DES SCIENCES COLONIALES بقلم أوجين كارنييي EUGÈNE GARNIER . إن هذا المقال يدل دلالة واضحة على ما يحتويه الفكر الاستعماري . فبينما كانت بلاد شمالي افريقيا ترزح تحت نير الاستعمار ، قلب الكاتب الوضعية فقال :

« إن بعض الشعوب الرحل مثل العرب الذين كان الغزو مهنتهم ومصيرهم يأملون في غزو أوروبا مرة

كُتّاب لتعليم القرآن .
ILLUSTRATION-SEPTEMBRE 1921.

ثانية . إنهم يريدون أن يتخذوا شمالي افريقيا منطلقا لهم مرة أخرى . لذلك أخذوا يناصبون فرنسا وأوروبا والعالم الغربي العداء ويثون الرعب والثورة بجميع أشكالها ... إن العرب ومن يدعون العروبة كثيرون . وقد جهروا بشعاراتهم « بلاد شمالي افريقيا عربية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي » غير أن ذلك مخالف للجغرافية وللتاريخ ولاحصاءات السكان . وبذلك كان مخالفا للحقيقة . ثم إن منطقة شمالي افريقيا لا تنتمي ، من الناحية الجيولوجية ، إلى افريقيا . بل إنها جزء من القشرة الأرضية اجتث من قعر البحر الأبيض المتوسط وألصق بالكتلة المتبلورة الافريقية ... فكان لذلك أثره على مصير بلاد البربر LA BERBÉRIE **. فكانت هذه البلاد ، نظرا لهذه الأسباب الطبيعية ،جزءا جوهريا من البحر الابيض المتوسط ومن الغرب ، يتوجه بأنظاره إلى أوروبا »** . فقد أوردت في هذا النص الفكرة الجوهرية التي يدعو إليها دعاة العنصرية البربرية . ولذلك زعموا أن المغرب ليس أرضا عربية ، لكنه جزء من أوروبا . وينتمي البربر إلى الجنس الآري مثل الأوروبيين . ولم يثبت الاسلام في نفوسهم . وذلك ما أدى إلى محاولات التبشير والتنصير في أوساطهم . وحاول المستعمرون إيجاد الحجج لدعم آرائهم وإقناع الغير بها . وهم ينكرون عروبة هذه الأرض التي يدعون أنها رومانية فرنسية . وذهب المؤرخون إلى إنكار « **الغزو العربي** » لشمالي افريقيا وإلى التشكيك في الدراسات التي قام بها المؤرخ ابن خلدون . وأنكر الجنرال بريمون BRÉMOND من أكاديمية العلوم الاستعمارية في كتابه LA BERBÉRIE EST UN PAYS EUROPÉEN كل ما أتى به العرب إلى شمالي افريقيا . فزعم أنه لم يجد لذلك أثرا ، وحاول تصحيح التاريخ بإبراز ما أتى به الأوروبيون أثناء غزواتهم ، ورأى أنه يمكن تصديق ذلك ، إذ لا يفصل تلك البلاد عن أوروبا إلا مضيق جبل طارق الذي لا يتعدى عرضه 30 كيلومترا .

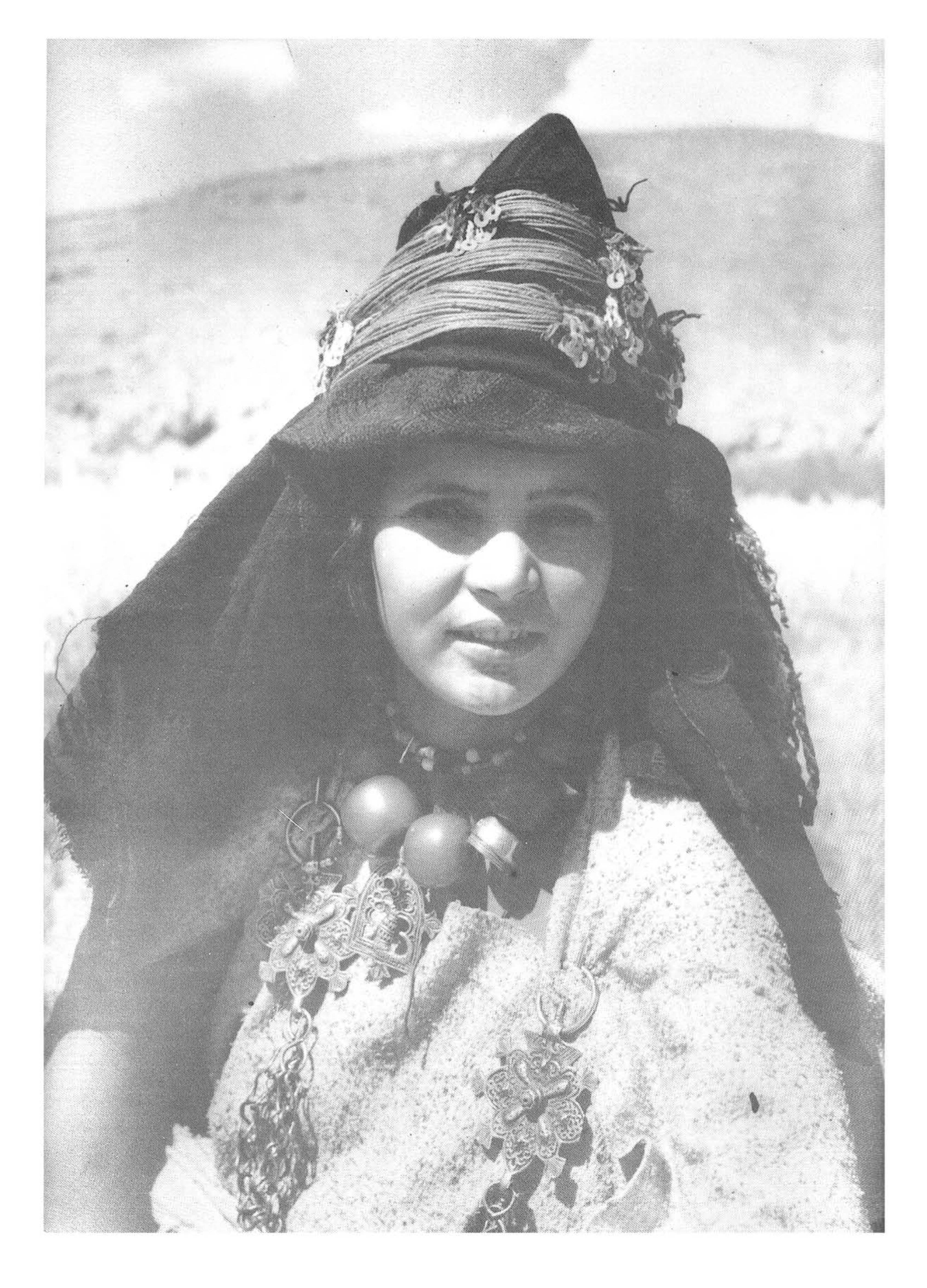
لذلك دُحضت بعض الأفكار السائدة حسب هذا الكاتب . فهو يرى أن أصل « **السلهام** » الشائع استعماله عند البربر يوناني وأن « **الحايك** » ليس شرقي الأصل وأن لبس السراويل عند الرجال عادة يونانية . أما في ميدان الفنون ، فيرى أنه لم يكن للشعب العربي أي فن خاص به وأنه لم يبتكر شيئا ، وأنه لم يكن له أي ذوق في الهندسة المعمارية وأن الكتّاب العرب ليسوا عربا ، وأن الأصالة الرومانية جلية في مدن شمالي افريقيا ، « **إذ طبعت بلاد البربر بطابع الحضارة الرومانية الذي لا يمحى** » . ويرى بريمون كذلك « **أن النصرانية ما تزال حية في حجر الكنائس القديمة وبيوت العماد وشواهد القبور وقبور الشهداء التي تذكّر الجميع بأمجاد الكنيسة الافريقية في القرن الرابع من عصرنا ، إذ كانت تدوي فيها أصداء المجامع التي يؤمها المئات من الأساقفة** » .

أما قدوم العرب ، فهو – عندما يؤرخ له هؤلاء المؤرخون – في نظرهم عصر الظلام والتخريب ، إلى أن جاءت فرنسا « **فطبعت شمالي افريقيا بكل قوتها وعبقريتها ، وذلك بتزويد السكان بأنجع عناصر الحضارة الغربية** » .

وقد أبرز هؤلاء المتطفلون على العلم الخصائص الجغرافية والبشرية قبل أن يعمدوا إلى المواضيع الدينية . وقال في ذلك نفس الجنرال بريمون : « **إن بلاد شمالي افريقيا جزيرة متوسطة ، كاملة الشبه بإقليم بروفانس** PROVENCE ، غير أن سكانها بربر . وتشبه جبال الأطلس جبال الألب LES ALPES **من حيث عمرها وتكوينها . وكان المصريون القدامى يرون في هذه البلاد « إلهة الغرب الجميلة » . فهي منتمية إلى الغرب ، وليست من الشرق في شيء** » . أما فيكتور بيرار VICTOR BÉRARD ، فقد قام بدراسة الكلمتين EUROPE و MAGHREB **دراسة لغوية ، فرأى أن الكلمة** EREB سامية الأصل وأن معناها EUROPE . وأما أوروبا الفينيقية ، فهي بنت فينيكس PHOENIX حسب بعضهم ، وبنت آجينور AGENOR حسب البعض الآخر . وقد نقلها الاله جوبيتر JUPITER إلى جزيرة كريت CRÈTE التي كانت تعد مغرب الشمس . وانتهى هؤلاء « **العلماء** » إلى أن لبلاد شمالي افريقيا شبها بأوروبا وحدها . ولذلك وجب انتماؤها إليها . ثم سُخّرت نظريات كوبينو GOBINEAU أيضا لاثبات أن البربر من الجنس الآري . أما العالم بيرطولون BERTHOLON ، فقد درس الهياكل العظيمة ببلاد سوس وصفاقص ، باب شمالي افريقيا . فكان أول ما استنتجه أن السكان الذين استوطنوا هذه البلاد استقروا فيها دائما . فهم قبائل تنتمي إلى جنس شمالي أوروبا . وقد احتفظوا من هذا الجنس بأهم الخصائص . ثم نبشت القبور للكشف عن رفات الأموات والهياكل العظمية ، وذلك لاثبات الحجة (لا راحة على وجه الأرض ولا تحتها !) . فقيست الجماجم والهياكل في كل مكان من جبال تونس والجزائر والمغرب . ونشرت نتائج الأبحاث الانتروبولوجية في نشرات الجمعية الجغرافية بالجزائر . فكانت الفئات المشتركة بين فرنسا وشمالي افريقيا تنتمي إلى جنس مستطيلي الرأس ، ذي القامة القصيرة والعيون السود والشعر الأسمر ، إذ يوجد هذا الجنس في منطقة LOZÈRE ، ويشبه بعض سكان بلاد البحر الأبيض المتوسط شبها واضحا . أما الفئة الثانية التي تنتمي إلى جنس مستطيلي الرأس ، ذي القامة الطويلة واللون الفاتح والشعر الأشقر والعيون الزرق ، فهي جنس شمالي ، جنس الانجليز والغاليين LES GAULOIS والسويديين ، وهو الجنس السائد في بلاد القبائل بالجزائر وبلاد تونس والأطلس ، إذ يعود الغزو الشمالي إلى ما قبل التاريخ . أما تأثير الجنس العربي ، فهو ، بطبيعة الحال ، منعدم قطعا .

وقال أحد الباحثين : « **إن بلاد البربر** LA BERBÉRIE **بلاد تعربت معنويا ، لكنها منطقة لا يسكنها سكان من جنس عربي أصيل** » . وقد أنكر الوجود العربي أول الأمر ، قبل الحديث عن إخضاع العرب للبربر وعن تقتيلهم لهم . فليس المغاربة عربا ، بل هم بربر يشبهون سكان منطقة AUVERGNE شبها يُلبس عليك أمرك . وقد قال هنري دوكير HENRI DUQUAIRE في مؤلفه IMAGES

المكتب الوطني المغربي للسياحة بالمغرب .



مذكرات من التراث المغربي

DU MAROC BERBÈRE : **« إن للبربري رأسا فرنسيا ، وله لحية تشبه العقد . وينشد أناشيد شعبية مثل التي كان يُتغنى بها قديما في وسط فرنسا . إن البربري شديد في القتال ، مثله في ذلك مثل رجال منطقة** AUVERGNE . أما المرأة فيرى فيها الكاتب نفس الخصال ، إذ قال **« ها هي المرأة ، يمكن أن تكون من نساء أثينا** ATHÈNES **إذا نظرت إلى قسمات وجهها ، وتذكّرنا باليونان قبل عهد فيدر** PHÈDRE **، وبجزيرة كريت** CRÈTE **قبل 4000 سنة . فهم جميعا ، رجالا ونساء ، يذكروننا بأشياء كثيرة إذا ما طالعنا هذه المؤلفات الكثيرة »** . ثم نبش عن النصوص كما نبش عن الهياكل العظمية في القبور التي يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . من هذه النصوص رسالة بعثها أوجين دولاكروا EUGÈNE DE LA CROIX إلى صديقه سنة 1832 أثناء رحلته عبر شمالي افريقيا . فقد ورد فيها ما يلي : **« تصور ، يا أخي ، ما تشعر به عندما تبصر شخصيات قنصلية مثل كاتون** CATON **وبروتوس** BRUTUS **مضطجعين على الأرض يتشمسون ، أو يتجولون في الشوارع ، ولا تعوزهم حتى تلك الاستعلاءة التي كانت تظهر – لا محالة – على الذين كانوا يحكمون العالم . إن هؤلاء الناس الذين رأيتهم لا يملكون إلا ملاءة يلبسونها ليل نهار ويكفنون فيها ، ومع ذلك يبدون راضين كما كان سيشرون** CICÉRON **راضيا بكرسيه العاجي »** . فكأننا في روما أو في أثينا . ومازال بعضهم يعجب بكل ذلك بعد مرور قرن من الزمن . وفي أوائل القرن العشرين كان كاسطون بواسيير GASTON BOISSIÈRE يعجب لكونه عرف بعض الوجوه رغم لبسها « الشاشية ». وكان يظن أنه رآها من قبل . فقال : **« لقد لاحظت كل خطوات رجال قصار القامة ، زرق العيون ، عراض الوجوه ، مبتسمي الثغور ، وهم يشبهون سكان قرانا تمام الشبه »** . أما بلاشير BLACHÈRE الشهير ، فقد قال : **« أنظر إلى إحدى جلسات المجلس الجماعي القبايلي ، انزع السلاهم (ألم تعد يونانية !) وألبس الجميع بذل العمل الزرقاء أو ثيابا من الجوخ تجد نفسك أمام مجلس بلدي أعضاؤه فلاحون فرنسيون »** .

أما الأستاذان برونو BRUNOT ولوكلي LEGLAY ، فقد أوضحا خلوص الجنس ، زيادة على الشبه . فرأيا أن البربر من **« الجنس الأبيض الخالص »** ، إذ كانوا أقل اتصالا بالحضارات المستوردة . ويزعم المسمى هيكتور HECTOR **« أن أخلاقهم الحقيقية تتنافى تنافيا خطيرا والأخلاق الاسلامية »** .

ونورد ، هنا ، قبل الانتقال إلى الميدان الديني ، بعض الملاحظات المتعلقة بالنفسية البربرية التي لاتختلف ، بطبيعة الحال ، عن نفسية الغاليين LES GAULOIS . فيرى دوتي DOUTTÉ **« الصراحة والوفاء والوعي بالمصالح الاقتصادية وقلة التعصب الديني والاباحية والوعي بالديمقراطية وحكمة الفلاحين »** . لقد تميز من هؤلاء الناس الميّالين إلى الاحماض كُتاب بربر مشهورون بدا على مؤلفاتهم منطق شبيه بالمنطق الغربي ، إذ لا جدال في ذلك . من هؤلاء الكتاب أنيموس فلوروس ANIMUS FLORUS الذي استوحى مونتيسكيو MONTESQUIEU من فكرة الغربي الصريح وتيرتوليان TERTULLIEN الذي يعتبر رائدا من رواد الجنسينيين LES JANSÉNISTES والقديس سيبريان SAINT-CYPRIEN والقديس أوكوستين SAINT-AUGUSTIN البربري الذي أنارت أفكاره سبيل الرواد الغربيين ... ومن غريب الأمر أن يوجد كذلك كثير من **« القديسين »** .

وتعتقد النظريات الداعية إلى العنصرية أن بنية الجسم تؤثر حتما على السلوك والقيم الخلقية .



اللغة العربية تُعلّم بواسطة القرآن .
تصوير بوعمري .

فلِمَ لا تؤثر على الانتماء إلى دين ما ؟ إلى دين النصرانية طبعا ؟ ألم يكن البربر وثنيين منذ قرون ؟ ألم يرتدوا عن الاسلام أكثر من اثنتي عشرة مرة ؟ « **إنهم لايؤدون الشعائر إلا قليلا ، ويكثرون من الأعياد الدينية ، ويتمسكون كثيرا بالأولياء** » . وذلك ما دفع كيرو GUIRAUD إلى أن يستنتج أنهم « **أكثر تمسكا بالفكر الديني منهم بالدين الاسلامي نفسه ، إذ بقوا مترددين في الاقبال عليه** » .

تلك هي النظريات « **العلمية** » التي تأثرت بها أعمال باحثي السلطات الاستعمارية . وقد اعتمد بعضهم على هذه المؤلفات وعلى هذا الخليط من الأباطيل والمغالط لرسم الخطوط الكبرى للسياسة البربرية التي اتبعتها السلطات الاستعمارية من تحويل « **الشلح** » أو « **القبايلي** » ذي الرأس المستدير وتصييره مثل « **الفلاح الفرنسي الطيب** » . فإذا كانت هذه الحقائق غير المعقولة لاتثير اليوم إلا كثيرا من الضحك ، فإن المخططات التي خطتها الاقامة العامة كانت خطيرة .

استغلال العنصرية البربرية استغلالا سياسيا

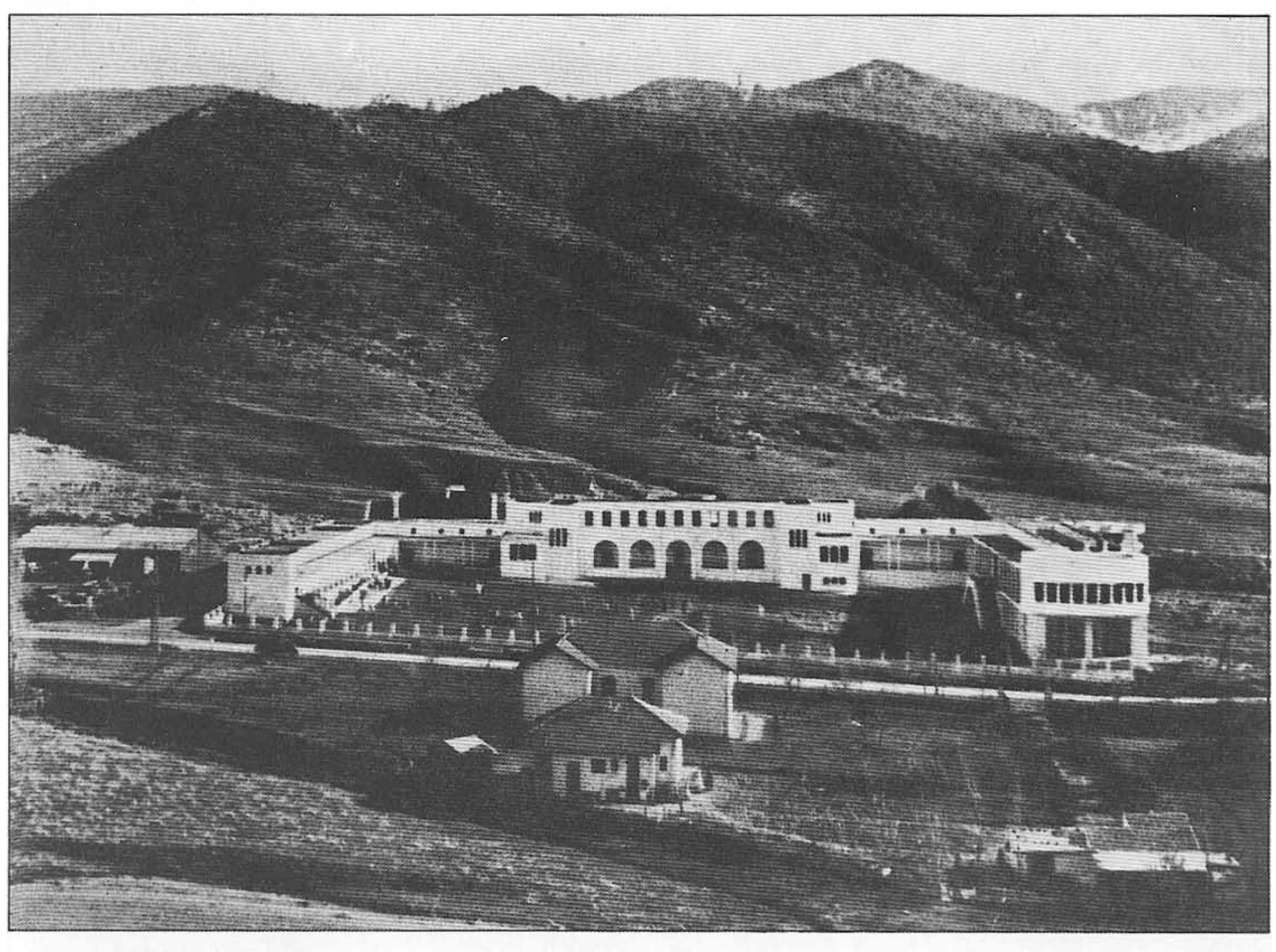
لم يكن للاقامة العامة بدّ من وقف تأثير الحضارة العربية ، وذلك لإدماج هؤلاء « **الفلاحين الطيبين** » الذين يشبهون فلاحي مقاطعة أوفيرني AUVERGNE ، ولإدماج « **البادية الطيبة** » عموما . لكن القضية كانت معقدة لكون اللغة العربية لغة الدين في بلاد الاسلام . فكيف السبيل إلى منع انتشار تلك اللغة ؟ لقد شرع في جميع المراكز العسكرية في إعداد خرائط لغوية عن الشمال الافريقي ورسم علامات الانذار في المناطق التي تنتشر فيها اللغة العربية . واتخذ أحد الألوان للاشارة إلى المناطق التي يتكلم فيها بالعربية ، ولون آخر إلى التي يتكلم فيها باللغتين ، ولون ثالث إلى التي يتكلم فيها بالبربرية . وكان أول ما لوحظ أن الخريطة الاتنوكرافية والخريطة اللغوية لا تتوافقان تمام التوافق . وقد ابتهج بذلك الضباط المسؤولون عن هذا الملف . ذلك أنه نتج عن الدراسة أن بين 10 و 15 % من القبائل فقط من أصل عربي ، وأن بين 40 % و 45 % من القبائل بربر تعربوا ، وأن بين 40 % و 45 % من القبائل بربر . لذلك وجب تطبيق سياسة الفرنسة تطبيقا فعليا وإيجاد الوسائل الضرورية لذلك . وقد أوضح ليوطي مغزى هذا القرار وأهدافه في مذكرة ورد فيها ما يلي : « **ليس لنا أن نعلم العربية قوما استغنوا عنها دائما . إن اللغة العربية عامل من عوامل نشر الاسلام ، إذ إن تلك اللغة تعلم من خلال القرآن . لكن مصلحتنا تفرض علينا أن نجعل البربر يتطورون بعيدا عن الاسلام . يجب أن نحاول ، في الميدان اللغوي ، أن ننتقل مباشرة من البربرية إلى الفرنسية . لذلك نحن محتاجون إلى موظفين عالمين بالبربرية . ويجب إنشاء مدارس فرنسية بربرية يعلم فيها الشباب البربر اللغة الفرنسية** » . وبذلك عُدل عن تعليم القرآن والعربية عدولا مطلقا . وقد لخص اليوتنان بوايي دولا تور BOYER DE LA TOUR الغاية الأولى من وجود هذه المدارس في قوله : « **على المعلم أن يعلم الصبيان أنهم فرنسيون . لكن يجب ألا نعلمهم أكثر مما يحتاج إليه** » . وكان لويس برونو LOUIS BRUNOT مديرا للتعليم ومنشئا للمدارس الفرنسية البربرية . ولم تكن هذه تجربته الأولى . فقد سبق أن مارس تجربته في بلاد القبايل . وبذلك تلافى ، وهو في المغرب ، الوقوع في نفس الأخطاء . ثم كثرت المدارس الفرنسية البربرية ، وذلك للاسراع في تراجع الاسلام وتفكيك شخصية السكان . ذلك أنه لا أحد يكون عقول الأطفال ويشكلها مثل ما يفعله معلم المدرسة . وكأن الزمن توقف . وحاول الاستعمار أن يوقف حركة تطور لا سبيل إلى إيقافها ، وكأنه ، « **حكم على التاريخ بالاعدام** » .

وكان الغموض من المبادئ المتبعة . فكان العمل الرسمي وجوب المحافظة على تقاليد البربر ومؤسساتهم . كان المبدأ سليما حسب الظاهر ، لكنه شوه منذ البداية . ذلك أن الغاية كانت هي مضايقة الكتّاب القرآني ومراقبته وإضعاف تأثيره وفرنسة الصبيان البربر في حدود معلومة . وكانت الغاية أيضا بث أسباب الفرقة والكراهية في أوساط السكان . فقد كتب ليوطي إلى رؤساء النواحي ما يلي :

« **إن هدف هذه المدارس ، من الناحية السياسية القريبة ، تزويد الأهالي وإبقاء الفروق اللغوية والدينية والاجتماعية الموجودة بين بلاد المخزن التي انتشر فيها الاسلام واللغة العربية ، وبين جبال البربر المتدينين تدينا لم يقض على الوثنية ، الجاهلين للعربية ، على أن يكون ذلك سرا وفي غير تساهل** » .

وقد كلف لويس ماسينيون LOUIS MASSIGNON الأستاذ في كوليج دو فرانس COLLÈGE DE FRANCE باختيار مواقع هذه المدارس الفرنسية البربرية التي كانت أداة للدعاية الفرنسية . وكان إنشاؤها سنة 1923 . وفي نفس السنة فتحت أولى المدارس في قبائل إيشقرن وزايان . ثم فتحت مدرستان في آيت مكيلد ، ثم في آيت سغروشن . وفي السنة التالية فتحت مدرسة لتكوين المعلمين في معهد الدراسات العليا المغربية . وفي سنة 1930 ، وهي سنة إصدار الظهير البربري كان عدد المدارس لا يقل عن 20 مدرسة . وقد تقرر أن يكون ، من ضمن كل جماعة من المعلمين المختارين ، معلم متنصر من بلاد القبايل . وذلك ما اعتبره السكان بمثابة إهانة آلمتهم كثيرا . أما دراسة القرآن ، فقد انتشرت رغم مضايقة السلطات الاستعمارية إذ استمر الفقيه يعلم الصبيان في جميع القرى .

إذا كان من الصعب تقويم نتائج هذه الحملة ، فيمكن أن ننبه إلى أن عدد المدارس الأهلية والكتاتيب القرآنية قد تكاثر وأن ثانوية آزرو التي أنشئت سنة 1927 والتي كانت رمز هذه السياسة أصبحت فيما بعد بمثابة مؤسسة لتكوين الوطنيين . ولا شك أن المقيم العام ليوطي

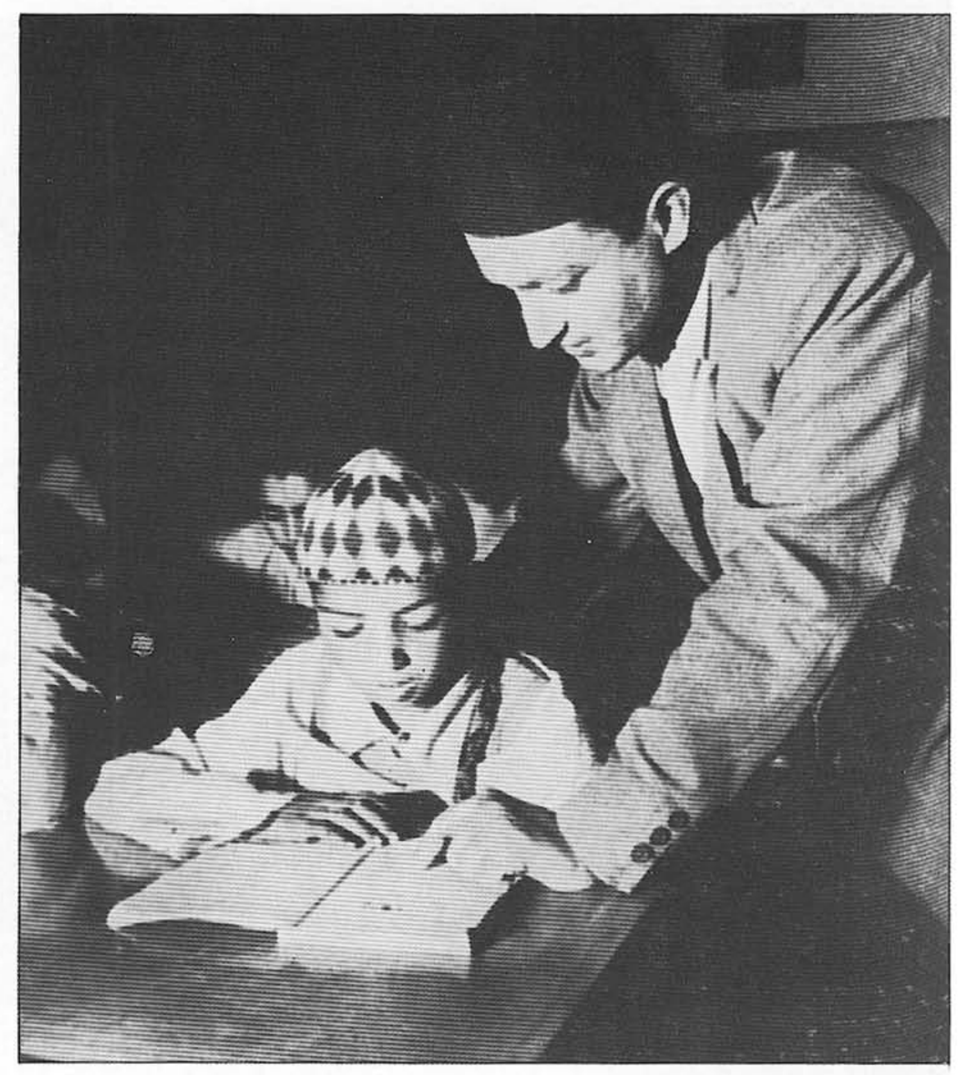


ثانوية أزرو .
عن كيرنيي 1948 .

تذكر ، لما كان يقوّم نتائج هذا الفشل الذريع ، ما حدث في يوم من أيام يوليوز سنة 1913 بدار القائد يطو ، بالأطلس المتوسط ، إذ ذهب لتهنئة جنود الجنرال هنريس HENRYS على فوزهم . وقد حضر ممثلو بني مكيلد . وكان الضابط الترجمان نهليل يرافق ليوطي ، وهو نفسه من بلاد القبايل . فطلب إليه ليوطي أن يحدث بني مكيلد بالبربرية . وبعد حديث قصير أدرك ممثل بني مكيلد مغزى ذلك ، فعنف الترجمان وطلب إليه أن يتكلم بالعربية .

حملة العصور الحديثة

وكثرت المؤلفات المهتمة بالتعريف بقضايا العنصر البربري في شمالي افريقيا منذ أوائل القرن . وكانت المواضيع الدينية محور محتوى كل هذه الوثائق . وما لبث المهتمّون أن استخلصوا من كل ذلك « **طرافة** » الشعائر الدينية عند البربر في هذه البلاد المسلمة . فزعموا أن البربر انتقلوا من اليهودية إلى عبادة الأصنام وأن إسلامهم لم يكن إلا حدثا عارضا ، إذ بقوا ، في أعماق نفوسهم مترددين معارضين للاسلام . لذلك كان ينبغي البحث عن وسائل سياسية التنصير التي من شأنها أن تدعم الاستعمار . وقد عمدت السلطات السياسية والكنيسة إلى تكذيب كل ما نشر عن محاولة رد البربر عن الاسلام وتنصيرهم . لكن في بعض الوثائق ما يدحض ذلك . منها ما ورد في رسالة صادرة عن لويس ماسينيون LOUIS MASSIGNON سنة 1951 ، إذ اعترف قائلا : **« إن القضية البربرية أقلقت ضميري من الناحية الدينية والعلمية على مدى السنوات 1909 إلى 1913 ، إذ ألح علي الأب دو فوكو** LE PÈRE DE FOUCAULD **كتابة وشفويا في أن أقف حياتي ، بعده ، على هذه الحركة التي كان عليها أن تقضي على اللغة العربية والاسلام في بلاد شمالي افريقيا التابعة لنا ، لتحل**



أزرو . دروس تمهيدية باحدى الاعداديات البربرية .
صورة بولان .

اللغة الفرنسية والنصرانية محلهما ، وذلك في مرحلتين : البحث عن أصول اللغة البربرية وتقاليد البربر العريقة ، ثم إدماجهم بمقتضى قانون فرنسي ومسيحي أعلى . وقد استحسنت هذه النظرية ، مثلي في ذلك مثل جميع المبتدئين والغزاة . وقد آمنت حينئذ باستغلال هذه الحركة البربرية لادماج سكان بلاد القبايل بتنصيرهم وتجنيسهم بالجنسية الفرنسية » . إنه إيمان صريح .

وذكر لادريت دو لاشاريير LADREIT DE LA CHARRIÈRE منشط اللجنة COMITÉ D'AFRIQUE FRANÇAISE من بين وسائل السياسة البربرية **« تأثير الوفاء المسيحي ونحار الأخوات البيضاوات »** .

وكثرت أعمال البر التي يقوم بها الرهبان والراهبات الفرانسيسكانيون . وبلغ عدد أعضاء هذه الجماعة الفرانسيسكانية التي أسسها سان فرانسوا داسيز SAINT-FRANÇOIS D'ASSISE وحدها زهاء 300 عضو في جمعيات النساء ، وذلك قبل نشر الظهير البربري . وقد انتشرن في المستشفيات ودور الحضانة والميتام ومراكز تعليم الفتيات الأعمال اليدوية . وكن يقمن بأعمال اجتماعية كثيرة ، ألم يَكن بعض ذلك لحاجة في نفس يعقوب ؟ وعُززت هذه الأعمال التي كانت تنجز في عين المكان بمنشورات تبشيرية . فقد بلغت المجلة LE MAROC CATHOLIQUE أوجها . أما كبير محرري صحيفة LA CROIX ، جان كيرو JEAN GUIRAUD ، فقد كتب : **« إن دخولنا بلاد البربر سيكون باسم فرنسا ، لا باسم السلطان . وسيكون بواسطة المدرسة ، لا المدرسة العلمانية ، بل بواسطة المدرسة التي تبث الدين ، وذلك بفضل المساعدة الأخوية التي يبذلها لنا مبشرون ومعلمون قبايليون مُتَنصّرون »** . وكتب بعض الرهبان في مجلة فرانسيسكانية : **« إن البربر يرون الفائدة ، بعد تنصيرهم ، في العدول عن شراب الشاي الأخضر والنعنع ، وهو شراب الأنوثة ، إلى الخمر ، شراب الرجولة والمرح »** . ودفعت الحمية بأحد الموظفين السامين ، وهو الكومندان بول مارتي PAUL MARTY إلى توزيع **« حياة المسيح »** مترجمة إلى العربية . ولوحظ تعيين بعض القبايليين المتنصرين في بعض الوظائف المهمة . وساعد بعض المستعربين على الترجمة . فترجم كيرو الكتاب RÉSURRECTION DE LAZARE والكتاب GUICIFIXION DU CHRIST إلى العربية . وكان كيرو هذا نفسه هو الذي لاحظ **« وثنية »** البربر مدة طويلة . فقال بعد ذلك في كتابه LA JUSTICE CHÉRIFIENNE **« لنحدث البربر عن المسيح لأن أساطيرهم زاخرة باسم المخلّص »** . وقد صدرت في أحد أعداد المجلة LE MAROC CATHOLIQUE صورة القديس أكوستين SAINT-AUGUSTIN في زي بربري .

وكثرت الكنائس والمصليات المسيحية في جميع البلاد ، وكثرت مشاريعها . واجتهد المسؤولون في إظهار فوائد حركة الادماج والتنصير ، وذلك رغم إنذار بعض الموظفين الذين كانوا يخافون ردود الفعل . وقد بدت بعض الاحتجاجات الخافتة من لدن الحركة الماسونية LA FRANC-MAÇONNERIE التي انتقدت من جملة ما انتقدته **« المساعدات المالية التي تبذلها الادارة للدين من أجل بناء كنائس عظيمة ... »** لكن فوائد السياسة المتوقعة كانت بينة واضحة . وقد شرح ذلك جوركي دو لاسال JURQUET DE LA SALLE في مجلة تهتم بتاريخ البعثات التبشيرية ، فقال : « إن

مذكرات من التراث المغربي



تلاميذ ثانوية أزرو .
عن كيرنيي 1948 .

نحن تركنا الديانة المسيحية تؤثر على نفوس البربر ، فقد نيسر بذلك تفتت الكتلة العربية والديانة الاسلامية في بلاد الشمال الافريقي التابعة لنا ، ويكون ذلك لفائدة حضارتنا وجنسنا . يجب أن نوسع مجال هذه السياسة الحكيمة التي تفرق بين العنصرين المغربيين ، وذلك للاحاطة بقلوب البربر إحاطة يسهلها حياد الادارة » .

ولم تنحصر هذه الحركة في بربر الأطلس وحدهم ، بل شملت جميع بربر شمالي افريقيا . فقد أقيم في مدينة تونس تمثال للكاردينال لافيجري LE CARDINAL LAVIGERIE أمام المدينة العتيقة . واعتبر التونسيون ذلك تحديا . ذلك أن هذا الكاردينال – مثل الفرانسيسكاني المتحمس ، الأسقف هانري فيال HENRI VIALLE كان لا يحيد قيد أنملة عما كان دو فوكو DE FOUCAULD يدعو إليه . فقد قال عنه الجنرال دوباراي DU BARAIL الذي كان يعرفه حق المعرفة ، والذي كان وزير الحرب في عهد الماريشال ماكماهون MAC-MAHON :

« لقد نظم مونسينيور لافيجري ، ذلك الأسقف الشديد الحمية ، في مركز كرسيه بمدينة الجزائر حملة سلمية ونشيطة للتبشير وجمع التبرعات وإلقاء خطب الوعظ وإقامة الدعوات لتنصير الكفار ... » وقالت الجريدة لومانيتي L'HUMANITÉ : **« بلغ عدد المتنصرين على يد لافيجري 1000 متنصر في بلاد الجزائر كلها سنة 1931 »** . ونشط مونسينيور فيال كذلك في المغرب ، فدشن الكنائس وشجع المبشرين والراهبات البيضاوات تشجيعا . وتُرجم **« العهد الجديد »** إلى البربرية ووزع في الجبال . وعندما نشر الظهير البربري أقيمت دعوات في كنيسة الرباط الكبرى استدعي إليها بعض المغاربة . وقد عظم أمر هذا التحدي . وكانت كل هذه العوامل ومحاولات التنصير بمثابة تكذيب لاذع لعدد من تصريحات المسؤولين الاستعماريين الذين كانوا ينكرون ذلك .

وقد أُنذرت السلطات بعواقب هذه الأعمال . من ذلك ما قاله الجنرال دوباراي في مؤلفه SOUVENIR **« لقد علم الذين غزوا الجزائر أنه يمكن أن تفرض أشياء كثيرة على العرب بحد السيف ، ولو ظلما . لكنهم ، بعد ما يُغلبون ، يستميتون عن آخرهم دفاعا عن دينهم . إن العرب يحترمون الآباء البيض ، لكن لو استطاع هؤلاء أن يستدرجوا ولو « دوارا » واحدا إلى الارتداد لعجز الجيش الفرنسي كله عن منعهم من الاستشهاد عن آخرهم . لا يمكن صد المسلمين عن دينهم . وإن الذين يعلمون ، ولو**

LA FRANCISATION PAR L'ÉCOLE

La politique berbère en matière d'enseignement

« L'École Franco-Berbère est donc l'école française par l'enseignement et la vie, berbère par le recrutement et le milieu... Donc pas d'intermédiaire étranger. Tout enseignement de l'arabe, toute intervention du fekih, toute manifestation islamique seront rigoureusement écartés... Nous écartons délibérément tout stade d'islamisation, c'est-à-dire de cristallisation. Sur ce point l'UNANIMITÉ des opinions est faite, ici comme ailleurs. »

Paul Marty : *Le Maroc de Demain*, p 241. Publication du Comité de l'Afrique Française (1925).

Pour simplifier la portée de la politique berbère suivie par le Gouvernement du Protectorat, certains bons esprits ne veulent y voir qu'une simple réforme de la justice appliquée dans certaines tribus de race berbère, alors que d'autres, plus simplistes encore, croient qu'il s'agit uniquement de la consécration et de la légalisation d'un état de choses qui aurait de tous temps existé. Les collaborateurs qui ont étudié dans ce numéro de « Maghreb » le côté historique et l'aspect judiciaire de la question, ont amplement démontré combien une telle conception était erronée. Il est hors de doute que le problème dépasse le cadre d'une simple réforme partielle de la justice et que la solution qu'on veut lui donner embrasse dans son ensemble, l'évolution culturelle, religieuse et politique d'une grande fraction de la population du Maroc.

Le procès-verbal de la séance tenue le 8 octobre 1924 par « la Commission d'Etude de la Réglementation de la Justice berbère » dit en substance : **« Il n'y a AUCUN INCONVÉNIENT A ROMPRE L'UNI- « FORMITÉ DE L'ORGANISATION JUDICIAIRE DE LA ZONE « française ; dès lors qu'il s'agit de renforcer l'élément berbère, « en vue du rôle de contrepoids qu'il peut être appelé à jouer, il y « y a même un avantage certain, au point de vue politique, à briser « le miroir. »**

Par ailleurs, M. R. Gaudefroy-Demonbynes dans sa remarquable thèse sur « l'Œuvre Française en matière d'Enseignement au Maroc » (Genthner 1928), définissait ainsi la politique berbère du Protectorat en matière d'enseignement (page 119). « Il serait, en effet, dangereux de « laisser se former un bloc compact d'indigènes dont la langue et les ins- « titutions seraient communes. Il faut reprendre pour notre compte la « formule suivie autrefois par le Makhzen « diviser pour régner ». L'exis- « tence de l'élément berbère est un inutile contrepoids à l'élément arabe « dont nous pouvons nous servir vis-à-vis du **Makhzen.** »

Maintenant que ces deux citations nous donnent la conviction que le but poursuivi par le Gouvernement du Protectorat vise à l'assimilation et à l'absorption de l'élément berbère du Maroc, assimilation et absorption qui doivent s'effectuer aux dépens du Makhzen, nous pouvons, étudier les particularités de l'enseignement dispensé en pays berbère et déduire les résultats que les promoteurs de la politique berbère sont en droit d'en attendre.

التنديد بالسياسة البربرية .
عن المجلة Maghreb.

قليلا ، عن بلاد المشرق يدركون أن المسلم أخشن الجانب في أمور دينه » ونضيف ، نحن ، كذلك « لا سيما وأن الناس ، في هذه البلاد أشد تمسكا بالاسلام وتعلقا » .

ولم تكن هذه الحملة على النفوس وعلى الديانة المتأصلة فيها لتستمر . وكان الناس ينتظرون الشرارة والقرار اللذين من شأنهما أن يلهبا حماس الحركة الوطنية دفعة واحدة . ولم يكن هناك بدّ للسلطات الاستعمارية من إيجاد الفرصة السانحة نظرا لصلفها وغرورها . فكانت الفرصة نشر الظهير البربري ، « **وهي أشأم مبادرة اعتمدت على فهم معكوس لمبادئ علم الاجتماع** » . وقد مهدت لها السلطات بسياسة آذنت بقرب نهاية الوجود الفرنسي في هذه البلاد .

الظهير البربري

لقد باشر الماريشال ليوطي تنظيم القضاء البربري معتمدا في ذلك على تقريرين أعدهما الجنرال هنريس . وكان هنريس قد استعان بمصالح لوكلي Leglay ، الموظف بالاقامة العامة وبالأستاذ لاووست Laoust وموظف آخر اسمه عباس لدراسة هياكل المجتمع البربري . وبذلك صدر ظهير 11 شتمبر 1914 . فقسمت السلطات الاستعمارية القبائل إلى فئتين : فئة يطبق فيها القضاء الشرعي ، وفئة يطبق فيها قضاء العرف . ثم صدرت بعض المذكرات الادارية لاجراء بعض التجارب في ميدان تنظيم القضاء ، كما فُعل من قبل في بلاد القبايل بالجزائر . وبذلك خولت المذكرة 7041 الجماعة المحلية سلطات هامة . وأمر كاتب الضبط بها أن يحرر تقاريره عن مداولات المجلس باللغة الفرنسية . فكان في ذلك مسخ فاحش للأعراف . لكن هذه المذكرة لم تطبق إلا قليلا حتى سنة 1923 ، وهي سنة إنشاء الجماعات القضائية الأولى .

فلم يكن للواقعية التي التزمتها السلطات الاستعمارية في هذا الميدان أن تخفي جهلها التام بتقاليد سكان الجبال وأعرافهم . وأحدث مكتب لدراسة الشؤون البربرية في إدارة الشؤون الأهلية . ورأسه الكومندان مارتي ، ذلك الرجل المعروف بتحمسه المفرط . وتعاقبت المذكرات سنة

مذكرات من التراث المغربي

1924 . وأخذت الجماعات تنظر في القضايا العقارية وتحكم بمقتضى العرف . لكن العرف نفسه كان مجهولا ، إذ كان يشتمل على بقايا تقاليد عتيقة متلاشية نبذها السكان أنفسهم . وعمد لوكلي ، قبل الأمر بتدوين العرف وتطبيقه، إلى شرح مغزاه فيما يلي : « **لم يجمع هؤلاء البربر قط على قوانينهم . فهم يرفضون القوانين الغربية عنهم ويبحثون دائما عمن يعلّم العرف ، و يخترعه ، إن لم يوجد** » . ويتبين من هذا الكلام مدى احترام المستعمر « **للمؤسسات** » التي التزم باحترامها ... وكانت هناك فكرة تبوأت الصدارة وأشير إليها إشارات غامضة في كثير من النصوص . أوّلها نص الجنرال بريمون الذي اقترح التخلص مطلقا من وهم العروبة ، فقال عن بلاد شمالي افريقيا : « **لقد كان من السهل أن ننشئ ونوطد في هذه البلاد العجيبة مؤسسات مطابقة لمصير بلاد البربر وللغرب الذي تنتمي إليه ، مستعينين بتجربة عشرين قرنا . لكنهم ساروا ، في فرنسا ، ومنذ سنة 1830 ، خلف الوهم العربي ، وقوموا أثر الاسلام بأكثر من قيمته ، وتجاهلوا الواقع البربري . وأصبحوا ، بعد ارتكابهم هذه الأخطاء الثلاثة ، يسلكون سياسة التنازل إزاء التهديد العربي الصادر من القاهرة** » . وخلص ميشو بيلير MICHAUX-BELLAIRE ، الخبير في الشؤون الدينية بالمغرب إلى نفس النتيجة ، فقال :

« **لقد أصبحت أتساءل ، بعد قضاء 43 سنة بالمغرب ألم نغتر بما تظهر به المؤسسات الافريقية من مظاهر إسلامية صرف . لقد لاحظت أن الأقطار الاسلامية المستقلة ، كتركيا وإيران أخذت ، حسبما يبدو ، تنبذ الدين من تلقاء نفسها ، وبسهولة ، وأن الاسلام ليس إلا ذريعة تتذرع بها البلاد الاسلامية الخاضعة للنصارى لتبرير مقاومتهم وكراهيتهم** » .

فكانت أهم فكرة استبعاد أي أساس شرعي ، عربي أو إسلامي . غير أن محاولة النبش عن الأعراف القديمة عملية مستحيلة . وقد لاحظ الأستاذ مونطاني MONTAGNE في تقرير له : « **أن أحكام العرف تطورت على مدى القرون لتصبح مطابقة لأهم أحكام الشريعة . فقد عاش في هذا البلد العديد من المصلحين الدينيين والعلماء والفقهاء . وما تزال مبادئ الشريعة تتسرب شيئا فشيئا تسربا وئيدا فتمحو من أعراف القبائل ما كان مناقضا للقرآن . وما فتئت أحكام الشريعة تنتشر حتى طبقت على الأحوال الشخصية . وستطبق عما قريب ، في النزاعات العقارية ... وقليلا ما نجد بعض الأعراف غير مطابقة للشريعة في مدونات الفقه العرفي في قبائل سوس والأطلس الصغير** » . وقد تحدث نفس الكاتب في كتابه LES BERBÈRES ET LE MAKHZEN DANS LE SUD DU MAROC عن تطور الأحوال الاجتماعية عند سكان الأطلس الكبير وسوس والأطلس الصغير ، فوضح « **أن من خصائص السلطة العليا في نظر القبائل وجود أكليد ، أي ملك يستمد ، منذ قرون ، سلطته من نسبه الشريف ...** » وهكذا ، فإن مدير الدراسات بمعهد الدراسات العليا المغربية والضابط المكلف بمهمة في إدارة الشؤون الأهلية ، وهو روبير مونطاني ، قد كذب هو نفسه ، ومن حيث لا يشعر ، تكذيبا لاذعا تلك النظرية الشائعة عن « **المغرب بلد السيبة والفوضى** » . فقد كتب ما يلي :

« **إن السلطان ، حتى في نظر سكان الجبال الأكثر استقلالا عن الحكم المركزي ، شخصية فوق الشخصيات العادية ، تنتمي إلى طبقة خاصة ... ويعلم كل واحد ما لسخطه من أثر فظيع . إن سخط السلطان على أية قبيلة بمثابة الطرد من جماعة المؤمنين في القرون الوسطى . إذ يبيح نهب أموال المسخوط عليه من قبل كل القبائل المجاورة القادرة على النهب ، ويجدب الأرض ويمحل الناس ...** »

وكانت السلطات الحاكمة تخطئ في حديثها عن « **السيبة** » نفس الخطأ الذي تخطئه في محاولة إحياء بعض التقاليد العتيقة المتقادمة . وكان ذلك نتيجة نظرة خاطئة ، نظرة صادرة عن رغبة في مراعاة مصالح السلطات الاستعمارية .

ذلك أن تلك السلطات كانت تقيس الأمور بمقياسين اثنين ، فتختار ، بناء على ما تراه موافقا لمصالح فرنسا . وكانت النظرية الرسمية أن تظهر أن القبائل البربرية في ثورة مستمرة على سلطة المخزن ، وأن ذلك كان دأب البربر منذ قرون ، طوال تاريخ المغرب ... إلى أن دخلت فرنسا ، فوحدت البلاد وأشاعت السلم في أرجائها . تلك هي الصورة التي كانوا يظهرون المغرب بها . لكنهم كانوا يعلمون أن « **السيبة** » كانت تفيد السلطات الاستعمارية لتستغل المخزن نفسه وتستمر في عملياتها العسكرية ، فتبرر حقها في دخول البلاد . الحق أن القبائل كانت تثور بعضها على بعض ويقاتل بعضها بعضا في بعض حقب التاريخ ، ولكن تلك الثورات نفسها كانت بمثابة العنصر المحرك .

إن فقهاء الموظفين في الاقامة العامة كانوا يعلمون مفهوم القانون العام بالمغرب . كانوا يعلمون أن له صبغة دينية إلهية ، وأنه يختلف كثيرا عن نظرياتهم الغربية التي ينظرون بها إلى كيفية تنظيم العالم . وكان مفهوم القانون يعتمد على الشهادة ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وكان ذلك المفهوم عموديا . ولم يكن للقانون جغرافية مخطوطة . فلم تكن هناك حدود واضحة في بلاد شمالي افريقيا قبل دخول المستعمرين . كانت هناك مقومات الدولة حسب المفهوم الغربي . وكانت هناك حكومة مركزية أي المخزن ، وتمثيل خارجي وموظفون وجباة للضرائب ... ولم يكن من الصواب أن ينظر إلى هذا النظام في الحكم نظرة الغربيين ، إذ يرون الفوضى « **والسيبة** » حيث تدعو مصالحهم أن يروها . لكن مفهوم القانون قد تطور منذ ذلك الوقت وتغير ، فأدخل فيه مفهوم الأرض ومفهوم الوطن .

وكان موضوع « **السيبة** » موضوعا مفيدا لمصالح المستعمرين في بداية دخولهم البلاد . ذلك أنهم كانوا يسخرونه ضد المخزن لغزو القبائل الجبلية ، ويسخرون القبائل للضغط على المخزن . ولم تكن السيادة في بلاد الاسلام مبنية على إخضاع بعض المناطق . وكانت السياسة الفرنسية معتمدة على المثل « **فرق تسد** » .

الظهير البربري

فكان المستعمر يرى ضرورة المحافظة على نقاء الدم البربري لمنع العرب الغزاة ، ولمنع الاسلام خاصة ، من تلويثه .

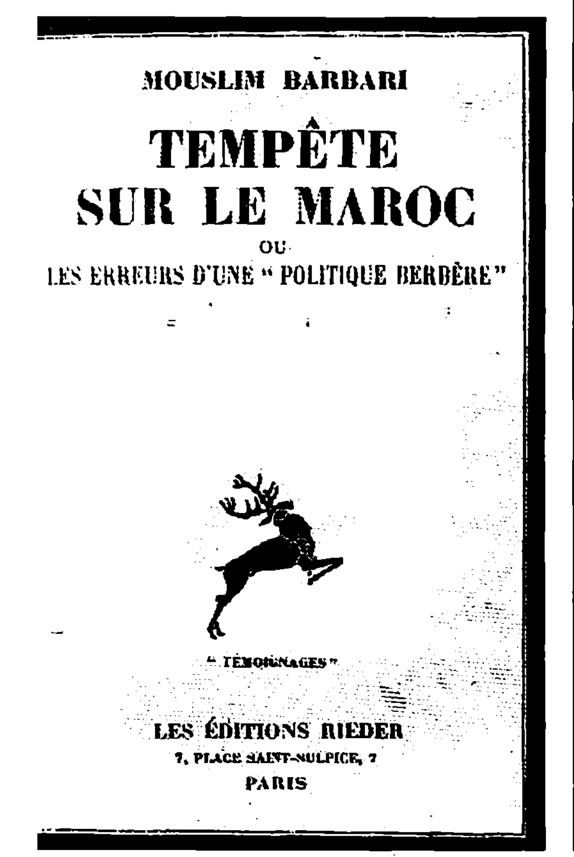
غير أن الشريعة هي أساس الفقه الاسلامي . وفي ذلك بعث ليوطي مذكرة لا شك أن محررها هو الكومندان مارتي ، لكن ليوطي وافق على محتواها وأمضاها . فقد أوضح ضرورة إنشاء المدارس الفرنسية البربرية ، وحدد أهدافها ، ثم أصدر التعليمات التالية :

« **يجب أن نحتاط كثير الاحتياط من الدخول في القضايا الدينية ... إن الاسلام لم يتمكن من نفوس البربر . وقد نبذ هؤلاء السكان من القرآن كل المفاهيم الفقهية : إن « إيزرف » هو قانونهم الوحيد . ولذلك رفضوا الشريعة رفضا . يجب على جميع ضباط الاستعلامات أن يعوا هذه المبادئ وعيا تاما ؛ وليتجنبوا ، بصفة خاصة ، الظهور بمظهر الدعاة إلى الاسلام بين هؤلاء السكان البربر** » . وكان ليوطي يعلن ، من جهة ، وفي كل فرصة ، احترامه لمبادئ « **نظام الحماية إذ كان عليه أن يحافظ على الديانة وعلى حرمة السلطان ونفوذه التقليدي ، وعلى ممارسة الشعائر الاسلامية وعلى المؤسسات الدينية** » . لكنه كتب من جهة أخرى ، رسالة بتاريخ 9 يونيو 1914 إلى وزير الخارجية السيد دوميرك Doumergue لينبه ، بصفة خاصة إلى أن « **تلك السياسة البربرية مبنية على ما يتميز به البربر من حيث لغتهم وتقاليدهم وأعرافهم وتنظيمهم الاجتماعي** » . وبعد بضعة أيام ، فرض صدور ظهير 14 شتمبر 1914 ، مستعملا في ذلك جميع أنواع الحيل والضغوط والتهديد . وقد نص الظهير على أن « **إدارة القبائل التي تسمى قبائل العرف ستبنى على قوانينها وأعرافها الخاصة بها ، وذلك بمراقبة السلطات** » . وكان مفهوم « **قبائل العرف** » مفهوما غامضا واسعا ، في حين أن « **مراقبة السلطات** » تعني تجريد السلطان من سلطاته ومنح هؤلاء المراقبين سلطات غير محدودة . وكان حق موظفي المخزن في الطعن والتجريح حقا متلاشيا . ورغم ذلك ، فقد أمرهم السلطان بعدم المساهمة في تلك الفعلة . ثم نبش أحد الموظفين السامين بالاقامة العامة عن ظهير أذن فيه السلطان مولاي الحسن سنة 1885 لقبائل سوس بتطبيق أحكام العرف . غير أن مولاي الحسن لم يعمد إلى ذلك إلا بعد أن جميع أعيان الجماعة وتحقق مطابقة بعض أحكام العرف للشريعة الاسلامية . وكان ذلك قد تقرر بمحض إرادة المخزن والقبائل المعنية ، وفي ظروف أخرى ، وبناء على تطابق الأحكام . ولما لم تنفع هذه الحيل ، أرغم السلطان على وضع طابعه على الظهير بدون قيد ولا شرط . واستعملت نفس الحيلة للحصول على موافقة المخزن على عدد من القرارات في الموضوع . لكن السلطان رفض الموافقة عليها رفضا باتا ، رغم الضغوط .

وفي ذلك دليل على قيمة النفوذ السياسي الذي كان للمخزن ، وهو نفوذ حاولت سلطات الحماية إضعافه . وقد نتج عن موقف المخزن وجود عدد من القرارات الادارية العادية التي صدرت في سنتي 1923 و 1924 ، ومنها ما ينظم تسجيل الملكية العقارية في المناطق البربرية . وبينما كان المخزن ثابتا على المبدأ الذي يفرض تطبيق الشريعة على كل القبائل التي « **أخضعت** » كان بعض موظفي الحماية الذين ينادون بالادماج يصرحون بأن « **رفض السلطان إصدار أي إصلاح تطلبه الحكومة الفرنسية يجيز لهذه الحكومة الاستغناء عن موافقته** » . وقد وضح مستشار آخر من مستشاري الحكومة الهدف السياسي الذي يرمي إليه تنظيم القضاء في الجماعات المحلية ، ونبه إلى قلة احترام المؤسسات والأعراف البربرية . فقال : « **إن مبدأ استقلال القضاء سيمكننا – بعد تنحية الشريعة عن بلاد البربر – من أن ننظم ، في أجل قريب ، القضاء البربري تنظيما منطقيا في اتجاه القضاء الفرنسي** » .

وعمل فقهاء الاقامة العامة سنتي 1928 و 1929 عملا دؤوبا ، لما كلفتهم سلطات الحماية بإصلاح تقسيم مناطق القضاء ، إذ اعتبر التقسيم السابق غير لائق بشعب لا يحيد عن الشريعة حسبما يراه الاستعمار . وكان عدد الجماعات القضائية 72 جماعة في بلاد « **السيبة** » في مستهل سنة 1929 ، بينما كان عدد المحاكم 91 محكمة في المناطق التي تطبق فيها الشريعة . وكانت هناك 14 قبيلة لا يعرف إلى أية فئة تضاف . وكان كتاب الضبط يبذلون ما في وسعهم لتحرير الأحكام بالفرنسية طبقا للتعليمات التي تلقوها . وفي نهاية تلك السنة ، وبعد عدد من المناورات السياسية والقضائية ، أصدر قرار مقيمي بإنشاء لجنة مكلفة بدراسة سير العدالة البربرية . وأسندت رئاسة هذه اللجنة إلى كوردي Cordier رئيس محكمة الاستيناف بالرباط . وقد أعلن في غضون الاجتماعات الأولى عن الخطوط العريضة التي ستنهجها اللجنة ، والتي تتعلق بتوسيع اختصاص المحاكم الفرنسية ليشمل المناطق البربرية .

نشرة للتنديد بالسياسة البربرية .
مؤسسة محمد حسن الوزاني .



ظهير 16 ماي 1930

إن أغراض هذا الظهير متعددة :

1) تحديد الاختصاص في القضايا الجنائية

2) إضفاء الصفة القانونية على وجود الجماعات القضائية

3) إصدار التعليمات بإنشاء محاكم الاستئناف العرفية

4) إضفاء الصفة القانونية على وجود المراقب والكاتب بالجماعات القضائية ، وذلك بتسمية الاول وكيلا للحكومة والثاني كاتبا للضبط .

5) تخويل الاختصاص في النزاعات العقارية التي لم ينص عليها ظهير 15 يونيو 1922 المتعلق بتوسيع تطبيق التسجيل العقاري على قبائل العرف ، وذلك عندما يكون بعض أطراف النزاع تابعين للقضاء الفرنسي .

6) تفويض تحديد قواعد تنظيم المحاكم العرفية وتكوينها ومسطرتها إلى الصدر الاعظم .

وبما أن ذلك الظهير كان الغرض منه تحديد المبادىء ، كما هو الشأن في مثل هذه الاحوال ، فلم يشتمل إلا على ثمانية فصول .

– وتتعلق القضايا الجنائية بثلاثة أنواع من المخالفات :

أ) المخالفات التي يختص بها الباشوات والقواد . وبما أن القواد كلهم معينون في مناطق قروية جبلية ، فيتعلق الامر بالمخالفات التي لاتستحق إلا سنة سجن وغرامة ألف فرنك ، بناء على مقتضيات ظهير 23 أبريل 1926 الذي يطبق في المحاكم القروية الموجودة في القبائل الخاضعة للفقه المالكي .

ب) المخالفات التي تستحق عقوبات أقسى من العقوبات المذكورة أعلاه بناء على تشريع خاص أو على العرف ، وكذلك الجنح الصغيرة التي يقترفها أعضاء المحاكم العرفية .

ج) المخالفات الجنائية :

– أما فيما يتعلق بالنوع الاول من المخالفات ، فقد نص الفصل الاول من الظهير – في عبارات غامضة – على أن اختصاص قواعد العرف هو نفس اختصاص قواعد الفقه المالكي ، أي أن الحكم الابتدائي والحكم النهائي من اختصاصهما ، كما نص على ذلك ظهير 23 أبريل 1926 الذي عدل معظمه ظهير 8 أبريل 1934 المحلل أسفله .

– أما النوع الثاني من المخالفات ، فقد أصبح ، بناء على الفصل 4 ، من اختصاص محاكم الاستئناف العرفية ، تحكم فيه ابتدائيا ونهائيا . وتبدو هذه المحاكم ، بناء على الفقرة الثانية من نفس الفصل ، كأنها محاكم تختص في القضايا الجنائية بالنسبة لاعضاء المحاكم العرفية .

– وجعلت مقتضيات الفصل 6 المخالفات الجنائية من اختصاص المحاكم الجنائية الفرنسية ، وطبقت فيها المسطرة المنصوص عليها في ظهير 12 غشت 1913 المتعلق بالمسطرة الجنائية .

– أما في القضايا المدنية ، أي القضايا المتعلقة بالقانون الخاص ، فلم يكن للفصل الثاني من غرض سوى تحويل المحاكم غير الرسمية المسماة « جماعات قضائية » إلى محاكم عرفية .

– وأحدث الاستئناف بمقتضى الفصل الثالث الذي نص على إنشاء محاكم الاستئناف العرفية .

– وينص الظهير على أن العرف هو الذي يطبق في هذه المحاكم ، وذلك في جميع القضايا المدنية والتجارية والنزاعات حول الاملاك المنقولة وغير المنقولة وقضايا الاحوال الشخصية والميراث . وقد حرر ذلك تحريرا مطابقا للواقع القضائي . فأبرز ذلك التحرير أن اختصاص المحاكم العرفية الابتدائية في القضايا المدنية عند قبائل العرف هي نفس اختصاصات القواد والقضاة في مناطق الفقه المالكي .

أما الجماعات القضائية ، فقد حولها الظهير بتغيير أسمائها فقط ، وتسميتها بأسماء عصرية . وقد اشتملت على جهازين اثنين : جهاز المراقبة الذي أسند إلى السلطة المحلية ، المكلفة بالمراقبة . أما الجهاز الثاني ، فهو كتابة الجماعة ، إذ كلف الكاتب بمسك السجلات خاصة ، أي بكتابة الضبط والتوثيق . وقد احتفظ الظهير بهذين الجهازين ،

ولكنه أضفى عليهما أسماء تظهرهما بمظهر الجهاز الاكثر تقنية . وبذلك سمى الفصل الخامس المسؤول عن الجهاز الاول وكيل الحكومة ومندوب سلطة المراقبة المحلية ، وهو تابع لها . أما المسؤول عن الجهاز الثاني ، فقد سمي كاتبا للضبط ، وكلف أيضا بالتوثيق . وقد حدد ظهير 8 أبريل 1934 اختصاصات هذين الموظفين . وسنحللها بتفصيل .

– وخول الفصل 7 المحاكم الفرنسية النظر في النزاعات العقارية المتعلقة بالعقارات التي لم تجر عليها مسطرة التسجيل والتي كان أحد أطرافها أشخاصا تابعين للقضاء الفرنسي .

أما الفصل الثامن والاخير ، فقد خول الصدر الاعظم سلطات اتخاذ القرارات لضبط قواعد تنظيم المحاكم العرفية وتكوينها ومسطرتها ، وذلك حسبما يعرض من قضايا وحسبما تدعو إليه الحاجة .

وقد ظهر ، من خلال التطبيق ، ما نتج من سيىء العواقب عن الفصل السادس من الظهير ، الذي يخول المحاكم الجنائية الفرنسية اختصاصات زجر الجنايات التي يرتكبها بربري خاضع للقانون العام ضد بربري خاضع للقانون العام في تراب قبائل العرف . وقد استبدلت هذه المقتضيات وحدها بمقتضيات أخرى ذات صبغة عامة في ظهير 8 أبريل 1934 ، إذ كان الهدف منها توحيد قواعد اختصاص المحاكم المخزنية في جميع البلاد في القضايا الجنائية .

وكان بعضهم ، مثل نقيب المحامين برونو Brunot والأستاذ سوردون Surdon « **يفضل أن تدمج الأعراف في القوانين الفرنسية ، لا في الشريعة ، لأن بيننا وبين الشريعة حاجزا لايمكن إلغاؤه ، إذ الشريعة قانون منزل . ولم لا نعمد ، بدون قيد ولا شرط ، إلى تطبيق القوانين الفرنسية على البربر ، في أجل قريب ؟** » وكان غيرهم يرى أن المثل القبايلي بالجزائر صالح ، إذ يكتفي بتعيين قاض للسدد واسع الاختصاص . وقد أبرز مشروع الظهير المشار إليه تطور الجماعات القضائية ، فأصبحت محاكم عرفية بمقتضى الفصل الثالث . وأسندت رئاسة هذه المحاكم إلى قضاة فرنسيين .

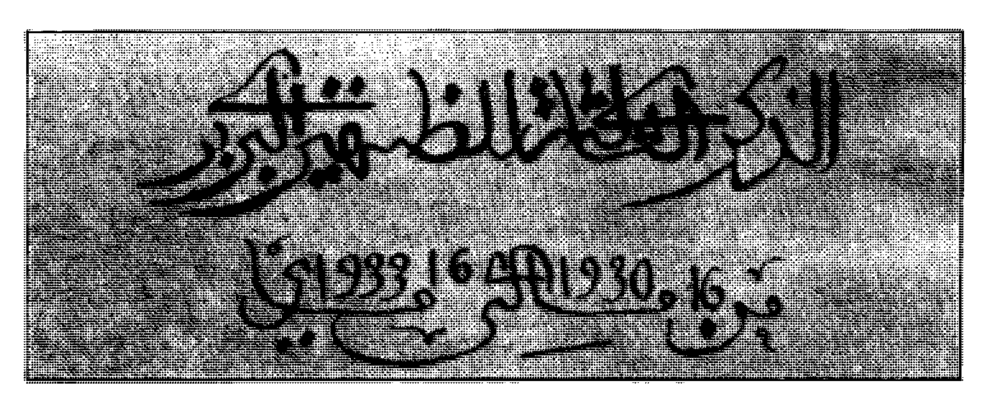
ويلاحظ ان الجرائم الجنائية أصبحت من اختصاص المحاكم الجنائية الفرنسية بمقتضى الفصل السادس ، وهو أخطر الفصول . وكان موضوع الفصل السابع « **تخويل المحاكم الفرنسية اختصاص النظر في النزاعات المتعلقة بالعقارات التي لما يشرع في اجراءات تسجيلها والتي يكون أطرافها أشخاصا تابعين للقضاء الفرنسي** » . وكان ذلك في مرحلة حاسمة من مراحل الاستعمار ، وفي الوقت الذي قدم فيه المعمرون من فرنسا ليسلبوا الناس أراضيهم . فلم يعد يخفى أن هذه الاجراءات كانت تسلب المخزن سلطته وتنال من سيادة السلطان وتضعف سلطة القواد . وأصبح الموظفون الفقهاء الذين باشروا « **هذا الاصلاح الجذري** » ينتظرون العواقب . وأخذوا ينتظرون ظهور آثار ما سهروا على إنجازه طوال السنين ، مثلهم في ذلك مثل السحرة الذين يعجزون عن إيقاف ما أثاروه من أحداث . فإذا استغرق إعداد هذا « **الاصلاح** » وإنجازه حوالي خمس عشرة سنة ، فقد أدركت السلطات الاستعمارية في ظرف بضعة أيام ، أو بضعة أشهر فقط ، عواقب تفجر الحركة الوطنية في المدن والأرياف . ذلك أن مندوبين عن قبائل كاملة قدموا إلى مقر الاقامة العامة للاحتجاج على هذه السياسة البربرية ، وحتى للتبرؤ منها . وها هو الاستعمار يسعى إلى تقريب العناصر المؤلفة لهذه البلاد بعضها من بعض ويوحدها ، في حين كان يهدف إلى خلق ما يستعين به على إضعاف نفوذ بعض الجهات وبث عوامل التفرقة في بلد دان للشريعة الاسلامية منذ قرون . ورأت الادارة الفرنسية أن مساعيها تستنكر استنكارا . لذلك عمدت إلى رأب الصدع . لكن فات عليها الوقت . ذلك أن هذه الظروف خلقت حركة وطنية واسعة .

آثار الظهير على الأمة

ولم يكن إصدار الظهير البربري خطأ سياسيا فحسب ، بل كان ، كذلك ، بمثابة الصدع أريد إحداثه في العالم الاسلامي . وكان مثل الظهير مثل أساس لمخطط يهدف إلى إدماج البربر في المدى القريب ، وإلى تنصيرهم في المدى البعيد . ولم يخف ذلك على العالم الاسلامي إذ قاومه بما قاومه من قوة وشدة . وما أسرع ما تحمس الناس وهاجوا . فأقيمت الصلوات ودعوات « **اللطيف** » في جميع مساجد المدن والقرى المغربية . ومنع معلمو الكتاتيب من فتح مدارسهم . ولم ينفع مع ذلك تهديد ولا حبس . فاحتدم الناس وتحولت الدعوات إلى شعارات في مدن الرباط وفاس وسلا وطنجة والدار البيضاء . ولم يتآمر المستعمرون على الاسلام في المغرب فحسب . فقد نظم رئيس أساقفة مدينة قرطاجة مونسينيور لوميتر Monseigneur Lemaître – الذي كان جنرالا من صنف الرديف – المؤتمر القرباني في نفس شهر ماي من سنة 1930 . وأفاضت المجلة Afrique Française في وصف الجو والتأثر اللذين كانا سائدين في ذلك الوقت . ودعت اللافتات إلى الحرب الصليبية . وجأر مئات آلاف الأطفال بالأناشيد الدينية . وحاول الجميع ، من مبشرين وسياسيين ومؤرخين وعلماء الآثار أن يستحضروا ما كانت عليه افريقيا المسيحية . فلم يعد الحديد والنار يكفيان لنشر الاستعمار ، بل عمد المستعمرون إلى اقتحام

فلنذكر هذا اليوم ولنجعله عيدا لنا وذكرى من أعظم الذكريات الخالدة
ولكن لا لنقيم فيه الأفراح، بل لنجعله مبدأ نهضتنا ومبدأ حركتنا القومية
نستمد منه الصبر والبسالة. ونرى فيه أعظم آيات التضحية والإقدام. ثم
لنسير في طريقنا طريق الجهاد والكفاح إلى النهاية نستسهل الصعاب
ونذلل العقبات لا تقف أمامنا أي قوة كانت. فقوتنا فوق كل قوة
لأنها قوة الحق والحق يعلو ولا يعلى عليه لأنها قوة لا تعتمد على المدافع
والطيارات والغازات ولكن تعتمد على الواحد القهار الذي قال
(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فالعمل العمل والنضال
والنضال فالحق يؤخذ ولا يعطى (ولا تيأسوا من روح الله)

أحد المناشير الموزعة في كبريات المدن .
مؤسسة محمد حسن الوزاني .



المجلة Maghreb تحتفل بالذكرى الثالثة للظهير البربري .
عن Maghreb N 11.

العقول والأفئدة . **« اللهم يا لطيف ، نسألك اللطف فيما جرت به المقادر ، لاتفرق بيننا وبين إخواننا البرابر »** .

وعظم الأمر على حكام الحماية ، إذ اتسعت الحركة اتساعا لم يسبق له مثيل . فقمعوا الناس وعنفوهم كعادتهم . وحبس عدد من المواطنين وضربوا وعذبوا . ولم يكتف الحكام بذلك ، بل أرادوا أن يهينوا الناس ويدوسوا كرامتهم ليكون في ذلك عبرة . وجلد أحد المناضلين ، وهو محمد بن الحسن الوزاني ، على رؤوس الملأ بسيور من الجلد . أكان ذلك من أهداف الحضارة الفرنسية ؟ واتسع نطاق المظاهرات في الشوارع والاحتجاج على الادارة الفرنسية ، وشاركت فيها جميع طبقات الشعب من صناع وعمال ومثقفين . وأصبحت العمامة علامة على الهوية وشعارا للمتظاهرين . وتحدثت الصحافة الأجنبية عن هذه الأحداث . وذلك ما أدى بالسلطات الفرنسية إلى التكذيب . ومهما يكن ، فقد قامت الصحافة العربية مقامها . وأخبر الطلبة المغاربة بباريس الأمير شكيب أرسلان بالوضع ، فقام بحملة صحافية . وكان الأمير قد أسس بمدينة جنيف السويسرية مكتبا للاعلام خاصا بالأمم الاسلامية . ورحل إلى طنجة ، لكن طرد منها كما كان ذلك متوقعا . ثم حل بتطوان حيث ألقى محاضرة حول الأندلس العربية ، وحلل فيها نوايا فرنسا . وتكاثرت أثناء مقامه بتطوان اتصالاته واجتماعاته بالوطنيين . ونشر مقالات كثيرة في « **الوطن العربي** » لتعبئة جماعة المسلمين .

ولم يخف على المثقفين العرب بالشرق الأوسط ما كان يهدف إليه الظهير البربري من تشويه القضاء . وكانت حركة الاصلاح ، التي ظهرت منذ قرون ، قد أعدت النفوس ، بعد أن ضاقت بإهانات الوجود الانجليزي . ووعى العلماء وشيوخ الطرق الدينية وطبقة الساسة ، أصحاب النفوذ ، والأعيان وغيرهم نداءات الجمعيات الدينية . واجتمع المثقفون السلفيون

الظهير البربري

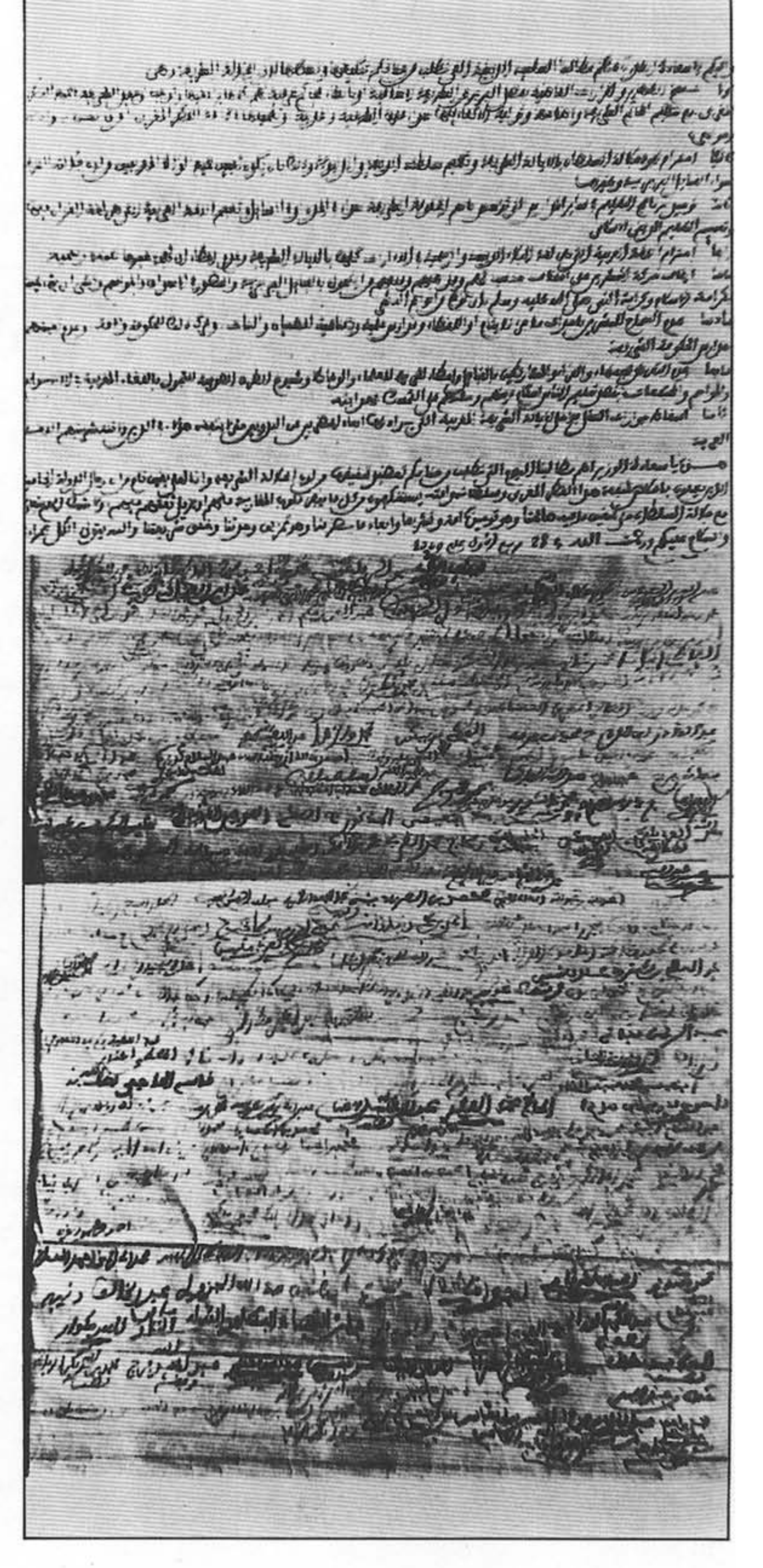
حول رشيد رضا في المكتبة السلفية . وكان رضا مديرا لمجلة « **المنار** » الشهيرة . فنشر فيها مقالا حلل فيه محاولات السلطات الاستعمارية الفرنسية صَدّ جزء من سكان دار الاسلام عن دينهم . وكان ذلك المقال احتجاجا على تلك المحاولات . ولكنه كان يهدف ، أكثر من ذلك ، إلى دعوة المسلمين إلى النهضة وإلى مقاومة أعمال فرنسا « **البنت البكر للكنيسة** » . وصيغ هذا المقال في صيغة عريضة أمضاها آلاف المحامين والأساتذة والعلماء . وبعث نص العريضة إلى كل الجمعيات الاسلامية في العالم . وسمع النداء . وكان له صدى بعيد في جميع البلاد الاسلامية ، السنية منها والشيعية ، من أندونيسيا إلى تركيا . ولم يكن تضامن المسلمين والعرب حول هذه القضية وليد الصدفة .

وكانت حركة الاصلاح قد بدأت تنتشر في المغرب منذ القرن الثامن عشر . ولم ينقطع التبادل الفكري بين الدول العربية ، وذلك بفضل العلماء . وأصبح من تقاليد السلاطين المغاربة المساعدة على نشر الأفكار الداعية إلى الاصلاح . وكان السلطان مولاي الحسن يحادث الشيخ عبد الله السنوسي باستمرار . وكان مولاي حفيظ يعتمد على حركة السلفية . واتسعت الحركة أثناء الحماية كما اتسعت ، في نفس الوقت ، الدعوة إلى العروبة التي كان يتزعمها شكيب أرسلان . وبثت هذه الأفكار في دروس جامعة القرويين بفاس ، وخاصة على يد الشيخ شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي ، وهم رجال ذوو وعي عال وشجاعة مثالية . وكانت حركة السلفية تدعو إلى الاقتداء بالسلف الصالح . وكانت حركة العروبة تدعو إلى توحيد العالم العربي ، وتلك مرحلة أولى قبل توحيد العالم الاسلامي . وكان لتضافر الحركتين نفس الأهداف ونفس الأسبقيات . وكان أول الأهداف ، بطبيعة الحال ، مقاومة المستعمر وتحرير البلاد من وصايته ، أي بعبارة أخرى ، الاستقلال بجميع الوسائل .

وكان صدور الظهير البربري فرصة لجمع شمل المثقفين المسلمين وتفجير حركة ثقافية وسياسية لم يسبق لها مثيل . وكانت الجرائد والنشرات السرية ترد على المغرب عن طريق المنطقة الشمالية الخاضعة للنفوذ الاسباني . وعرضت القضية على عصبة الأمم . وحرر المكي الناصري ، عند حضوره مؤتمر القدس سنة 1931 قرارا يندد بالظهير البربري . أما في فرنسا ، فكان من المفيد الاطلاع على مواقف الصحافة . فقد تآمرت عدد من الصحف على السكوت ، بينما تحدثت صحف أخرى عن آخر الأحداث . ونشرت الجريدة LE TEMPS نص الظهير وحللت بعض الخطوط العريضة عن السياسة البربرية . أما في عدد المجلة EUROPE الصادر في شهر شتمبر 1930 ، فقد تعرض إيميل ديرمانكيم EMILE DERMENGHEM للمظاهرات التي نظمت في المدن ، وتحدث عن القلق الذي أصاب جميع السكان . أما جورج هاردي GEORGES HARDY ، مساعد ليوطي والمسؤول عن التربية والتعليم ، فقد تحدث في الجريدة EUROPE NOUVELLE (عدد فاتح شتمبر 1930) عن ذلك الانزعاج و « **ذلك القلق** » ، لكن في أسلوب ساخر ، إذ رأى « **انها ليست سوى شعارات بعض الشياطين من الشباب هيجوا بعض الناس السذج ، فأدى ذلك إلى مظاهرات لا عاقبة لها** » . وأجاب دانيال كيران DANIEL GUÉRIN عن ذلك في المجلة LE MONDE جوابا عنيفا ، ذكر بظروف القضية ، فقال : « **إن فرنسا تصد البربر عن الاسلام ، وبكل بساطة ، وتمنعهم من تطبيق شريعتهم** » . أما في المغرب ، فقد نقدت الجرائد L'ECHO DU MAROC و LE POPULAIRE MAROCAIN و LE CRI MAROCAIN عمل المبشرين ، لكن من غير أن تندد بالظهير البربري . أما الجريدة LA VIGIE MAROCAINE فعالجت القضية بأسلوب ساخر في حين أن الجريدة LA DÉPÊCHE ALGÉRIENNE استهزأت « **بقيام أصحاب العمائم في العالم** » .

ولم تلبث احتجاجات العالم الاسلامي على تآمر الجيش والكنيسة أن آتت أكلها . وتغير الوضع وأعفي بعض الموظفين . وكان الكوماندان مارتي قد بدأ ينشر بحثه بعنوان LA JUSTICE CIVILE MUSULMANE AU MAROC في المجلة ETUDES ISLAMIQUES . فوقف النشر وعزل من منصبه . وأوقف المشروع الذي كان يعده لتنظيم القضاء البربري .

وطالبت بعض الجماعات اليسارية ، من ماسونيين وغيرهم الكف عن استقدام رجال الدين . لكن ذلك لم يمس الظهير الذي كان ، في الواقع ، موافقا لأهداف الاستعمار وأغراضه . وكانت حركة مناهضة الظهير قد حققت أكثر مما كانت تتوقعه وتتمناه . فاضطر المقيم العام إلى التراجع عن مشاريعه . وأعدت قائمة بالشخصيات غير المرغوب فيها . وفي سنة 1931 قدم السلطان إلى الاقامة العامة مطالب سياسية صيغ معظمها في مشروع الاصلاحات المغربية الذي أعد ، بعد ذلك سنة 1934 بمساندة السلطان نفسه . وعينت لجنة مغربية فرنسية كلفت بإعداد إصلاح يشمل النظام القضائي كله . وكان في ذلك تراجع للاقامة العامة . لكن لم يكن فيه ما يحفز الوطنيين . ولم يصدر الظهير الذي يعيد للمحكمة الشريفة اختصاصاتها القضائية إلا سنة 1934 . ولم تعدل السلطات نهائيا عن سياستها وقوانينها البربرية ، إذ احتفظت المحاكم العرفية والمحاكم الابتدائية ومحاكم الاستيناف باختصاصاتها المدنية . وصدرت قرارات يوم 8 أبريل و 15 شتمبر تحدد اختصاصات التسعين محكمة ابتدائية والست محاكم الاستيناف ، وتحدد تنظيمها ومسطرتها . وألغيت اختصاصات المحاكم الفرنسية ، لكن لم تلغ القوانين البربرية . ولم تعدل الادارة عن مكرها السياسي الذي ينطلق من المبدأ « **فرق تسد** » . ولم تع السلطات الاستعمارية بالعواقب السياسية التي نتجت عن ذلك الظهير إلا بعد حدوث الأحداث الخطيرة بفاس في شهر ماي 1934 ،

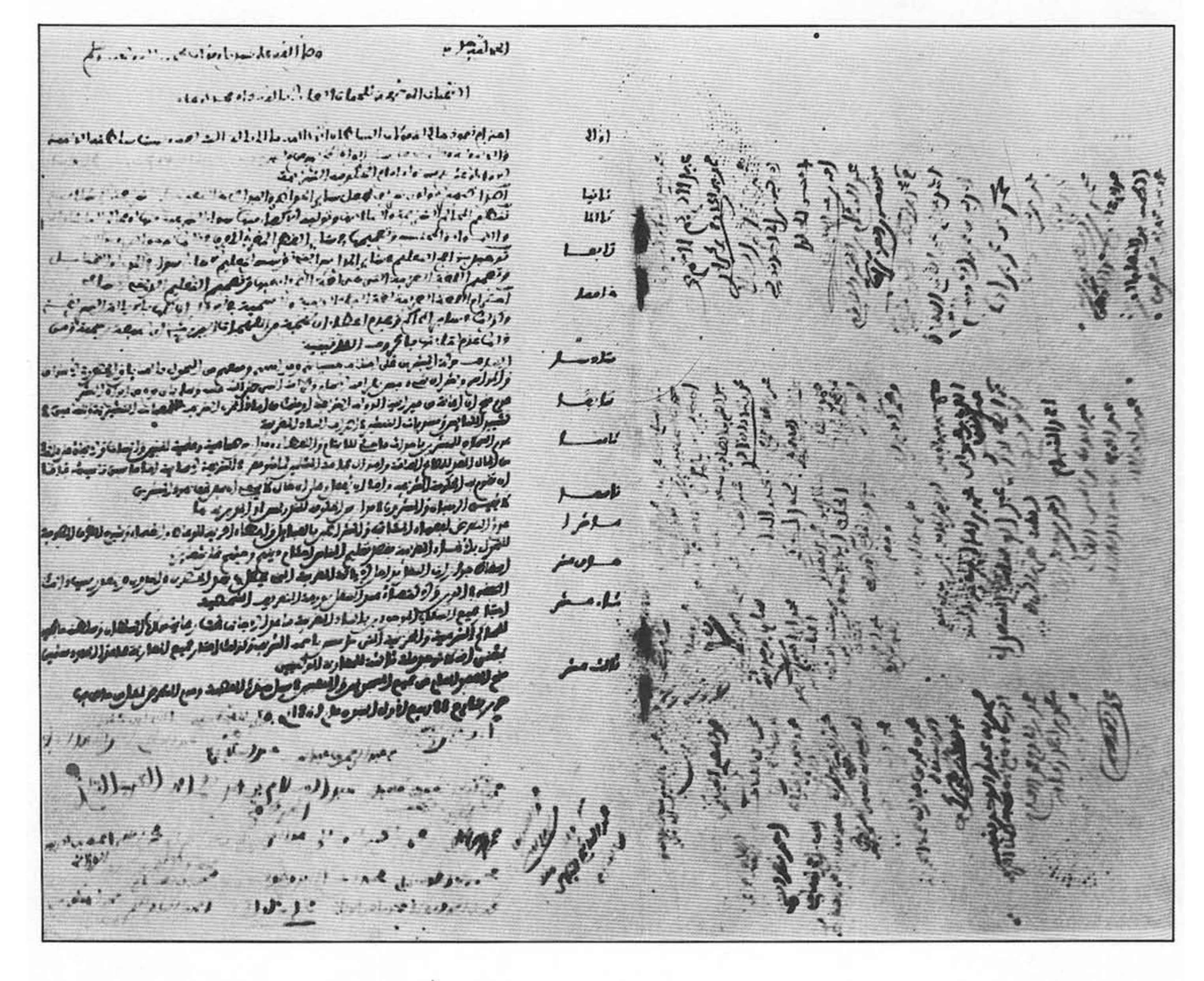


الظهير البربري

ومظاهرات التضامن مع السلطان والمظاهرات المعادية للفرنسيين .

وقام سكان المغرب كله قومة واحدة بمدنه وقراه يحتجون على هذه السياسة المشؤومة . مثلهم كمثل ذلك المندوب المطيري الذي طلب في يوم من أيام 1913 إلى الترجمان القبايلي ، الذي صحب ليوطي ، أن يتحدث إليه بالعربية . ولم تنته الأمور عند ذلك ... إذ تغاضت الدول الاسلامية عما يفرقها وأدركت مغزى تلك السياسة . فإذا كان لجماعة من دار الاسلام أن تطالب ببعض الحقوق ، فعليها أن تفعله في أحضان دار الاسلام ، وبمراعاة أحكام الشريعة الاسلامية . وإن البربر الذين أجابوا باللغة العربية عن كلام الضباط الفرنسيين الذين كانوا يحادثونهم باللغة البربرية ، والبربر الذين اتخذوا من ثانوية آزرو مؤسسة لتكوين الوطنيين أجابوا وطبقوا المثل القديم القائل : **« أنا ضد إخوتي . وأنا واخوتي معا ضد ابن عمنا . وأنا وإخوتي وأبناء العمومة معا ضد** الجميع » . ويقصد بالكلمة « الجميع » الغير ، أي الأجانب الذين أخضعوا الجبال ، وقتلوا آلاف وآلاف الضحايا ، وحاولوا طمس ثقافة الشعب ودينه بدعوى خادعة ، وهي دعوى المحافظة على إمكان تطور طريف يناسب ما يفكر فيه الاستعمار .

ولم يعد أحد يومن بجدوى المشاريع الفرنسية . ولم يعد يساندها أولئك الذين كانوا ، إلى حد هذه الحقبة ، يغترون بذلك . وفتحت حينئذ صفحة جديدة من تاريخ المغرب .



عرائض سكان مدن فاس وسلا والرباط .
مؤسسة محمد حسن الوزاني .

الامة المراكشية تثور

وطبيعي ألا تقف كتلة الشباب إزاء هذه التدابير مكتوفة الايدي ، بل إنها استطاعت أن تعرف الرأي العام المغربي بحقيقة ما يدبر بالخفاء ، واستطاعت أن تجمع من حولها الامة كلها للاحتجاج على هذه السياسة التبشيرية الادماجية ، وسرعان ما بدأت الجماهير تحتشد في مساجد (سلا) أولا ، ثم في الرباط وفاس وغيرها من المدن المغربية . وقد اشتدت الحركات الاحتجاجية بفاس حيث بدأ مسجد القرويين يمتلىء في كل يوم بآلاف المسلمين الذين يستمعون للخطباء ، ويوجهون البرقيات ، ويختمون عملهم بالدعاء « **اللهم يالطيف نسألك اللطف بما جرت به المقادير ، وألا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر** » .

وفي أوائل جوان سنة 1930 اشتد حماس المصلين فخرجوا متظاهرين في الشوارع حيث كانوا يستمعون بمختلف الجهات لخطباء الشباب الذين يشرحون لهم الموضوع ، ويعرفونهم بالحال . ولما وصل المتظاهرون لدار شيخ المدينة عمدت إليهم السلطة فاعتقلت منهم خمسة وعشرين شابا جلدتهم بالسياط ، من بينهم أصدقائي عبد العزيز ابن ادريس والهاشمي الفلالي ومحمد الوزاني ، وفي مساء اليوم بعثت السلطة فاعتقلتني ، وكانت الادارة الفرنسية قد اعتقلت قبلنا السيد عبد اللطيف الصبيحي بسلا والسيد عبد اللطيف العتابي بالرباط .

بقينا في السجن 14 يوما لم تنقطع فيها المظاهرات بمدن فاس وبالرباط وسلا ، وعم الخبر في الاوساط البربرية فبدأت تفد للاحتجاج على الادارات المحلية ، فتعتقلها السلطة وتزج بها في السجون ، وبعد ذلك اضطر الكومندار ميلي رئيس الامور الاهلية بفاس أن يذيع منشورا يطمئن فيه الناس على إسلام البربر وعلى أن كل ما فعلته الحكومة هو تنظيم لقضاء قديم ، ثم أطلق سراحنا .

ولكن هذا التدبير لم يكن له الاثر الكافي ، فقد استمررنا واستمر معنا الناس في مواصلة الاحتشاد اليومي بالقرويين للدعاء والاحتجاج ، وتكون وفد من السادة محمد بن عبد السلام الحلو ، وحمزة الطاهري . وأحمد مكوار ، وأحمد أبي عياد للتفاوض باسم المتظاهرين مع الادارة الفرنسية ، ولما لم تجد هذه المفاوضات شيئا قررنا أن ننظم وفدا رسميا يمثل الافكار التي ندافع عنها .

وفعلا دعونا الجمهور للاجتماع بالمجلس البلدي الفاسي حيث وقع انتخاب وفد مكون من 24 عضوا يمثلون سائر الاوساط الشعبية من العلماء والاعيان والصناع والعملة والفلاحين والشباب العصري ، وكون هذا الوفد لجنة كنت من أعضائها لوضع المطالب التي يعرضها الوفد على المراجع العليا فيما يخص السياسة البربرية .

وهذه المطالب التي وضعناها وصادق عليها الوفد وأيدتها عرائض الشعب من كل جهة تشمل ما يأتي :

1 – إلغاء ظهير 16 مايو ، وسائر الظهائر والقرارات التي اتخذت في معناه .

2 – تكوين قضاء موحد لجميع المغاربة .

3 – ربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصية .

4 – ليس في المغرب دين قومي إلا الاسلام واليهودية .

5 – منع الهيئات الاجنبية وإدارة المعارف من استعمال وسائل التبشير .

6 – اللغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية ، ولذلك يجب أن تكون الاساسية في التعليم .

ولما علمت الاقامة العامة بتطور الحركة لهذا الطور المنظم وزعت منشورا باسم الوزير المفوض للاقامة العامة يعلن فيه أن الحماية تقبل إخراج كل قبيلة تطالب بالقضاء الشرعي من حظيرة القبائل التي يشملها الظهير ، ولكن هذا الامر لم يكن إلا ذرا للرماد في العيون ، فقد تقدمت قبيلة (آية يوسي) من نواحي صفرو وقبيلة زمور بالخميسات وغيرها بإرسال وفود تطالب بتحقيق هذا الوعد ، فما كان من ولاة المراقبة إلا أن ألقوا القبض على رجالها .

حينئذ سافر الوفد الفاسي برئاسة السيد عبد الرحمان ابن القرشي وزير العدل سابقا ، وكان والدي عبد الواحد الفاسي هو كاتب الوفد ، وقد رفضت إدارة الشؤون الاهلية بفاس أن تسمح لي أنا والحاج عمر عبد الجليل ومحمد الوزاني بالسفر مع الوفد بالرغم من أننا من أعضائه المنتخبين .

قابل جلالة الملك الوفد ، وقدم له العريضة المشتملة على المطالب السابقة ، وخطب رئيسه ابن القرشي خطابا بكى له جلالته ،

ثم لبث بضعة أيام بالرباط محل مظاهر التأييد والتكريم من سكان العاصمة ، وأخيرا ألزمته الادارة بالرجوع لفاس حيث ألقى القبض بمجرد وصوله على الحاج محمد بن عبد السلام الحلو أحد أعضائه البارزين ، وعلي ، وعلى السيد الوزاني ، والسيد عبد العزيز ابن ادريس ، والهاشمي الفيلالي ، وغيرهم من رجال الحركة .

وإزاء هذا التحدي العظيم من الحماية لممثلي الامة قررت المدينة الاضراب العام والقيام بمظاهرات استمرت 10 أيام وقع فيها اصطدام عنيف مع البوليس واحتل الجيش القرويين والمساجد الكبرى ، وشوارع المدينة الفسيحة ، وأعلنت الطوارىء وألقى القبض على مئات من السكان . وقد نفيت أنا وسبعة من أصدقائي إلى مدينة تازة . كما نفي الاخ محمد اليزيدي إلى قلعة السراغنة ، وابن عبد السلام الحلو إلى فجيج .

وبعد أن هدأت المظاهرات ، أي بعد شهرين من اعتقالنا قرر رئيس الجمهورية الفرنسية زيارة المغرب بدعوى تهدئة الخواطر ، ولما وصل للرباط أطلق سراحنا نحن الذين بتازة ، بينما استمر اليزيدي في السراغنة شهورا أخرى .

صدى المسألة في العالم الاسلامي

كان لصدور الظهير البربري والحوادث التي أعقبته استياء كبير في العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وقد رفعت مصر صوت الاحتجاج عاليا على هذه السياسة الصليبية ، وبمجرد ما وصل إليها مندوب الحركة الوطنية الاستاذ الحاج الحسن أبو عياد عقد عدة اجتماعات خطيرة ، واتصالات مهمة شرح فيها للرأي العام الاسلامي حقيقة السياسة البربرية ، فاحتجت جمعيات الشبان المسلمين وجمعية الهداية الاسلامية ، ورفع علماء الازهر عريضة استنكار لجلالة الملك فؤاد الاول ، كما رفع الشعب عرائض للسفارات الاجنبية ، وتكونت في الهداية الاسلامية لجنة خاصة بالمحافظة على إسلام البربر استطاعت أن تبث فروعها في الهند وجاوة وغيرها ، وإزاء السيل الجارف من الاستنكارات اضطرت المفوضية الفرنسية بالقاهرة إلى محاولة إنكار الحقيقة ، وكذلك السفارة العامة في جاوة ، فادعى السفير أن فرنسا لم تقم بأي شيء يمس بالاسلام في المغرب الاقصى ، ولكن أبو عياد سرعان ما أجاب عن هذا البيان بالمحاضرات القيمة التي ألقاها في مختلف الاندية العربية .

وفي فرنسا قام الطلبة الموجودون هناك بواجبهم نحو القضية المغربية ، إذ أقاموا عدة مهرجانات وأذاعوا كثيرا من النشرات ، وأصدروا رسالة (عاصفة في مراكش) أو (أخطاء السياسة البربرية) التي عربتها ونشرتها بالقاهرة اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب . ولما انعقد المؤتمر الاسلامي العام بالقدس كلفت كتلتنا الاستاذ المكي الناصري بتمثيلها فيه ، كما كلفت كتلة الشمال الحاج محمد بنونة بالنيابة عنها ، وقد رفع الاثنان تقريرا عن حالة الاستعمار بالمغرب كان هو أصل الكتاب (فرنسا وسياستها البربرية) وقد انتخبا الاخوان معا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر .

وبالجملة فقد كانت هذه المعركة فاتحة عهد كفاح وطني في الداخل والخارج اهتم فيه العالم الاسلامي بقضية المغرب الاقصى ، وعرف ما يبيته المستعمرون من دسائس للدين والعروبة فيه ، وقد قام الامير شكيب رحمه الله بدور مهم في فضح هذه السياسة للجمهور العربي ، وبمجرد ما علم ما يجري في المغرب عجل بزيارة المنطقة الخليفية ، وأخرجه الفرنسيون من طنجة بعدما منعوه من الدخول للمنطقة السلطانية .

وهكذا وجد المغاربة أنفسهم وجها لوجه مع الحماية الفرنسية ، يقاومون سياستها وهم في الحقيقة إنما يعملون للاحتفاظ بوحدة بلادهم وتحرير أبنائها .

ولعلّ صديقنا عمر كان متعمقا في فهم عقليتنا في هذه الظروف حيث قال فيما كتبه بإمضاء (أبو عزة الزموري) بمجلة « مغرب » :

« إننا بمقاومتنا للسياسة البربرية نريد تقريب عناصر الشعب المغربي وتوحيده.نريد محاربة مبدأ التجزئة المكيافيلي الذي ينشره بتفنن ممثلو فرنسا الحربيون والدينيون ، نريد أن نمنع خلق كتلتين ذاتي ثقافتين ومصالح متناقضة خلقا اصطناعيا ، نريد أن نكفل حرية الضمير والتفكير للمواطنين جميعا بكيفية جدية » .

وإذن فقد بدأت حركة التحرير الجديدة ، وولدت كتلة العمل الوطني .

لم تكن لهذه المظاهرات الشعبية ولا للاحتجاجات التي أمطرها العالم الاسلامي على فرنسا من أثر عملي على تبدل السياسة أو محاولة العدول عنها ، بل زادت السلطات الفرنسية في التمسك بضرورة المحو لكل ما من شأنه أن يبعث الروح القومية في نفوس المغاربة ، ولذلك انتظم الوطنيون في دائرة كتلة تعمل لتنسيق الحركة الوطنية وتوجيهها . وقد فكرت الكتلة في أن أول عمل يجب أن تقوم به هو تنوير الرأي العام في فرنسا والخارج من جهة ، وتنبيه الشعب وإعداده لتحمل أطوار المقاومة من جهة أخرى . وبذلك أخذت البلاد تشهد مظاهر وألوانا من الاحتجاجات لم تعهدها من قبل ، فمن نشرات تعلق بالجدران ، وتوزع بالالاف في كل الاوساط ، إلى أغان تنتشر بين الناس ويتسلى بها الجمهور ، فنشر أبحاث قيمة عن البربر وأثرهم

(تتمة ص. 264 و 265)

في الاسلام ، وعن الشخصيات الكبيرة التي نبغت من بينهم ، وما لهم من المفاخر والمآثر ، وإلى جانب كل ذلك فقد وقعت دعوة عظيمة لمقاطعة سائر البضائع الفرنسية ، والاستعاضة عنها بالبضائع المغربية والعربية أو الاجنبية إذا لم يوجد غيرها ، وقد نجحت هذه الدعوة نجاحا كبيرا ، فكنت لا ترى إلا الملابس المنسوجة في المعامل المغربية والاقمشة الشعبية القديمة التي مضى عهدها ولم يكن يبالي بها أحد أصبحت تحل محل التقدير والاعجاب من الجميع ، وأمسك الكثيرون عن شرب الشاي وأكل السكر لانه فرنسي ، وسرت في الاجواء الشعبية صوفية ضحت بكثير من الشهوات ، وحتى في الحاجات العادية في سبيل المثل القومي العظيم ، وشاركت النساء في هذه التضحية بإيثارهن المنسوج الوطني برغم ما فيه من تقشف على فساتين الموضة وألوانها .

وحاولت الادارة أن تقاوم كل ذلك بالضغط أحيانا والدعاية أخرى ، ولكنها لم تصل إلى إيقاف التيار الذي عم الاوساط كلها ، وشمل الجهات بأسرها .

والذي أغضب الادارة أكثر من كل هذا هو استفحال هذه الدعاية في الاوساط البربرية ، وانبعاث الوعي القومي في نفوس إخواننا من أبناء المغرب الذين أصبحوا يحسون ويألمون ويتحركون للدفاع عن دينهم وعن عقيدتهم ، وأصبح الرعاة يتغنون بالاناشيد الوطنية الحزينة التي تبكي حالة الوطن وما يكيده الاجنبي له من دسائس . ولعل من العظة والذكرى ، ومن التسجيل للحقيقة أن ننقل هنا هذا النشيد باللهجة البربرية ثم نعقبه بالترجمة العربية :

1 – إيغاء بين أوينا حكمنين
متا ثمباطا إزرف إزلان الدين

2 – ثمرم الرأي تزليم العزنون
تكرام الدين ارتكام سومر ذول

3 – يتاغ الحال ثميماتا تصحا نكراخ
لسلام أمازيغ عربي أكان بامن

4 – الارزون أمعيذان أذاخ يظون
اتمسلهو ذى كيناخ نقباط

5 – اهايما زيغن أنودم ذايتاغ
ألا يتفافا الحر أكر ذيبخوان

6 – أران إيرومين سواواك أكليد
أداخ عديك إيريد إيهنا الخلا

7 – إريداذى كين ذا الدين أم ساو
عذاو أهانتا ياسمى تالخ تونكين

8 – أهايمازيغن امعيو رظن ايثكام
أسيد العار أيكون يا عن كالمغرب

9 – تيتشم أدا المال أدو ياذا الدين
أداث ثغيزاريو يثن أخنزير

10 – وتذعنم الدلت ثكيم أم أسمفان
امى ورياذ يكرا أورون شانشجعان

11 – والله العظيم نكير مش ذا نكان
اليساموم غاس أنزكوم نون

12 – إياك جران إيمازيغن كالمغرب
اذاسن روخ أيس كان أيت ماكالدين

الترجمة العربية

1 – أيها القابضون على أزمة أمورنا الحاكمون في قضايانا ما هذا الحكم بالعرف المصادم للدين ؟

2 – أترضون كل ما يحدث إلى أن رميتم عزتكم ورفضتم شرفكم فذهبا مع دينكم كما ذهبت معهما ثروتكم ؟

3 – لانعرف من قديم الزمن إلا أننا والعرب إخوان متحدون متصلون أليس إسلام الامازيغ أبوه عربي ؟

4 – يريد الاعادي أن يفرقونا ويذكوا نار العداوة بيننا لتتم سيادتهم علينا .

5 – أيها الامازيغ إن النوم من طبائع الانسان ولكن الحر الذكي ينتبه ويبادر السارق المتلصص .

6 – زعموا أن حكومتنا احتمت بفرنسا لنشر المدنية والاصلاح .

7 – وإذن فلماذا يجعلون سدا بيننا وبين ديننا ويبثون فينا عداوته والحال أن الدين الاسلامي هو غايتنا من الحياة .

8 – أيها البرابر إنكم خفرتم العهد ونقضتموه ، أليس عارا عليكم أن تهانوا في دينكم في عقر داركم المغرب ؟

9 – نهب مالكم بعد دينكم فتلاهما عقاركم وصار الجميع بيد عدوكم .

10 – أذعنتم للذين يستعبدونكم كأنكم أرقاء وكأنكم خلقتم من مادة الجبن والحال أن أجدادكم من أشجع الناس .

11 – والله العظيم لقد أضناني السهر من أجلكم وأضعفني همكم .

12 – ما أعظم مصابكم أيها البرابر بالمغرب أبكى لكم إذ أنتم أنا نسبا ودينا .

علال الفاسي

« الحركات الاستقلالية في المغرب العربي »

العدد 26 — عدد خاص بالذكرى السابعة للظهير البربري — السنة الاولى



شعارها المغرب للمغاربة اولا واخيرا

شعارها الشعب بالعرش والعرش بالشعب

يوم الاحد 5 ربيع الاول 1356 — جريدة اسلامية وطنية ثقافية اخبارية حرة — الموافق 16 مايو 1937

الذكرى السابعة للظهير البربري

يوم حزن وحداد في عالم العروبة والاسلام

من ينصفنا من الاستعمار...؟

16 مايو 1930 ـ 16 مايو 1937

في اليوم الثالث من مايو الجاري كتبت مقالا افتتاحيا في هذه الصحيفة تحت عنوان «سياسة تقبر وسياسة تبعث...!» ودعوت فيه حكومة الواجهة الشعبية وحكومة الجنرال نوكيس الى اعلان الغاء السياسة البربرية قبل حلول هذا اليوم المشؤوم عسى ان يدخل فيه الى قلوب المسلمين عامة والمغاربة خاصة شيء من السرور والغبطة، ويعود الى نفوسهم شيء من الطمأنينة على دينهم وشريعتهم ومصيرهم في هذه الايالة «الشقية» التي يسمونها سعيدة...

وقصدي من تلك الدعوة التي وجهتها أن تنصفنا فرنسا من مظلمة ثقيلة أنزلتها بنا، وان ترفع عنا مصيبة جلى اصابتنا بها في قوميتنا وديننا، وان ترجع عن محاولة فاشلة حاولتها، ومؤامرة مكشوفة دبرتها، فتكسب بذلك عطف المغرب والمشرق وتهيئ الجو للتفاهم والتعاون في هذا الوقت العصيب بين ابناء الأطلس وابناء السين! وكنت اظن أن عشرة ايام فصاعدا كافية لتذكير الناسي ومخابرة البعيد، وان الاقامة العامة بالرباط ستتصل اثناء هذه المدة بباريس من طريق التلفون والتلغراف والرسائل الطيارة، فتتسلم الاوامر والارشادات من رئيس فرنسا فيما وراء البحار، واذا بالسياسة البربرية تقبر فلا تحيا من بعد، واذا بالمغرب الاسلامي العربي يبعث حيا فلا يعتدى على اسلامه وعروبته من بعد.

ولكن... ولكن... ولكن... الاستعمار الفرنسي آمن بضرورة فرنسة المغاربة فلن يقنعه احد بالتنازل عن ايمانه، واقتنع بضرورة إدماج المغاربة فلن يرده عن اقتناعه راد، وطريقه الوحيد الى ذلك فيما يرى ويعمل هو تقليص اظفار العروبة في بلادنا ونقص الاسلام من اطرافه فينا، وقد أقام الاستعمار باصراره على مبدئه ـ طيلة هذه السنوات السبع ـ رغم ارادة العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه ـ الحجة القاطعة على أنه سيواصل السير في هذا الطريق الوعر الا ان تزل به القدم او يلحقه الندم!

وبعد، فمن ينصفنا من الاستعمار ويرد الحق الى نصابه؟ هل يمكن ان يبقى في قلوبنا محل للرجاء والامل؛ لقد عرضنا هذه القضية البربرية على مسامع حكومات عديدة اختارها الشعب الفرنسي نفسه لتمثيله وتسيير شئونه، وكانت لسانه الناطق على كل حال؛ وطالبنا هذه الحكومات المتوالية بالغاء السياسة البربرية مستندين الى حجج بالغة وبراهين ساطعة وحق واضح مقدس، فكان الاصرار على تطبيقها هو الجواب الوحيد العملي الفاصل؛

خير لفرنسا فيما يظهر ان تحل مشاكلنا معها بنفسها وان تترك الوطنية المغربية في اتجاهها الحالي، والافان اليأس منها سيعمل عمله في نفوسنا ويدفع بحركتنا الوطنية في طريق لا يعلم نهايته احد...

محمد المكي الناصري

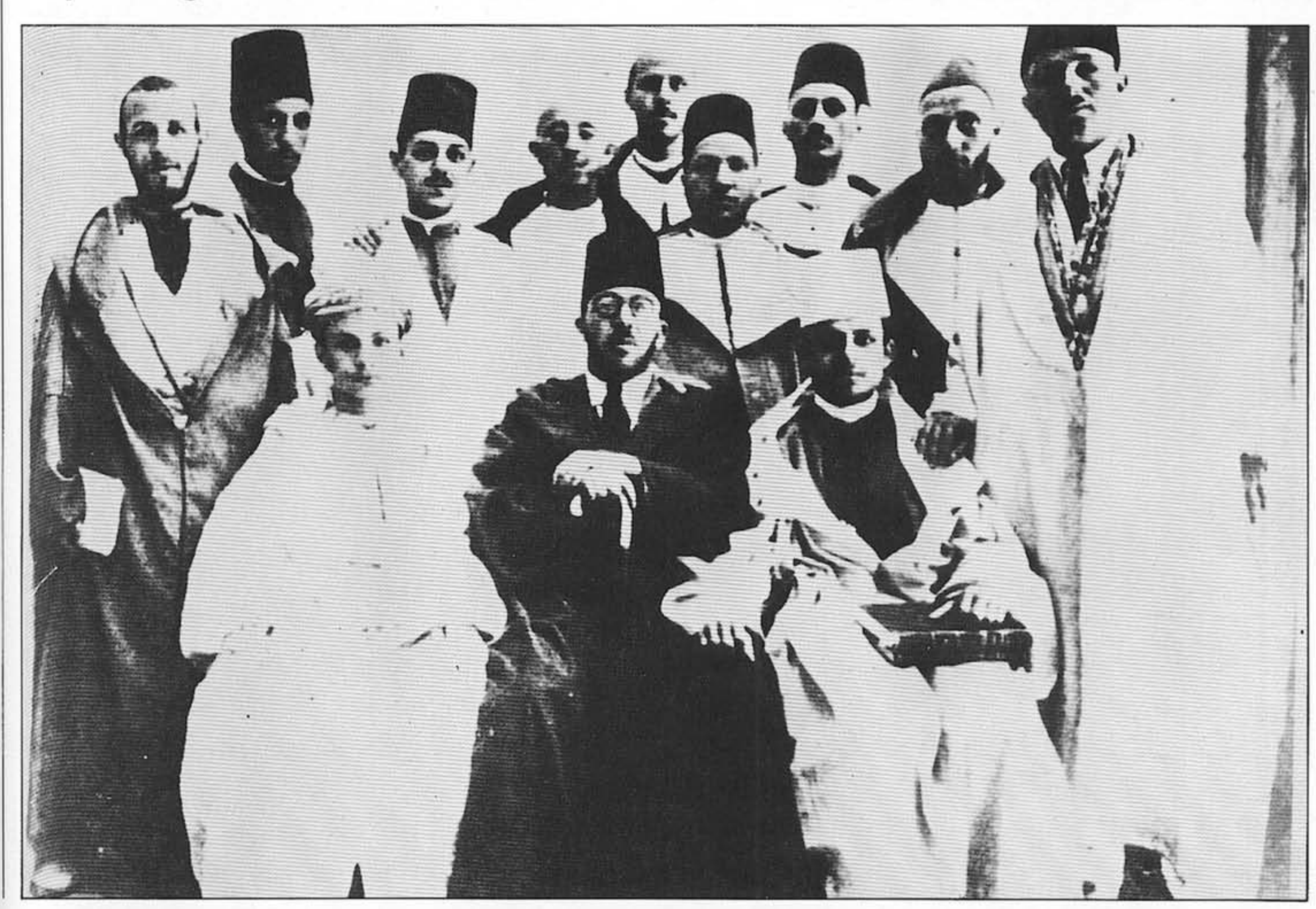
إنبعاث الوطنية في

خالد الجامعي

لقد كان لانبعاث الوطنية في المغرب أسباب متعددة . ولربما كان أهمها حرب الريف ومقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، إذ كان تأثيرها قويا جدا في نفوس تلاميذ الثانويات « **المغربية – الفرنسية** » وفي وسط طلبة جامعة القرويين . وكان من بين هذه النخبة جماعة من الشباب أصبحوا فيما بعد قادة الحركة الوطنية ، منهم علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج (**أنظر المجلد السادس « كفاح الملك والشعب »**) والاخوة بوعياد والسبتي واليزيدي وأحمد مكوار ... فكانت حرب الريف بمثابة العنصر الذي فجر في نفوسهم وعيا سياسيا حاسما .

وقد تجلى ذلك الوعي ، خاصة ، من خلال أول نشرة مغربية باللغة الفرنسية ، عنوانها « MAGHREB » ، وهي نشرة شهرية أسسها الطلبة المغاربة ، ومن ضمنهم ، خاصة ، محمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي وعبد

بعض الوطنيين مجتمعين حول شكيب أرسلان اثناء زيارته المغرب سنة 1930 . نرى عن يمين أرسلان الشاب علال الفاسي . وثائق حزب الاستقلال .





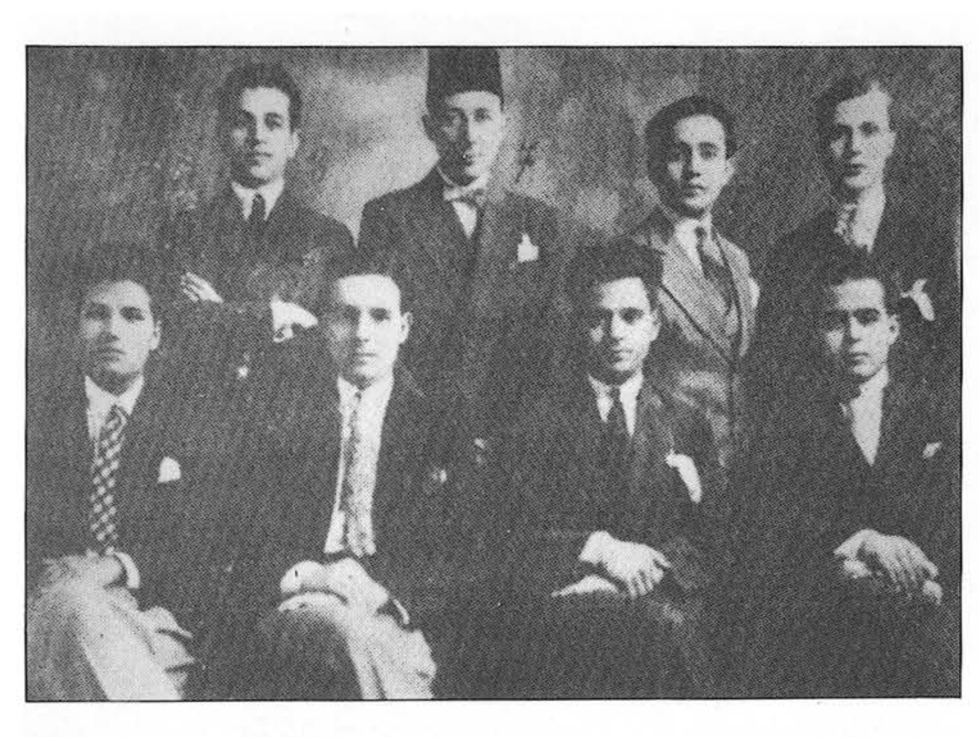
القادر بن جلون وفرج ... وقد صدر العدد الأول في شهر يوليوز سنة 1932 . وشارك في هذه النشرة شخصيات فرنسية متحررة . وموّلتها ثلاث عائلات كبرى ، بصفة خاصة ، وهي عائلات السبتي وبوعياد ومكوار .

وهناك عامل آخر ساهم في بعث الوطنية . ويتمثل في النشرات العربية الصادرة في العراق وسوريا ، وخاصة في مصر ، وفي نشاط بعض الشخصيات مثل شكيب أرسلان . فقد أقام أرسلان في المغرب سنة 1939 . ولما عاد إلى مصر ، أخذ يدعو ، في مقالاته ، العالم العربي والاسلامي إلى مساندة كفاح الوطنيين المغاربة .

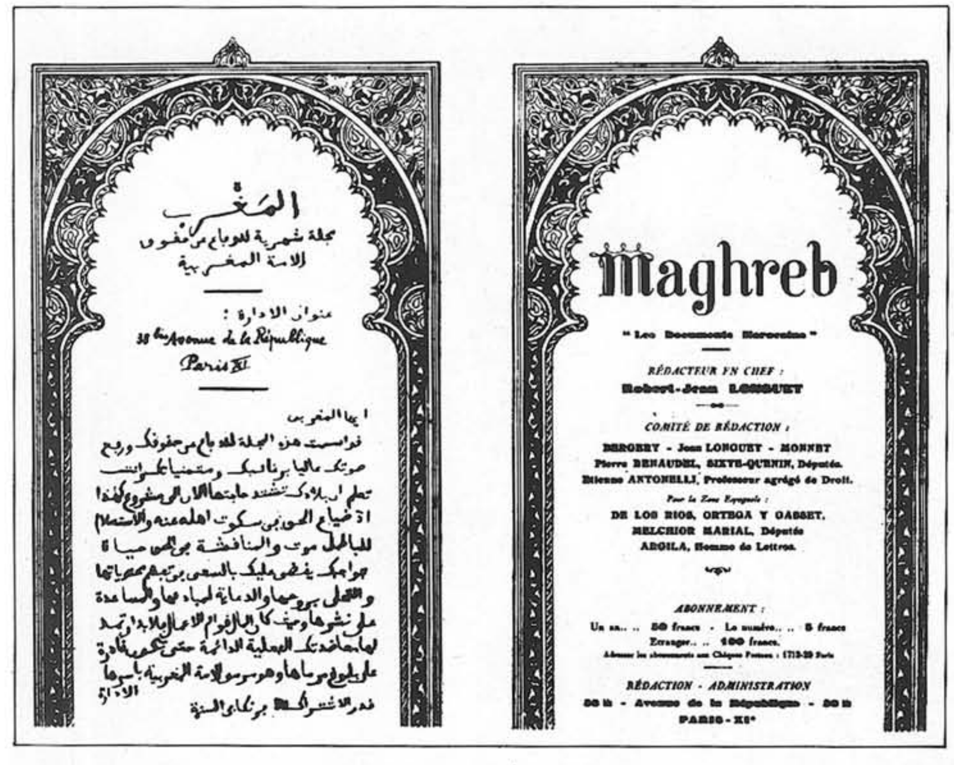
ويضاف إلى هذه العوامل تأثير أفكار قادة الاصلاح في العالم الاسلامي مثل محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وتأثير الحركة السلفية . وصاغ هؤلاء القادة هذه الحركة صياغة جديدة ، فكانت بمثابة أركان القاعدة الفكرية التي اعتمدت عليها الحركة الوطنية في المغرب .

« حرزهم الحريز : اللغة العربية ... ووسيلتهم : التعليم الحر ... »

كان على الوطنيين أن يتحرزوا من المستعمرين . فلم يكن همّ هؤلاء الحصول على المواد الخام والأسواق لترويج منتجاتهم ، وعلى المواقع العسكرية ، وبسط هيمنتهم الاقتصادية



الطلبة المغاربة الأوائل بباريس . الجالسون من اليمين : محمد حسن الوزاني واحمد بلافريج ومحمد الخلطي ومحمد الفاسي . الواقفون ، من اليمين : المدني مكوار ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد القادر بنجلون وعبد الملك فرج .
أخذت الصورة يوم 8 غشت 1928 – مؤسسة محمد حسن الوزاني .



المغرب
مجلة شهرية للدفاع عن حقوق الامة المغربية
عنوان الادارة :
30 bis Avenue de la République
Paris XI
ايها المغربي

Maghreb
RÉDACTEUR EN CHEF :
Robert-Jean LONGUET
COMITÉ DE RÉDACTION :
BERGERY - Jean LONGUET - MONNET
Pierre RENAUDEL, SIXTE-QUENIN, Députés.
Etienne ANTONELLI, Professeur agrégé de Droit.
Pour la Zone Espagnole :
DE LOS RIOS, ORTEGA Y GASSET,
MELCHIOR MARIAL, Députés
ARGILA, Homme de Lettres.
ABONNEMENT :
Un an... .. 50 francs - Le numéro.. .. 5 francs
Etranger.. .. 100 francs.
RÉDACTION - ADMINISTRATION
30 bis - Avenue de la République - 30 bis
PARIS - XI°

صورة غلاف العدد الأول من الصحيفة « المغرب » .
مؤسسة محمد حسن الوزاني .

مذكرات من التراث المغربي



1

1

شكيب أرسلان بالزي المغربي .
الخزانة العامة بالرباط .

2

عبد الواحد الشاوي في أحد أدواره التمثيلية .
LE MONDE ILLUSTRÉ-OCTOBRE 1933.

Abdelouahed Chaoui dans un rôle d'amour romantique

2

3

منظمو مؤتمر طلبة شمالي افريقيا . وقد منعت سلطات الحماية عقد المؤتمر بفاس ، فعقد بباريس . أخذت الصورة سنة 1923 – الجالسون من اليمين : عبد القادر بنجلون والحاج الحسن بوعياد ومحمد ابراهيم الكتاني وعبد القادر برادة ومحمد حسن الوزاني . أما الواقفون من اليمين : عمر عبد الجليل ومحمد الخلطي والهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن ادريس .



3



وتثبيتها فحسب ، بل وكانوا يقصدون إلى طمس الماضي والتراث الثقافي والديني ، إذ كان من شأن هذه العوامل أن تبعث الوعي في نفس المستعمَرين ، فتفضي بهم إلى مطالب ثقافية وسياسية واقتصادية ، ومن ثم إلى الكفاح من أجل الاستقلال .

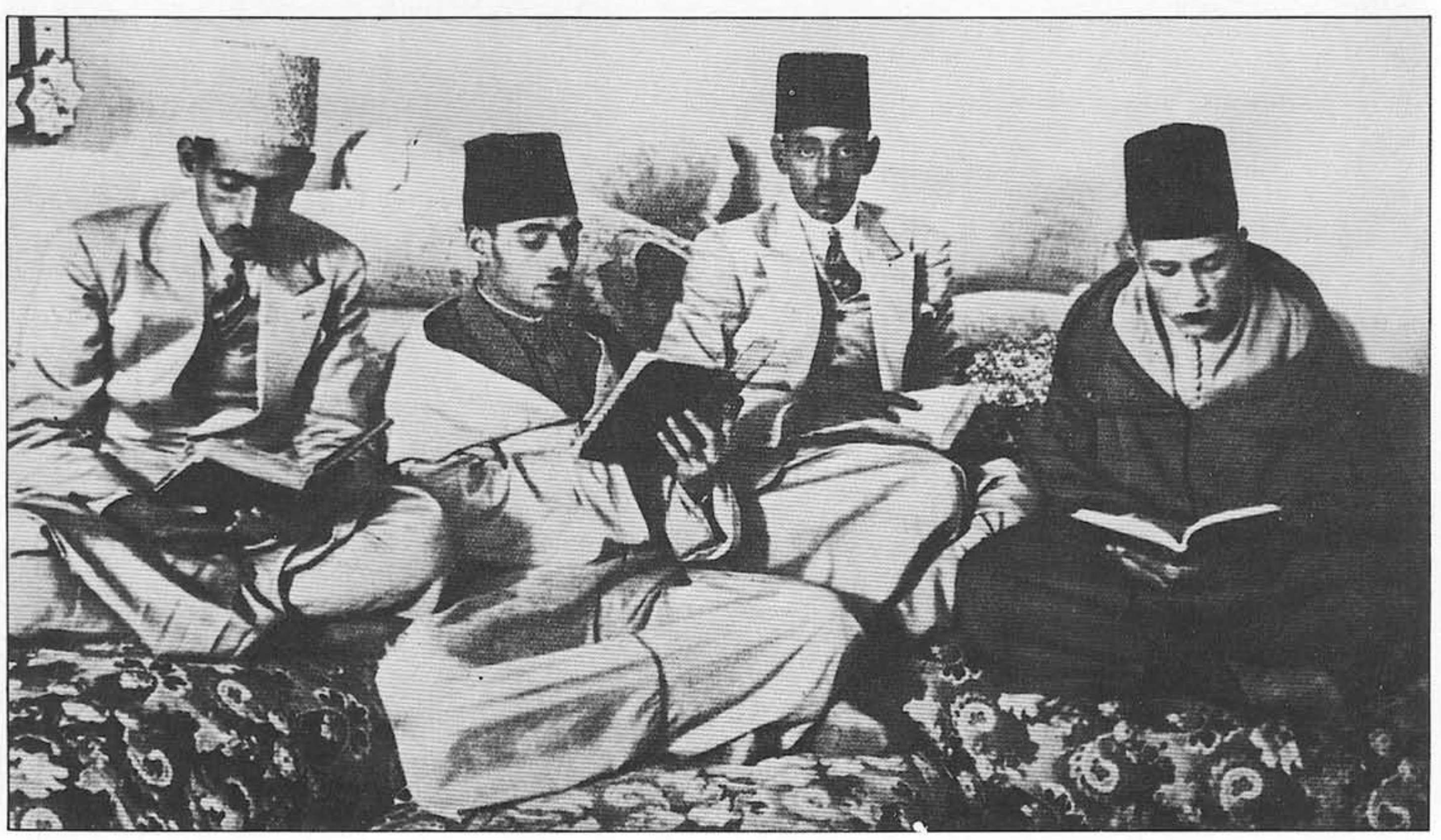
وكان ذلك الحرز هو اللغة ، أي اللغة العربية في هذه الحال ، إذ كانت الموئل الثقافي والتاريخي والديني الذي يحصنهم أكثر من غيره .

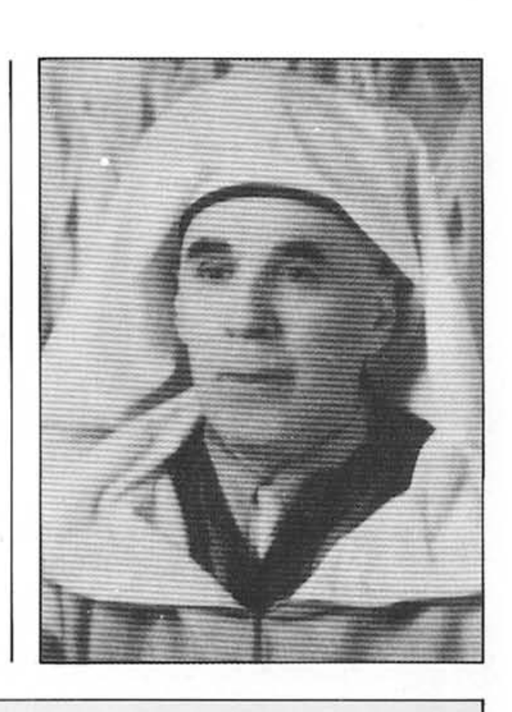
وذلك ما يفسر حرص الحركة الوطنية على البدء بانشاء المدارس الحرة . فأصبحت هذه المدارس بمثابة البوتقة التي تكونت فيها الأجيال

طلبة وتلاميذ مغاربة بباريس . يُعرف منهم علال الفاسي واقفا في الوسط وعن يمينه الجبلي وعن يساره احمد بلافريج .

قراءة الرواية بالطريقة الأيطالية في بيت مدير الفرقة عبد الواحد الشاوي .

Le monde illustré-octobre 1933.





احمد مكوار .
من وثائق حزب الاستقلال .

الصاعدة ، والتي حافظت على الهوية المغربية وسيادة الوطن . ولم تلبث المدارس أن فتحت في مدن فاس ، العاصمة الروحية ، والرباط وسلا والدار البيضاء وتطوان ومراكش ، فوجد فيها الشباب الأداة التي ساعدته على التثقف والوعي .

لكن ذلك الجهد كان غير كاف ، إذ لم تستفد منه إلا قلة قليلة من السكان ، نظرا لعدة ضغوط . لكن وعي الشعب بهذا النوع من أنواع الكفاح ومساهمته فيه كان أمرا حيويا .

وذلك ما حفز الحركة الوطنية على إنشاء الجمعيات الثقافية والأدبية والمسرحية وعلى الاكثار منها . وكانت كل المؤلفات والمسرحيات تشيد بتاريخ المغرب وحضارته ، وبمختلف العرى التي تربطه بالعالم العربي والعالم الاسلامي .

وكانت اللغة العربية ، بطبيعة الحال ، هي لغة التعبير في كل هذه الأنواع من النشاط .

وقد أنشأت الحركة الوطنية ، إلى جانب هذه الأجهزة المعدة للكفاح الثقافي ، أجهزة للكفاح السياسي . وكُونت في أول الأمر ، في شكل جمعيات سرية .

ومن أجل ذلك سعى أحمد مكوار ، سنة 1930 إلى إنشاء جمعية لا يتعدى عدد أفرادها عشرين شخصا . وكان هدفها استقلال المغرب .

ثم ظهرت ، إلى جانب هذه الجمعية السرية ، جمعية أخرى سميت « **لجنة العمل الوطني المغربي** » ، وذلك بعد صدور الظهير البربري . وكان أعضاء هذه اللجنة أكثر عددا ، إذ اشتملت على ستين شخصا تقريبا من مدن فاس والرباط ومراكش وطنجة . وكان عليها أن تربط أولى صلاتها بجلالة المرحوم محمد الخامس . وكان ذلك في شهر مارس 1943 ، بعد لقاء ملك المغرب بالرئيس روزفيلت Roosevelt (**انظر « مذكرات من التراث المغربي » – المجلد السادس : كفاح الملك والشعب**) .

وقد شُرع ، في هذه الحقبة ، في اعداد عريضة المطالبة بالاستقلال وتحريرها . وقدمت في شهر يناير 1944 . ثم أخذ القصر الملكي والحركة الوطنية يتعاونان وينسقان أعمالهما ، وذلك بصورة مكثفة ومنتظمة . ثم اتسع نطاق لجنة العمل ، وانضمت إليها شخصيات مثل الزغاري وأحمد أبّا حنيني والغزاوي وعبد الحميد الزموري . وكان عبد الحميد من قدماء تلاميذ ثانوية آزرو ، بينما كان الآخرون من قدماء ثانوية فاس . وبذلك اتحدت عناصر ممثلي النخبة ، فكانت صورة لوحدة المغرب .

العرش رمز السيادة الوطنية . وحوله تتبلور الحركة الوطنية والحماس الشعبي .
عن صحيفة "Action du Peuple n 40 du 11 mai 1934".
الخزانة العامة بالرباط .

الاشتراكيون الاسبانيون والحركة الوطنية المغربية

اتصل الاشتراكيون الاسبانيون ، في أثناء الحرب الاهلية الاسبانية بمحمد حسن الوزاني والحاج عمر بن عبد الجليل ليطلبوا إلى الحركة الوطنية المغربية إمدادهم بأعداد من الجنود لمقاومة تقدم الجنرال فرانكو .

لذا سافر الوزاني وابن عبد الجليل إلى اسبانيا . وكانت لهما اتصالات ببرشلونة ومدريد .

وطالب الوطنيون المغاربة ، أثناء هذه الاتصالات ، أن تعترف اسبانيا باستقلال المناطق الخاضعة لنفوذها ، وذلك مقابل مساعدة الجنود المغاربة .

غير أن الاشتراكيين الاسبانيين رفضوا هذا الطلب رفضا مطلقا ، وقالوا إنهم مستعدون لمساندة الحركة الوطنية المغربية بالسلاح والمال لمكافحة المستعمر الفرنسي .

تصريح لليزيدي ، نقله العربي الصقلي . الدار البيضاء في 16 غشت 1983 .

DEUXIEME ANNEE — N° [illegible] LE NUMERO : 0.50 27 MOHAREM 1358 VENDREDI 11 MAI 193[illegible]

L'Action du Peuple

(et la Volonté du Peuple)
ORGANE DE DOCTRINE ET DE DEFENSE MAROCAINE
Directeur-Rédacteur en Chef : Mohamed Hassane EL OUAZZANI

ABONNEMENT PAR AN : Maroc 50 fr. — Algérie - Tunisie - France 60 — — Etranger 70 —

BUREAUX DU JOURNAL : IMM. MERNISSI, BATHA. — FES — Boîte Postale 503

Fès acclame les Souverains Marocains





A GAUCHE :
SA MAJESTE LE SULTAN SIDI MOHAMED

A DROITE :
En uniforme de colonel de l'Armée Chérifienne :
Son Altesse Impériale Moulay HASSAN Prince Héritier du Trône connu actuellement dans nos milieux marocains sous le nom symbolique de
PRINCE DE L'ATLAS

L'éternel Problème ...

!?

On se rappelle qu'à l'époque de la fête du Trône, le pacha de Fès n'a pas manqué de la faire saboter en essayant de faire pression sur nombre de ses administrés afin qu'ils s'abstiennent d'y prendre part.

CONTRE LES AMBITIONS du SIONISME et de la COLONISATION

Pour le bien de famille insaisissable et incessible

برنامج الإصلاحات المغربية

جمال الدين ناجي

« وخلاصة القول إن أول مطلب يعتبر إطارا لهذا البرنامج هو تطبيق سياسة الحماية تطبيقا دقيقا لاأقل ولا أكثر ، لكن بكل ما يجب من الأمانة والوفاء بناء على التزامات الحكومة الفرنسية ووعودها إزاء صاحب الجلالة الشريفة وإزاء الشعب المغربي » (الديباجة ص. 15) .

لاشك أن السلطات الاستعمارية اعتبرت أن أعضاء « **لجنة العمل المغربي** » العشرة الذين امضوا تلك الوثيقة التاريخية قد أبدوا نضجا سياسيا فائقا . ذلك أن هذا البرنامج ينم ، نظرا لشكله ومضمونه ، ونظرا لأسلوبه وقوة الاقناع التي تتجلى منه ، عن ذكاء سياسي لم تجد فرنسا مثله إلا نادرا في « **امبراطوريتها** » . وقد آثر أصحاب البرنامج الوضوح التام في تقديم المبادئ والغايات والأهداف . ومع ذلك ، فقد عمدوا إلى سلوك خطة معروفة ، لكنها كانت شديدة الخطر على سلطات الحماية في ذلك الوقت . فقيدوا الخصم بنفس قيوده ، وهي الوعود التي أخذها على نفسه بصفة علنية ورسمية .

وتبين أن تلك الخطة ناجعة بالنسبة للحركة الوطنية ، لا سيما أن المستعمرين كانوا سنة 1934 هم الغالبين عندما سلكوا سياسة العنف ، لكنهم كانوا ضعيفي الاستعداد للكفاح في الميدان السياسي . فلم يكن دعاة الاستعمار وأنصار العنف يسلكون إلا سياسة واحدة ، وهي سياسة « **تأمين البلاد** » ، تلك السياسة التي لم تكن تفضى بهم إلا إلى نصر مؤقت أو هزيمة حاسمة . وذلك هو المصير الذي يخصصه التاريخ لكل نظام يجابه شعبا عازما على الدفاع عن حريته وكرامته . وقد عبأ نظام الحماية حينئذ كل قواته لمقاومة انعدام الأمن في المدن ، وخاصة في القرى ، وذلك في الوقت الذي ظهر فيه ، بالنسبة لهذه النخبة ، مجال للكفاح لم يكونوا يتوقعون فائدته من قبل .

ولم يكن لسلطات الاستعمار بد من استعمال السلاح القانوني في الوقت الذي كانت

مما هو مدون في الكتاب المشهور المسمى « **البحث في الحمايات** » لمؤلفه العلامة الاختصاصي في موضوع الحمايات دسباني أستاذ الشرع الدولي بجامعة بردو والعضو بمجمع القانون الدولي :

« إن أعظم واجب مفروض على الدولة الحامية – كما هو مفروض على الدولة المحمية – يقضي بكامل الامتثال لنصوص المعاهدة وتنفيذ التزاماتها تنفيذا كليا وعدم تجاوز دائرة الحقوق التي أسند إليها القيام في ميدان السيادة الخارجية والداخلية للدولة المحمية إذا وقع التعهد صراحة نحو شعب من الشعوب من أجل الدفاع عنه وحماية كيانه ثم لم يحقق الوفاء بالوعد إلا مادامت فيه فائدة لصاحبه وتتوسى بالمرة متى عظم حمله كان ذلك متنافيا تمام التنافي مع أصول الشرع الدولي ومع الواجب الاول للدولة التي يجب عليها – طبقا للقول المشهور – أن تكون قبل كل شيء كالرجل النزيه الاميں .

« لم ننكر أبدا الصبغة الاستغلالية التي تصطبغ بها الحماية لفائدة الدولة الحامية . ولم تبلغ قط البساطة بالانسان إلى اعتقاد الاخلاص الطاهر في الاعمال التي تدبرها السياسة الخارجية ، ولكن المهم هو أن تعرف هل ليس في إمكان الانسان أن يفيد غيره في حالة خدمته لنفسه ، ففي حد ذاته وبقطع النظر عن قيمته الادبية – هل ينعدم الخير أو ينقطع عن الغير بسبب الفائدة التي تعود منه على فاعله ؟

لو صح هذا لم يكن فيه أقل تشجيع للنفس البشرية الضعيفة التي ليس في الامكان أن يطلب منها بكيفية عامة تحقيق الكمال في التضحية ، ولكادت تفقد كل سلوى عند ما يشاهد المرء أن كل صنع في هذه الدنيا يلطخه دون المنفعة الشخصية مهما يقل عدد من المفكرين – وليسوا بأقلهم قيمة واعتبارا – فالثقافة الخلقية والشعور بالعدالة وشدة الاهتمام باحترامها وتحقيقها تتجلى بازدياد في الروابط

سنة 1934

فيه الظروف السياسية غامضة ، إذ لم يكن الشعب حينئذ قد عدل عن الكفاح المسلح . وكانت الجبهة السياسية التي فتحتها تلك النخبة الحضرية بمثابة خدعة لسلطات الحماية ، إذ كان

الدولية . كما أنها تتوغل في حياة الشعوب الداخلية بما يوجد بينها من الشعور المتكاثر بالحاجة إلى تمتيع الجميع برغد العيش وإلى مواساة بعضها بعضا في البأساء والضراء ، وباختصار إلى التضامن البشري .

« فلو حصر الانسان اعتقاده في الاستغلال القاسي الذي يصاب به الضعيف من القوي في علاقات الشعوب ، ولو زعم أن مذهب داروين في تنازع البقاء هو دستور السياسة الخارجية لكان مستبعدا لنفوذ الوقائع التي ماتزال – والحق يقال – كثيرة العدد رغم كونها أخذت تصير شيئا فشيئا من قبيل الطوارىء ، ولكنها – على أي حال – كالسياسة التي تسلكها الحكومات المتعاقبة في كثير من الاوقات مخالفة لهذا المجرى العظيم من العدالة الذي ينعش اليوم روح العالم المتمدن ».

مطالب الشعب المغربي
1353 هـ / 1934 م

قائمة أعضاء « لجنة العمل المغربي »
حسب الترتيب الهجائي

عبد العزيز ابن ادريس — **محمد علال الفاسي**
محمد الديوري — **ابو بكر القادري**
احمد الشرقاوي — **محمد المكي الناصري**
عمر عبد الجليل — **محمد حسن الوزاني**
محمد غازي — **محمد اليزيدي**

لجنة الرعاية

المندبون

جان لونكي
نائب مقاطعة السين ،
نائب لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب

بير رونوديل
نائب مقاطعة الفار
رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي

گاسطون بيرجوري
النائب السابق ، وعضو اللجنة المركزية لعصبة حقوق الانسان والمواطن

فرانسوا دوتيسان
الوزير السابق ونائب مقاطعة ،
نائب لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب

جان بيو
نائب مدينة باريس
كبير المحررين بصحيفة لوڤر
عضو لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب

أندري بيرطون
النائب السابق

هنري كلير
نائب مقاطعة و أديب

كامبينشي
نائب مقاطعة كورسيكا ونائب رئيس الفريق الراديكالي الاشتراكي بمجلس النواب

جبرايل كودوني
رئيس الحزب الراديكالي
الاشتراكي كاميل پيلطان

فيليسيان شالاي
المبرز في الفلسفة

جان روبير لونگي
كبير محرري « المغرب »

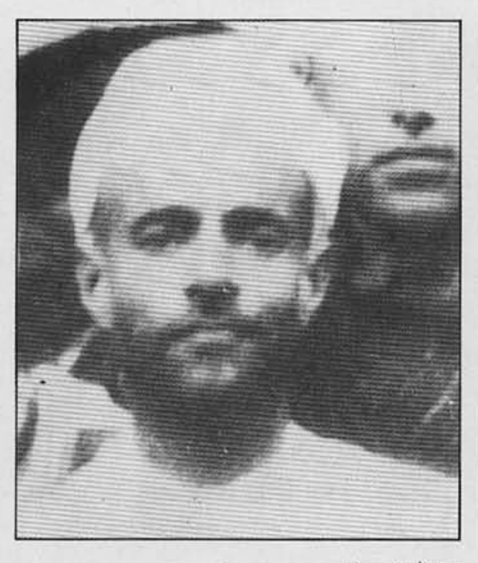
جورج موني
نائب مقاطعة ليزن

ماكدولين باز
الكاتبة

أندري ڤيوليس
الكاتبة

لويس روبو
الكاتب

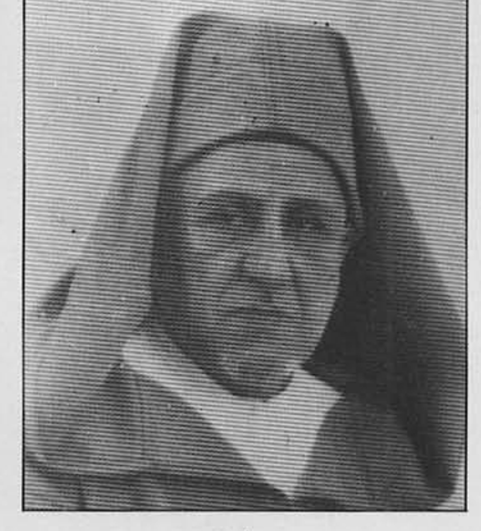
الوطنيون الذين امضوا



عبد العزيز بن ادريس
من وثائق حزب الاستقلال .



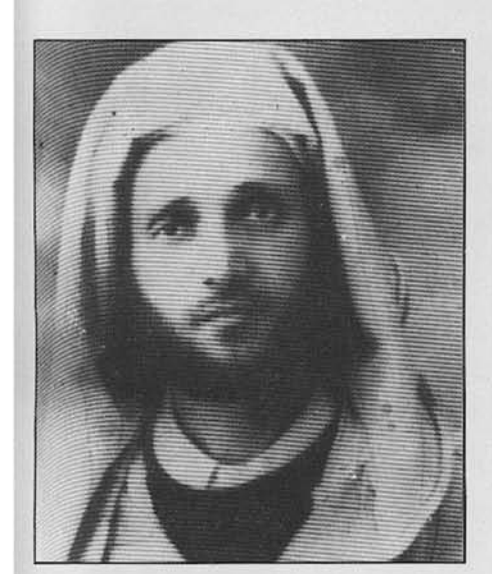
عمر عبد الجليل
من وثائق حزب الاستقلال .



احمد الشرقاوي
من وثائق حزب الاستقلال .

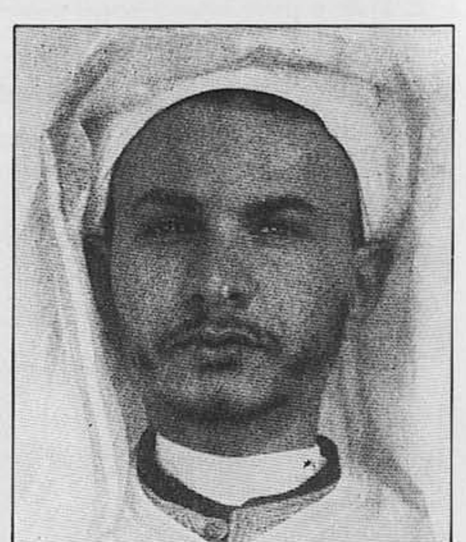


محمد الديوري
من وثائق حزب الاستقلال .



محمد غازي
من وثائق حزب الاستقلال .

« برنامج الاصلاحات المغربية »

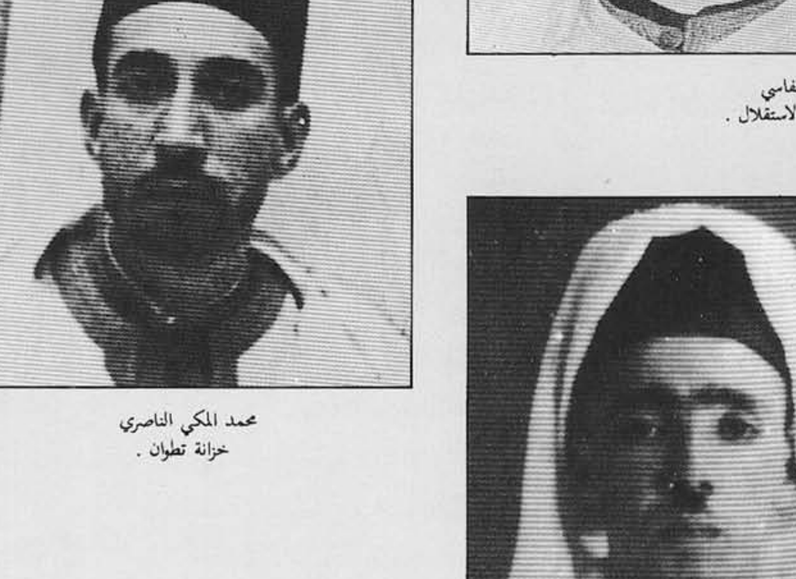


محمد علال الفاسي
من وثائق حزب الاستقلال .

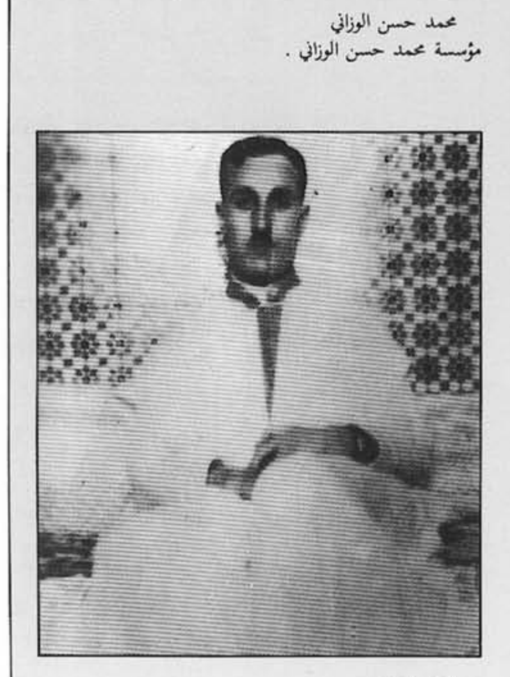
محمد حسن الوزاني
مؤسسة محمد حسن الوزاني .



محمد المكي الناصري
خزانة تطوان .



أبو بكر القادري
من وثائق حزب الاستقلال .



محمد اليزيدي
من وثائق حزب الاستقلال .

مذكرات من التراث المغربي

من عواقبها معاملة الخصم أي الحركة الوطنية معاملة الند في الكفاح القانوني والدبلوماسي ، لا سيما وقد كانت المبادرة في ذلك للوطنيين .

وذلك أول خطر تعرض له الاستعماريون من جراء تقديم برنامج الاصلاح .

وقد انضم إلى هذه الحركة لجنة رعاية مكونة من شخصيات فرنسية مقيمة في فرنسا ، ومن ضمنها عدد من أعضاء البرلمان . وبذلك تقوى موقف المغاربة وأمكن تشييع أفكارهم في الأوساط السياسية بباريس . واستند الوطنيون في مطالبهم إلى المبادئ والقيم التي كانت أساس النظام السياسي الفرنسي . وبذلك ارتقوا إلى وضعية « **الرشد السياسي** » الذي لم يكن نظام الاستعمار يعترف به منذ أن وطئت قواته أرض المغرب . فأصبحت لجنة العمل المغربي المخاطب المرموق ، وذلك باختيارها الكفاح في مجال الاصلاح السياسي بالاعتماد على حجة القانون الذي يقيد الخصم بالالتزامات والقيم والمبادئ التي اتخذها أساسا لحياته السياسية .

وكان أخطر من ذلك بالنسبة للمستعمر أن هذا المخاطب أصبح ، نظرا لمحتوى برنامجه يتحلى بشرعية سياسية لم يسبق لها مثيل .

وكان ذلك ثاني خطر يهدد النظام الاستعماري عقب تقديم برنامج الاصلاح .

فقد اتسم ذلك البرنامج بالاستمرار بالنسبة للمؤسسات الوطنية ، وخاصة استمرار النظام الملكي . وفصلت المطالب تفصيلا حتى شملت كل مجالات الحياة في البلاد ، السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ... وبذلك أضافت اللجنة على نفسها نوعا من الشرعية ومن الوصاية على مستقبل المجتمع المغربي . وأصبحت مخاطبا كامل الصلاحيات ، له حق النظر في حاضر البلاد وفي مستقبلها .

إن ترجع بنا الذاكرة بنصف قرن ، فربما لا يكفينا ذلك لادراك هذا العمل الاصلاحي الذي عمد إليه جماعة من الناس باسم شعب يكافح منذ أكثر من ربع قرن من أجل كرامته . لكن لايخفى على من يطالع هذه الوثيقة ، من أجيال ما بعد الاستقلال ، ما تتسم به من عمق في التفكير ومن بعد نظر في تصورها المجتمع النموذجي الذي تخيلته انطلاقا من الاطار الذي فرضه عقد الحماية .

غلاف نص « برنامج الاصلاحات المغربية »
مؤسسة محمد حسن الوزاني .

PLAN
de
Réformes Marocaines



Élaboré et présenté à S. M. le Sultan
au Gouvernement de la République française
et à la Résidence Générale au Maroc par le

Comité d'Action Marocaine



Edition française 1934 - 1353 de l'Hégire

بنية المشروع

لقد اشتملت الوثيقة على 130 صفحة . وخصصت الديباجة لوصف الوضعية . فنبه محررو الوثيقة إلى « **أن للأزمة المغربية أسبابا داخلية بوجه خاص ، وأن لهذه الأسباب علاقة بالاستعمار وبالنظام الاداري** » .

واعتمدوا على الأحداث والأرقام ليصفوا السياسة الاستعمارية المتبعة إلى سنة 1934 بأنها سياسة « **عنصرية** » تعتمد على الميز في توزيع الميزانية وتوزيع الضرائب ، وبأنها سياسة تجهيلية إذ لا يكاد عدد التلاميذ يبلغ أحد عشر ألف تلميذ من مجموع 500.000 طفل في سنة الدراسة ، وبأنها « **غير متحررة** » ، إذ لا صحيفة تعبر عن آراء المغاربة ، وبأنها « **استعمارية** » (نزع ملكية الفلاحين المغاربة) ، « **من أجل المصلحة العامة** » ، وبأنها « **سياسة ادماج** » إذ كانت مستوحاة من « **الادارة المباشرة ، وتتجلى في شكل مقاومة منسقة – ولو كانت أحيانا متسترة – لمؤسساتنا وثقافتنا العربية وتقاليدنا** » .

بعد هذه الديباجية التي احتوت على 15 صفحة انتقل المحررون إلى مقدمة من 30 صفحة (قسمت قسمين) توضح الخطة التي اختاروها . وهي خطة الاستدلال القانوني المدعم ، عند الحاجة ، بوقائع ثابتة . ثم حددوا ، في الجزء الأول ، تصورهم لنظام الحماية الذي فرض على المغرب يوم 30 مارس من سنة 1912 . ومن أجل ذلك استندوا إلى بعض الاتفاقيات التي ابرمت بين الدول الاستعمارية قبل سنة 1912 ، وإلى بعض التصريحات الرسمية (وخاصة تصريحات الجنرال ليوطي) ، كما استندوا إلى مبادئ القانون الدولي وإلى آراء بعض رجال القانون المشهورين في ذلك العصر .

ثم حللوا ، في الجزء الثاني ، بعض المظاهر المادية التي ظهرت في تطبيق عقد الحماية ، وأعطوا « **نماذج من سياسة الميز** » في عرضهم عن الميدان القضائي . وكان الغرض من ذلك الاستدلال على أن السياسة المتبعة مناقضة لعقد الحماية .

وكان استدلالهم أكثر تفصيلا وأكثر إقناعا من خلال دفتر المطالب الحقيقي الذي صيغ في خمسة أبواب ، وهي :

– الاصلاحات السياسية
– والاصلاحات القضائية
– والاصلاحات الاجتماعية
– والاصلاحات الاقتصادية والمالية
– والاصلاحات الخاصة

موجز عن « برنامج الاصلاحات المغربية »

– الاصلاحات السياسية

1 – التنظيم الاداري

ا – مبادىء عامة :

1 – بناء النظام الاداري على اساس المعاهدات الدولية وخصوصا معاهدة الحماية طبقا لنصوصها الصريحة ، ولمعنى الحماية القانوني المحدود ؛

2 – إلغاء كل التشريعات والمؤسسات التي أحدثت منذ إعلان الحماية على أساس « الادارة المباشرة » وكفالة الاقامة العامة لسائر المصالح الفرنسية في المغرب بالوسائل الادارية ؛

3 – تمثيل جلالة السلطان في كل الاجتماعات الرسمية بحضور من يختاره من أعضاء حكومته ؛

4 – العدول عن سياسة الامتيازات العنصرية في التشريع والادارة ؛

5 – عدم السماح بانتقاض الحدود المغربية ، وبسط السلطة المخزنية في سائر أطراف المملكة ؛

6 – جعل التقسيم الاداري للنواحي خاضعا لمبدأ « المركزية الادارية » وإسناد رئاسة النواحي لموظفين مغاربة ؛

7 – العدول عن النظام الاداري المعروف بنظام (القواد الكبار) ؛

8 – استبدال الحكم الاداري العسكري في سائر المدن المغربية وفي كل البوادي التي استتب بها الامن وأجرى فيها النظام بالحكم الاداري المدني ؛

9 – تحديد مسئوليات الادارة والموظفين تحديدا قانونيا ؛

10– إسقاط الادارات الزائدة وإدماج الادارات المتشابهة الاختصاص ، وإلحاق كل إدارة بالوزارة المغربية التي تمس اختصاصها ؛

11- ادخال عدد كاف من المغاربة في كل المجالس الادارية ، مثلا :
- المجلس الاعلى للتجارة والصناعة ،
- المجلس الاعلى للفلاحة ،
- المجلس الاعلى لتربية الحيوانات ،
- المكتب المغربي للملكية الصناعية ،
- مجلس السياحة .

ب - الحكومة المغربية

12- تأليف الحكومة المغربية من تسع وزارات :
ا - الصدارة العظمى أو رياسة الوزارة ،
ب - وزارة الداخلية ،
ج - وزارة العدلية المغربية ،
د - وزارة المالية (التي اقرها ظهير 31 اكتوبر سنة 1912 المنظم للوزارة المغربية) ،
هـ - وزارة الاقتصاد (فلاحة - تجارة - صناعة) ،
و - وزارة المعارف ،
ز - وزارة المواصلات (الاشغال العامة - البريد - التليفون والتلغراف) ،
ح - وزارة الاحباس ،
ط - وزارة الصحة العامة .

13- تعيين خليفة سلطاني للقائد العام للجيوش بالمغرب (ظهير 31 اكتوبر 1912) ،

14- تعيين كل ماهو ضروري من الموظفين الفنيين الفرنسيين في الادارات الفنية التابعة للوزارات المغرية ، زيادة على الموظفين المغاربة .

ج - الموظفون

(. . .)

24- جعل تعيين الموظفين بسائر الادارات المغربية خاضعا لنظام المسابقة وتقديم المغربي على غيره عند تساوي الكفاءة؛

(. . .)

30- كفالة حرية الافكار لسائر موظفي الدولة .

د - المجلس الوطني

40- تأسيس مجلس وطني مشترك بين المسلمين والاسرائليين المغاربة يكون أعضاؤه منقسمين الى قسمين :
ا - ثلث مركب من مندوبي مجالس الغرف الاقتصادية ،
ب - ثلثان يكون انتخابهما من درجتين وبطريق « **انتخاب القوائم** » من قبل الناخبين غير المقيدين في قوائم انتخابات الغرف الاقتصادية ،

43- اعطاء اعضاء المجلس الوطني حق الاقتراح وتخويل المجلس ضبط جدول أعماله وجعل اختصاصه المسائل الآتية :
ا - الاصلاحات الضرورية للبلاد ،
ب - مناقشة الميزانية العامة بجميع فصولها والمصادقة عليها ،
ج - التوفيق بين المصالح الاقتصادية المختلفة ،

د – مراقبة الانتاج والتوازن بينه وبين الاستهلاك ،
هـ – التوسع الاقتصادي للمنتوجات المغربية ،
و – ويجب أن يعرض على المجلس كل اقتراح يخص إحداث ضريبة جديدة على المكلفين أو تفويت ملك من أملاك الدولة أو فتح أي قرض جديد .

44– لجلالة مولانا السلطان الكلمة العليا في مقررات المجلس ؛
45– جلسات المجلس علنية ويجتمع على الاقل ست مرات في السنة .

2 – الحريات الشخصية والعامة

1 – كفالة التعبير عن الافكار والآراء بكل الوسائل القانونية دون خضوع لمراقبة سابقة ؛
2 – عدم متابعة الافراد لدى المحاكم وعدم اتهامهم أو ايقافهم أو سجنهم أو نفيهم إلا في الاحوال التي ينص عليها القانون ، وطبقا للكيفية التي يفرضها ، وعدم السماح بمعاقبتهم إلا من أجل الامور التي يعتبرها القانون مستوجبة للعقاب ؛
5 – إبطال الضرب بالسياط والتعذيب بأية آلة من الآلات في جميع أطراف المملكة وعدم اتخاذ ذلك من وسائل الاقرار أو المعاقبة .

الاصلاحات الاجتماعية

1 – التعــليـم

ا – التعليم الابتدائي

5 – جعل التعليم الابتدائي اجباريا في البوادي والحواضر تدريجيا وحسب الجهات ، ابتداء من 6 سنوات إلى 12 سنة مع الاحتفاظ لولي التلميذ بالحرية في اختيار المدرسة التي يشاء ؛
6 – جعل تعليم القرآن ، واللغة العربية ، والديانة الاسلامية ، والتاريخ المغربي ، والجغرافية المغربية أساسا للتعليم الابتدائي الحديث ومنحها في الامتحانات الاعتبار الذي لغيرها من المواد ؛
7 – جعل التربية البدنية اجبارية في جميع المدارس الابتدائية ؛
8 – تنظيم مصايف للاطفال المغاربة أثناء العطلة الصيفية ؛
11– احداث « **باكالوريا مغربية** » مساوية للباكالوريا الفرنسية والسعي للاعتراف بها من الجامعات الفرنسية والاجنبية ؛
12– تخصيص وقت كاف للغة العربية والثقافة الاسلامية والتاريخ المغربي والجغرافيا المغربية في برنامج الباكالوريا المغربية ؛

ب – التعليم العالي

15– انشاء معهد مغربي أعلى يحتوي على ثلاثة فروع :
أ – قسم الحقوق المغربية : ينال المتخرج منه ليسانس حقوق مغربية مساوية لليسانس الحقوق الفرنسية ،
ب – قسم الآداب يتخرج منه أساتذة لتدريس اللغة العربية والفرنسية وأدبهما في المدارس الثانوية ،
ج – قسم الطب والصيدلة ، ويكون المعهد العلمي الشريف ملحقا بالمعهد المغربي الاعلى .
16– منح اعانات وقروض شرفية من الميزانية العامة لمن أراد مزاولة العلوم العالية بفرنسا ومن بينها العلوم التي لا توجد بالمغرب ، والمساعدة على إعداد طائفة خاصة من المتعلمين المغاربة . لدخول الادارات الفنية كإدارة المالية والاشغال العمومية ، وإدارة البريد والتلغراف والتليفون .

ج – التعليم الديني

31- وجوب اعتناء الحكومة بالتعليم الديني بسائر أقسامه ، وذلك بالانفاق عليه من ميزانية الدولة زيادة على ما تخصصه له الاحباس سنويا

32- جعل التعليم منقسما إلى ثلاثة أقسام : ابتدائي ، وثانوي ، وعالي ؛

40- كفالة حرية المعلمين والطلبة سواء الشخصية أو السياسية وذلك بابطال التشريع المتخذ ضد هذه الحرية (ظهير 10 مايو 1932) ؛

41- جلب بعض المعلمين من مسلمي الشرق لادخال أساليب التعليم الجديدة في المعاهد الدينية ريثما تتهيأ طبقة كافية من المعلمين المغاربة .

د – مساعدة الطلبة

42- بذل مساعدات مالية للمستحقين من طلبة التعليم الحديث والتعليم الديني

43- إرسال بعثات علمية على نفقة الحكومة للمدارس العليا بفرنسا والشرق وخصوصا من الذين أظهروا استعدادهم لمزاولة التدريس .

هـ – المكاتب العلمية

45- إنشاء مكاتب عامة بأهم المدن المغربية للمساعدة على نشر الثقافة والبحث العلمي ؛

46- المحافظة على الكتب المدخرة في خزائن المساجد والزوايا وعدم السماح بتسربها للخارج .

و – التعليم الحر

48- السماح للافراد بإنشاء مدارس حرة تحت مراقبة وزارة المعارف ، وتعديل التشريع الحالي الخاص بذلك لما فيه من العقباتوالعراقيل

ز – محاربة الامية

49- جمع صغار المتشردين لتعليمهم بالقراءة والكتابة

50 – إنشاء دروس ليلية خاصة بالكبار لتعليمهم مبادىء اللغة العربية والفرنسية ومبادىء الحساب وبعض المعلومات العامة ،

51- تعليم الاميين من المساجين والجنود المغاربة مبادىء القراءة والكتابة ،

52- تنظيم الدعاية في الاوساط المغربية للاقبال على المدارس وارسال الابناء إليها .

ح – الثروات الفنية والتاريخية

53- بسط حماية الدولة على الثروات الفنية والتاريخية خصوصا بمنع تحويرها أو اخراجها من البلاد ؛

54- إدخال عدد كاف من المغاربة في لجنة ترميم الآثار التاريخية وفي المجلس الاداري لمتحف الآثار والفنون الاسلامية بالمغرب .

2 – الصحة العامة والاسعاف الاجتماعي

ا – الصحة العامة

1 – انشاء مستشفيات كافية بالمدن والمراكز الادارية ومستوصفات ثابتة بالقرى ، ومستوصفات متنقلة في المداشر والاسواق لمعالجة المرضى وتوزيع الادوية على الفقراء مجانا زيادة على ماهو موجود الآن ؛

2 – إنشاء مصحات للامراض الصدرية المنتشرة بالمغرب ؛

3 – تأسيس دور مغربية للولادة بالمدن والمراكز المهمة ؛

4 – تنظيم الملاجىء الخاصة بالمجاذيب والمجانين على الطرق الطبية الحديثة ؛
5 – وضع تعريفة خاصة للاستشارة وللزيارة الطبية مطبوعة بالعربية والفرنسية في مكاتب الاطباء ؛
6 – اتخاذ وسائل خاصة لتجديد الاحياء المخربة الضارة بسكانها وبالصحة العامة ؛

ب – الاسعاف الاجتماعي

18– احداث ملاجىء لايواء الشيوخ والعجزة ؛
20– توزيع مدخولات « **حق الفقراء** » باعتبار النسبة العددية ، بين الفقراء المسلمين وغيرهم ؛
21– تأسيس مكاتب كافية للاهتمام بتشغيل عملة العاطلين .

3 – العـمـل

2 – حصر مدة العمل اليومي في ثمان ساعات ما عدا الاعمال الفلاحية وتنظيم أوقات فتح الدكاكين والاسواق وجعل الراحة الاسبوعية إجبارية على سائر العمال المغاربة ، وفرض الراحة السنوية للعمال المغاربة على حساب المستخدمين ؛
3 – العناية بتطبيق التشريع الموجود لتنظيم العمل في المحلات التجارية والصناعية وملحقاتها وإحداث تشريع لتنظيم العمل الفلاحي وعمل الخدمة والمأجورين وفيما يخص الامراض الناتجة عن مزاولة العمل ؛
7 – تسوية عملة المغاربة مع عملة الاجانب في الاجور متى كانت مقدرتهم في العمل متساوية ؛
8 – اتخاذ الوسائل اللازمة لمكافحة البطالة كالتشديد في تطبيق التشريع الخاص بعملة الاجانب الوافدين إلى المغرب وتفضيل عملة المغاربة على غيرهم في حالة تساوي الكفاءة ؛
12– السماح بتأسيس نقابات مغربية للدفاع عن مصالح عملة المغاربة وتأسيس صناديق تعاونية لمساعدة عملة المرضى والعاطلين ؛
13– تسهيل شروط استخدام العملة المغاربة بفرنسا وتطبيق التشريع الفرنسي الموضوع لحماية العملة الفرنسية على عملة المغاربة المقيمين بفرنسا كما يطبق التشريع الخاص بالعمل في المغرب على عملة الفرنسيين
14– الفات مفتشي العمل إلى منع استخدام الفتيان والفتيات الذين لم يتجاوزوا سن الثانية عشرة منعا كليا وتطبيق التشريع المحرم لاستخدام النساء والاطفال الذين يتراوح سنهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة في أشغال فوق طاقتهم .

الاصلاحات الاقتصادية والمالية

1 – السياسة الاقتصادية

6 – جعل استثمار سائر المناجم الطبيعية ومنابع النفط والمياه المعدنية والسكك الحديدية والقوات الكهربائية والمرافىء البحرية من اختصاص الدولة المغربية ؛
9 – اتباع سياسة اقتصادية موحدة في المناطق المغربية الثلاثة ، وتسهيل المبادلات التجارية بينها واسقاط الواجبات التي تؤدى على البضائع عند دخولها من منطقة إلى أخرى .

2 – الاستعمار والفلاحة المغربية

ا – الاستعـمـار

1 – إلغاء التشريع القاضي باعتبار نزع الملكية لاحداث « **دوائر الاستعمار** » من المصلحة العامة ؛
2 – إيقاف الاستعمار الرسمي .

ب – الفلاحة المغربية

14– تأسيس جمعيات تعاونية لضمانة المشتركين فيها ضد الجوائح الفلاحية ؛

15– التسوية بين الفلاحين والمستعمرين في الضرائب وحرية الانتاج وحق إصدار منتوجاتهم إلى الخارج ؛

22– حماية الفلاحين من اعتداءات بعض المستعمرين الذين يضربونهم بالسياط ويسجنونهم في المطامير ويفرضون عليهم الغرامات . وإلزام المستعمرين باتباع الطرق المشروعة في كل نزاع يقع بينهم وبين الفلاحين ؛

23– حماية الفلاحين من اعتداءات موظفي « **ادارة الغابات والمياه** » ونزع ما بيدهم من السلطة غير المشروعة التي باسمها يضربون ويسجنون ويفرضون الغرامات ؛

3 – النظام العقاري

ا – الملك العائلي الثابت

2 – الاحتفاظ للفلاح المغربي بعشر هكتارات في أرض البور أو ثلاثة في أرض السقي ، ووضع تشريع يمنعه من تفويتها بأي نوع من أنواع التفويت .

– اصلاحات متفرقة

1 – السياسة البربرية والتبشير

1 – العدول عن تطبيق السياسة البربرية ، وإبطال العمل بما صدر فيها منذ 1914 من الظهائر والقرارات المخزنية والمناشير الادارية ؛

2 – جعل نظام المحاكم المغربية ، ونظام التعليم المغربي موحدين في كافة أنحاء البلاد طبقا لما هو مبين بباب العدلية وباب التعليم ؛

3 – منع التبشير بين المغاربة المسلمين في البوادي والحواضر .

2 – العربية لغة المغرب الرسمية

1 – اعتبار اللغة العربية لغة المراسلة ، والمرافعة ، وتسجيل الاحكام ، وتحرير العقود في سائر المحاكم التي يترافع إليها الرعايا المغاربة ؛

2 – جعل سائر طوابع الدولة وخواتمها في الادارات الرسمية بالعربية والفرنسية ؛

3 – إدراج جميع نصوص الظهائر الشريفة والقرارات الوزيرية ، والمنشورات الادارية ، في الجريدة الرسمية بالعربية وإصدار الطبعة العربية كاملة في نفس الوقت الذي تصدر فيه الطبعة الفرنسية . وجعل « **مكتب الجريدة الرسمية العربية** » لدار المخزن الشريف .

تشــكرات

نقدم شكرنا إلى جميع الهيئات والاشخاص الذين ساعدوا على انجاز هذا المجلد :

– مصالح السيد الوزير الاول
– وزارة الشؤون الثقافية
– السيد وزير البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية
– السيد محافظ الخزانة العامة والوثائق بالرباط
– السيد محافظ الخزانة العامة والوثائق بتطوان
– المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط
– خزانة الصبيحي بسلا
– خزانة الاودابة
– وثائق حزب الاستقلال
– مؤسسة محمد حسن الوزاني
– مصلحة الصحافة والاعلام بسفارة فرنسا بالرباط
– المتحف الوطني للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية بالرباط .

نهاية الطبع : نوفمبر 1985

الكتابة الفوتوغرافية : NORD ORGANISATION (LUGANO)

16 ، زنقة الجديدة – الرباط –

الطبع والتجليد :

ALTAMIRA. S.A. MADRID

FOTOMECANICA KARMAT.

الايداع القانوني : الخزانة العامة والأرشيف بالرباط

رقم : 264 / 1985

ISBN: 84-599-0503-9 (obra completa)
ISBN: 84-599-1040-7 (volumen 5)
Depósito legal: M-37.766-1985